

جو نيسبو

JO NESBØ

المؤلف الروائي الذي فاقت مبيعات كتبه عشرات ملايين
النسخ في مختلف أنحاء ولغات العالم

المنقذ

رواية



المُتَقَدِّم

روايتي

جو نيسبو
JO NESBO

ترجمة

مروان سعد الدين

مراجعة وتحريير

مركز التعريب والبرمجة



الناشر العلمي للعلوم الشرية
Arab Scientific Publishers, Inc. LLC

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يتضمن هذا الكتاب ترجمة الأصل الإنكليزي لرواية

Redeemer The

عن الأصل النرويجي: Frelseren الصادر عن دار: Co & Aschehoug.
حقوق الترجمة العربية مرخص بها قانونياً من الناشر
بمقتضى الاتفاق الخطي الموقع بينه وبين الدار العربية للعلوم ناشرون،
ش.م.ل.

of support financial with published been has Translation This
.NORLA

Frelseren as Norway in Published Originally

2005 Nesbo Jo © Copyright

Norway ,Co & Aschehoug with agreement by Published
reserved rights All

S.A.L .Inc ,Publishers Scientific Arab by 2013 © Copyright Arabic

الطبعة الأولى

143 4 هـ - 2013 م

ISBN: 978-614-02-0757-8

جميع الحقوق محفوظة للناشر

الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.

عين التينة، شارع المفتي توفيق خالد، بناية الريم

هاتف: (1-961+) 785107 - 785108 - 786233

ص.ب: 5574-13 شوران - بيروت 2050-1102 - لبنان

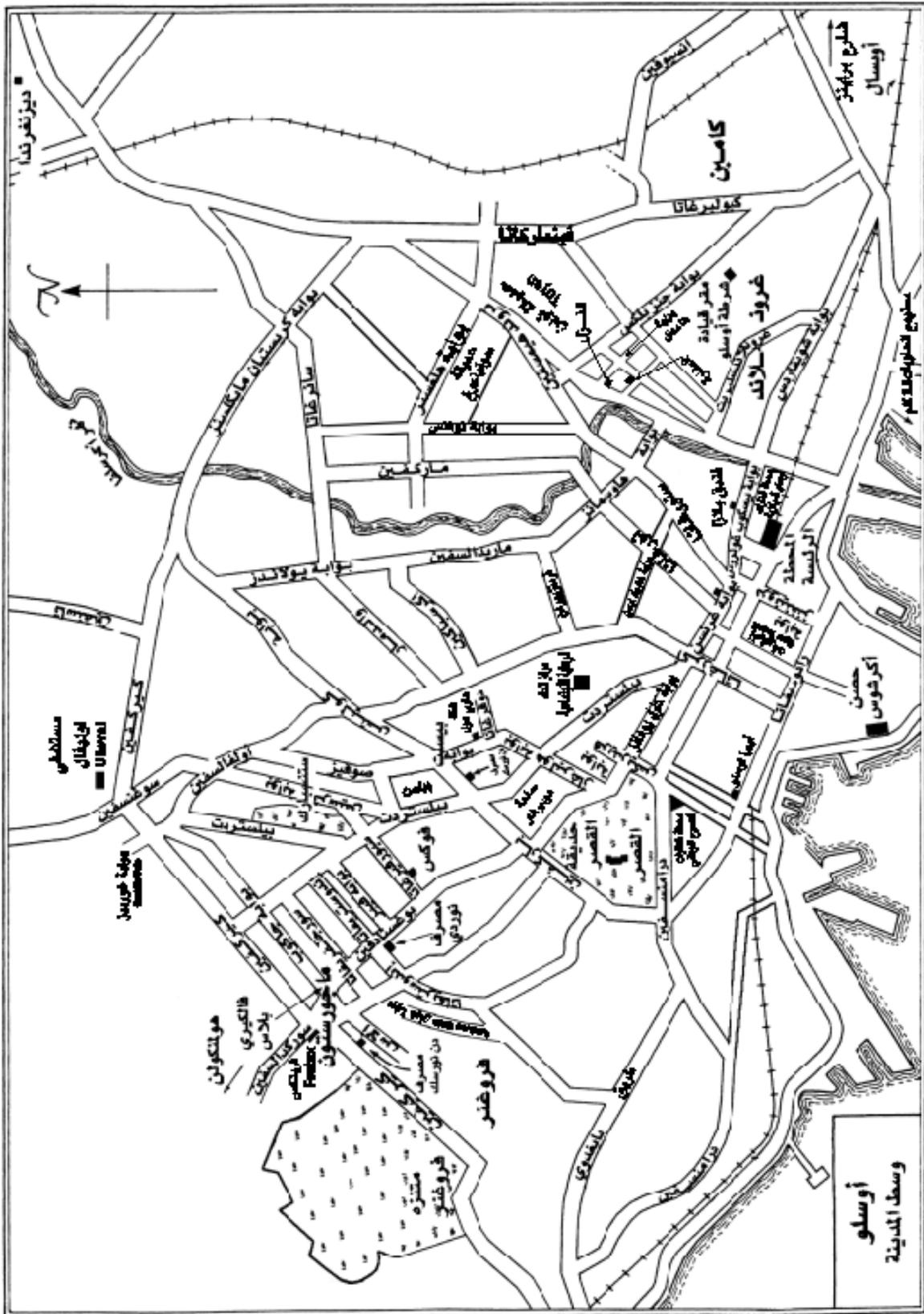
فاكس: (1-961+) 786230 - البريد الإلكتروني: bachar@asp.com.lb

الموقع على شبكة الإنترنت: <http://www.asp.com.lb>

يمنع نسخ أو استعمال أي جزء من هذا الكتاب بأية وسيلة تصويرية أو
الكترونية أو ميكانيكية
بما فيه التسجيل الفوتوغرافي والتسجيل على أشرطة أو أقراص مقروءة أو
بأية وسيلة نشر أخرى
بما فيها حفظ المعلومات، واسترجاعها من دون إذن خطي من الناشر.

إن الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن رأي الدار العربية
للعلوم ناشرون ش. م. ل

التنضيد وفرز الألوان: أبجد غرافيكس، بيروت - هاتف (9611+) 785107
الطباعة: مطابع الدار العربية للعلوم، بيروت - هاتف (9611+) 786233



القسم الأول: البداية

1 - آب/أغسطس 1991. النجوم

كانت في الرابعة عشرة من عمرها، وواثقةً أن باستطاعتها رؤية النجوم إذا أغمضت عينيها وركزت.

حولها، كانت النساء مستغرقات في النوم؛ فأحدهنّ تشخر، وهي الخالة سارة التي وضعنَ لها فراشاً تحت النافذة المفتوحة.

أغمضت عينيها، وحاولت أن تستغرق في النوم كالأخريات. لكن، صُعب عليها النوم لأن كل شيء حولها جديد ومختلف بصفة خاصة. فأصوات الليل والغابة وراء النافذة في أوستغارد مختلفة، والأشخاص الذين تعرّفت بهم في أثناء اللقاءات في قاعة اجتماعات اتحاد الرعاية الاجتماعية وفي المخيمات الصيفية ليسوا الأشخاص أنفسهم. وهي أيضاً لم تعد كما كانت سابقاً؛ فالوجه والجسم اللذان تراهما في المرأة جديداً هذا الصيف. ومشاعرها جديدة أيضاً؛ هذه التيارات الغريبة الحارة والباردة التي تتدفق من أعماقها عندما ينظر الفتيان إليها، أو عندما ينظر إليها شخص ما بصفة خاصة: روبرت. إنه مختلف هذا العام أيضاً.

فتحت عينيها مجدداً وحدّقت إلى السقف.

كان يوماً طويلاً ومليئاً بالأحداث. لقد مرّت ريح الصيف الجافة بين أغراس الذرة هامسةً، وتراقصت أوراق الشجر مبتهجةً؛ فتسرّب الضوء عبرها لملاقاة الزائرين في الحقل. كانوا يُصغون إلى أحد الأعضاء الصغار الذين لا يزالون قيد التدريب، والذي راح يتحدث عن عمله على جزر فارو. إنه وسيم، ويتكلم بإحساس مُرهّف وحماسة شديدة، ولكنها منشغلة عنه بإبعاد نحلة طنانة استمرت بالأزيز حول رأسها، وحين ابتعدت النحلة أخيراً كانت قد شعرت بالنعاس بفعل الحرارة المرتفعة. ما إن أنهى المتدرب كلامه حتى استدارت كل الوجوه إلى المدير الإقليمي، ديفيد إكهوف، الذي كان يراقبهم بعينيه المبتسمتين اللتين لا تُظهران عمره الحقيقي الذي يتخطى الخمسين عاماً. رفع يده طالباً الصمت، ثم تحدّث عن عمل الشاب المتدرب مع الفقراء والأشخاص المنبوذين. كان من المتوقع لهذه الخطبة أن تكون طويلة، ولكن أحدهم همس شيئاً ما، فقال المدير مبتسماً إن الفقرة التالية في البرنامج هي ساعة الشباب، واليوم دور ريكارد نيلسن.

سمعت ريكارد يتكلم بصوت منخفض ويشكر المدير. وكالعادة، كان قد تحضّر جيداً؛ فكتب ما يعتزم قوله وحفظه غيباً. كان صوته ينم عن عصبية مزاجه، ولكنه رتيب ومخدر. وكان يحدّق إليها بانشدها، فيما شفّته

العلوية المتعرّقة تتحرك لتشكّل الجُمْل المألوفة، والواثقة، والرتيبة. وعندما لمست يدٌ ظهرها، لم يصدر عنها أي رد فعل إلا بعد أن جالت أطراف الأصابع نزولاً على ظهرها الصغير، فاقشعرّ بدنها تحت فستانها الصيفي الرقيق.

استدارت ونظرت إلى عيني روبرت البنيّتين المبتسمتين، وتمتّت لو كانت بشرتها قائمة كبشرته كي لا يتمكن من رؤيتها تحمراً خجلاً.
قال جون: "كفّ عن ذلك".

روبرت وجون شقيقان. وبالرغم من أن جون يكبر أخاه بعام واحد، إلا أن العديد من الناس كانوا يظنونهما توأمًا حين كانا صغيرين. ولكن روبرت أصبح في السابعة عشرة من عمره، وغدت الفوارق بينهما أكثر وضوحاً؛ بالرغم من بعض التشابهات في ملامح الوجه. فروبرت سعيد وخالي البال ويحب المزاح ويُجيد العزف على الغيتار، ولكنه لم يكن يلتزم بالمواعيد في قاعة الاجتماعات على الدوام، ويميل أحياناً إلى الاسترسال في المزاح؛ ولا سيما عندما يلاحظ أن الآخرين يضحكون. ولكن جون يتدخل حينئذٍ. فجون شابٌ مستقيم وذو ضمير حيّ، ويعتقد معظم الناس أنه سينتسب إلى الاتحاد، وسيجد لنفسه فتاة منه ليتزوَّجها. أمّا في حالة روبرت، فقد لا يكون الانتساب إلى اتحاد الرعاية الاجتماعية أمراً مسلماً به. جون أطول من روبرت بسنتيمترين، ولكن روبرت يبدو أكثر طولاً على نحو غريب. وقد بدأ ظهره يحدودب منذ سنّ الثانية عشرة؛ كما لو أنه يحمل مصائب العالم كله على ظهره. وكلاهما داكنا البشرة، بهيّا الطلعة مع قسّمات وجه متناسقة، ولكن روبرت يمتاز بأمر يفترق إليه جون؛ فهناك شيء ما في عينيّه، شيء أسود لعوب، كانت ترغب في التحقق منه أكثر فأكثر من دون أن تجرؤ.

عندما كان ريكارد يتكلم، كانت عيناها تجولان على الوجوه المألوفة للأشخاص المجتمعين. ذات يوم ستزوِّج بفتى من اتحاد الرعاية الاجتماعية، وربما سيعملان في مدينة أخرى أو في ناحية أخرى من البلد. ولكنهما سيعودان باستمرار إلى أوستغارد الذي اشتراه اتحاد الرعاية الاجتماعية للتوّ ليكون مقرّه الصيفي منذ الآن فصاعداً.

عند أطراف الحشد، كان هناك فتى أشقر الشعر يجلس على إحدى الدرجات المؤدية إلى المنزل، ويمرّر يده بنعومة على هرّ جالس في حضنه. باستطاعتها التأكيد على أنه يراقبها، ولكنه أشاح بنظره عندما نظرت إليه. إنه الشخص الوحيد الذي لم تكن تعرفه هنا، ولكنها تعرف أن اسمه

مادس غيلستراب، وأنه حفيد الأشخاص الذين كانوا يملكون أوستغارد، ويكبرها بعامين، وأن عائلة غيلستراب ثرية. كان جذاباً في الواقع، ولكن هناك ما يوحي بالوحدة والرغبة في العزلة في شخصيته. ماذا يفعل هنا بأي حال؟ كان يجول في المكان في الليلة السابقة، وعلى وجهه تجهّم غاضب، من دون أن يكلم أحداً. لقد شعرت بنظراته إليها مرات قليلة؛ الكل ينظر إليها هذا العام، وهذا أمر جديد أيضاً.

ولكن روبرت أبعداها عن هذه الأفكار حين أمسك يدها، ووضع شيئاً ما فيها، وقال: "تعالى إلى الهُري عندما ينتهي الخطاب. هناك أمر أريد أن أُريك إيّاه".

ثم وقف وغادر. نظرت إلى ما وضعه في يدها وأصدرت صوتاً أشبه بالزعيق. واضعةً يدها الثانية على فمها لتكتم صرختها، قامت برمي النحلة الطنانة على العشب. كان باستطاعتها الاستمرار بالتحرك بالرغم من عدم امتلاكها قوائم أو جناحين.

أخيراً، أنهى ريكارد خُطبته. جلست مراقبة والديها ووالدي روبرت وجون وهم يتوجهون إلى الطاولات حيث توجد القهوة. كان الجميع يعتبرون العائلتين عائلتين متحمستين .

توجّهت إلى المرحاض الخارجي. وعندما أصبحت وراء الزاوية حيث لا يمكن لأحد أن يراها، ركضت مُسرعةً في اتجاه الهُري.

"هل تعرفين ما هذا؟". سأل روبرت بصوت منخفض لم يكن يملكه في الصيف السابق، والابتسامة تتلأأ في عينيه.

كان مستلقياً على ظهره فوق التبن وهو ينحت غصن شجرة بالمِطواة التي يحملها دائماً في حزامه.

وحين رفع جذع الشجرة لترى ما نحتة أمّلت أن يكون الظلام دامساً بالنسبة إليه كي لا يراها تحمرّ خجلاً مرة أخرى.

"لا"، كذبت، وجلست بجانبه فوق التبن.

رمقها بنظرته الممازحة تلك كما لو أنه يعرف شيئاً ما عنها لا تعرفه. ورمقته بنظرة مماثلة، ثم استلقت متكئة على مرفقيها. عندها، حاول تقبيلها.

"لا، ياروبرت"، همست.

"هل تقولين لا؟ لي؟".

حبست أنفاسها عاجزة عن الإجابة أو الزعيق لأنهما سمعا في تلك اللحظة صوت جون عند باب الهُري يقول: "روبرت! لا، ياروبرت!".

فتخلى روبرت عن الأمر، ونهض ضاحكاً، وغمزها ثم ركض نحو أخيه.
"تعال إلى هنا فوراً!". قال جون كما لو أنه يكلم كلباً عاصياً.
جلست ونفضت التبن عنها شاعرةً بالارتياح والخجل في آن معاً. لقد
شعرت بالارتياح لأن جون أفسد لعبتهما المجنونة، وشعرت بالخجل لأنه كان
يفكر كما يبدو في أن الأمر أكثر من مجرد لعبة.
وفي وقت لاحق، نظرت إلى عيني روبرت البنيتين مباشرةً، ورأت كلمة
ترتسم على شفتيه. لم تعرف ما هي ولكنها بدأت تفهقه. إنه أحمق!
وهي... حسناً، ماذا عنها؟ إنها حمقاء أيضاً؛ حمقاء، ومُغرمة. أجل، مُغرمة؛
هذا هو حالها بالتحديد، ولكن ليس كما حصل عندما كانت في الثانية
عشرة أو الثالثة عشرة من عمرها. لقد بلغت الرابعة عشرة وأصبحت أكبر
سناً، وأكثر أهمية، وأكثر إثارة.
ابتسمت فيما كانت مستلقية في كيس نومها مُحاولةً التحديق إلى
النجوم.

نخرت الخالة سارة وتوقفت عن الشخير. كان هناك شيء ما يُصدر
صوتاً حاداً. أهو صوت بومة؟
احتاجت إلى استعمال المرحاض.
لم تكن تشعر بالرغبة في الخروج، ولكنها مضطرة إلى القيام بذلك،
والسير على العشب الندي بجانب الهُري. كان المكان حالك الظلمة في
الليل، فأغمضت عينيها، وزحفت خارج كيس النوم، وانتعلت خُفاً وتوجهت
إلى الباب على أطراف أصابعها.
كان عدد قليل من النجوم قد ظهر في السماء، ولكنها سرعان ما
ستختفي عندما تشرق الشمس بعد ساعة. وداعب الهواء معتدل البرودة
بشرتها في أثناء جريها، مُصغيةً إلى أصوات الليل التي لا يمكن تحديدها:
حشرات لزمت الهدوء في النهار، وحيوانات تصطاد. قال ريكارد إنه سبق له
أن رأى ثعالب في الأيكة البعيدة.
كان الحمّام الخارجي المنعزل يقع على تلة صغيرة وراء الهُري،
وشاهدته يزداد حجماً مع اقترابها منه أكثر فأكثر. فالكوخ الغريب الملتوي
مصنوع من ألواح خشبية غير معالجة اكتست لوناً رمادياً. لم تكن هناك
نوافذ، ويوجد قلب على الباب. وأسوأ ما في الأمر هو أنكم لا تعرفون
أبداً إن كان هناك شخص ما داخله.

لقد انتابها حدس بوجود شخص ما في الداخل، فسعلت ليقوم
الشخص الموجود هناك بإصدار صوت ما يدل على أن الحمّام غير شاغر.

صعدت على الدرّجة الحجرية، وأمست مقبض الباب الخشبي وجذبتة، ففتح الباب على الغرفة السوداء.

زفرت. كان هناك مصباح كهربائي بجانب مقعد المرحاض، ولكنها لم تكن بحاجة إلى إضاءته. رفعت غطاء المقعد قبل أن تُغلق الباب وتوصده. وبعد ذلك، سحبت قميص نومها إلى الأعلى، وأنزلت سروالها الداخلي وجلست. وفي فترة السكون التالية، ظنّت أنها سمعت شيئاً ما، شيئاً ما تحرك بسرعة بين العُشب الطويل وراء الحمام. ومن ثم بدأ قلبها يخفق بقوة.

عندما أنهت، رفعت سروالها الداخلي بسرعة وجلست في الظلام مصغية، ولكن كل ما تمكنت من سماعه تماوجٌ خافت في أعالي الأشجار، وصوت خفقان قلبها. انتظرت تباطؤ نبضها، ثم حرّرت المقبض من العقيفة وفتحت الباب. كان الشخص الغارق في الظلام يملأ كل المدخل تقريباً. لا بد أنه كان واقفاً في الخارج على الدرّجة الحجرية ينتظر بصمت. وبعد قليل، وجدت نفسها واقفة فوق مقعد المرحاض، فيما هو يقف قربها بعد أن أغلق الباب وراءه.

"أنت؟". قالت.

"أنا". قال بصوت غريب ومرتعش وأجش.

وانحنى فوقها، ووضع نصل السكين على عنقها مهدداً إيّاها.

"إن تفوّهت بكلمة واحدة فسأقطعك إرباً"، همس.

ولم تخرج من فمها أي كلمة لأنها في الرابعة عشرة من عمرها، وواثقة من أنها إذا أغمضت عينيها بإحكام ورگزت فستتمكن من رؤية النجوم، وستنفضل عن الواقع الذي تعيشه.

2 - الأحد، 14 كانون الأول/ديسمبر 2003. الزيارة

أمعن النظر إلى ملامح وجهه المعكوسة على زجاج نافذة القطار، وحاول التحقق من الأمر ومن مكمّن السر، ولكنه لم ير شيئاً استثنائياً في منديلٍ عُثِقٍ أحمر، ووجهٍ وعينين وشعر تخلو من أي تعبير؛ لدرجة أنها بدت سوداء بمقدار سواد الليل الأزلي في قطار الأنفاق في أثناء اقترابهم من جدران الأنفاق بين كورسيل وتيرن. كانت صحيفة لو موند موضوعة في حضنه، وكان قد اطلع على معلومات الطقس فيها؛ محاولاً معرفة إمكانية تساقط الثلوج. ولكن شوارع باريس فوقه كانت لا تزال باردة ومُقفرة تحت غطاء منخفض من السُحْب لا يمكن اختراقه. شمّ تلك الرائحة الخفيفة ولكن المتميّزة للإسمنت المبلّل، والعرق البشري، والمعدن الساخن، والعطر، والتبغ، والصوف المُشَبَّع بالماء، والصفراء؛ تلك الرائحة التي لم يتمكنوا من إزالتها عن مقاعد القطار بواسطة الغَسَل أو التهوئة على الإطلاق.

اهتزت النوافذ بسبب ضغطٍ تسبب به قطار مقرب، وتلاشت الظلمة مؤقتاً بفعل الضوء الباهت الذي مرّ بجانبهم بسرعة. رفع كمّ معطفه وتحقق من ساعته التي كانت من طراز سيكو أس كيو 50، والتي حصل عليها كدّفعة جزئية من أحد الزبائن. كانت هناك خدوش على الزجاج، ولم يكن واثقاً مما إذا كانت الساعة أصلية أم لا. إنها السابعة والربع من صباح يوم الأحد، ونصف المقاعد في المقطورة شاغرة تقريباً. نظر حوله. إن الناس ينامون في قطار الأنفاق، لطالما فعلوا ذلك، ولا سيما في أيام الأسبوع، فيُطفنون أجهزتهم، ويُغمضون أعينهم، ويحوّلون الرحلة اليومية إلى فترة خالية من الأحلام بين الخطوط الحمراء والزرقاء على خارطة قطار الأنفاق، كما لو أن قطار الأنفاق خط توصيل صامت يصل بين العمل والحرية. كان قد قرأ عن رجل جلس طوال اليوم على هذا النحو - مُغمض العينين - وعندما دخل عمال التنظيف المقطورة في نهاية اليوم، اكتشفوا أنه ميت. ربما نزل إلى داخل السرايب لأجل هذه الغاية بالذات، مُدركاً أن أحداً لن يُزعجه.

أما بالنسبة إليه هو، فقد كان يُعِدّ خط توصيل في الاتجاه المعاكس يعيده إلى الحياة. لديه مهمة الليلة، ومن ثم مهمة أخرى في أوصلو؛ وستكون تلك مهمته الأخيرة، وسيخرج بعد ذلك من السرايب نهائياً. أُطلقت إشارة حادة متنافرة قبل إقفال الأبواب في تيرن. وانطلق

القطار مجدداً على نحو متسارع.

أغمض عينيّه محاولاً تحديد الرائحة الأخرى التي يشمّها؛ إنها رائحة الأقراص المزيلة للروائح الكريهة، ورائحة البَوْل الساخن، ورائحة الحرية. ولكن، ربما يكون ما قالته والدته والمدرّسة صحيحاً، وهو أن باستطاعة الدماغ البشري إعادة إنتاج صور مفصّلة عن كل ما رآه الإنسان أو سمعه، لا بل أيضاً باستطاعته تحديد الرائحة الأكثر بروزاً من سواها.

الرائحة. وبدأت الصور تمر بسرعة فيما كان مغمضاً عينيّه. كان في الخامسة عشرة من عمره، جالساً في ممر المستشفى في فوكوفار، ومصغياً إلى والدته التي راحت تتمتم تكراراً طالبةً من الله أن يحمي زوجها. كان قد سمع دويّ المدفعية الصربية وهي تقصف من النهر، وصرخات أولئك الذين أُجريت لهم عمليات جراحية في جناح الرُّضّع حيث لم تُعد تُجرى أي ولادات؛ لأن نساء المدينة امتنعن عن الحمل بعد بدء الحصار. عمل في المستشفى حين كان فتى، وقام ببعض المهام فيها، وتعلّم تجاهل أصوات الضجيج والصراخ والمدفعية، ولكن ليس الروائح، ولا سيما تلك الرائحة. كان يتعيّن على الأطباء الجراحين الذين يُجرون عمليات بتر للأعضاء، المرور باللحم بادئ ذي بدء للوصول إلى العظام، ومن ثم استخدام شيء ما أشبه بأداة لحام لكيّ الأوعية الدموية بهدف سدّها كي لا ينزف المرضى حتى الموت. فرائحة اللحم والدم المحروقين لا تُضاهيها أي رائحة أخرى.

دخل طبيب الممر، ولوّح له ولوالدته مشيراً لهما بالدخول. مقترباً من السرير، لم يجرؤ على النظر إلى والده، وركّز فقط على اليد البنيّة الكبيرة الممسكة بالفراش بإحكام، والتي تحاول كما يبدو تمزيقه إلى نصفين. كان بإمكانها أن تنجح في ذلك؛ لأنّ يديّ والده هما الأكثر قوة في المدينة. فوالده يمتهن ليّ الفولاذ؛ إنه الشخص الذي يواصل العمل بعد انتهاء بنائيّ الآجر من عملهم، فيضع يديه الكبيرتين حول أطراف الفولاذ الناتئ المستخدم لتدعيم الإسمنت، ويقوم بليّ تلك الأطراف الفولاذية بطريقة احترافية ويشبكها ببعضها. كان قد شاهد والده وهو يعمل؛ لقد بدا الأمر كما لو أنه يقوم بليّ شيء طري. لم يكن أحد حينها قد ابتكر آلة تقوم بعمل أفضل.

أغمض عينيّه بشدة، وسمع والده يصرخ من شدة الألم: "أخرجوا الفتى!".

"ولكنه طلب -".

"أخرجوه!".

فقال الطبيب: "لقد توقف التّزيف. لِنْنِه عملنا الآن!".
أمسكه أحدهم من تحت ذراعِيه ورفعهُ. حاول الإفلات، ولكنه كان
صغيراً وخفيفاً جداً. وحينئذٍ، شمّ الرائحة، رائحة اللحم والدم المحروقَيْن.
آخر ما سمعه هو صوت الطبيب:
"المنشار، رجاءً".

أُغلق الباب وراءه، فخرّ على ركبتيه وواصل الدعاء من حيث توقفت
والدته؛ فلله القدرة على القيام بأمور مماثلة إذا كانت تلك مشيئته.
شعر بشخص ما يراقبه، ففتح عينيّه وعاد إلى قطار الأنفاق. على
المقعد المقابل، كانت هناك امرأةٌ عضلاتُ فكّها السُّفلي مشدودة. أشاحت
بنظرتها المحدّقة السِّمة والمتكبّرة عندما التقت نظراتهما. شعر بيده
الموضوعة على الساعة المحيطة بمعصمه تنتفض فيما كان يكرر العنوان
لنفسه. تحسّس نبضه، فوجده طبيعياً. شعر بقليل من الدُّوار، غير أنه لم
يشعر بالحرارة أو البرد، بالخوف أو السرور، بالرضى أو الاستياء. تباطأت
سرعة القطار عند ميدان النجمة - شارل دو غول، فألقى نظرة سريعة
وأخيرة على المرأة. كانت تتأمله، ولكنها لن تعرفه إن التفتته مجدداً في
وقت ما، حتى لو حصل ذلك الليلة.

نهض وانتظر بجانب البابين. أصدرت المكابح عويلاً بطيئاً، فتذكّر رائحة
الأقراص المزيلة للراوئح الكريهة، ورائحة البَوْل. ولكن، يستحيل تخيّل رائحة
الحرية. وفتح البابان.

نزل هاري إلى رصيف الركاب، ووقف متنشّقاً الهواء الدافئ تحت
الأرض، في أثناء قراءته العنوان على رُقعة الورق. سمع الأبواب تُغلق، وشعر
بتيّار الهواء على ظهره في أثناء انطلاق القطار مجدداً. ومن ثم سار متجهاً
نحو المَخْرَج، وأبلغه إعلان عُلق على سياج خشبي فوق السُّلم المتحرك
بوجود طرق لتفادي حالات الرّشح. "إنها كالبحيم". سعل ودسّ يده في
جيب معطفه الصوفي، وعثر على علبة السجائر تحت قارورة ضيّقة العُنُق،
وفوق علبة من الصّفيح تحتوي على أقراصٍ لمعالجة آلام الحلق.

كانت السيارة تهتزّ في فمه صعوداً ونزولاً في أثناء عبوره باب
الخروج الزجاجي؛ مبتعداً عن الحرارة الرطبة وغير الطبيعية تحت أوصلو،
وصاعداً السُّلم ركضاً إلى ظلّمة كانون الأول/ديسمبر وبرده القارس، وهما
أمران طبيعيان جداً. انكمش هاري مجفلاً بشكل فطري، وبلغ ميدان
إِغْرْتورِغْت الصغير والمفتوح، وهو تقاطع بين شوارع المشاة في قلب أوصلو؛
إذا كان بالإمكان القول إن المدينة تملك قلباً في هذا الوقت من العام.

كانت المتاجر مفتوحة يوم الأحد هذا على غرار نهاية الأسبوع الذي يسبق الكريسمس، والميدان يعجّ بأشخاص مستعجلين يتحرّكون ذهاباً وإياباً تحت الضوء الأصفر المنبعث من نوافذ المتاجر المتواضعة المؤلّفة من ثلاث طبقات. ورأى هاري الأكياس المليئة بهدايا مغلّفة، وقرر شراء شيء ما لبيارني مولر الذي يصادف غداً يومه الأخير في مقرّ قيادة الشرطة. فرئيس هاري، وكبير المدافعين عن السكان الأصليين في الشرطة، أعاد النظر في خطته بعد كل هذه السنوات، وارتأى تقليص ساعاته في العمل بدءاً من الأسبوع القادم، والاضطلاع بمنصب محقق خاص أعلى في مركز شرطة برغن؛ مما يعني في الحقيقة أن باستطاعة بيارني مولر القيام بما يحلو له حتى يحين موعد تقاعده بعد سنين معدودة. لكن برغن تتصف بأمطارها وجبالها الرطبة والباردة. حتى إن مولر لا يتحدر من برغن. لقد أحب هاري بيارني مولر على الدوام، لكنه لم يكن له التقدير دائماً.

مرّ أمامه رجل بخطى قصيرة، تغطّيه من رأسه إلى أخمص قدميه سترّة وسروال بوفافيدو كرائد فضاء، وترتسم على وجهه ابتسامة عريضة، وخذاه زهرياً اللون. كانت المناكب منحنية والوجوه محميّة تماماً. رأى هاري امرأة شاحبة الوجه ترتدي سترّة جلدية سوداء رقيقة، وتقف بجانب متجر مجوهرات. كانت تقفز من قدم إلى أخرى فيما عيناها تبحثان عن أحد ما يمدّ لها يد العون. وهناك متسوّل طويل الشعر، وغير حليق الدّقن، ولكنه يرتدي ملابس شبابية وعلى الموضة. كان جالساً بطريقة توحي بأنه يمارس اليوغا، متكئاً على عمود إنارة، وحياناً رأسه إلى الأمام كما لو أنه في حالة تأمل، وأمامه كوب بّي من الورق المقوّى من أحد المقاهي التي تبيع الكابوتشينو. كان هاري قد لاحظ في العام السابق ازدياد أعداد المتسوّلين، واستوقفه وجه الشبه بينهم كما لو أنهم أأ الشخص نفسه؛ حتى إن الأكواب التي كانوا يضعونها أمامهم بدت متماثلة؛ كما لو أن هناك رمزاً سرّياً. ربما كانوا من الفضاء الخارجي، وقد جاءوا ليستولوا على مدينته وشوارعه. ليس هناك ما يُقلق. لقد اعتاد إطلاق العنان لمشاعره.

دخل هاري متجر المجوهرات.

"هل باستطاعتك إصلاح هذه؟". سأل الشاب وراء المنضدة؛ ممرّاً له ساعة جده التي أُعطي إياها في أندالسنيس يوم دفن والدته. كان حينها لا يزال فتى، فشعر بالخوف، وقام جدّه بطمأنته قائلاً له إن الساعات من الأشياء التي تتخلى عنها، وإنه يُفترض بهاري أن يتذكر تمريرها أيضاً "قبل فوات الأوان".

كان هاري قد نسي أمر الساعة إلى أن زاره أوليخ في شقته في بوابة صوفيز، ورأى الساعة الفضية في أحد الأدراج في أثناء قيامه بالبحث عن "الغايم بوي" الخاصة بهاري. حينها، غفل أوليخ البالغ من العمر عشرة أعوام فقط والذي يشاطر هاري هذا الولع - لعبة الكمبيوتر قديمة الطراز - عن المباراة التي كان يتطلع إليها، وجلس عوضاً عن ذلك يلهو بالساعة محاولاً تشغيلها.

"إنها معطّلة"، قال هاري.

"أفّ!". أجاب أوليخ، "يمكن إصلاح كل شيء".

فأمل هاري من صميم قلبه أن يكون هذا الزعم صحيحاً، ولكن الشكوك كانت قد أخذت منه كل مأخذ في هذه المرحلة من مراحل حياته. بالرغم من ذلك، تساءل بطريقة مُبهمة عما إذا كان يُفترض به تعريف أوليخ بجوك وفالنتينين وبألبومهما الذي يحمل عنوان يمكن إصلاح كل شيء. ولكن هاري توصل إلى أن والدة أوليخ، راكيل، لن تُحبذ الصلة على الأرجح: حبيبها السابق مدمن الشراب يؤدي أغاني عن الإدمان على الشراب كتبها وغناها مدمن مخدرات سابقاً.

"هل يمكنك إصلاحها؟". سأل هاري الشاب وراء المنضدة. وكإجابة عن سؤاله، فتحت يدان رشيقتان بارعتان غطاء الساعة.

"إنها غير جديرة بالعناء".

"غير جديرة بالعناء!".

"إذا قصدت متجراً يبيع الأغراض القديمة فستجد هناك ساعات أفضل بتكلفة أقل من إصلاح هذه الساعة".

"أصلحها بأي حال"، قال هاري.

"حسناً"، قال الشاب الذي كان قد شرع بتفحص آليات العمل الداخلية، وبدا مسروراً جداً في الواقع بقرار هاري. "عُد يوم الثلاثاء القادم". ولدى مغادرته المتجر، سمع هاري نقرة ضعيفة على وتر واحد تنبعث من مكبر صوت. حدث ذلك في أثناء قيام عازف على الغيتار - وهو فتى يغطي شعره وجهه، ويرتدي قفازين يكشفان عن أصابعه - بإدارة أحد مفاتيح الدوّزنة. لقد حان وقت إحدى الحفلات الموسيقية التقليدية السابقة للميلاد، والتي يقوم خلالها فنانون ذائع الصيت بالعزف في إغرتورغيت. كان الناس قد بدأوا بالتجمع أمام الفرقة الموسيقية في أثناء تموضعها وراء قِدر طهو مدلاة من ثلاثة أعمدة وسط الميدان.

"أنت".

فاستدار هاري. إنها المرأة التي تشير عيناها إلى إدمانها على المخدرات.
"أنت من حللت مكان سنوبي، أليس كذلك؟ أحتاج إلى جرعة
مخدرات. لقد...".

"آسف"، قاطعها هاري. "لستُ الشخص الذي تنتظرينه".
حدّقت إليه ملياً، وأحنت رأسها إلى جانب واحد، وضيّقت عينيها كما
لو أنها تخمّن ما إذا كان يكذب عليها أم لا. "أجل، لقد رأيتك في مكان
ما في السابق".
"أنا شرطي".

كفّت عن الكلام، وزفر هاري بارتياح. كان هناك رد فعل مؤجّل، كما
لو أنه يتعيّن على الرسالة أن تنعطف في خلايا عصبية متضرّرة ومُشابك
عصبية مهشّمة. وبعد ذلك، شعّ توهّج الكره الفاتر في عينيها، وهذا ما
كان هاري ينتظره.
"شرطي!".

"ظننتُ أنه كان بيننا اتفاق. يُفترض بكِ البقاء في بلاتا"، قال هاري
ذلك مُلقياً نظرة على العازف وراءها.
"هاه!", قالت المرأة، ووقفت أمام هاري مباشرةً. "لستَ في ناركو. أنت
الرجل الذي ظهر على التلفاز وقتل...".
"أنا من فرقة مكافحة الجرائم". وأمسك هاري ذراعها. "اسمعي، يمكنك
الحصول على ما تشائين في بلاتا. لا تُرغميني على جرّك إلى المركز".
"لا تستطيع". وسحبت ذراعها.

فندم هاري على تصرّفه على الفور ورفع يديه عنها قائلاً: "قولي لي
إنك لن تقومي بأي صفقات هنا، وسأذهب. هل اتفقنا؟".
رفعت رأسها، وضاحت شفتها شاحبتا اللون قليلاً. لقد بدا الأمر كما
لو أنها وجدت الوضع مسلياً. "هل أخبرك عن سبب عدم تمكّني من
الذهاب إلى الميدان؟".
وانتظر هاري.

"لأن ابني هناك".
شعر هاري باضطراب في معدته.
"لا أريده أن يراني على هذه الحال. هل تفهم أيها الشرطي؟".
فنظر هاري إلى وجهها المتمرّد، محاولاً صياغة جملة.
"أتمنى لك وقتاً ممتعاً". قال ذلك، وأدار لها ظهره.
ألقي هاري السيارة على الثلج المكدّس وغادر. كان يريد التخلص

من عبء هذا العمل.

في فردنسبورغيين، وبجانب مكتبة أوصلو العامة، توقف هاري أمام الرقم "المخربش" على المغلف الذي يحمله، وانحنى إلى الورا ونظر إلى الأعلى. الواجهة رمادية وسوداء، وقد أُعيد طلاؤها مؤخراً، والزينة تتدلى من بعض النوافذ في ما يبدو أنها منازل آمنة ودافئة. أرغم هاري نفسه على التفكير في أنها ربما تكون كذلك في الواقع. لقد "أرغم نفسه" على التفكير في ذلك لأنه لا يمكنكم أن تكونوا عناصر شرطة لمدة اثني عشر عاماً من دون أن تصابوا بعدوى احتقار الرأفة التي تشعرون بها في أثناء الخدمة. ولكنه قاوم هذا الشعور بالفعل؛ عليكم الإقرار بذلك.

وجد الاسم بجانب الجرس، فأغمض عينيه وحاول العثور على الكلمات المناسبة، ولكن ذلك لم يساعده. كان صوتها لا يزال يشكّل عقبة أمامه. "لا أريده أن يراني على هذه الحال...".

فاستسلم هاري. هل هناك طريقة مناسبة لصياغة المستحيل؟ وضغط على الزر المعدني البارد بإبهامه، فرنّ الجرس في مكان ما داخل المجمع السكني.

رفع جون كارلسن إصبعه عن الزر، ووضع الأكياس الثقيلة على الرصيف، وحدّق إلى الواجهة الأمامية للمجمع السكني. بدت الشقق كما لو أن تعرّضت لقصف مدفعي من عيار خفيف؛ إذ إنّ قطعاً كبيرة من الملاط قد سقطت، وعُطيت نوافذ شقة محترقة في الطابق الأول بألواح خشبية. لقد مرّ في بادئ الأمر أمام منزل فردريكسن الأزرق، وخيّل إليه أن الطقس البارد قد امتصّ لون المباني، وجعل كل الواجهات الأمامية للمنازل في بوابة هوسمنز متشابهة. ولم يدرك أنه ابتعد جداً إلا عندما رأى كلمة فستبريدن - الضفة الغربية - مخربشة على الجدار. كان هناك شقّ في زجاج الباب الأمامي على شكل V؛ علامة النصر.

ارتعش جون الذي كان يرتدي سترة جلدية قصيرة، وكان سعيداً لأن البذلة التي يرتديها تحت السترة مصنوعة من صوف خالص سميك. فعندما حان وقت تزويد جون ببذلته الجديدة بعد تخرّجه من الكلية، لم يلائمه أي من المقاسات العادية، لذلك أُعطي بعض الأقمشة وأُرسِل إلى خياط قام بعمل جيد وشكره جون بحرارة؛ فهو لم يعتد الملابس المُخاطة وفقاً لمقاييس محدّدة. لهذا السبب، قيل إنه مُحدّوب الظهر. فأولئك الذين رأوه يدخل بوابة هوسمنز بعد ظهر ذلك اليوم اعتقدوا أنه منحنيّ ربما لتجنّب ريح

كانون الأول/ديسمبر التي تكتسح كل شيء؛ بما في ذلك القمامة المتجمدة والمتناثرة على امتداد الأرصفة، وحركة المرور الكثيفة التي تهدر بجانبها. ولكن أولئك الذين يعرفونه قالوا إن جون كارلسن تعمد الاحدياب للتخفيف من طول قامته وبلوغ ارتفاع أولئك الأقصر قامة منه، ولا سيما لإلقاء قطعة نقود معدنية من فئة عشرين كروناً في الكوب البني الذي تحمله يد قدرة مرتجفة بجانب المدخل.

"كيف تسير الأمور؟". سأل جون الشخص الجالس متربعاً على قطعة كرتون على الرصيف تحت الثلج المتساقط بحركة دائرية. "أنا أقف في الصف لأجل العلاج بالميتادون". قال الشخص الذي يبعث على الشفقة بصوت رتيب ومتقطع؛ مُحدّقاً إلى الركبتين السوداوين لبذلة جون النظامية.

"يفترض بك التوجه إلى مقهانا في أورتيجاتا"، قال جون، "لتحظى ببعض الدفء وتحصل على بعض الطعام و...".

وعُمرت بقية الجملة بهدير حركة المرور مع انتقال الأضواء وراءهما من اللون الأحمر إلى اللون الأخضر.

"لا وقت لدي". أنت لا تملك ورقة نقدية من فئة الخمسين، أليس كذلك؟". لم يكف جون مطلقاً عن الاندهاش من التركيز الثابت لمدمني المخدرات. فتنهد ووضع ورقة نقدية من فئة مئة كرون داخل الكوب. "حاول العثور على ملابس دافئة في فريتكس. وإذا لم تُوفّق في ذلك، فلدينا بعض السترات الشتوية الجديدة في لايتهاوس. ستتجمد حتى الموت إذا بقيت مرتدياً سترة الجينز الرقيقة هذه".

كان مسلماً بواقع أنه يكلم شخصاً يعرف جيداً أنه سيستخدم الهبة لشراء مخدر. ولكن، ماذا يمكنه أن يفعل؟ إنها اللازمة نفسها؛ مُعضلات أخلاقية أخرى لا يمكن حلّها تملأ أيامه.

ضغط جون على الزر مرة ثانية، ورأى انعكاس صورته على نافذة المتجر القذرة بجانب المدخل. لقد قالت ثيا إنه رجل جسيم. لم يكن جسيماً مطلقاً، بل ضئيل الحجم. ولكن، عندما ينتهي، سيركض هذا الرجل ضئيل الحجم بأقصى سرعة إلى مولرفيين عبر نهر أكرسلفا حيث يبدأ شرق أوسلو وغرونلوكا، وسيمرّ بحديقة سوفيينبرغ متجهاً إلى غوتربورغاتا 4 التي يمتلكها اتحاد الرعاية الاجتماعية ويؤجّرها لموظّفيه، ويفتح قفل باب المدخل بي، ويُلقي التحية على أحد المستأجرين الآخرين؛ آملاً أن يفترضوا أنه في طريقه إلى شقته في الطابق الثالث. ومع ذلك، سيستقلّ المصعد إلى الطابق

الرابع، وسيعبر الشرفة العلوية في اتجاه المبنى أيه ، وسيتحقق من خلو المكان، ومن ثم سيتوجه إلى باب ثيا ويقرر الإشارة المتفق عليها مسبقاً، وستفتح له الباب وذراعيها حيث يمكنه أن ينعم بالدفء.
كان هناك شيء يهتز.

لقد ظن في بادئ الأمر أن الأرض هي التي تهتز؛ المدينة، الأساسات، فوضع الكيس أرضاً، وبحث في جيبه، وتذبذب هاتفه المحمول في يده. لقد أظهرت شاشة العرض رقم هاتف رانهيلد. إنه الاتصال الثالث لها اليوم، وكان يعرف أن ليس باستطاعته إرجاء الأمر؛ سيتوجب عليه إخبارها أنه وثيا سيخطبان عندما يجد الكلمات المناسبة. أعاد الهاتف إلى جيبه، وتجنب النظر إلى انعكاس صورته. ولكنه اتخذ قراره: سيكف عن الظهور بمظهر الجبان، وسيكون صريحاً. سيكون رجلاً عظيماً لأجل ثيا في غوتربورغاتا، ولأجل والده في تايلاند، ولأجل معتقداته.

"من؟". جاء الصراخ من مكبر الصوت فوق الأجراس.

"آه، مرحباً. أنا جون".

"ماذا؟".

"جون من اتحاد الرعاية الاجتماعية".

وانتظر.

"ماذا تريد؟".

"لديّ بعض الطعام لك. ظننتُ أنك ربما تكونين بحاجة -".

"هل لديك سجائر؟".

ضرب جون الثلج بأخمص جزمته وأجاب: "لا، لديّ هذه المرة ما

يكفي من المال فقط للحصول على طعام".

"تَبّاً".

وساد الهدوء مجدداً.

"مرحباً". صاح جون.

"أجل، أجل. أنا أفكر".

"إذا أردت، بإمكانني أن أعود في وقت لاحق".

سُمع صوت أزيز، ففتح جون الباب بسرعة.

في بيت السلم في الداخل، كانت هناك صحف، وقنان فارغة، وبرك

بول صفراء متجمدة. وبفضل الطقس البارد، لم يُضطر جون لتنشق الرائحة

النتنة التي تملأ المدخل في الأيام الأكثر اعتدالاً.

حاول السير من دون إحداث قدر كبير من الضجيج، ولكن صدى

وَقَع خطاه تردد على الدرَج بأي حال. كانت المرأة التي تقف عند المدخل بانتظاره تنظر إلى الأكياس؛ لتتجَبَّ النظر إلى عينيهِ، كما فكر جون. كان لديها ذلك الوجه المنتفخ والمتورم نفسه الناجم عن سنوات عدة من الإدمان، وهي مُفرطة الوزن وترتدي تي- شيرت بيضاء قذرة تحت فِضالها، وتنبعث من شقتها رائحة غير مستساغة.

توقف جون قرب الباب، ووضع الأكياس على الأرض. "هل زوجك في الداخل أيضاً؟".

"أجل، إنه في الداخل"، قالت بلغة فرنسية عذبة.

كانت حسنة المظهر: عظمتا خدَّين مرتفعتان وعريضتان، عينان أشبه بلوزتين، شفتان ضيقتان شاحبتان، وملابس أنيقة. بأي حال، إن القليل منها الذي استطاع رؤيته عبر شقَّ الباب يوحي بأنها أنيقة الملبس.

عدَل مندِيل العُنُق الأحمر بشكل فطري.

كان القفل الذي يحول بينهما مصنوعاً من نحاس أصفر صلب، ومثبتاً بباب من خشب السنديان لا يحمل أيّ لوحة. وفي أثناء وقوفه خارج المجمع السكني في جادة كارنوت بانتظار قيام ناطورة البناية بفتح الباب، لاحظ أن كل شيء يبدو جديداً وباهظ الثمن: تجهيزات الباب، والأجراس، والأقفال الأسطوانية. أكدت الواجهة الصفراء الباهتة، والمصاريع البيضاء المكسوة بطبقة من الأوساخ السوداء الطبيعة الراسخة أكثر فأكثر لهذه المنطقة من باريس. كانت هناك لوحات زيتية أصلية معلقة في المدخل.

"ماذا تريد؟".

لم يكن بإمكانه أن يعرف إن كانت العينان واللكنة ودودة أم غير ودودة، ولكن القليل من الارتياح يشوبها بالتأكيد بسبب لفظه الفرنسي المرعب.

"رسالة، ياسيدي".

فترددت، ولكنها تصرفت كما هو متوقَّع في النهاية.

"حسناً. هل يمكنك الانتظار هنا رجاءً وسأحضره؟".

أغلقت الباب، فعاد القفل إلى مكانه مصدراً طقَّة حسنة التزييت. ضرب الأرض بأخمص قدميه. يتوجب عليه أن يتعلم تكلم الفرنسية بشكل أفضل. لقد أطعمته والدته الإنكليزية عُنوةً في الأمسيات، ولكنها لم تشحذ مهاراته في اللغة الفرنسية مطلقاً. وحدَّق إلى الباب.

فكَّر في جيورجي. فجيورجي ذو الابتسامة البريئة أكبر منه سنّاً بعام

واحد، أي إنه في الثامنة والعشرين من عمره. هل ما زال وسيماً؟ هل ما زال أشقر، وضئيل الحجم؟ كان معجباً بجيورجي بطريقة طفولية. سمع خُطى قادمة من الداخل، خطى رجل، كما سمع شخصاً ما يعبث بالقفل. إنه خط أزرق بين العمل والحرية، بين الصابون والبُول وهذا المكان. سيتساقط الثلج قريباً، فاستعدّ.

ظهر وجه الرجل في المدخل.

"ماذا تريد بالله عليك؟".

فرفع جون الأكياس وغامر بابتسامة. "خبز طازج. رائحته جميلة، أليس كذلك؟".

فوضع فردريكسن يداً بنية كبيرة على كتف المرأة ودفعها جانباً. "كل ما أستطيع شمّه هو رائحة دم...". قال ذلك بأسلوب واضح وهادئ، ولكن الفُزْحِيَّتَيْنِ المُرْهَقَتَيْنِ البَاهِتَتَيْنِ في الوجه المُلْتَحِي كَانَتَا تُخْبِرَانِ قصة مختلفة. وحاولت العينان التركيز على أكياس التسوّق. كان يبدو رجلاً مقتدرًا، وضخم البنية، انكمش من الداخل وأصبح هيكله العظمي - لا بل جمجمته أيضاً - أصغر حجماً، فيما تهدّلت بشرته وبدا التعب على وجهه موحياً بإضمار السوء. مرر فردريكسن إصبعاً قذرة على الجراح حديثة العهد على امتداد قسبة أنفه.

"لن تقدّم لي النصائح، أليس كذلك".

"لا، في الواقع أردتُ...".

"آه! هيا أيها الشاب. أنت تريد شيئاً في المقابل، أليس كذلك. أتريد روعي مثلاً؟".

كان جون يرتجف في بذلته النظامية. "بالتأكيد لا يافردريكسن. ولكن، باستطاعتي تدبّر أمر الطعام، لذلك -".

"آه! بإمكانك إلقاء موعظة صغيرة أولاً".

"كما قلتُ -".

"موعظة!".

لزم جون مكانه وهو ينظر إلى فردريكسن.

"ألقي علينا موعظة بفمك الصغير!". صاح فردريكسن. "أسمعنا موعظة كي نتمكن من تناول الطعام براحة ضمير، أيها الوغد المتعالي. هيا، فكّ عقدة لسانك. ما هي الرسالة اليوم؟".

فتح جون فمه ثم أطبقه وابتلع ريقه، وحاول مجدداً ولكن من دون

جدوى.

"لا، آسف لستُ كذلك". قال هاري مراقباً وجه الرجل المذعور الواقف في المدخل أمامه. كانت هناك رائحة طعام وصليل أدوات مائدة في الخلفية. إنه مسؤول عن عائلة الآن، ووالد. وحك الرجل جبينه، ثم حدّق بنقطة ما فوق رأس هاري كما لو أنه يوجد شخص ما هناك. وأحدث الحك صوت كشطٍ غير مستساغ.

توقفت صليل أدوات المائدة، وتوقفت جرجرة الأقدام وراء الرجل. ووُضعت يد صغيرة على كتفه، وظهر جزئياً وجه امرأة ذات عَيْنَيْن كبيرَتَيْن حمراوَيْن.

"ما الأمر، يا بيرغر؟".

"يريد هذا الشرطي إطلاعنا على أمر ما"، قال بيرغر بصوت رتيب. "ماذا؟". قالت المرأة ناظرةً إلى هاري. "هل الأمر مرتبط بابننا؟ هل الأمر مرتبط ببير؟".

"أجل ياسيدة هولمان"، قال هاري، ورأى الخوف يتسلل إلى عينيها، فبحث عن الكلمات المستحيلة. "عثرنا عليه قبل ساعتين. ابنكما قد تُوفِّي". وكان عليه الإشاحة بنظره.

"ولكنه... ولكنه... أين...؟". وقفزت عيناها عن هاري واستقرتَا على الرجل المستمرّ بحك ذراعه.

لن يمر وقت طويل حتى يسيل الدم، ففكر في سرّه وتنحنح. "في حاوية بجانب الميناء. لقد توفِّي منذ بعض الوقت".

فقد بيرغر هولمان توازنه كما يبدو، وترنّح إلى الوراء في اتجاه المدخل المضاء، وأمسك مشجب القبّعات. فيما خطت المرأة إلى الأمام، ورأى هاري الرجل يركع وراءها.

تنفّس هاري بعمق ودسّ يده داخل جيب معطفه. كانت القارورة ضيقة العُنُق باردة جداً عندما لمستها أطراف أصابعه. عثر على ما يبحث عنه، وأخرج مغلفاً. ليس هو من كتب الرسالة، ولكنه يعرف محتوياتها جيداً. إنه البلاغ الرسمي بالوفاة المجرد من أي إسهاب؛ الإجراء البيروقراطي لإعلان الوفاة.

"آسف، ولكن من واجبي تسليمكما هذا المغلف".

"من واجبك القيام بماذا؟". سأل الرجل ضئيل الحجم ومتوسط العمر

بلكنة فرنسية مبالغ فيها لا تمتاز بها الطبقات العُليا فقط، بل يتحدث بها أولئك الذين يناضلون للانتماء إليها، فيما أمعن الزائر النظر إليه. كل شيء مطابق للصورة الفوتوغرافية في المغلف بأدق التفاصيل، ولا سيما عقدة ربطة العُنُق المنحرفة وسترة التدخين الحمراء المفكوكة.

لم يكن يعرف ما الخطأ الذي ارتكبه هذا الرجل، ولكنه شك في أن يكون جسدياً لأن لغة جسمه دفاعية، وقلقة تقريباً، حتى قرب منزله؛ بالرغم من الغضب الواضح في عباراته. هل كان يسرق مالاً؟ هل اختلس؟ ربما يكون من النوع الذي يتعاطى مع الأرقام، ولكن ليس مع المبالغ الكبيرة. وبالرغم من جاذبية زوجته، فهو يبدو أقرب إلى النوع الذي يسرق القليل من قطع النقود الصغيرة من هنا وهناك. ربما يكون قد نام مع زوجة الرجل غير المناسب. لا، فوفقاً للقاعدة، إن الرجال قصيري القامة الذين يفتقدون إلى الثقة بأنفسهم ولديهم زوجات أكثر جاذبية يقلقون في شأن ارتكابهنّ الخيانة الزوجية أكثر من أي أمر آخر. لقد أزعجه الرجل. ودسّ يده في جيبه.

"هذا هو عملي"، قال واضعاً ماسورة مسدس لاما مينيماكس - اشتراه بمبلغ ثلاثمئة دولار فقط - على السلسلة النحاسية المشدودة إلى الباب. سدّد كاتم الصوت. إنه أنبوب معدني عادي أعده صانع أسلحة في زغرب وثبته بالماسورة. والشريط اللاصق الملفوف عند نقطة التقاء القطعتين يهدف إلى جعل الكاتم مُحكم الإغلاق. بالطبع، كان باستطاعته شراء كاتم عالي الجودة بأكثر من مئة يورو، ولكن لأي سبب؟ فلا أحد يستطيع كتم صوت طلق ناري يخرق جدار الصوت، أو صوت التقاء الغاز الساخن بالهواء البارد واصطدام الأجزاء الميكانيكية المعدنية ببعضها. فالمسدسات المزوّدة بكاتم للصوت والتي تُصدر صوتاً كصوت البوشار تحت الغطاء ابتكار هوليوودي بحت.

كان الانفجار أشبه بضربة سوط. وضغط وجهه على الفتحة الضيقة. لقد قُضي على الرجل الظاهر في الصورة، وسقط إلى الورا من دون إصدار أي صوت. كانت الرّدهة مُظلمة، ولكنه رأى في مرآة الجدار الرجل الميّت مستلقياً على سجادة حمراء مائلة للأرجواني. أهى فارسية؟ ربما كان يمتلك المال بالرغم من كل شيء؟

الآن هناك ثقب صغير في جيبه.

رفع نظره والتفت عيناه عينيّ الزوجة؛ إذا كانت زوجته. كانت واقفة في مدخل غرفة أخرى، ووراءها مصباح شرقي أصفر كبير، ويدها على فمها

وهي تحدّق إليه. فأوماً برأسه بإيجاز، ومن ثم أغلق الباب باحتراس، وأعاد المسدس إلى قرابه المثبت بكتفه، وهمّ بنزول الدرج. لم يكن يستخدم المصعد مطلقاً عندما يلوذ بالفرار، أو يستأجر سيارات أو دراجات نارية أو أي شيء آخر يمكن أن يتعطل. ولم يكن يركض أو يتكلم أو يصيح؛ فبالإمكان تمييز الصوت.

والفرار هو الجزء الأكثر أهمية في العمل، ولكنه الجزء الذي يحبه أكثر من سواه.

خرجت ناطورة البناية من شقتها في الطابق الأرضي وراقبته بارتباك. فهمس: "إلى اللقاء ياسيدي". ولكنها حملت به بصمت. وعندما استجوبها رجال الشرطة بعد ساعة من الزمن، وطلبوا منها وصفاً قالت: "رجل ذو مظهر عادي، متوسط الطول، في العشرين من عمره أو الثلاثين ربما". ليس في الأربعين من عمره بأي حال، قالت لنفسها.

وظهر في الشارع. إن الدممة المنخفضة في باريس أشبه برعد لا يقترب ولكنه لا يتوقف أيضاً. ورمى اللاما مينيماكس في وعاء خزفي كبير كان قد اختاره مُسبقاً. فهناك مسدسان جديدان من صنع المصنّع نفسه ينتظران عودته في زغرب. لقد مُنح حَسماً بسبب مشترياته بالجُملة.

وعندما عبرت حافلة المطار بعد نصف ساعة بورت دو لا شابيل الموجودة على الطريق السريع بين باريس وشارل دو غول، كان الجو مليئاً بنُدْف الثلج التي تستقرّ على الضفائر المبعثرة للقش الأصفر الباهت المرتفع نحو السماء الرمادية في الأعلى.

وبعد إنجازه معاملاته من أجل الرحلة الجوية وعبوره وحدة المراقبة الأمنية، توجه مباشرةً إلى حمّات الرجال. فوقف في آخر الصفّ، وفك أزرار سرواله وتبولّ على أسفل المرحاض. أغمض عينيه وركز على رائحة الباراديكلوروبنزين العذبة وأريج الليمون من جيه إند جيه كميكالز. لا يزال هناك توقف واحد قبل عبور خط التوصليل إلى الحرية. وقلّب الاسم على لسانه. أوس - لو.

3 - الأحد، 14 كانون الأول/ديسمبر. العضة

في الطابق السادس لمقر قيادة الشرطة في المنطقة الحمراء، وهو مبنى ضخم مبني بالإسمنت والزجاج ويأوي أكبر تجمّع للشرطة في النرويج، أسند هاري ظهره إلى كرسيه في الغرفة 605. إنه المكتب الذي يحب هالفورسن - الشرطي الشاب الذي يشاركه المكتب الذي تبلغ مساحته عشرة أمتار مربعة - أن يدعوه غرفة مقاصة، ويدعوه هاري تدريب داخل المؤسسة عندما يتمّ الحطّ من قدر هالفورسن مرة واحدة أو مرتين.

ولكن هاري كان بمفرده في هذا الوقت، يحدّق إلى الجدار حيث يمكن للنافذة أن تكون موجودة لو كانت لغرفة المقاصة نافذة.

إنه يوم الأحد، وكان قد وضع التقرير وباستطاعته العودة إلى المنزل. لماذا لا يقوم بذلك؟ لقد رأى عبر النافذة الوهميّة الميناء المسجّج في بيورفيكا حيث الثلج المتساقط حديثاً يكسو الحاويات الزرقاء والحمراء كالنّثار. لقد حُلّت القضية ونال بير هولمان - وهو شاب مدمن على المخدّرات - كفايته من الحياة، وتلقى جرعته الأخيرة داخل إحدى الحاويات؛ وهي كناية عن طلق ناري من مسدس. لا دلالات خارجية على حدوث عنف؛ فقد كان المسدس ملقى بجانبه. ووفقاً للمعلومات المتوافرة للعملاء السريين، لم يكن بير هولمان يدين بأمال لأحد. فعندما يقوم التجار بتصفية مدمني مخدرات مدينين، لا يحاولون عادة تمويه سبب التصفية، بل بالعكس. والقضية الذي ينظر فيها هاري قضية انتحار، فلماذا يضيّع أمسيته في تقصي الحقائق حول حاوية مخيفة عصفت بها الريح، وحيث لن يعثر سوى على المزيد من الأسى والحزن؟

نظر هاري إلى معطفه الصوفي المعلق على المشجّب. كانت القارورة الصغيرة ضيقة العنق الموجودة داخل جيبه لا تزال مليئة منذ ذهابه إلى الفينمونوبول في تشرين الأول/أكتوبر، وشرائه قنينة من الدّ أعدائه، جيم بيم، وملئه قارورته ضيقة العنق قبل إفراغ المتبقي في القنينة في المغسلة. ومذاك الحين، اعتاد أن يحمل السمّ معه كما كان النازيون يحتفظون بحبوب السيانيد في أخمص أحذيتهم. لماذا يتكبّد عناء الانشغال بهذه الفكرة الغبية؟ لم يكن يعرف السبب. لم يكن يتوجب عليه معرفة السبب. فالأمور تسير بشكل جيد.

نظر هاري إلى الساعة؛ ستصبح الحادية عشرة بعد قليل. كانت لديه في المنزل آلة إسبريسو مُستخدمة كثيراً وفيلم دي في دي احتفظ به

لأمسيات مماثلة لهذه الأمسية: أول أبوت إيف (كل شيء عن حواء)،
رائعة مانكييفيتش للعام 1950 مع بيت ديفيس وجورج ساندرز.
قيّم الوضع، وكان يعلم أنه سيتوجه إلى الميناء.

رفع هاري طيّات ياقة معطفه، ووقف مُديراً ظهره إلى الريح الشمالية
التي راحت تهبّ عبر السياج العالي أمامه مشكلة رُكاماً ثلجياً حول
الحاويات، فيما تبدو منطقة الميناء والمنبسطات الفارغة كصحراء في الليل.
كانت الحاوية المنعزلة القائمة عند الطرف مُضاءة، وأعمدة الإنارة
تتمايل في مهبّ الريح، والصناديق المعدنية المكدّسة اثنتين اثنتين أو ثلاثة
ثلاثة تُلقى بظلالها على الشوارع. والصندوق الذي ركز هاري نظره عليه
أحمر، يخالطه لون آخر يتعارض مع اللون البرتقالي للشريط الخاص
بالشرطة، ولكنه ملاذ رائع في ليلة من ليالي كانون الأول/ديسمبر في أوسلو،
ولديه قياسات الزنانات الأمنية الصغيرة نفسها، ومستوى الراحة نفسه
تقريباً الذي يوفره مبنى السجون في مقرّ قيادة الشرطة.

لقد جاء في تقرير وحدة مسرح الجريمة - علماً أنها تكاد لا تكون
وحدة بكل معنى الكلمة لأنها تتكوّن من تحرّ واحد وتقنيّ واحد - أن
الحاوية بقيت فارغة لمدة من الزمن، غير مُقفلة. وكان حارس الموقع قد
شرح قائلاً إنهم لا يتكبّدون عناء إقفال حاويات فارغة بسبب وجود سياج
حول المنطقة، إضافةً إلى كونها تخضع للمراقبة؛ وبالرغم من ذلك، لقد
دخل مُدمن مخدرات إليها. لقد افترض أن بير هولمان هو أحد الأشخاص
العديدين الذين سكنوا محيط بيورفيكا التي تقع على بُعد رَمية حجر من
"سوبرماركت" مُدمني المخدرات في بلاتا. ربما غَضّ الحارس الطّرف عنهم في
أثناء استخدامهم الحاوية كمسكنٍ لهم؟ ربما فكّر الحارس أنه بقيامه بذلك
يُنقذ حياةً شاذّةً أو حياتين؟

لم تكن الحاوية مزوّدة بقفل، ولكن هناك قفلاً كبيراً في بوابة السياج.
وأسف هاري على عدم اتصاله من مقر القيادة ليقول إنه قادم. فهو لا
يرى أي حراس.

تحقق من ساعته، وتمهّل وعاین أعلى السياج. إنه في حالة جيدة،
وأفضل مما كان عليه لمدة طويلة. فهو لم يعاقر الشراب منذ كارثة الصيف
الماضي، ودأب على القيام بالتمارين الرياضية في القاعة التابعة للشرطة
بشكل منتظم، وأكثر من المعتاد. وقبل حلول موسم الثلج، كان قد كسر في
أوكرن الرقم القياسي القديم لتوم والر في سباق الحواجز. وبعد أيام قليلة،

سأله هالفورسن بحرص شديد عما إذا كان للتدريب أي علاقة براكيل؛ لأن الانطباع الذي تكوّن لديه هو أنهما لم يعودا يريان بعضهما. وشرح هاري للضابط الشاب بطريقة مقتضبة، ولكن واضحة، أنهما يتشاطران مكتباً وليس حياته الخاصة. فهزّ هالفورسن كتفّيه وخرج من الغرفة.

يبلغ الارتفاع ثلاثة أمتار. لا أسلاك شائكة. الأمر سهل. كان هاري قد أمسك السياج في أعلى نقطة ممكنة، ووضع قدميه على عمود السياج وقوم وقفته، ومدّ ذراعه اليمنى إلى الأعلى، ومن ثم اليسرى، وبعد ذلك تدلّى بذراعيه الممدودتين حتى أسند قدميه؛ حركات جرّار. وانتقل إلى الجانب الآخر للسياج.

رفع الرّجاج وفتح باب الحاوية، وأخرج مصباح الجيب الكهربائي العسكري الأسود، وانحنى تحت شريط الشرطة ودخل. كان المكان في الداخل هادئاً على نحو مخيف؛ لقد بدا الأمر كما لو أن الصوت قد تجمّد أيضاً.

أضاء هاري المصباح، ووجّه نوره إلى داخل الحاوية. وبفضل الضوء مخروطي الشكل، كان باستطاعته رؤية الخط الكفافي المرسوم بالطبشور على الأرض حيث عثروا على هولمان. لقد أرتته بتي لون، رئيسة الخبراء الجنائيين في المبنى الجديد في برينساليين، الصور الفوتوغرافية: هولمان جالس وقد أسند ظهره إلى الجدار، مع ثقب في صدغه الأيمن، والمسدس في يده اليمنى، وهناك القليل من الدماء. إنها فائدة الطلقات النارية في الرأس؛ الفائدة الوحيدة. لقد أطلق المسدس ذخيرة من عيار معتدل، لذلك كان الجرح الذي أحدثه دخول الرصاصة صغيراً، ولا وجود لجرحٍ يشير إلى خروج الرصاصة. وقد عثر الخبراء الجنائيون على الرصاصة في الجمجمة، حيث ارتدّت كطابة بليار صينية، وحوّلت إلى عجينة ما كان بير هولمان يفكّر بواسطته ذات مرة، واتخذ هذا القرار بواسطته، وأمر سبّابته في النهاية بالضغط على الزناد.

كان زملاؤه يميلون إلى القول إنّ "الأمر غير مفهوم" عندما يكتشفون أن شبّاناً اختاروا وضع حدّ لحياتهم. وافترض هاري أنهم يقولون ذلك لحماية أنفسهم، رافضين الفكرة برمتها. وإذا لم يكن هذا ما يفكرون فيه فهو لا يفهم ما عنوه حين قالوا إن الأمر غير مفهوم.

ولكنها العبارة نفسها التي استخدمها بعد ظهر هذا اليوم عندما كان واقفاً في المدخل وينظر إلى والد هولمان مُحدّوب الظهر الذي ركع على الأرض واهتزّ من قرط النحيب. وبما أنه لم تكن لدى هاري أي كلمات

لمواساته على فقدانه ابنه تتمم بالعبرة الواهية نفسها "الأمر غير مفهوم".
أطفاً هاري مصباح الجيب ووضعه في جيب معطفه؛ فأطبق عليه
الظلام من كل مكان.

فكر في والده، أولاف هول، المدرس المتقاعد والأرمل المقيم في منزل
في أوبسال، وفي كيفية اتقاد عينيه عندما كان هاري - أو شقيقته - يزوره
مرة واحدة في الشهر، وكيف يخبو الاتقاد ببطء في أثناء ارتشافهما القهوة
وتحدثهما عن أمور لا معنى لها. فأى شيء ذو معنى يحتل الصدارة في
صورة فوتوغرافية موضوعة على البيانو الذي عزفت عليه ذات مرة. وأولاف
هول لا يفعل أي شيء الآن؛ تقريباً. إنه يقرأ كتبه عن بلدان
وإمبراطوريات لن يراها أبداً، ولم تعد لديه أي رغبة في رؤيتها في الواقع
لأنها لا تستطيع الانضمام إليه. "إنها الخسارة الكبرى"، قال ذلك في
مناسبات قليلة حين تحدثا عنها.

غادر هاري الحاوية وسار في اتجاه السياج، وأمسك به بيديه. ومن
ثم، كانت هناك إحدى تلك اللحظات الغريبة التي يسود فيها صمت
مُطبق؛ عندما تلتقط الريح أنفاسها لتُصغي أو لتبدل رأيها، وكل ما يُسمع
هو الهدير المطمئن للمدينة في ظلمة الشتاء، وصوت حفيف الأوراق على
الإسفلت بفعل الريح. ولكن الريح كانت قد تلاشت، ولم يكن ما يسمعه
صوت حفيف أوراق، بل خطى سريعة وخفيفة؛ أخف من وقع الخطى
العادية.

إنه وقع خطوات حيوان.

تسارعت نبضات قلب هاري على نحو خارج عن السيطرة، ووقف في
مواجهة السياج، وثنى ركبتيه بسرعة البرق، ثم قفز نحو الأعلى متمسكاً
بالسياج. لم يعرف ما الذي أخافه إلا في ما بعد. ساد السكون، ولم يعد
يسمع شيئاً في هذا السكون؛ لا زمجرة ولا دلالات على سلوك مُعادٍ؛ كما
لو أن ذلك الكائن الموجود في الظلمة هناك لا يريد إخافته، بل على
العكس، إنه يطارده. ولو كان هاري يملك معلومات وافية عن الكلاب لأدرك
ربما وجود نوع واحد من الكلاب لا يزمجر أبداً عندما يكون خائفاً أو
عندما يهاجم؛ إنه ذگر المتزير الأسود. مدّ هاري ذراعيه إلى الأعلى، وكان
يثني ركبتيه مجدداً عندما سمع تبدلاً في الإيقاع وساد الصمت بعد ذلك،
فعرف أن هذا الكائن سيشن هجوماً ولهذا اندفع إلى الورا.

إن الادعاء بأنكم لا تشعرون بالألم عندما يتسبب الدُعر بضخ دم
مليء بالأدرينالين في شرايينكم هو في أفضل الأحوال ادعاء غير دقيق. فقد

أطلق هاري صرخة عندما عضت أنياب كلب ضخم ونحيل ساقه اليمنى، وانخرست فيها أكثر فأكثر حتى باتت تضغط في النهاية على غشاء النسيج الحساس حول العظمة. كان السياج المعدني يُصدر أزيزاً مع قيام الكلب بسحب هاري نحو الأسفل، ولكن هاري تمكن في ظل شعوره باليأس من التشبث بالسياج. وفقاً للمعايير العادية، يُفترض به أن يكون في مأمن الآن، لأن أي كلب آخر يوازي مِتزنرِ الأسود ناضجاً في الوزن كان سيدعه وشأنه. ولكن المِتزنرِ الأسود لديه أنياب وعضلات فك باستطاعتها سحق العظام، ومن هنا شهرته المزعومة بأنه نسيب الضبع المبقَّع الملتهم للعظام. وهكذا، واصل الكلب التشبث بساق هاري بنايبن من أنيابه موجودين في الناحية الخلفية لفكّه الأعلى، وبناب واحد في الناحية الخلفية لفكّه الأسفل، مما جعل العضة مُحكّمة. لقد فقد الناب الثاني في فكّه السفلي بسبب عضه قطعة فولاذية عندما كان في الشهر الثالث من عمره فقط.

تمكّن هاري من وضع مرفقه الأيسر فوق حافة السياج، وحاول سحب رجليه معاً، ولكن الكلب كان يضع قائمته داخل السلك المعدني. تلمّس جيب معطفه بيده اليمنى، ووجد ما كان يبحث عنه، فقد أمسكت يده المقبض المطاطي للمصباح الكهربائي. نظر إلى الأسفل، ورأى الحيوان للمرة الأولى. كان هناك لمعان خافت في عينيه السوداوين. لوّح هاري بالمصباح وأصاب رأس الكلب بين أُذنيه بقوة لدرجة أنه سمع صوت تحطم. ثم رفع المصباح وضرب مجدداً فأصاب الخطم الحساس، ووجّه ضربة أخرى بشكل يائس إلى العينين اللتين لم ترمشا بعد، ولكن المصباح أفلت من يده وسقط على الأرض. كان الكلب لا يزال متمسكاً بساقه، فيما هاري على وشك فقدان قدرته على الاستمرار بالتمسك بالسياج. لم يشأ التفكير في ما قد يحدث حينئذٍ، ولكنه لم يتمكن من منع نفسه من القيام بذلك.

"النجدة!"

وانجرفت صرخة هاري الضعيفة في مهبّ الريح التي عصفت مجدداً. أمسك السياج من مكان آخر، وشعر برغبة شديدة وفجائية بالضحك. لا يمكن أن ينتهي كل شيء على هذا النحو بالطبع! لا يمكن أن يتم العثور عليه في حاوية بعد انقضاء كلب حراسة على حلقه بضراوة! وأخذ هاري نفساً عميقاً. كانت الرؤوس المستنّة للشريط المعدني تنخرس تحت إبطه، وأصابعه ترتخي بسرعة وعلى بُعد ثوانٍ فقط من الإفلات. ليته يملك سلاحاً. ليته يملك قنينة بدلاً من القارورة ضيقة العنق؛ إذ كان بوسعه تحطيمها واستخدامها لطعن الكلب.

القارورة ضيقة العُنُق!

مستجمعاً آخر قواه، دس هاري يده داخل جيب معطفه وأخرج القارورة، وأدخل عُنُقها في فمه، وغرس أسنانه في السّداة المعدنية وحركها بشكل دائري. وحين فُتحت السّداة، حمل القارورة بين أسنانه، وملاً فمه بالشراب، فشعر برعدة في جسده، وضغط بوجهه على السياج مُغمضاً عينيه، فبدت الأضواء البعيدة لفندقي بلازا وأوبرا خطوطاً بيضاء وسط الظلام الدامس. أنزل القارورة بيده اليمنى حتى أصبحت فوق فكّي الكلب، ومن ثم بصق السّداة والشراب، وتمتم "سكال" ، وأفرغ القارورة. حدّقت عينا الكلب السوداوان إلى هاري بذُهل تام فيما كان السائل البني يبقب ويقطر على ساق هاري ويدخل بين الفكّين المفتوحين. فأفلته الحيوان، وسمع هاري صوت سقوط على الإسفلت، وتلت ذلك حشجة موت وأنين خافت، ثم ابتلع الظلام الكلب الذي خرج منه. رفع هاري ساقه فوق السياج. لقد أدرك أنه سيقضي أمسيته في أيه أند إي وليس مُشاهداً برنامج أول أبوات إيف .

استلقى جون، ووضع رأسه في حضن ثيا، وأغمض عينيه مستمتعاً بالطين المنتظم للتلفاز. إنه أحد المسلسلات التي تحبها ثيا كثيراً كينغ أوف ذي برونكس (ملك البرونكس)، أم إنه ذي كينغ أوف كوينز (ملك الملكات)؟

"هل سألت شقيقك عما إذا كان سيقوم بنوبة عملك في إغرتورغيت؟". لقد وضعت يدها على عينيه، وكان باستطاعته شم رائحة بشرتها العطرية؛ مما يعني أنها حققت نفسها بالإنسولين للتو. "أي نوبة عمل؟" سأل جون.

فرفعت يدها بسرعة، وحدّقت إليه غير مصدّقة. عندها، ضحك جون قائلاً: "استرخي. تكلمت مع روبرت منذ زمن بعيد، ووافق".

فأطلقت أنيناً، فيما أمسك جون يدها وأعاد وضعها على عينيه. "ولكنني لم أقل له إنّ اليوم ذكرى مولدك. فلو قلتُ له ذلك لَمَا وافق ربما".

"لِمَ لا؟".

"لأنه مجنون بك، وأنت تعرفين هذا!".

"هذا ما تقوله أنت".

"وأنت لا تحبينه".

"غير صحيح!".

"إذًا، لماذا تتسمّرين في مكانك كلّمَا ذكرتُ اسمه؟".

فأطلقت ضحكة مرتفعة.

"هل حجزت طاولة في المطعم؟" سألت.

"أجل".

ابتسمت وضغطت على يده، ومن ثم غصّنت جبينها. "كنت أفكر.

ربما رأنا شخص ما هناك".

"من الاتحاد؟! مُحال".

"ماذا لو رأنا أحدهم؟".

فلم يُجب جون.

"ربما حان الوقت لإعلان الخبر على الملأ".

"لست أدري. أليس من الأفضل الانتظار حتى نتأكد تمامًا من...".

"ألسَت متأكدًا بعد يا جون!؟".

أبعد جون يدها عن عينيه ونظر إليها بهلَع: "ثيا، رجاءً. تعرفين جيداً

أنني أحبك أكثر من أي شيء آخر. هذا الأمر ليس موضوع نقاش".

"ما الأمر إذًا؟".

فتنهّد جون وجلس بجانبها. "أنت لا تعرفين روبرت يا ثيا".

فأطلقت ابتسامة ساخرة وقالت: "أعرفه منذ الصُغَر يا جون".

شعر جون بالحرَج وقال: "أجل، ولكن هناك أموراً لا تعرفينها. فأنت

لا تعرفين حدّة غضبه. إنه يشبه والدي في ذلك، ومن الممكن أن يصبح

خطيراً يا ثيا".

أسندت ظهرها إلى الجدار وحدّقت في الفضاء.

"أقترح إرجاء الأمر لمدة قصيرة". وفرك جون يديه قبل أن يتابع:

"مراعاةً لمشاعر شقيقك أيضاً".

"ريكارد؟!؟" قالت متفاجئة.

"أجل. ماذا سيقول إذا أعلنتِ خطوبتك - أنت شقيقته الوحيدة - بي

الآن؟".

"آه! أفهم ما تعنيه. أتقصد لأنكما تتنافسان على منصب القيم الأعلى

على الممتلكات؟".

"تعرفين جيداً أن المجلس الأعلى يعلّق أهمية كبيرة على أن يكون

الأعضاء ذوو المناصب العليا متزوجين من فتيات محترّمات. من الواضح أن

الخطوة الصحيحة من وجهة نظر تكتيكية تتمثل بإعلان زواجي بثيا نيلسن، ابنة فرانك نيلسن؛ اليد اليمنى للمدير. ولكن، هل سيكون ذلك صائباً على الصعيد الأخلاقي؟".

عضت ثيا على شفتها السفلية وسألته: "لماذا هذا العمل هام جداً بالنسبة إليك وإلى ريكارد؟".

هز جون كتفيه. "تحمل الاتحاد تكلفة انتسابنا إلى كلية تدريب وأربع سنوات في كلية الإدارة للحصول على إجازة جامعية في علم الاقتصاد. أفترض أن ريكارد يفكر بالطريقة نفسها. علينا التقدم بطلبات للحصول على أعمال يوفّرها الاتحاد الذي يسعى للاستفادة من مؤهلاتنا".

"ربما لن يحصل أيّ منكما على هذا العمل. يقول والدي إنه لم يتم مطلقاً تعيين رئيس مُشرف يقلّ عمره عن خمسة وثلاثين عاماً".
"أعلم"، وتنهّد جون قائلاً: "لا تُخبري أحداً، ولكنني في الواقع سأشعر بالارتياح إذا حصل ريكارد على العمل".

"ستشعر بالارتياح!؟". سألت ثيا. "أنت؟! أنت مسؤول عن كل العقارات المؤجّرة في أوصلو منذ أكثر من عام".

"صحيح. ولكن منطقة عمل القيم الأعلى على الممتلكات تشمل كل النرويج، وإيسلندا، وجزر فارو. هل كنت تعرفين أن اتحاد الرعاية الاجتماعية يملك أكثر من 250 قطعة أرض وثلاثمئة مبنى في النرويج وحدها؟". وربّت جون على معدته وحدّق بالسقف بنظراتٍ قلقة مألوفة. "رأيت انعكاس صورتي على نافذة متجر اليوم، وصدمني مدى تفاهتي".

لم تسمع ثيا ما قاله كما يبدو، فقد قالت: "أخبر أحدهم ريكارد أن من سيحصل على العمل سيكون القائد الإقليمي التالي".

فأطلق جون ضحكة عالية وقال: "لا أريد ذلك تحديداً".
"لا تعبت معي يا جون".

"أنا لا أعبت يا ثيا. أنت بالنسبة إليّ أكثر أهمية بكثير. لهذا السبب أقول إنني لست مهتماً بعمل القيم الأعلى على الممتلكات، إذ أنّنا لنعلن خطوبتنا. باستطاعتي القيام بعمل هام آخر. فالعديد من المؤسسات بحاجة إلى علماء اقتصاد أيضاً".

"لا يا جون"، قالت ثيا مصدومة. "أنت أفضل من حصلنا عليه. عليك أن تتوظف حيث نكون بحاجة أكبر إليك. ريكارد شقيقي، ولكنه لا يملك... ذكاءك. باستطاعتنا الانتظار إلى أن يتم اتخاذ القرار بشأن إخبارهم بخطوبتنا".

فهز جون كتفيه.

ونظرت ثيا إلى الساعة. "سيتوجب عليك المغادرة قبل الساعة الثانية عشرة اليوم. يوم أمس، قالت إيما في المصعد إنها قلقة عليّ لأنها سمعت بابي يُفْتَح ويُغَلَق عند منتصف الليل".

فهزّ جون ساقيه قائلاً: "لا أفهم سبب تكبّدنا عناء العيش هنا".
رمقته ثيا بنظرة تعنيف. "باستطاعتنا الاعتناء ببعضنا على الأقل".
"صحيح"، تنهّد. "نعتني ببعضنا. إذًا، عمت مساءً".

انحنت نحوه، ومررت يدها على قميصه، فاندھش حين شعر أن يدها متعرّقة كما لو كانت مكورة قبضتها أو تعصر شيئاً ما. التصقت به، وبدأت أنفاسها تتسارع.

"ثيا"، قال، "يجب علينا ألا...".

فتسمّرت في مكانها، ومن ثم تنهّدت وأبعدت يدها.

كان جون مندهشاً. فحتى تلك اللحظة، لم تقم ثيا بأي تواصل جسدي معه، بل كانت تبدو قلقة من ذلك، وكان هو يُقدّر هذا الحياء. لقد بدت مطمئنة بعد مواعدهما الأول، عندما ذكر لها القوانين وقال: "يعتبر التعفّف قبل الزواج مثلاً أعلى". وبالرغم من أن العديدين يعتبرون أن هناك فرقاً بين المثال الأعلى وعبارة حرية التصرف التي تستخدمها القوانين لدى الإشارة إلى التبغ والشراب، فهو لم يجد أي سبب للإخلال بوعده قطعه بسبب فوارق دقيقة في المعنى.

غمرها، ثم وقف ودخل الحمام، وأقفل الباب وراءه. فتح الصنبور وجعل الماء ينسكب على يديه. كان عليه الاتصال برانهيلد وإنهاء المسألة. إنه يشعر بالسعادة، ولكن بعض الأيام تكون أصعب من سواها.
وجفّف وجهه وعاد إليها.

كانت غرفة الطوارئ في ستورغاتا، في أوصلو، مغمورة بضوء أبيض مزعج، وتحتشد هناك المجموعة البشرية المعتادة كما يحصل دائماً في مثل هذا الوقت من اليوم. وقف مُدمن مخدرات ثم غادر بعد وصول هاري بعشرين دقيقة. وفقاً للقاعدة، لا يمكنهم الجلوس من دون حراك لأكثر من عشر دقائق؛ ولم يفهم هاري ذلك مطلقاً. كان مذاق الشراب لا يزال في فمه، وأثارت الرائحة أصدقاءه القدامى الذين يناضلون للتخلص من إدمانهم. كانت ساقه تؤلمه كثيراً. لم تُسفر رحلته إلى الميناء عن أي شيء - على غرار 90 في المئة من أعمال الشرطة - وأطلق وعداً لنفسه بأنه سيحافظ على

موعده مع بيت ديفيس في المرة القادمة.

"هاري هول؟".

نظر هاري إلى الرجل الواقف أمامه والذي يرتدي معطفًا أبيض.

"أجل؟".

"هل يمكنك مرافقتي؟".

"شكرًا لك، ولكن أعتقد أنه دورها"، قال هاري ذلك، وأومأ برأسه في

اتجاه فتاة تضع رأسها بين يديها وتجلس على أحد الكراسي المقابلة له.

فانحنى الرجل إلى الأمام وقال له: "إنها هنا للمرة الثانية هذا المساء.

ستنجو".

خرج هاري في الممر وهو يتبع الطبيب، ودخلا عيادة ضيقة توجد

فيها طاولة ورف كتب بسيط. لم يرَ أن أيًا من مواضيع الكتب يهّمه.

"كنت أعتقد أن للشرطة أطباءهم"، قال الطبيب.

"حظ عاثر. في العادة، لا نحظى بالأولوية في أثناء الانتظار في الصف.

كيف عرفت أنني شرطي؟".

"آسف، أنا ماثياس. كنت أعبر غرفة الانتظار ورأيتك".

ابتسم الطبيب، ومدّ يده ليصافح هاري، فلاحظ هاري أنه يملك أسنانًا

مستوية جدًا لدرجة الارتياب بأنه ربما يضع طقم أسنان اصطناعية لو لم

يكن باقي وجهه مثاليًا ولا يُعيبه شيء. وكانت عيناه زرقاوين، وهناك

خطوط بالغة الصَّغَر حولهما؛ تشيران إلى أنه يضحك كثيرًا. كما كانت

مصافحته ثابتة ومتحفظة. طبيب ذو يدين دافئتين!

"ماثياس لوند- هِلْغِسين"، استفاض الرجل في التعريف بنفسه مقيّمًا

هاري.

"أظن أنك تعتقد أنه يُفترض بي أن أعرفك"، قال هاري.

"لقد التقينا من قَبْل، في الصيف الماضي، في أثناء حفلة أقامتها راكيل

في حديقة منزلها".

تسمّر هاري في مكانه لدى سماعه اسمها على شفّتي شخص آخر.

"هل هذا صحيح؟".

"كنت موجودًا في ذاك الحفل"، قال ماثياس لوند- هِلْغِسين بصوت

منخفض، وبشكل غير واضح.

"حسنًا"، وأومأ هاري برأسه ببطء. "أنا أنزف".

"أدرك ذلك". وظهر على وجه لوند- هِلْغِسين ما يشبه التعاطف معه،

ولكن برزانة.

رفع هاري ساق سِرِواله وقال: "هنا".
"آه!". وظهرت على وجه لوند - هِلِغْسِينِ ابتسامة مُرتبِكة. "ما هذه؟".
"إنها عضة كلب. هل يمكنك معالجة الجراح؟".
"ليس هناك الكثير لمعالجته. سيتوقف النَّزْفُ. سأقوم بتنظيف الجراح،
وسأضع شيئاً ما عليها". ثم انحنى. "ثلاثة جراح كما أرى. من الأفضل لك
أن تتلقَى حقنة كزاز".
"يخترق الألم العظام".
"أجل، هذا ما يشعر به المرء في غالب الأحيان".
"لا، أعني أن أنيابه انخرست...".
وصمت هاري قليلاً ثم زفر من أنفه. لقد أدرك للتوّ أن ماثياس
لوند - هِلِغْسِينِ يظنه ثملاً. ولماذا لا يُفترض به ذلك؟ شرطي يرتدي معطفًا
ممزَّقًا، وعضة كلب، وسمعة سيئة، ورائحة شراب تفوح من فمه. هل هذا
ما سيقوله لراكيل عندما يخبرها أن حبيبها السابق قد عاد لمعاقرة الشراب
مجددًا؟
"... في اللحم"، أتمّ هاري الجملة.

4 - الاثنين، 15 كانون الأول/ديسمبر. المغادرة

"تَرَكَ!".

جلس على السرير مُجَفَّلاً، وسمع صدى تردد صوته بين جدران الفندق البيضاء العارية. رنَّ الهاتف على الطاولة قرب السرير، فتلقَّف السماعه.

"إنه اتصال إيقاظك...".

"هفلاً"، شكر المتصل بالرغم من علمه أنه مجرد تسجيل صوتي. كان في زَغْرَب، وسيتوجه اليوم إلى أوسلو للقيام بالمهمة الأكثر أهمية؛ المهمة الأخيرة.

أغمض عينيه مسترجعاً تفاصيل الكابوس الذي كان يحلم به مرّة بعد أخرى. لم يكن يحلم بما حصل في باريس أو بأيّ من المهام الأخرى؛ فهو لم يحلم بها قطّ. بل إنه الكابوس نفسه عن فوكوفار، والخريف، والحصار. في الليلة السابقة، رأى نفسه يركض. وكالعادة، كان يركض تحت المطر، وكالعادة أيضاً كانوا ينشرون ذراع والده في جناح الرُّضْع في المساء، فيموت والده بعد أربع ساعات؛ علماً أن الأطباء كانوا قد أعلنوا عن نجاح العملية الجراحية. قيل حينها إن قلب والده قد توقّف عن الخفقان. وبعد ذلك، فرّ من والدته إلى الظلام والمطر، إلى النهر، وبنديقة والده في يده، إلى المواقع الصربية. أطلقوا النار عليه ولم يُبالِ، وسمع صوت ارتطام الرصاص بالأرض تحت قدميه، وسقط في حفرة ضخمة أحدثتها القنابل. ابتلعته المياه وابتلعت كل الأصوات، وساد الهدوء، فيما استمرّ بالغوص نحو الأسفل في الماء، ولكنه لم يصل إلى أي مكان. وعندما بدأت أطرافه تتصلّب وشعر بالخدر فيها رأى شيئاً أحمر يتحرك في كل مكان من السواد الذي يحيط به كما لو أنه طائر يخفق بجناحيه بحركة بطيئة. وعندما استيقظ، وجد نفسه ملفوفاً ببطانية بيضاء، فيما ضوء المصباح يتمايل ذهاباً وإياباً في أثناء تعرّضهم لقصف المدفعية الصربية، ودخلت كتل صغيرة من التراب والمِلاط عينيه وفمه. بصق، وانحنى أحدهم وأخبره أن بوبو- النقيب- قد أنقذ حياته بنفسه من الحفرة المليئة بالماء، وأشار إلى رجل أصلع واقف بجانب درجات الملجأ الحصين تحت الأرض. كان يرتدي بذلة نظامية ويربط منديلاً أحمر حول عنقه.

فتح عينيه مجدداً وعاد إلى الواقع، ونظر إلى ميزان الحرارة الذي كان قد وضعه على طاولة السرير. لم ترتفع حرارة الغرفة عن ست عشرة درجة

منذ تشرين الثاني/نوفمبر، علماً أنهم أصرّوا في مكتب الاستقبال على أن أجهزة التدفئة تعمل بكامل طاقتها. نهض. كان عليه الإسراع؛ ستصل حافلة المطار إلى الفندق بعد نصف ساعة.

حدّق إلى المرآة فوق المِغسلة، وحاول تخيّل وجه بوبو. ولكن الأمر كان أشبه بالأضواء الشمالية لأن الوجه خبا شيئاً فشيئاً. ورنّ الهاتف مجدداً.

"دا، ماجكا".

بعد أن أنهى الحلاقة، جفّف جسده وارتنى ملابسه على عجل، ثم أخرج أحد الصندوقين المعدنيين اللذين يحتفظ بهما في الخزانة المعدنية وفتحه. إنه لاما مينيماكس ساب كومباكت يتّسع لسبعة أعيرة نارية. فكك السلاح، ووزّع أجزاءه على أربعة مخابئ صغيرة صُمّمت خصيصاً لهذا الغرض، وتقع تحت الزوايا المدعّمة لحقيبة الملابس. فإذا أوقفه موظفو الجمارك وفتشوا حقيبته فستُخفي القطع المعدنية المدعّمة أجزاء السلاح. وقبل أن يغادر، تحقق من وجود جواز السفر معه، ومغلف أعطته إيّاه، ويحتوي على تذكرة سفر، وعلى صورةٍ للهدف ومعلومات يحتاج إليها عن المكان والزمان. فالأمر سيحدث في مساء اليوم التالي عند الساعة السابعة في مكان عام؛ كما هو مخطّط له تماماً. كانت قد قالت له إن هذه المهمة تنطوي على مجازفة أكبر من سابقتها. بالرغم من ذلك، لم يكن خائفاً، وصار يتساءل من حين لآخر عما إذا كان قد فقد القدرة على الخوف مع فقدان والده ذراعَه في تلك الليلة. كان بوبو قد قال له إنه ليس باستطاعته الاستمرار طويلاً إذا لم يكن يخاف.

في الخارج، كانت زَعرَب قد استيقظت للتوّ، خالية من الثلج، ورمادية اللون بسبب الضباب. وقف أمام مدخل الفندق مفكراً بأنهما سيتوجهان إلى بحر الأدرياتيك بعد أيام قليلة، إلى مكان صغير يحتوي على فندق صغير، حيث الأسعار مقبولة، وحيث يتواجد القليل من أشعة الشمس، وسيتحدثان عن المنزل الجديد.

من المفترض أن تكون حافلة المطار قد وصلت، فحدّق وسط الضباب بالطريقة نفسها التي اتّبعتها في خريف ذلك العام عندما ربّض بجانب بوبو محاولاً عبثاً رؤية ما يوجد وراء الدخان الأبيض. كانت مهمته تتمثل بنقل رسائل لم يكونوا يجرؤون على توجيهها عبر أجهزة اللاسلكي لأن الصرب يراقبون الموجة ولا يغفلون عن أي شيء. وبسبب صِغَر حجمه، كان باستطاعته الركض عبر الخنادق بسرعة كبيرة من دون أن يضطر إلى خفض

رأسه. لقد قال لبوبو حينها إنه يريد تدمير دبابات، فhez بوبو رأسه وأجابه: "أنت رسول. هذه الرسائل هامة يابتي. لدي رجال يهتمون بأمر الدبابات".

"ولكنهم خائفون. أما أنا فلست خائفاً".

رفع بوبو حاجبه. "أنت قنّاص ليس إلا".

"إذا أصابتنى الطلقات النارية هنا بدلاً من الخارج فالأمر سيّان. وقد قلتَ بنفسك إننا إذا لم نوقف الدبابات، فسيحتلون المدينة". فرمقه بوبو بنظرة ثابتة.

"دعني أفكر في الأمر"، قال أخيراً. وهكذا، جلسا صامتين، ومتفرسين بالستار الأبيض من دون أن يتمكننا من التمييز بين ضباب الخريف والدخان المنبعث من أنقاض المدينة المحترقة. وبعد ذلك، تنحى بوبو وقال: "في الليلة الماضية، أرسلتُ فرانجو وميركو إلى الفجوة في السدّ التي تخرج منها الدبابات. لقد تمثلت مهمتهما بالاختباء وزرع ألغام على الدبابات في أثناء مرورها. أتعرف ما حلّ بهما؟".

أوماً برأسه مجدداً. لقد رأى جثتي فرانجو وميركو عبر المنظار الثنائي. "لو كانا أصغر حجماً لتمكنا ربما من الاختباء في التجايف الأرضية"، قال بوبو.

مسح الفتى بيده المخاط الذي سال من أنفه ثم سأل: "كيف أثبتّ الألغام على الدبابات؟".

عند انبلاج الفجر في اليوم التالي، عاد إلى موقعه مرتجفاً بسبب البرد، ومكسواً بالوحل. وراءه، كانت هناك دبابتان صريّتان مدمرتان عند السدّ، والدخان ينبعث من الفتحتين، فسحبه بوبو إلى داخل الخندق وصاح معبراً عن فرحه بنجاح العملية: "إنّه منقذنا الصغير!".

وفي ذلك اليوم نفسه، عندما أملى بوبو الرسالة التي وُجّهت إلى مقر القيادة في المدينة عبر أجهزة اللاسلكي، مُنح اللقب الذي ارتبط به إلى أن قام الصرب باحتلال مدينته وتسويتها بالأرض، وتصفية بوبو، وقتل عدد كبير من الأطباء والمرضى في المستشفى، وسجن وتعذيب كل من أبدى مقاومة. لقد انطوى اللقب على مفارقة، لأن الشخص الذي لم يتمكن من إنقاذه هو الذي منحه ذلك اللقب. المنقذ الصغير.

خرجت حافلة حمراء من يَمّ الضباب.

كانت غرفة الاجتماعات في المنطقة الحمراء من الطابق السادس تضجّ

بأحاديث منخفضة وضحكات مكبونة في أثناء اقتراب هاري وتحققه من توقيت وصوله بشكل جيد. لقد تأخر الوقت على مخالطة الناس، وتناول الحلوى، وتبادل الدُعايات وتعابير الاستهزاء مع الزملاء التي يلجأ إليها الرجال عندما يُلقون تحية الوداع على شخص يقدرونه. إنه وقت الهدايا والخُطب المشحونة بكثير من الكلمات المتفاخرة التي يشعر الرجال بأن لديهم الجرأة على استخدامها عندما يكونون وسط جمهور وليسوا بمفردهم.

قيّم هاري الحشد، وعثر على ثلاثة وجوه يمكنه الوثوق بودّها: رئيسه المغادر بيارني مولر، الشرطي هالفورسن، وبتي لون؛ الرئيسة الشابة لكريمتكيسك، قسم الخبراء الجنائيين. لم يُجرِ أي اتصال بصري مع أي منهم، ولم يحاول أحد إجراء اتصال بصري معه. لم تكن لدى هاري أي أوهام حيال شعبيته في فريق مكافحة الجريمة. لقد قال مولر ذات مرة إن هناك أمراً واحداً فقط يكرهه الناس أكثر من كرههم مدمن شراب كئيباً، وهو مدمن شراب كئيب طويل القامة. كان هاري مُدمن شراب كئيباً بطول متر واحد واثنين وتسعين سنتيمتراً، ولم تتبدّل نظرة الآخرين إليه بالرغم من كونه تحريماً بارعاً. والكل يعرف أن هاري كان سيُقال منذ أعوام لولا حماية بيارني مولر له. ومع مغادرة مولر، الكل يعرف أيضاً أن الضباط والمسؤولين الكبار ينتظرون ارتكابه أي هفوة. ومن المفارقات أن ما يحميه الآن هو الشيء نفسه الذي وسمه كغريب دائماً؛ ألا وهو واقع أنه أوقع بأحد زملائهم، الأمير؛ توم والر الذي كان مفتشاً في فريق مكافحة الجريمة، وأحد الرجال المشاركين في المكافحة الشاملة لعملية تهريب السلاح في أوصلو في السنوات الثماني الماضية. لقد انتهت حياة توم والر وسط بركة دماء في مجمّع سكني شديد الارتفاع في كامبن. وبعد ثلاثة أسابيع، وفي احتفال صغير أُقيم في مطعم قريب، أقرّ الضابط المُشرف على مَصْد بإسهام هاري في تنظيف صفوفهم من العناصر الفاسدة. وشكره هاري.

"شكراً لكم". كان قد قال ذلك ممرراً نظره على عناصر الشرطة المجتمعين ليتحقق مما إذا كان هناك من ينظر إليه. في الواقع، أراد لخطبته تلك أن تقتصر على هاتين الكلمتين، ولكن لدى رؤيته وجوهاً تتجنب النظر إليه وابتسامات ساخرة، استشاط غضباً وأضاف: "أفترض أن هذا الإنجاز سيجعل الأمر صعباً بالنسبة إلى بعض الأشخاص الساعين إلى صرفي من العمل. إذ ربما ستعتقد الصحافة أن الشخص المعني سيتراجع عن صرفي مخافة قيامي بملاحقته أيضاً".

وبعد ذلك، نظروا إليه غير مصدّقين. ولكنه تابع.

"لا سبب للحملقة يارجال. كان توم والر مفتشاً معنا في فريق مكافحة الجريمة، وقد جعل منصبه غطاءً له للقيام بما قام به. لقد لُقّب نفسه بالأمرير. وكما تعلمون... هنا، كان هاري قد صمت قليلاً، ممرراً نظراته المحدقة من وجهه إلى آخر، ومتوقفاً عند وجه الضابط المُشرف. حيثما يكن هناك أمير، يكن هناك ملك عادةً".

"مرحباً، أيها الفتى المُسنّ. أنت مستغرق في التفكير؟".

رفع هاري نظره. إنه هالفورسن.

"أفكر في الملوك"، تمت هاري متناولاً كوب القهوة الذي مرّره له التحريّ الشاب.

"حسناً، إنه الرجل الجديد"، قال هالفورسن مشيراً إليه.

بجانب طاولة الهدايا، وقف رجل يرتدي بذلة زرقاء متحدثاً إلى الضابط المُشرف وبيارني مولر.

"هل هذا غونار هاغن؟". سأل هاري والقهوة في فمه. "البيي أيه أس الجديد؟".

"لم يعد هناك أي بوليسياولينجيف، يا هاري".
"حقاً!".

"إنه بيبي أو بي. بوليسيو فربتينت. لقد غيروا الأسماء والمراتب منذ أكثر من أربعة أشهر".

"حقاً! لا بد أنني كنت أشعر بالغثيان في ذلك اليوم. هل ما زلت شرطياً؟".

فابتسم هالفورسن.

لقد بدا البيبي أو بي الجديد خفيف الحركة، ويقلّ عمره عن ثلاثة وثلاثين عاماً كما قيل في المذكرة. ولاحظ هاري أنه متوسط الطول أكثر من كونه طويلاً، ونحياً، وتوحي شبكة العضلات الواضحة في وجهه، وحول فكه السفلي، وفي عنقه، بأنه يعيش حياة تقشّف. كان فمه مستقيماً وثابتاً، وذقنه ناتئاً بطريقة بارزة. والشعر القليل الذي يملكه هاغن أسود، ويشكل نصف إكليل حول رأسه. ومع ذلك، فهو كثيف ومتراصّ جداً لدرجة أنه يمكن مسامحتكم إذا ظننتم أن للبيبي أو بي الجديد ذوقاً غريباً في شكل الشعر. بأي حال، يبشّر حاجباه الكثيفان الأشعثان بحالة أفضل في ما يتعلق بشعر جسمه.

"من القوات المسلحة مباشرة"، قال هاري. "ربما يعرفنا إلى نداء الاستيقاظ".

"كان شرطياً جيداً- كما هو مُفترض- قبل تغيير الاسم."
"أتعني وفقاً لما كتبه عن نفسه في المذكرة؟"

"من الجيد أن نسمعك تتكلم بهذه الإيجابية يا هاري."
"أنا؟ أنا متحمس على الدوام لمنح الأشخاص الجدد الفرصة المُنصفة."
"و ال التعريف هي العامل المؤثر"، قالت بتي، منضمةً إليهما.
وأبعدت شعرها الأشقر القصير جانباً. "رأيتك تَعرج في أثناء دخولك يا هاري،
كما أعتقد".

"صادفتُ كلب حراسة هائجاً في منطقة الحاويات ليلة أمس."
"ماذا كنت تفعل هناك؟"

أمعن هاري النظر إلى بتي قبل أن يجيب. إن منصب الرئيس في
برينساليين كان مفيداً لها، ومفيداً لكريمتكينيسك أيضاً. طالما كانت بتي
محترفة، ولكن يتعين على هاري الاعتراف بأنه لم يرَ مزايا قيادية واضحة
لدى الشابة الخجولة التي تؤثر البقاء في الظل، وذلك عندما قصدت وحدة
السرقا بعد كلية تدريب الشرطة.
"أردتُ إلقاء نظرة على الحاوية حيث عُثر على بير هولمان. أخبريني،
كيف دخل المنطقة؟"

"قصّ القفل بمِقراض أسلاك. فقد وجدناه بجانبه. وماذا عنك؟ كيف
دخلت؟"

"ماذا وجدتِ أيضاً؟"

"هاري، ليس هناك ما يوحي بأنها..."

"لا أقول إن هناك ما يوحي بأي شيء. ماذا وجدتِ أيضاً؟"

"ما الذي وجدته برأيك؟ أدوات المهنة. وجدت جرعة هيروين، كما
وجدت كيساً يحتوي على تبغ. كما تعلم، إنهم يُخرجون التبغ من أعقاب
السجائر التي يلتقطونها، ولا يدفعون كروناً واحداً بالطبع."
"وماذا عن المسدس؟"

"لقد أُزيل الرقم المتسلسل، ولكن آثار المبرد مألوفة. إنه مسدس من
زمن الأمير "

لاحظ هاري أن بتي امتنعت عن لفظ اسم توم والر.
"حسناً، هل وصلت نتيجة عينة الدم؟"

"أجل. إنها نظيفة على نحو مفاجئ. فهو لم يحقن نفسه بالمخدرات
مؤخراً، بل كان واعياً جداً وقادراً على قتل نفسه. لماذا تسأل؟"
"لقد تسنت لي فرصة تبادل المعلومات مع الوالدين."

"آه!", قال هالفورسن ولون معاً. الأمر يتكرر كثيراً علماً أنهما عملاً معاً لمدة عامين فقط.

وسعل الضابط المُشرف، فاستدار الجميع وتحلقوا حول طاولة الهدايا وخدمت الثثرة.

"طلب بيارني الإذن ليقول كلمة واحدة أو اثنتين"، قال الضابط المُشرف متأرجحاً على عقبَي قدميه، ومتوقفاً قليلاً بهدف التأثير في الآخرين قبل أن يُتابع: "ومُنح الإذن".

انطلقت ضحكات مكبوتة في أرجاء المكان، فلاحظ هاري ابتسامة بيارني مولر المتردة التي وجهها لرئيسه.

"شكراً لك ياتورليف. وشكراً للشرطية المُشرفة على الهدية الوداعية. والشكر الخاص لكم جميعاً على الصورة الرائعة التي منحتموني إيّاها". وأشار إلى الطاولة.

"الجميع!". همس هاري لِبتي.

"أجل. لقد قام سكار واثان آخران بجمع المال".

"لم يبلغ مسمعيّ أي شيء عن هذا الأمر".

"ربما نسيا أن يخبراك".

"الآن سأوزّع القليل من الهدايا"، قال مولر. "من التُّرّة؛ إذا جاز التعبير. بادئ ذي بدء، هناك هذه العدسة المكبّرة".

ورفعها أمام وجهه، فسخر الآخرون من التعبير المشوّه للبيبي أيه أس. "أقدّمها لفتاة أثبتت جدارتها كتحرّية وضابطة شرطة على غرار والدها، ولا تُعيد إلى نفسها الفضل في ما تقوم به، بل تفضّل أن تدعنا نسطع في فريق مكافحة الجريمة. وكما تعلمون، كانت موضع دراسة وبحث من قبل أخصائيين شديدي الذكاء لأنه أنعم عليها بالفوزيفورم جيروس الذي يسمح لها بتذكّر كل وجه رآته".

فرأى هاري بتي تحمّر خجلاً. لم تكن تحب استرعاء انتباه الآخرين؛ أقلّه في ما يتعلق بهذه الهدية الاستثنائية التي تعني أنها اعتادت تمييزها الصور المحبّبة لمخادعين سابقين على شرائط فيديو تصوّر الغارات على المصارف.

"آمل"، قال مولر، "ألا تنسوا هذا الوجه؛ علماً أنكم لن تروه لمدة من الزمن. وإذا كان هناك ما يدعوكم للشك، فيإمكانكم استخدام هذه". وكز هالفورسن ظهر بتي ودفعها للتقدم. وعندما قام مولر بمعانقتها وتقديم العدسة المكبّرة لها وصفق الحاضرون طال احمرار الخجل جبينها.

"التحفة التالية المتوارثة من الأجداد هي كرسي المكتب"، قال بيارني. "وقد اكتشفتُ أن خلفي غونار هاغن قد تقدّم بطلب للحصول على كرسي جلدي أسود جديد ذي ظهر عالٍ ومميّزات أخرى". وأرسل مولر ابتسامة لهاغن الذي لم يبادلّه الابتسام، بل أوماً برأسه قليلاً.

"أقدّم الكرسي لضابط شرطة من ستينكير نُفي منذ قدومه إلى هنا إلى مكتب يتشاطره مع الشخص الأكثر إثارة للمتاعب في المبنى، وأُرغمَ على الجلوس على كرسي متهالك. أيها المبتدئ، أعتقد أن الوقت قد حان". "يويّ"، قال هالفورسن.

فالتفت الجميع نحوه وضحكوا، وضحك هالفورسن بدّوره. "وفي الختام، أقدّم مساعدة تقنية لشخص مميّز بالنسبة إليّ. كان أفضل محقّق وأسوأ كوابيسي. أقدّمها للرجل الذي يتبع حدسه على الدوام وأجندته الخاصة وساعته الخاصة؛ لسوء حظ أولئك الأشخاص بيننا الذين يحاولون حملك على القدوم في الوقت المحدّد لحضور الاجتماعات الصباحية". وأخرج مولر ساعة يد من جيب سترته. "آمل أن تحملك هذه على العمل في الإطار الزمني نفسه كما يفعل الآخرون. بأي حال، لقد ضبطتها نوعاً ما مع ساعات فريق مكافحة الجريمة. وحسنًا، كان هناك الكثير من الأمور بين السطور ياهاري".

وسمّع تصفيق متفرّق في أثناء تقدّم هاري لتلقّي الساعة المزوّدة بشريط جلدي أسود عادي. لم تكن الماركة مألوفة لديه. "شكرًا"، قال هاري.

وتعانق الرجلان طويلاً القامة.

"لقد ضبطتُ الساعة حيث تسبق التوقيت العادي بدقيقتين، لتقوم في الوقت المحدّد بما تعتقد أنك ستُغفله"، همس مولر. "لا مزيد من التحذيرات. قُم بما يتوجب عليك القيام به".

"شكرًا"، كرر هاري، معتبراً أن مولر يتوجّه إليه بالكلام لمدة أطول من المعتاد. وذكّر نفسه بضرورة إيداع الهدية التي اصطحبها معه من المنزل على طاولة الهدايا. لحسن الحظ، لم يخطر بباله تمزيق الغلاف لسي دي أول أبوت إيف.

5 - الاثنين، 15 كانون الأول/ديسمبر. لايتهاوس

عثر جون على روبرت في الفناء الخلفي لفريتكس؛ وهو متجر اتحاد الرعاية الاجتماعية في كيركفيلين.

كان متكئاً على إطار الباب متصلب الذراعين، ومراقباً الأشخاص الذين ينقلون أكياساً كبيرة من الشاحنة إلى غرفة التخزين في المتجر. كانوا يُطلقون فقايع كلامية بريئة يملأونها بكلماتٍ قسَم في مجموعة منوعة من اللهجات واللغات.

"أحصلت على صيد جيد؟" سأل جون.

فهز روبرت كتفيه. "يتخلى الناس بفرح عن ملابسهم الصيفية بأكملها ليتمكنوا من شراء ملابس جديدة في العام القادم. ولكن الملابس الشتوية هي ما نحتاج إليه الآن."

"يستخدم فتیانك لغات متنوعة. إنهم من الأشخاص الذين تتناولهم الفقرة الثانية عشرة؛ فهم يقومون بعمل اجتماعي بدلاً من السجن؟".
"لقد عددتهم أمس. لدينا الآن ضعف عدد المتطوعين الذين يقضون مدة المحكومية".

فابتسم جون. "الأمر مرتبط بالشروع في العمل ليس إلا".

ونادى روبرت أحد الفتیان الذي رمى له علبة سجائر. وضع روبرت مسمار النعش بين شفتيه؛ لم تكن السيارة تحتوي على فلتر.
"اتركها"، قال جون. "تذكر ما وعدت به، فقد يتم صرفك".
"لم أكن أعزم إشعالها. ماذا تريد؟".

فهز جون كتفيه. "تبادل أطراف الحديث معك".

"حول أي موضوع؟".

ضحك جون مجيباً: "إنه أمر عادي تماماً أن يتحدث الأشقاء من حين لآخر".

فأوماً روبرت برأسه، وأزال التبغ الذي علق بلسانه. "عندما تقول تبادل أطراف الحديث فأنت تعني عادةً أنك ستُخبرني كيف أعيش حياتي".
"هيا".

"ما الأمر إذًا؟".

"لا شيء. كنت أتساءل عن حالك".

فأخرج روبرت السيارة من فمه وبصق على الثلج، ثم حدّق بغطاء السُّحْب البيضاء العالي.

"لقد سئمتُ هذا العمل. لقد سئمتُ الشقة. لقد سئمتُ المديرية المتجعدة والمنافقة التي تدير العرض هنا. لو لم تكن قبيحة جداً لـ..." وابتسم روبرت ابتسامة عريضة، "... لقيمت بعلاقة مع الغبية ذات الوجه المماثل لخوخة مجففة".

"أنا أتجمد"، قال جون. "هل يمكننا الدخول؟".

توجّه روبرت إلى المكتب الصغير، وجلس على كرسيّ محشور بين طاولة تُغطّيها أغراض عديدة غير مرتّبة، ونافذة ضيقة تُطل على منظر للفناء الخلفي، وراية حمراء وصفراء تحمل شعار اتحاد الرعاية الاجتماعية. التقط جون كومة أوراق اصفرّ بعضها بسبب القَدَم، وجلس على كرسي خشبي علم أن روبرت قد سرقه من غرفة ماجورستوين كورب المجاورة. "تقول إنك متمرّض"، قال جون.

"من؟".

"المديرة رو". وتجهّم وجه جون. "ذات الوجه المماثل لخوخة مجففة". "إذاً، لقد اتصلت بك. هل هذا ما حدث؟". وشرع روبرت بغرز طرف سكين الجيب بالطاولة، ومن ثم انفجر غاضباً: "آه، أجل، لقد نسيْتُ. أنت المسؤول الجديد، القيم الأعلى على الممتلكات، رئيس المؤسسة برمتها". "لم يتخذ أي قرار بعد بهذا الشأن. ربما سيتولى ريكارد هذا المنصب". "مهما يكن". وحفر روبرت نصفي دائرة على الطاولة على شكل قلب. "قلت ما جئت لقوله. قبل أن تغادر، هل باستطاعتي الحصول على خمسمئة كرون، أجرك عن نوبة العمل غداً؟".

فأخرج جون المال من محفظة نقوده، ووضعه على الطاولة أمام شقيقه. عندها، مرّر روبرت نصل السكين على بشرته، وسُمع صوت كشط. "وسأذكرك بأمر واحد إضافي".

كان جون يعرف ما سيقوله شقيقه، غير أنه ابتلع لعبه وسأله: "وما هو؟".

من فوق كتف شقيقه، كان باستطاعته رؤية الثلج وهو يبدأ بالتساقط، ولكن الحرارة المنبعثة من المنازل القائمة حول الفناء الخلفي جعلت النُدْف البيضاء الخفيفة تستقرّ في الفضاء خارج النافذة كما لو أنها تُصغي إلى حديثهما.

وضع روبرت الطرف المستدق للسكين في وسط القلب قائلاً: "إذا وجدتُك ولو لمرة واحدة بجوار من نتحدث عنها..." ولفّ أصابعه حول مقبض السكين وانحنى إلى الأمام، فغرز ثقل جسده النصل في الخشب

الجافّ مُحدثاً صوت سَحَق. "فسأدمرك، يا جون. أقسم إنني سأفعل".
"هل أتسبب بأي إزعاج؟". جاء الصوت من جهة الباب.
"لا، البتّة يارو"، قال روبرت بصوت عَذْب. "شقيقي على وشك
المغادرة".

كفّ الضابط المُشرف والبيبي أو بي الجديد، غونار هاغن، عن الكلام
عندما دخل بيارني مولر مكتبه الذي لم يَعد له.
"حسناً، هل يُعجبك المنظر؟". سأل مولر بنبرة أَمَل أن تنمّ عن بهجة،
وأضاف: "يا غونار". لقد بدا الاسم غير مألوف على لسانه.
"حسناً، ربّما تكون المناظر في أوصلو مكتبة على الدوام في كانون
الأول/ديسمبر"، قال غونار هاغن، "ولكن، سيكون علينا التحقق مما إذا كان
بإمكاننا معالجة الأمر أيضاً".

فشعر مولر برغبة شديدة في سؤاله عما عناه بكلمة أيضاً، ولكنه
توقف عندما رأى الضابط المُشرف يومئ برأسه موافقاً.
"كنت أزود غونار بمعلومات عن الأشخاص هنا بسريّة تامة، أنت
تفهم".

"آه، أجل. أنتم الاثنان تعرفان بعضكما من قَبْل".
"أجل في الواقع"، قال الضابط المُشرف. "غونار وأنا نعرف بعضنا منذ
أن كنا مبتدئين في ما كان يُدعى كلية الشرطة".
"جاء في المذكرة أنك تشارك في سباق بيركبيز كل عام"، قال مولر
ملتفتاً نحو هاغن. "هل كنت تعرف أن الضابط المُشرف يشارك فيه أيضاً؟".
"آه، أجل". ووجه هاغن نظره إلى الضابط المُشرف مبتسماً وتابع: "في
الواقع، أذهب مع تورليف إلى هناك أحياناً، ويحاول كل منا التغلّب على
الآخر في الاندفاع الأخير".

"حسناً، أنا لم أشارك فيه مطلقاً"، وقال مولر بطريقة تنمّ عن شعور
بالتسلية: "إذاً، لو كان المُشرف في مجلس التعيين لأنهم بالمحاباة".
فأطلق الضابط المُشرف ضحكة جدّية، وألقى على بيارني مولر نظرة
سريعة تذكيرية.

"كنت أخبر غونار عن الرجل الذي تكرمتَ بتقديم ساعة له".
"هاري هول؟".

"أجل"، قال غونار هاغن. "أعرف أنه رجل قتل مفتشاً على صلة
بعملية التهريب المتعبّة تلك. ولقد سمعتُ أنه مزّق ذراع الرجل في

المصعد، وهو الآن موضع شُبْهة بتسريب القضية إلى الصحافة. الأمر ليس جيداً".

"قبل كل شيء، إن عملية التهريب المُتعبَة قد قامت بها عصابة من المحترفين الذين لديهم امتدادات في الشرطة، والذين أغرقوا أو سلّو طوال سنوات بأسلحة يدوية زهيدة الثمن"، قال بيارني مولر ذلك محاولاً عبثاً إبعاد نبرة الانزعاج عن صوته. "إنها قضية حلّها هول بدون تلقّي أي مساعدة؛ بالرغم من المقاومة التي واجهها هنا في مقر القيادة، وذلك بفضل سنوات عدة من العمل المُجدي في قسم الشرطة. ثانياً، لقد قتل والر دفاعاً عن النفس، والمصعد هو الذي مرّق ذراع والر. وثالثاً، لا دليل لدينا في ما يتعلق بمن قام بعملية التسريب".

تبادل غونار هاغن والضابط المُشرف نظرات سريعة.

"أياً يكن الأمر"، قال الضابط المُشرف، "إنه شخص يتعيّن عليك مراقبته بعناية ياغونار. واستناداً إلى المعلومات التي جمعتها، لقد تخلت عنه صديقه مؤخراً. ونعرف أن الرجال الذين يملكون عادات هاري السيئة عُرضة للإصابة بانتكاسات؛ وهذا أمر لا يمكننا القبول به بالطبع؛ أياً يكن عدد القضايا التي حلّها في الوحدة".

"سأضبط تصرفاته"، قال هاغن.

"إنه مفتش"، قال مولر مُغمِضاً عينيه، "وليس شخصاً عادياً. كما أنه ليس مولعاً أيضاً بقيام أحدهم بضبط تصرفاته".

فأوماً غونار هاغن برأسه ببطء في أثناء رفعه يده وتمريرها على حلقة شعره الكثّ.

جال هاري في أورتيجاتا، وكان باستطاعته التحقق انطلاقاً من أحذية الناس الذين التقاهم من أنه يقترب من مقهى لايتهاوس (المنازة). فقد اعتاد الأشخاص في وحدة ناركو القول إن أحداً لا يمكنه مضاهاة متاجر السُّلح المستعملة آرمي إند نايفي في بيع الأحذية إلى مدمني المخدرات، لأن أحذية القوات المسلحة انتهى بها الأمر في أقدام المدمنين بفضل اتحاد الرعاية الاجتماعية. ففي الصيف ينتعلون أحذية رياضة زرقاء. أما في الشتاء، كما هو الحال الآن، فيكون اللباس النظامي موحداً بالنسبة لمدمني المخدرات الذين ينتعلون جزمات عسكرية سوداء ويحملون كيساً أخضر يحتوي على غداء موضّب يُقدّمه لهم اتحاد الرعاية الاجتماعية. عبر هاري الباب وهو يومئ برأسه للحارس الذي يعتمر قلنسوة.

"هل تحمل أي شيء؟" سأل الحارس.

فربت هاري على جيبه. "لا شيء".

كانت هناك لافتة على الجدار تُفيد بأنه يتعين تسليم كل أنواع الشراب عند الباب واسترجاعها لدى المغادرة، ويعلم هاري أن من يفعل ذلك هم الأشخاص الذين أقلعوا عن احتساء الشراب. فالمدمن لن يسلم أبداً ما يحمله من شراب.

دخل هاري، وسكب لنفسه كوب قهوة، ثم جلس على المقعد المحاذي للجدار. ففيرليست - أي المنارة - هو مقهى اتحاد الرعاية الاجتماعية، ونسخة الألفية الجديدة لمطبخ الحساء؛ حيث تُقدّم للمُعوزين وجبات مجانية سريعة وقهوة؛ غرفة دافئة جيدة الإضاءة حيث يُشكل الزبائن الفارق الوحيد بين هذا المقهى ومقهى الكابوتشينو المعتاد. تسعون بالمئة من متعاطي المخدرات ذكور يتناولون شرائح خبز أبيض مع جبن نرويجي بني أو أبيض، ويقرأون الصحف، ويتبادلون أطراف الحديث بهدوء حول الطاولات. إنها منطقة حرة؛ فرصة لينعموا بالدفء ويستريحوا من البحث عن جرعة مخدرات في النهار. وبالرغم من انقضاء الشرطة السرية على المكان من حين لآخر، فهناك اتفاق ضمني يقضي بعدم القيام بأي اعتقالات في الداخل.

لقد تجمّد رجل جالس بجانب هاري في انحناءة منخفضة في مكانه، ورأسه متدلّ فوق الطاولة، وأصابعه السوداء تمسك بورقة سيجارة. وكان هناك عدد قليل من أعقاب السجائر المفرّغة مبعثرة في الأرجاء.

لاحظ هاري البذلة النظامية التي ترتديها امرأة ضئيلة الحجم تستبدل شموعاً ذائبة على إحدى الطاولات بأربعة أطُرٍ صور؛ في ثلاثة منها صور فوتوغرافية لأفراد، وفي الرابع صورة واسم على خلفية بيضاء. فوقف هاري وتوجّه نحو الطاولة.

"ما هذه؟" سأل.

ربما كان العنق النحيل، أو رشاقة الحركة، أو الشعر البراق الأملس أسود اللون وغير الطبيعي تقريباً، ما حمل هاري على الاعتقاد بأنها هرّ قبل أن تستدير. وقد تعزّز انطباعه هذا حين رأى وجهها الصغير، وفمها العريض على نحو غير متناسب، والأنف الأكثر أناقة بين الأنوف المماثلة لأنوف الشخصيات في مجلات القصص المصوّرة اليابانية التي يمتلكها. لم يكن باستطاعته لمسها، ولكن هناك خطباً ما في شأنها.

"تشرين الثاني/نوفمبر"، أجابت.

إن صوتها الهادئ والمنخفض واللطيف وذا الطبقة العالية حمل هاري على التساؤل عما إذا كان طبيعياً أم أسلوباً اكتسبته في الكلام. لقد سبق له أن تعرّف بنساء يُقْمَنَ بذلك، فَيُبَدِّلنَ أصواتهنَّ كما يُبَدِّلنَ ملابسهنَّ؛ صوت يستخدمه في المنزل، وصوت للانطباعات الأولى والمناسبات الاجتماعية، وآخر للصدقات الحميمة في الليل.

"ماذا تعنين؟" سأل هاري.

"مجموع وفياتنا لشهر تشرين الثاني/نوفمبر".

نظر هاري إلى الصور وأدرك ما تعنيه.

"أربع!؟" قال بصوت منخفض. كانت هناك رسالة مكتوبة بقلم رصاص بيد غير ثابتة وبحروف كبيرة أمام الصور.

"يَموتُ زبون واحد كل أسبوع كمعدل وسطي. لذا، أربع وفيات ليست أمراً خارجاً عن المألوف. إنَّ يوم الذِّكْرَى هو الأربعاء الأوّل من كل شهر. هل لديك مَنْ...؟".

فهز هاري رأسه.

"هل باستطاعتي مساعدتك بأي شيء؟" سألت.

لقد صُدم هاري بإمكانية عدم امتلاكها أي أصوات أخرى في مخزونها، باستثناء هذه النبرة المنخفضة الدافئة.

"بير هولمان..." استهلَّ هاري كلامه، غير عالمٍ كيف سيُنهي الجملة.

"مسكين بير. أجل، سنخصص له يوم ذِكرَى في كانون الثاني/يناير".

فأوماً هاري برأسه. "أول يوم أربعاء من الشهر".

"بالتحديد، ونحن نرحّب بقدمك بالتأكيد أيها الصديق".

لقد لُفِظت كلمة صديق بسهولة وتلقائية كما لو أنها مُلْحَق للجملة، وصدّقها هاري للحظات.

"أنا تحرٌّ"، قال هاري.

كان فارق الطول بينهما كبيراً جداً، لدرجة أنه كان عليها مدُّ عُنُقها لتراه بوضوح.

"سبق لي أن رأيتك - كما أعتقد - ولكن لا بد من أن تكون سنوات قد مضت على ذلك".

وأوماً هاري برأسه. "ربما. جئتُ إلى هنا مرة واحدة أو مرتين، ولكنني لم أرك".

"أعمل هنا بدوام جزئي، وأقضي بقية الوقت في المقر الرئيس لاتحاد الرعاية الاجتماعية. وأنت، هل تعمل في قسم المخدرات؟".

فهز هاري رأسه نافياً وقال: "في قسم التحقيقات حول الجرائم".
"الجرائم! ولكن بير لم يُقتل...؟".
"هل يمكننا الجلوس للحظة؟".

فترددت ونظرت حَولها.

"هل أنت مشغولة؟" سأل هاري.

"لا، أبداً. هناك هدوء على نحو غير عادي. في اليوم العادي، نقدّم 1,800 شريحة خبز. ولكن اليوم هو يوم إعانة العاطلين عن العمل".
نادت أحد الفتيان الموجودين وراء المنضدة، ووافق على الاضطلاع بشؤون المقهى. عرف هاري اسمها: مارتين. كان رأس الرجل الذي يحمل ورقة سيجارة فارغة قد انخفض قليلاً.
"هناك أمور قليلة لم يتمّ التحقق منها"، قال هاري بعد جلوسه. "أي نوع من الأشخاص كان؟".

"يصعب التحديد". وتسببت طريقة التعبير الاستجوابية التي اعتمدها هاري بجعلها تتنهد. "عندما تتعاطى المخدرات عدة سنوات، مثل بير، يتلف دماغك كثيراً لدرجة أنه يحو شخصيتك فيصبح لديك دافع قوي لارتكاب أعمال عنف".

"أعرف ذلك. ولكن، أعني... بالنسبة إلى الأشخاص الذين عرفوه جيداً...".
"آسفة، لا يمكنني المساعدة. باستطاعتك أن تسأل والد بير عما تبقى من شخصية ابنه. فقد جاء إلى هنا مرتين لاصطحابه. لقد استسلم في النهاية، وقال إن بير بدأ بتهديدهما في المنزل لأنهما يُقفلان على كل الأغراض القيّمة عندما يكون موجوداً، وطلب مني مراقبة الفتى عن كثب، فقلت له إننا نبذل قُصارى جهدنا ولكننا لا نستطيع أن نعد بالقيام بالأعاجيب... فهذا ما لم يحصل بالطبع".

كان هاري يراقبها. لم يكن وجهها يعبر عن شيء؛ باستثناء التسليم المعتاد للعاملة الاجتماعية.

"لا بد أن الوضع كان أشبه بالجحيم"، قال هاري وهو يحكّ ساقه.

"أجل. عليك أن تكون مُدمن مخدرات لتفهم الأمر".

"لا، بل أن يكون المرء والداً برأيي".

فلم تُجب مارتين. كان رجل يرتدي سترة مبطنّة وممزّقة قد اقترب من الطاولة المجاورة، وفتح كيساً شفافاً وأُفرع كومة من التبغ الجاف على الطاولة؛ لا بد أنه جمعها من مئات أعقاب السجائر، فغطت ورقة السيجارة والأصابع السوداء للرجل الجالس هناك.

تمتم الرجل بشيء ما، ثم غادر بعد قليل برفقة مدمن المخدرات
بمشية رجل مُسنّ.

"ما الذي لم يتم التحقق منه؟" سألت مارتين.
"لا تُظهر عيّنة الدم أي مواد سُمّية"، قال هاري.
"إذاً؟".

نظر هاري إلى الرجل الجالس بجانبه. كان يحاول بيأس لفّ سيجارة
ولكن أصابعه لم تكن تُطيعه، فسالت دمعة على خده البني.
"أعرف أموراً قليلة عن قيام المرء بارتكاب أعمال عنف"، قال هاري.
"هل تعرفين ما إذا كان يدين بالمال لأحد؟".
"لا". كانت إجابتها مقتضبة جداً لدرجة أن هاري عرف الإجابة عن
سؤاله التالي.

"ولكنك ربما...".

"لا، لا يمكنني الاستعلام. اسمع، هؤلاء أشخاص لا يُبالي أحد بهم. وأنا
هنا لمساعدتهم وليس لإزعاجهم".
رمقها هاري بنظرة ثابتة، ثم قال: "أنتِ مُحِقّة. أعتذر عما طلبته
منك، ولن يتكرر الأمر مجدداً".
"شكراً لك".
"سؤال أخير فقط؟".
"تفضل".

"هل...؟" وتردد هاري، متسائلاً عما إذا كان على وشك ارتكاب خطأ
فاحش. "هل تصدّقيني إذا قلتُ لك إنني أبالي؟".
فأحنت رأسها وتأمّلت هاري ثم أجابته: "هل يُفترض بي ذلك؟".
"حسناً، أنا أحقق في قضية يعتقد الجميع أن الشخص المعني فيها لا
يُبالي به أحد، وأنه انتحر عن سابق تصوّر وتصميم".
فلم تُجب.

"إنها قهوة لذيذة". ونهض.

"أنت مرحّب بك دائماً"، قالت. "وليباركك الله".

"شكراً لك"، قال هاري ذلك شاعراً باحمرار شحمتي أذنيه، وقد فاجأه
الأمر.

في طريقه إلى الخارج، توقف أمام الحارس واستدار، ولكنها كانت قد
غادرت. قدّم له رجلُ القلنسوة الكيسَ الأخضر مع الغداء الموضّب، ولكنه
رفضه، وأحكم إغلاق معطفه حوله، ثم خرج إلى الشوارع حيث تمكن من

رؤية الشمس وهي تميل إلى المغيب، محمّرةً خجلاً. سار في اتجاه أكرسلفا. وفي المنطقة المعروفة بإيكا، كان هناك رجل واقف منتصب القامة وسط ركام ثلجي، وكما سترته المبطّنة مرفوعان، فيما تتدلى إبرة من ساعده. ابتسم حين نظر مباشرةً في اتجاه هاري والضباب المتجمّد فوق غرينلاند.

6 - الاثنين، 15 كانون الأول/ديسمبر. هالفورسن

بدأت برنيل هولمان أصغر حجماً في أثناء جلوسها على كرسيها ذي الذراعين في فردننبورغيين محدقة إلى هاري بعينين كبيرتين محمرتين. كانت تضع في حضانها صورة فوتوغرافية ذات إطار زجاجي لابنها بير. "كان في التاسعة من عمره حينها"، قالت.

فاضطّر هاري لابنته لعابه بصعوبة؛ ويعود سبب ذلك جزئياً إلى تخيله أن فتى في هذه السن لا يتسم ويرتدي سترة نجاة سينتهي به الأمر ميتاً في حاوية مع رصاصة في الرأس، كما يعود السبب أيضاً إلى أن الصورة ذكّرت به بأوليغ الذي يدعوه أبي. وتساءل هاري عن المدة المطلوبة ليبدأ أوليغ بدعوة ماثياس لوند-هليغسين أبي. "اعتاد زوجي بيرغر الخروج بحثاً عن بير عندما نفقده لأيام قليلة. علماً أنني طلبتُ منه الكف عن ذلك. إذ لم أعد أستطيع تحمّل وجود بير هنا".

وكبت هاري السؤال الذي تبادر إلى ذهنه: لِمَ لا؟ فيما شرحت له برنيل أن بيرغر هولمان قصد متعهّداً دفن الموتى بعد أن مرّ بهما هاري.

ونخرت. "هل سبق لك أن تشاطرت منزلاً مع شخص مُدمن؟".

لم يُجب هاري.

"كان يسرق كل شيء تطاله يده. لقد تقبلنا الأمر؛ أي إن بيرغر قد تقبل الأمر. إنه الوالد المحبّ بيننا". وتجهّم وجهها؛ وهو ما اعتبره هاري ابتسامة.

"كان يدافع عن بير دائماً؛ حتى خريف هذا العام عندما قام بير بتهديدي".

"هل هددك؟".

"أجل، لقد هددت بقتلي". ونظرت إلى الصورة، وفركت الزجاج كما لو أنها أصبحت غير واضحة. "قرع بير الجرس ذات صباح فرفضت إدخاله. كنت بمفردي. فبكي وتوسّل، ولكن سبق لنا أن مارسنا هذه اللعبة من قبل، لذلك أصبحت قاسية الفؤاد، وعدت إلى المطبخ وجلست. لا أعرف كيف دخل وظهر فجأة هناك؛ واقفاً أمامي، ورافعاً مسدساً في وجهي".

"المسدس نفسه الذي...".

"أجل، أجل، كما أعتقد".

"تابعي".

"لقد أرغمني على فتح قفل خزانة الملابس حيث أحتفظ بمجوهراتي؛ أي القليل مما تبقى لي منها- إذ كان قد أخذ معظمها- وغادر بعد ذلك".

"وماذا عنك؟".

"أنا؟ لقد أُصبت بانهيار. جاء بيرغر واصطحبني إلى المستشفى"، ونخرتُ، "حيث رفضوا إعطائي المزيد من الحبوب، وقالوا إنني أخذتُ كمية كافية منها".

"ما نوع الحبوب؟".

"ماذا تعتقد؟ إنها حبوب مهدئة. كفى! عندما يكون لديك ابن يُبقيك مستيقظاً طيلة الليل بسبب خوفك من عودته...". وسكتت قليلاً، ووضعت قبضتها المكورة على فمها. كانت عيناها مُغرورتين بالدموع. ومن ثم همست بصوت منخفض جداً؛ لدرجة أن هاري بذل فُصاري جهده لسماع كلماتها: "أحياناً تفقد الرغبة في الحياة...".

فوجّه هاري أنظاره إلى دفتر مدوّناته. كان فارغاً.
"شكراً لك"، قال.

"ليلة واحدة ياسيدي. أليس كذلك؟" سألت موظفة الاستقبال في فندق سكانديا القائم بجانب محطة قطارات أوسلو المركزية من دون أن ترفع نظرها عن شاشة الكمبيوتر.

"أجل"، أجاب الرجل الواقف أمامها.

لقد دوّنت ملاحظة ذهنية بأنه يرتدي معطفاً بنيّاً فاتح اللون مصنوعاً من قماش وَبَرّ الجمال أم إنه نسيج مقلّد.

كانت أظفارها الطويلة الحمراء تتحرك بسرعة فوق لوحة المفاتيح كصراير مذعورة أو كجمال في النرويج الباردة. لِمَ لا؟ لقد رأت صور جمال في أفغانستان، وكتب لها صديقها يقول إن البرد قارس هناك.

"هل ستدفع نقداً أم بواسطة بطاقة ائتمان ياسيدي؟".

"نقداً".

ودفعت نحوه فوق المنضدة استمارة الحجز مع قلم، وطلبت رؤية جواز سفره.

"لا حاجة لذلك"، أجاب. "سأدفع الآن".

كان يتكلم الإنكليزية كما لو أنه بريطاني. ولكن هناك أمراً ما في

شأن طريقته في لفظ الحروف الساكنة؛ مما حملها على الظن بأنه أوروبي شرقي.

"لا يزال يتعين عليّ رؤية جواز سفرك ياسيدي. إنها قوانين دولية". فأوماً برأسه مُسَلِّماً بذلك، ومرّر لها ورقة نقدية من فئة ألف كرون مع جواز سفره. جمهورية هرفاتسكا! ربما هي إحدى الدول الجديدة في الشرق. أعطته ما تبقى من المال، ووضعت الورقة النقدية في صندوق النّقد، وذكّرت نفسها بضرورة التحقق منها تحت الضوء بعد مغادرة ضيف الفندق. لقد اجتهدت للتصرف بأسلوب محدّد، علماً أنها تعمل في أحد فنادق الدرجة الدنيا في المدينة. لم يكن هذا الضيف يبدو محتالاً، بل... حسناً، كيف يبدو في الواقع؟ أعطته البطاقة البلاستيكية وخُطبةً طويلة عن الطابق، والمصعد، والفتور، وأوقات المغادرة.

"هل هناك شيء آخر ياسيدي؟". صدحت؛ واثقةً من أن لغتها الإنكليزية وطريقتها في تقديم الخدمات على مستوى جيد مقارنة مع مستوى هذا الفندق. فهي تسعى للانتقال إلى مكان أفضل بعد فترة قصيرة. تنحج وسأل عن مكان وجود أقرب حجرة هاتف. فشرحت له قائلةً إن باستطاعته الاتصال من غرفته، ولكنه هز رأسه رافضاً.

كان عليها التفكير. فوجود الهاتف المحمول يعني عملياً أن معظم حُجرات الهاتف في أوصلو قد أُزيلت، ولكن ربما لا تزال هناك حجرة هاتف في مكان قريب في جرنبايتورغت؛ الميدان القائم خارج محطة القطارات. وبالرغم من وجوده على بُعد مئة متر فقط، أخرجت خارطة صغيرة، ووضعت علامة عليها، وزوّدته بالتوجيهات كما يفعل الموظفون في فندقَي راديسون وتُشويس. وحين حدّقت إليه للتحقق مما إذا كان قد فهم، شعرت بالارتباك للحظات من دون أن تعرف السبب.

"نحن في مواجهة بقيّة العالم ياهاالفورسن!".
صاح هاري بتحيّته الصباحية المعهودة في أثناء اندفاعه إلى مكتبه.
"هناك رسالتان"، قال هالفورسن. "عليك التقدم بتقرير لمكتب البيي أو بي الجديد. واتصلت امرأة وسألت عنك، صوتها صاعق".
"آه!". رمى هاري معطفه في اتجاه المِشجَب، فسقط على الأرض.
"واو"، هتف هالفورسن من دون تفكير. "لقد نجحت أخيراً، أليس كذلك؟".

"أستميحك عُذراً؟".

"لقد رميت معطفك في اتجاه المشجب مجدداً، وقلت نحن في مواجهة بقيّة العالم! لم تفعل ذلك منذ تخلي راييل...".

وصمت هالفورسن حين رأى التعبير المحذرة على وجه زميله.

"ما الذي كانت السيدة تريده؟".

"تمرير رسالة. اسمها..." وبحث هالفورسن في دفتر المدونات أمامه. "...

مارتين إكهوف".

"لا أعرفها".

"إنها تعمل في مقهى لايتهاوس".

"آه!".

"قالت إنها أجرت تحقيقات حول الموضوع، ولم يسمع أحد أي شيء

عن كون بير هولمان مديناً بالمال لأي شخص".

"حسناً، ربما ينبغي عليّ الاتصال بها والتحقق مما إذا كان هناك أي

شيء آخر".

"آه! لا بأس. حسناً".

"لماذا تبدو متفاجئاً؟". وانحنى هاري للتقاط معطفه، ولكنه ارتداه

بدلاً من تعليقه وقال: "هل تعرف أيها المبتدئ؟ عليّ الخروج مرة أخرى".

"ولكن البيي أو بي...".

"... سيتوجب عليه الانتظار".

كانت البوابة المؤدية إلى منطقة الحاويات مفتوحة، ولكنه رأى لافتة

على السياج تمنع الدخول وتوجّه مسار العربات إلى موقف السيارات في

الخارج. حك هاري ساقه المتضررة، وألقى نظرة سريعة على المنبسط المفتوح

والممتد بين الحاويات، ثم دخل بسيارته. كان مكتب حارس المبنى منخفضاً،

وأشبه بإحدى سقائف الحرّفي مولفّن القائمة على مسافات متماثلة. لم يكن

التشبيه بعيداً عن الواقع. ركن هاري سيارته أمام المدخل، واجتاز الأمتار

المتبقية بسرعة سيراً على الأقدام.

اتكأ الحارس الجالس على كرسيه إلى الورا صامتاً ويده وراء رأسه،

ماضغاً عود ثقاب في أثناء قيام هاري بتقديم شرح له حول سبب وجوده

هناك، وعمّا حدث في الليلة السابقة.

كان عود الثّقاب هو الشيء الوحيد المتحرك في وجه الحارس. ولكن،

بدا لهاري أنه ملح ما يشبه ابتسامة عريضة على وجهه فيما كان يخبره

عن المشاحنة التي حدثت مع الكلب.

"إنه مِتَزِنِرِ أسود"، قال الحارس. "نسيب الكلب الروديسي. نحن محظوظون باستيراده. إنه كلب حراسة عظيم وهادئ أيضاً."
"لاحظتُ ذلك".

كان عود الثُّقَاب يقفز مَرَحاً. "المِتَزِنِرِ صياد لذلك يتسلل خلف الطريدة، غير راغب في إخافتها".

"هل تقول إن الكلب كان يعتزم... التهامي؟".

"يعتمد الأمر على ما تعنيه بالالتهام".

لم يتطرق الحارس إلى أي تفاصيل، بل حدّق إلى هاري بوجه خالٍ من أي تعبير، ويداه المتشابكتان تشكلان إطاراً حول رأسه. فحاول هاري معرفة ما إذا كانت يداه كبيرتين على نحو غير عادي، أم إنه يملك رأساً صغيراً على نحو غير عادي.

"إذاً، أنتَ لم ترَ أو تسمع أي شيء، أليس كذلك؟ لأننا نفترض أن بير هولمان قد تعرّض لطلق نارٍ".

"تعرّض لطلق نارٍ!".

"قتل نفسه. هل لديك أي معلومات؟".

"يبقى الحارس في الداخل في الشتاء، والمِتَزِنِرِ هادئ كما قلتُ".

"ألا تعتبر أن ذلك غير طبيعي؟ أعني أن أحداً لم يتنبّه لما جرى؟".

فهز الحارس كتفيه. "نحن نقوم بعملنا، ولا يتضمّن ذلك الخروج".

"لم يُمسك ببير هولمان عندما تسلل إلى الداخل".

"إنها منطقة كبيرة".

"وفي وقت لاحق؟".

"أتعني الجثة؟ كانت متجمّدة، أليس كذلك؟ والمِتَزِنِرِ ليس مولعاً بالجثث؛ فهو يحب اللحم الطازج".

هز هاري كتفيه. "يورد تقرير الشرطة أنك لم ترَ هولمان هنا من قبل قط".

"صحيح".

"لقد ذهبْتُ لرؤية والدته فأقرضتني صورة العائلة هذه".

ووضع هاري الصورة على طاولة الحارس. "هل يمكنك أن تُلقني نظرة

عليها وتُقسم لي إنه لم يسبق لك أن رأيت هذا الشخص؟".

وجّه الحارس نظره إلى الأسفل، ونقل عود الثُّقَاب إلى زاوية فمه

ليجيب، ومن ثم توقف. وانتقلت يداه من وراء رأسه إلى الأمام والتقطتا الصورة، وتأمّلها مطوّلاً.

"أنا مُخطئ. لقد رأيته. كان ذلك في فصل الصيف. لم يكن من السهل تمييز... ما يوجد في الحاوية".
"أقدر لك ذلك".

وعندما وقف هاري عند المدخل ليغادر بعد بضع دقائق، فتح الباب قليلاً في بادئ الأمر وتحقق، فابتسم الحارس ابتسامة عريضة.
"إنه يوضع في مكان مُغلق في النهار. وبأي حال، إن أنياب المتزير عريضة، وسيُشفى الجرح بسرعة. كنت أفكر في شراء كلب تزيّر من كنتاكي ذي أنياب مسنّنة تنتزع قطع اللحم من الجسد. لقد كنت محظوظاً أيها المفتش".

"حسناً"، قال هاري، "من الأفضل لك أن تُبلغ فيدو أن هناك سيّدة في طريقها إلى هنا لإعطائه شيئاً آخر ليعضّه".

á á á

"ماذا؟". سأل هالفورسن، محرّكاً السيارة بعناية بجانب جرّافة ثلج.
"شيء ما طريّ"، قال هاري. "نوع من الصلصال. بعد ذلك، ستضع بتي وفريقها الصلصال في الجصّ. وبعد أن يجفّ، ستحصل على مجسم لـ"كلب".

"حسناً. وهل يُفترض بذلك أن يُثبت أن بير هولمان قد قُتل؟".
"لا".

"ظننتُ أنك قلت...".

"قلتُ إن ذلك ما أحتاج إليه لأثبت أنه قُتل. إنها الصلة المفقودة في سلسلة الأدلّة".

"لقد فهمتُ. وما هي الصلّات الأخرى؟".

"العاديّة منها؛ الدافع، سلاح الجريمة، والفرصة المناسبة. استدر هنا بالذات".

"لا أعرف. قلتُ إن شُبّهاتك تركز على قيام هولمان باستخدام مقرضة أسلاك لدخول منطقة الحاويات؟".

"قلتُ إن ذلك ما حملني على التساؤل. ولأكون دقيقاً، تساءلتُ عن كيفية تمكّن مدمن على المخدرات فاقد صوابه ويبحث عن ملجأ له في حاوية أن يكون متنّبهاً بما فيه الكفاية إلى ضرورة أخذه مقرضة أسلاك معه للمرور عبر البوابة. حينئذٍ، ألقيت على القضية نظرة متفحّصة. باستطاعتك ركن السيارة هنا".

"ما لا أفهمه هو كيفية تمكّنك من الادعاء أنك تعرف المذنب".

"لقد اكتشفتُ ذلك يا هالفورسن. ليس الأمر صعباً، فكل الوقائع تشير إليه".

"أكره الأمر عندما تقوم بذلك".

"ما أريده هو أن تصبح بارعاً".

ألقى هالفورسن نظرة سريعة على زميله الأكبر سنّاً للتحقق مما إذا كان يمازحه، ثم خرجا من السيارة.
"ألن تُقفل السيارة؟" سأل هاري.

"لقد تجمّد القفل في الليلة الماضية، وانكسر المفتاح فيه هذا الصباح. منذ متى تعرف هوية المذنب؟".
"منذ فترة قصيرة".

وعبرا الشارع.

"معرفة هوية المذنب هي الجزء الصغير السهل في معظم الحالات. إنه المرشح الواضح دائماً: الزوج، أفضل صديق، من أصحاب السوابق، وليس رئيس الخدم أبداً. فالمشكلة لا تكمن هنا، بل في إثبات ما يُنبئك به عقلك وفطرتك". وضغط هاري على الجرس بجانب كلمة هولمان. "هذا ما سنقوم به الآن: العثور على الجزء الصغير الذي حوّل كما يبدو معلومات غير مترابطة إلى سلسلة مكتملة من الأدلة".

وطقطق صوت عبر مكبّر الصوت: "جا".

"نحن من الشرطة. هاري هول. هل يمكننا...؟".

وأزّ القفل.

"الأمر برمّته مرتبط بسرعة التحرك"، قال هاري. "تُحلّ معظم قضايا القتل في الساعات الأربع والعشرين الأولى؛ وإلا فلن تُحلّ أبداً".

"شكراً. لقد سمعتُ ذلك من قبل"، قال هالفورسن.

كان بيرغر هولمان واقفاً في أعلى السلم بانتظارهما.

"ادخلا"، قال ذلك وتقدّمهما إلى غرفة الجلوس. كانت هناك شجرة

عارية بجانب باب الشرفة.

"زوجتي نائمة"، قال قبل أن يتمكن هاري من طرح السؤال.

"سنهمس"، قال هاري.

وأطلق بيرغر هولمان ابتسامة حزينة. "لن تستيقظ".

فألقي هالفورسن نظرة سريعة على هاري.

"حسناً"، قال المفتش. "هل تناولت عقّاراً مهدئاً؟".

أوماً بيرغر هولمان برأسه وقال: "غداً موعد الجنازة".

"أجل، بالطبع، إنه أمر مُضنّ. حسناً، شكراً لك لإقراضي هذه". ووضع هاري الصورة الفوتوغرافية على الطاولة. إنها لبير هولمان الذي كان جالساً على كرسيّ، فيما والدته ووالده يقفان إلى جانبيه؛ إنه محميّ أو مُحاصر، وفقاً لكيفية رؤية الصورة. وتلا ذلك صمت تام مع عدم تفوّه أحد بأي كلمة. حكّ بيرغر هولمان ساعده من فوق قميصه، فيما تلوّى هالفورسن على كرسيّه، وانحنى إلى الأمام ومن ثم عاد إلى الورااء.

"هل تعرف الكثير عن الإدمان على المخدرات ياسيد هولمان؟". سأل هاري من دون أن يرفع نظره.

قطّب بيرغر هولمان جبينه وأجاب: "تناولت زوجتي حبة منومة واحدة. وهذا لا يعني...".

"لا أتكلّم عن زوجتك. ربما يكون بإمكانك إنقاذها. أنا أتكلّم عن ابنك".

"يعتمد الأمر على ما تعنيه بكلمة تعرف. كان مُدمناً على الهيروين. لقد جعله الأمر تعيساً". كان سيقول أمراً آخر ولكنه صمت قليلاً، وتفحص الصورة على الطاولة. "لقد جعلنا كلنا تعساء".

"لا أشك في ذلك. ولكن، إذا كنت تعرف أي شيء عن الإدمان على المخدرات، لعرفت أن الأولوية تكون له على حساب كل شيء آخر".

فارتجف صوت بيرغر هولمان على الفور من شدة العَيْظ. "هل تقول إنني لا أعرف ذلك أيها المفتش. هل تقول... إن زوجتي هي... هو..." ولكن الدموع خنقت صوته. "... والدته...".

"أعلم"، همس هاري. "ولكن المخدرات تأتي قبل الأمهات. تأتي قبل الآباء. تأتي قبل الحياة". وأخذ هاري نفساً عميقاً قبل أن يتابع: "وتأتي قبل الموت".

"أنا مُنْهَك أيها المفتش. ماذا تريد؟".

"تُظهر التحاليل أنه لم تكن هناك أي مادة مخدرة في دمه عندما توفّي. لذلك، كان في وضع سيئ. وعندما يكون مُدمنو المخدرات على تلك الحال، تكون الحاجة إلى الخلاص قوية جداً؛ لدرجة تهديدهم أمهاتهم للحصول على المخدرات. والخلاص بالنسبة لهم ليس رصاصة في الرأس، بل حُقنة في الذراع، أو العُنُق، أو الأريّة، أو أي مكان آخر باستطاعتك العثور على وريد فيه لم يتم استخدامه بعد لإجراء الحُقن. لقد عُثر على ابنك وعدّته وكيس الهيروين في جيّبه ياسيد هولمان. لذا، ما كان ليُطلق النار على نفسه. المخدرات تأتي قبل كل شيء كما قلت، وقبل...".

"الموت". كان رأس بيرغر هولمان لا يزال بين يديه، ولكن صوته كان شديد الوضوح. "إذًا، أعتقد أن ابني قد قُتل؟ لماذا؟".
"كنت آمل أن يكون باستطاعتك إخبارنا".

فلم يُجب بيرغر هولمان.
"هل حدث ذلك لأنه هَدَّدها؟". سأل هاري. "هل حدث ذلك لتتعم زوجتك بالطمأنينة؟".

فرفع هولمان رأسه. "ما الذي تحدثت عنه؟".
"وفقاً لتقديري، لقد انتظرت في محيط بلازا. وعندما حضر، تبعته بعد أن اشترى حاجته من المخدرات، واصطحبته إلى منطقة الحاويات التي يقصدها أحياناً عندما لا يكون لديه مكان آخر يقصده".
"كيف لي أن أعرف ذلك؟! هذا الأمر فظيح. أنا...".
"بالطبع كنت تعرف. لقد أريت هذه الصورة الفوتوغرافية للحارس أيضاً، وتمكن من تمييز الشخص الذي كنت أسأل عنه".
"بير؟".

"لا، أنت. كنت هناك في هذا الصيف تسأل عما إذا كان بإمكانك البحث عن ابنك في الحاويات".
فحدّق هولمان بهاري الذي تابع:

"لقد خططت لكل شيء. مقرضة الأسلاك التي ستستعملها للدخول، والحاوية الفارغة؛ وهي مكان ملائم ليقوم مُدمن على المخدرات بإنهاء حياته فيها، وحيث لا يمكن لأحد أن يسمع شيئاً أو يراك وأنت تُطلق النار عليه بالمسدس الذي يمكن لوالدة بير أن تشهد أنه له".

تأمل هالفورسن بيرغر هولمان وهو على أتم الاستعداد، ولكن هولمان لم يَقُمْ بأي حركة، بل كان يتنفس من أنفه بصعوبة ويحك ذراعه فيما كان يحدق إلى الفضاء.

"لا تستطيع أن تثبت أيّاً من هذه الادعاءات". قال ذلك بنبرة مُدعنة؛ كما لو أنه أمر واقعٌ ندم عليه.

فقام هاري بإيماءة تصالحية. وفي فترة الصمت التي تلت، كان باستطاعتهم سماع نباح مرتفع في الشارع.

"سيستمر شعورك بالحاجة إلى الحكاك، ولن يتوقف. أليس كذلك؟".
قال هاري.

فتوقف هولمان عن الحكّ على الفور.

"هل يمكننا رؤية ما يثير الحكاك لديك إلى هذه الدرجة؟".

"لا أهمية للأمر".

"يمكننا القيام بذلك هنا أو في مركز الشرطة. إنه خيارك ياسيد هولمان".

ازدادت حدة النُّباح. وانتاب هالفورسن شعور بحدوث انفجار وشيك.

"حسناً"، همس هولمان وفكَّ أزرار كمّه رافعاً إياه.

كانت هناك جُساتان * صغيرتان، والجلد حولهما أحمر ملتهب.

"أدر ذراعك"، أمر هاري.

كانت هناك جُساة مماثلة في الأسفل.

"إنها تثير الحكاك كثيراً. إنها عضّات كلب، أليس كذلك؟". قال هاري.

"لا سيما عندما بدأت تشفى بعد مرور ما بين عشرة أيام وأربعة عشر

يوماً على التعرّض لها. لقد أبلغني طبيب في أيه أند إي أنه يجب عليّ

التوقف عن الحُكاك. كان يُفترض بك القيام بذلك أيضاً ياسيد هولمان".

فحدّق هولمان إلى قروحه من دون أن يراها. "هل يُفترض بي

ذلك؟".

"البشرة مثقوبة في ثلاثة أماكن. باستطاعتنا إثبات أن كلباً محدّداً في

منطقة الحاويات قد قام بعضك. لدينا مجسم لفكّه السفلي. أمل أن تكون

قد تمكنت من الدفاع عن نفسك".

فهز هولمان رأسه. "لم أشأ... أردتُ فقط أن تشعر بأنها غير مقيّدة".

وتوقف النُّباح في الشارع فجأةً.

"هل ستعترف؟". سأل هاري مشيراً لهالفورسن الذي وضع يده في

جيبه الداخلي باحثاً عن قلم وورقة، ولكن من دون جدوى. فأعطاه هاري

دفتر مدوّناته الخاص.

"قال إنه شديد الحقارة"، قال هولمان، "وإنه لا يستطيع مواصلة ذلك

ويريد الاستسلام حقاً. لذلك، بحثتُ في الأرجاء، وعثرت له على غرفة في

نُزل اتحاد الرعاية الاجتماعية. سرير وثلاث وجبات في اليوم لقاء ألف

ومئتي كرون في الشهر، وحصل على وعد بتأمين مكان له في مشروع

الميتادون. كان عليه الانتظار شهرين فقط. ولكنني لم أعرف عنه شيئاً بعد

ذلك. وعندما اتصلتُ بالنُّزل، أبلغوني أنه فرّ خلسةً من دون دفع الإيجار،

و... حسناً، وعاد إلى هنا مرة أخرى، مع المسدس".

"هل اتخذت قرارك حينها؟".

"كان شخصاً مَيّتاً. لقد سبق لي أن فقدتُ ابني، ولم أستطع السماح

له باصطحابها معه".

"كيف عثرتَ عليه؟".

"لم يكن في بلاتا، بل كان في إيكّا. قرّرت أن أعرض عليه شراء المسدس منه. كان يحمله وأراني إيّاه. لقد أراد المال على الفور، ولكنني قلت له إنني لا أملك مالاً كافياً. كان يُفترض به أن يقابلني في مساء اليوم التالي عند البوّابة في الناحية الخلفية لمنطقة الحاويات. كما تعلم، أنا سعيد في الواقع لأنك... لأنني...".

"ما هو المبلغ؟" قاطعه هاري.

"ماذا؟".

"ما هو المبلغ الذي كان عليك دفعه؟".

"خمسة عشر ألف كرون".

"و...".

"جاء. وثبّت أنه لا يملك أي ذخيرة للمسدس. لم يكن يملك ذخيرة قطّ كما قال".

"ولكن، لا بد من أن تكون قد حصلتَ على تلميح بأنه من عيار منتشر الاستعمال، واشتريت بعض الذخائر؟".

"أجل".

"هل دفعتَ له أولاً؟".

"ماذا؟".

"انس الأمر".

"عليك أن تفهم أن برنيل وأنا لسنا الوحيدين اللذين عانيا من ذلك فقط. فبالنسبة إلى بير، كان كلُّ يوم يمرّ امتداداً لمعاناته. كان ابني شخصاً ميّناً ينتظر... قيام أحدهم بإيقاف قلبه الذي لا يتوقف عن الخفقان. ينتظر... ينتظر...".

"النجاة".

"أجل، كان ينتظر طوق النجاة".

"ولكنها ليست مهمتك ياسيد هولمان".

"لا، ليست كذلك". وأحنى هولمان رأسه وتمتم أمراً ما.

"ماذا؟". سأل هاري.

رفع هولمان رأسه، ولكن عينيّه كانتا تحدّقان إلى الفضاء الفارغ. في الشارع، كان غَسَقُ بَنِي قد لَفَّ الأضواء الصفراء. فالظلمة لا تكون تامة أبداً في منتصف ليل أوصلو عندما تُثلج، ويتم حجب الضوضاء بواسطة حشوات قطنية، ويبدو صوت الثلج تحت الأقدام كألعب نارية بعيدة.

"لماذا لم نصطحبه معنا؟" سأل هالفورسن.
"لن يغادر إلى أي مكان. لديه ما يخبر زوجته به. سنرسل سيارة في
غضون ساعتين".

"إنه يجيد التمثيل، أليس كذلك؟".
"ماذا؟".

"حسناً، ألم يصبح في حالة يرثى لها عندما حملت له نبأ وفاة ابنه؟".
فهز هاري رأسه مسلماً بذلك وقال: "عليك تعلم الكثير أيها المبتدئ".
فركل هالفورسن الثلج منزعجاً. "أنرني أيها الحكيم".
"إن من يرتكبون جريمة قتل بهذه الطريقة المتطرفة يحملون هذا
الأمر معهم كما لو أنه كابوس من نوع ما منسي جزئياً. لقد صادفت ذلك
عدة مرات. فعندما يُجاهرون بما قاموا به يدركون أنه ليس أمراً موجوداً
في رأسهم فقط، بل حدث في الواقع".
"حسناً. إنه شخص بارد بأي حال".

"ألم تلاحظ مدى انسحاق الرجل؟! ربما كانت برنيل مُحِقَّة عندما
قالت إن زوجها هو الوالد المُحِب".
"مُحِب! إنه القاتل!". وارتعش صوت هالفورسن غضباً.
فوضع هاري يده على كتف التحري وقال: "فكر في الأمر جيداً".
"ولكن...".

"أعرف ما تفكر فيه يا هالفورسن. ولكن، سيتوجب عليك التعود على
الفكرة. إنه نوع من المفارقات المعنوية التي ستملاً أيامك".
سحب هالفورسن باب السيارة غير المقفول، ولكنه كان قد تجمّد
بسرعة، فجذبه في نوبة غضب فجائية وفصله عن إطاره المطاطي، مُحدثاً
صوت اقتلاع.

دخلا السيارة، وراقب هاري هالفورسن وهو يدير المفتاح ويضغط
بيده على جيبيه بقوة. وهدر المحرك.
"هالفورسن...". شرع هاري بالكلام.

"بأي حال، حُلَّت القضية، وسيكون البيبي أو بي سعيداً". صاح
هالفورسن متجاوزاً شاحنة ومُطلقاً بوق السيارة بقوة. ورفع إصبعه أمام
المرأة. "إذاً، لنبتسم ونحتفل قليلاً، هلاً فعلنا ذلك". ثم أنزل يده وواصل
الضغط على جيبيه.
"هالفورسن...".

صاح هالفورسن: "ماذا هناك؟".

"أركن السيارة".

"ماذا؟".

"الآن".

توقف هالفورسن عند حافة الرصيف، وأفلت عَجَلَة القيادة، ووجه نظره إلى الأمام بعينين خاليتين من أي تعبير. فعندما كانا مع هولمان، تراكم الجليد على زجاج السيارة الأمامي كما لو أنه هجوم فطريّ مفاجئ. كان هالفورسن يئزّ في أثناء تحرك صدره صعوداً ونزولاً.

"في بعض الأيام، يكون هذا العمل مُرهقاً للجسد والنفس"، قال هاري. "لا تدعه يؤثر فيك".

"لا". قال هالفورسن وهو يتنفس بصعوبة أكبر.

"أنت من أنت، وهم من هم".

"أجل".

ووضع هاري يده على ظهر هالفورسن وانتظر. بعد قليل، شعر بأن تنفس زميله قد هدأ.

"شخص قاسٍ"، قال هاري.

ولم يتفوه أيّ منهما بأي كلمة فيما كانت السيارة تشقّ طريقها ببطء عبر حركة مرور بعد الظهر في اتجاه غرونلاندر.

7 - الاثنين، 15 كانون الأول/ديسمبر. الاستعداد

وقف في أعلى مكان في شارع المشاة الأكثر اكتظاظاً في أوسلو المدعوّ تيمناً بالملك السويدي- النرويجي كارل جوهانز. كان قد حفظ غيباً الخارطة التي تم إعطاؤه إيّاها في الفندق، وعرف أن المبنى الذي رآه صورةً ظلّية إلى الغرب هو القصر الملكي، وأن محطة قطارات أوسلو المركزية تقع في طرفه الشرقي.

ارتعد.

وفي أعلى جدران أحد المباني علّق ميزان حرارة أشار الضوء الأحمر الوامض فيه إلى أنّ درجة الحرارة تقلّ عن الصفر. واخترق تيار هوائي خفيف وجليدي معطفه المصنوع من قماش وَبَر الجمال، وكان حتى تلك اللحظة لا يزال سعيداً بالمعطف الذي اشتراه في لندن بسعر زهيد.

كانت الساعة الموجودة بجانب ميزان الحرارة تشير إلى السابعة مساءً، فشرع بالسير في اتجاه الشرق. إن البشائر جيدة: الظلام دامس، وهناك عدد كبير من الأشخاص، وكاميرات المراقبة الوحيدة التي رآها موجودةً خارج المصارف، وموجهةً نحو آلات الصّرف الآلي مباشرةً. لقد استثنى من مسار فراره المنطقة تحت الأرض بسبب وجود عدد كبير من الكاميرات فيها وعدد قليل من الناس. فأوسلو أصغر حجماً مما تصوّر.

دخل متجر ملابس حيث عثر على قبعة صوفية زرقاء بسعر 49 كروناً، وسترة صوفية بسعر 200 كرون، ولكنه غير رأيه عندما رأى معطف مطر رقيقاً بسعر 120 كروناً. وعندما كان يجرب المعطف في حُجيرة لتغيير الملابس، اكتشف أن الأقراص المزيلة للرائحة التي اصطحبها معه من باريس لا تزال في جيب سترته ولكنها مسحوقة، وقد تسرّب السائل إلى داخل النسيج.

كان المطعم على بُعد مئات عدة من الأمتار داخل منطقة المشاة وعلى الجانب الأيسر. لاحظ على الفور عدم وجود أي شخص في غرفة الملابس. جيد، من شأن ذلك أن يجعل الأمور أكثر سهولة. دخل منطقة الطعام التي كانت ممتلئة جزئياً. ومن مكان وقوفه، تمكن من رؤية الجميع وكل الطاولات. وحين دنا منه نادل، حجز طاولة قرب النافذة للساعة السادسة من مساء اليوم التالي.

وقبل المغادرة، تحقق من الحّمّام. لا نوافذ. إذًا، المخرج الآخر الوحيد هو عبر المطبخ. حسناً، ليس هناك مكان مثالي، ومن غير المحتمل أن يكون

بحاجة إلى مخرج بديل.

غادر المطعم، ونظر إلى ساعته، وشرع بالسير في اتجاه محطة القطارات. كان الناس يتجنبون إقامة تواصل بصري معه. إنها مدينة صغيرة، ولكنها لا تزال تتّصف بعدم الاكتراث الفاتر الذي تمتاز به العواصم؛ هذا جيد.

تحقق من ساعته مجدداً في أثناء وقوفه على المنصة الخاصة بالقطار السريع المتوجّه إلى المطار. إنها على بُعد ست دقائق من المطعم، والقطارات تغادر كل عشر دقائق، ويتطلّب وصولها إلى المطار تسع عشرة دقيقة. بكلمات أخرى، يمكنه أن يكون على متن القطار عند الساعة السابعة وعشرين دقيقة، وفي المطار عند الساعة وأربعين دقيقة. وستُقلع الطائرة المتجهة إلى زغرب مباشرة عند الساعة عشرة دقائق مساءً. والتذكّرة في جيبه وقد اشتراها من أس أيه أس بموجب عرض خاص.

مكتفياً بذلك، غادر محطة القطارات الجديدة التي باتت تحتوي على متاجر، وخرج إلى الميدان المفتوح. إنه ميدان جرنبايتورغت كما يرد اسمه في الخارطة، ويوجد في وسطه - بين السكك الحديدية والسيارات والناس - تمثال ممر بضعف الحجم الطبيعي. ولكنه لم يتمكن من رؤية حُجيرة هاتف في أي مكان. وفي آخر الميدان، كان هناك حشد من الناس، فاقترّب. كان العديد منهم يتحدثون ورؤوسهم المكسوة بقلنسوات يلامس أحدها الآخر. ربما قدّموا من مكان واحد، أم إنهم جيران ينتظرون الحافلة نفسها. ولكن ذلك ذكره بأمر آخر؛ رأى أشياء تتناقلها الأيدي، ورجالاً نحيلين يبتعدون مسرعين في مهبّ الريح القارسة وقد أحنوا ظهورهم. وعرف ماهية هذه الأشياء. كان قد شهد عقد صفقات هيروين في زغرب ومدن أوروبية أخرى، ولكنها لم تكن تُعقد بشكل علنيّ كما هو الحال هنا. وتذكّر بعد ذلك الأمر الذي ذكره به مشهد الحشد؛ تذكر تجمّعات الناس التي كان جزءاً منها بعد انسحاب الصرب؛ اللاجئين.

ومن ثم وصلت حافلة بيضاء وتوقفت، وفُتحت الأبواب من دون أن يستقلّ أحد الحافلة، ولكن فتاة خرجت منها مرتدية بذلة عرفها في الحال. إنها خاصة باتحاد الرعاية الاجتماعية فأبطأ.

توجّهت الفتاة نحو إحدى النساء وساعدتها على الصعود إلى متن الحافلة، وتبعها رجلان.

فتوقف ورفع نظره. إنها مصادفة - قال لنفسه - واستدار ورأى ثلاثة أجهزة هاتف هناك على جدار برج الساعة.

وبعد خمس دقائق، اتصل بزَغرب وأخبرها أن كل شيء يبدو جيداً.
"المهمة الأخيرة"، كرر.

وأبلغته فُريد أن أُسوده الزُّرق - دينامو زَغرب - يتفوقون على ريجيكا في إستاد ماكسيمار بنتيجة 0-1 في الشوط الأول.
لقد بلغت تكلفة المكاملة الهاتفية خمسة كرونات. كانت ساعة البرج تشير إلى الساعة وخمس وعشرين دقيقة، وبدأ العد التنازلي.

á á á

التقى أفراد المجموعة في قاعة دار عبادة فِستِه آكر. كانت أكُداس الثلوج مرتفعة على جانبي الطريق الحَصوية المؤدية إلى المبنى الصغير المبني بالآجر، والقائم على المنحدر بجانب المقبرة. جلس أربعة عشر شخصاً في قاعة اجتماعات، حيث كُذست كراسٍ بلاستيكية بمحاذاة الجدران. وإذا زَلت بكم أقدامكم ودخلتم الغرفة فسيُخيل إليكم أنها جمعية عامة لتعاونية ما من دون أن تُفيد الوجوه أو الأعمار أو الجنس أو الملابس بمزيد من المعلومات عن هذه الجمعية. كان الضوء المزعج منعكساً على زجاج النوافذ وأرضية اللينوليوم، وهناك تمتات منخفضة وحركات عصبية وصوت قنينة مياه معدنية من ماركة باريس وهي تُفتح...

عند الساعة السابعة تماماً توقفت الثرثرة، مع رفع يدٍ في آخر الطاولة وقرع جرس صغير. فاستدارت العيون نحو امرأة في أواسط العقد الثالث من العمر، رمقتهم بنظرة محدّقة مباشرة لا تعرف الخوف. كانت شفتاها صارمتين ومطليتين بأحمر الشفاه. أما شعرها فأشقر طويل وكثّ ومثبت بمشبك، ويدها كبيرتان وموضوعتان على الطاولة بطريقة تعبّر عن ثقته بنفسها. كانت ملامح وجهها جذابة، ولكنها لم تكن مثال المرأة التي يعتبرها النرويجيون جميلة. أمّا لغة جسدها فتدلّ على السيطرة والقوة البارزتين في صوتها الحازم الذي ملأ الغرفة الباردة في الدقيقة التالية.

"مرحباً، أَدعى أستريد وأنا مُدمنة على الشراب".

"مرحباً يا أستريد!". أجاب المحتشدون في آن واحد.

وضعت أستريد الكتاب أمامها وشرعت بالقراءة.

"إن الأمر الوحيد المطلوب لعضوية أيه أيه هو الرغبة في التوقف عن

احتساء الشراب".

وواصلت الكلام، فيما كانت شفاه أولئك الجالسين حول الطاولة الذين يعرفون القواعد الاثنتي عشرة تتحرك بشكل تلقائي. وفي فترات الاستراحة، عندما تتوقف قليلاً لالتقاط أنفاسها، كان من الممكن سماع الكورس وهو

يتمرن في الطابق العلوي.

"موضوعنا اليوم هو الخطوة الأولى"، قالت أستريد، "التي تتطلب منا الإقرار بأننا ضعفاء حيال الشراب، وأنه لم يعد بإمكاننا السيطرة على حياتنا. يمكنني البدء، ولن يطول الأمر بما أنني أعتبر نفسي منتهية من الخطوة الأولى".

وأخذت نفساً عميقاً وأطلقت ابتسامة مقتضبة.

"أقلعتُ عن احتساء الشراب منذ سبع سنوات. وأول أمر أقوم به عندما أستيقظ من النوم هو إخبار نفسي أنني مُدمنة سابقة. أبنائي لا يعرفون ذلك. فهم يعتقدون أن والدتهم اعتادت الإفراط في احتساء الشراب، وقد أقلعت عن ذلك لأنها تصبح شديدة الغضب عندما تحتسي الشراب. تتطلب حياتي مقداراً ملائماً من الحقيقة ومقداراً ملائماً من الأكاذيب لتحقيق التوازن. ربما تخور قواي، ولكنني أعيش كل يوم بيومه وأتجنب الجرعة الأولى، وأعمل في الوقت الحاضر على الخطوة الحادية عشرة. شكراً لكم".

"شكراً لك يا أستريد"، قال الأعضاء المجتمعون، وتلا ذلك تصفيق في أثناء إنشاد الكورس في الطابق الأول.

أومأت برأسها إلى رجل طويل القامة، ذي شعر أشقر قصير، جالس إلى يسارها.

"مرحباً، أدعى هاري"، قال الرجل بصوت خشن. وكانت شبكة أوردته الحمراء على أنفه الكبير تشهد على حياة طويلة قضاها في الإدمان على الشراب. "أنا مُدمن على الشراب".
"مرحباً يا هاري".

"أنا جديد هنا. إنه لقائي السادس، أو السابع، وقد أنهيت للتو الخطوة الأولى. بكلمات أخرى، أعرف أنني مُدمن على الشراب، ولكنني أعتقد أن باستطاعتي احتواء إدماني. فجلوسي هنا إذاً يحمل نوعاً من التناقض، ولكنني قُدمتُ إلى هنا بسبب وعد قطعته لعالم نفسي صديق لي يولي مصالحي الشخصية أهمية كبيرة. لقد ادّعى أنني إذا تمكنت من تحمّل كل الحديث عن مشكلتي في الأسابيع الأولى من دون أن أحتسي الشراب فسأجد أن ذلك قد أجدي نفعاً. حسناً، لا أعرف إذا كان باستطاعة مدمني الشراب فاقدِي الشخصية مساعدة أنفسهم، ولكنني مستعد للمحاولة. لِمَ لا؟"

واستدار إلى اليسار ليشير إلى إنهائه كلامه. ولكن أستريد استبقت التصفيق.

"أفترض أنها المرة الأولى التي تقول فيها شيئاً ما عن اجتماعاتنا ياهاري. إنه أمر جيد. ولكنك قد تكون راغباً ربما في إخبارنا بالمزيد ما دمتَ حاضراً".

نظر هاري إليها، وحذا الآخرون حذوه أيضاً، معتبرين أنّ ما فعلته خرق واضح للطريقة المتبعة. والتقت نظراتهما. كان قد شعر بنظراتها ترمقه في الاجتماعات السابقة، ولم ينظر إليها في المقابل إلا مرة واحدة. ولكنه استرسل بالنظر إليها من رأسها حتى أخمص قدميها. في الواقع، لقد أحب ما رآه، ولكن ما أحبه أكثر من أي شيء آخر هو وجهها الذي غدا أكثر احمراراً عندما سلكت نظراته المسار المعاكس من أخمص قدميها إلى رأسها. ولم يحضر الاجتماع التالي.

"لا، لستُ راغباً في ذلك، شكراً لك"، قال هاري. وانطلقت موجة تصفيق مترددة.

راقبها هاري من زاوية عينه في أثناء توجيه جاره كلمة. وبعد الاجتماع، سألته عن مكان إقامته وعرضت عليه إقلاله. تردد هاري قليلاً بينما كان الكورس في الطابق العلوي يرفع طبقة صوته.

وبعد ساعة ونصف، كانا كلاهما يدخنان بصمت، ويراقبان الدخان الذي راح يضيف مسحة زرقاء على ظلّمة غرفة النوم. كانت الملاءات على سرير هاري الضيق لا تزال دافئة، ولكن البرد في الغرفة جعل أستريد تسحب اللحاف الأبيض السميك والطري حتى ذقنها.

"كان ذلك رائعاً"، قالت.

فلم يُجب هاري.

"إنها المرة الأولى لنا معاً. ليس...".

"إذاً، زوجك طبيب؟" قال هاري.

"أنت تطرح هذا السؤال للمرة الثانية، ولا يزال الجواب أجل".

أوماً هاري برأسه وسألها: "هل يمكنك سماع ذلك الصوت؟".

"أي صوت؟".

"التكتكة. هل هي ساعتك؟".

"لا ساعة لديّ. لا بد أنها ساعتك".

"إنّ ساعتني رقمية ولا تتكتك".

وضعت يدها على وركه، فانسلّ هاري من السرير. لقد أحرق

اللينوليوم شديداً البرودة أخمص قدميه. "هل ترغبين في كوب ماء؟".

"أجل".

دخل هاري الحمّام، ونظر إلى المرأة في أثناء قيامه بإطلاق دَفَق الماء. ما الذي قالته؟ هل تمكنت من رؤية الوحدة في عينيّه؟ انحنى إلى الأمام وتأمل وجهه، ولكن كل ما تمكّن من رؤيته هو فُزحيتان زرقاوان، وبؤبؤان صغيران، ومثلثات من الأوردة في بياض عينيّه. عندما عرف هالفورسن أنه انفصل عن راكيل، قال له إنه يُفترض به إيجاد المواساة لدى نساء أخريات للتخلص من الكآبة. ولكن هاري لم يكن يملك القدرة أو الرغبة في ذلك؛ لأنه يعرف أن أي امرأة سيلمسها سيتخيلها راكيل. كان بحاجة إلى نسيان هذا الأمر وإلى إخراجها من تفكيره، وليس إلى علاج جنسي.

ولكن، ربما كان هالفورسن مُحِقّاً لأنه شعر بالارتياح فعلاً. فالأمر رائع، وبدلاً من شعوره بالفراغ الذي ينجم عن إخماد رغبة ما من خلال إشباع رغبة أخرى، شعر أن بطارياته قد أُعيد شحنها وبالاسترخاء في آن واحد. لقد أخذت ما كانت بحاجة إليه، وأحب طريقة قيامها بذلك. وربما كان الأمر بالسهولة نفسها بالنسبة إليه أيضاً؟

عاد خطوة إلى الوراء وتفحص جسده في المرأة. كان قد أصبح أكثر هُزالاً في العام الأخير، وانخفضت كمية الدهون في جسمه، ونَحَلت عضلاته، وبدأ يشبه والده كما هو متوقَّع.

عاد إلى السرير مع كوب كبير من المياه يتّسع لنصف لتر، وقاما باقتسامه. وبعد ذلك، استكّنت إلى دفء جسده. كان جسدها بارداً في بادئ الأمر، ولكنها سرعان ما بدأت تشعر بالدفء.

"الآن يمكنك أن تخبرني"، قالت.

"بماذا سأخبرك؟". وراقب هاري الدخان الذي بدا على صورة حرف.

"ما اسمها؟".

وتلاشى الحرف.

"إنها سبب قدومك إلينا".

"ربما".

وشاهد هاري التوهج يلتهم السيارة في أثناء تبادلها أطراف الحديث. كانت المرأة بجانبه غريبة، أمّا المكان فمظلم والكلمات تظهر وتختفي. واعتبر أنه لا بد من أن يكون الوضع مماثلاً لاعتراف من يجلس على كرسيّ اعتراف؛ إذ إنه يزيل العبء عن كاهل المعترف، أو مماثلاً لمشاطرة المشاكل مع الآخرين كما تدعوه أيه أيه. ولهذا تكلم، فأخبرها عن راكيل التي رمته خارج المنزل قبل أكثر من عام لاعتقادها أن مطاردة خائن في الشرطة - الأمير - تستحوذ عليه. وأخبرها عن ابنه أوليغ الذي

اختطف من سريره واستخدم رهينة عندما كاد هاري يوقع بالأمير أخيراً. لقد تأقلم أوليخ مع الوضع بشكل جيد؛ بالرغم من ظروف الاختطاف، وواقع أنه شاهد هاري وهو يقتل الخاطف في المصعد في كامبن. كان الأمر أسوأ بالنسبة إلى راكيل. وبعد أسبوعين، عندما أطلعها على كل التفاصيل، أبلغته أنها لا يمكنها إبقاؤه في حياتها، أو بدقة أكبر، في حياة أوليخ. فأومات أستريد برأسها. "تركتك بسبب الأذى الذي ألحقته بهما؟". هز هاري رأسه نافيةً وأجاب: "بل بسبب الأذى الذي لم ألحقه بهما بعد".

"آه؟"

"قلتُ لها إن القضية قد أُقفلت، ولكنها أصرت على أن القضية تستحوذ عليّ، وأنها لن تُقفل أبداً ما دام هناك أشخاص مماثلون". أطفأ هاري سيجارته في المنفضة الموضوعة على الطاولة قرب السرير. "وإذا لم يكونوا من رجال الشرطة، فسأعثر على أشخاص آخرين؛ أشخاص آخرين يمكنهم إلحاق الأذى بهما. قالت إنه لم يعد باستطاعتها تحمّل تلك المسؤولية".

"يبدو الأمر كما لو أن شيئاً ما يستحوذ عليها".

"لا". وابتسم هاري. "إنها مُحقة".

"حقاً؟! هل تريد التوسّع في عرض الموضوع؟".

فهز هاري كتفيه. "الخواصات..." شرع بالكلام، ولكن نوبة سعال قوية أوقفته.

"ماذا قلتَ عن الخواصات؟".

"هي التي قالت ذلك. قالت إنني غواصة تنزل إلى الأعماق الباردة والمُظلمة حيث لا يمكن التنفّس، وتخرج إلى السطح مرة واحدة في الثاني من كل شهر. ولم تشأ مرافقتي إلى الأسفل. الأمر منطقي". "هل ما زلتَ تحبها؟".

لم يكن هاري واثقاً من سلامة المنحى الذي اتخذته مشاطرة هذه المشكلة. فأخذ نفساً عميقاً، واستعرض في عقله الحديث الذي أجراه مع راكيل.

كان صوته منخفضاً كالعادة عندما يكون غاضباً أو خائفاً: "غواصة!".

راكيل: "أعرف أنها ليست صورة جيدة جداً، ولكنك تعي...".

ورفع هاري يديه: "بالطبع. إنها صورة رائعة. وماذا تدّعين هذا..."

الطبيب؟ حاملة طائرات؟".

فأنت: "لا علاقة له بهذا الأمر ياهاري. الأمر مرتبط بك وبي وبأوليغ".

"لا تختبئي وراء أوليغ الآن".

"أختبئي!".

"أنتِ تستخدمينه كرهينة ياراكيل".

"أنا أستخدمه كرهينة! هل أنا من اختطف أوليغ وسدّد مسدساً على صدغه لتتمكن من إرواء عطشك للثأر؟".

كانت أوردة عُنُقها نافرة، وكانت تصيح عالياً لدرجة أن صوتها أصبح قاسياً؛ صوت شخص آخر، بسبب عدم تمكّن وترّيها الصوتيين من تحمّل هذا الغضب. فنهض هاري وأغلق الباب وراءه برفق من دون إحداث أي صوت تقريباً.

استدار نحو المرأة المستلقية على سريريه. "أجل، أحبها. هل تحبين زوجك الطبيب؟".

"أجل".

"إذاً، لماذا قمتِ بهذا الأمر؟".

"إنه لا يحبني".

"آه! إذاً، أنت تتأرين منه الآن؟".

فنظرت إليه بدهشة وقالت: "لا، أشعر بالوحدة وأميل إليك. إنّ أسبابي مماثلة لأسبابك كما أعتقد. هل كنت تأمل أن يكون السبب أكثر تعقيداً؟".

ضحك هاري وأجاب: "لا. لا بأس بذلك".

"لماذا قتلته؟".

"من؟".

"هل هناك المزيد؟ الخاطف بالطبع".

"لا أهمية لذلك".

"ربما لا، ولكنني أودّ أن أسمع التفاصيل". واستكّنت إلى دفاء جسده، وهمست في أذنه: "... التفاصيل".

"لا أعتقد ذلك".

"أظن أنك مخطئ".

"حسناً، ولكنني لا أحب...".

"آه! هيا!". هسهست شاعرةً بالإثارة، فنظر إليها هاري. كانت عيناه الزرقاوان تتلألآن في الظلام، فأطلقت ابتسامة متسرّعة، وأضافت بنبرة عدبة:

"لأجلي فقط".

خارج الغرفة، استمرت درجة الحرارة بالانخفاض في أثناء قيام هاري بإطلاعها على التفاصيل وشعوره بتصلبها، وأخيراً همس قائلاً لها إنها سمعت ما يكفي.

بعد مغادرتها، لازم هاري سريره وهو يُصغي إلى التكتكة. بعد ذلك، انحنى فوق السترة التي كان قد رماها على الأرض مع كل ملابسه الأخرى قرب الباب، وعثر على مصدر التكتكة في جيبه: الهدية التي قدّمها له بيارني مولر. كان زجاج الساعة يلمع. فوضعها في دُرج الطاولة قرب السرير، ولكن التكتكة تبعته إلى أرض الأحلام.

مسح الزيت الفائض عن أجزاء المسدس بإحدى مناشف الفندق البيضاء.

لقد طغى الهدير المنتظم لحركة المرور في الخارج على صوت التلفاز الصغير ذي القنوات الثلاث الموضوع في الزاوية، والذي يعرض صورةً حُببِيَّة لشخص يتكلّم النرويجية كما افترض. كانت الفتاة في غرفة الاستقبال قد أخذت سترته ووعدت بأن يتم تنظيفها في غضون فترة لا تتعدى صباح اليوم التالي. صَفَّ أجزاء المسدس على صحيفة. وعندما جفَّت كلها قام بجمع المسدس، وصوّبه في اتجاه المرأة، وضغط على الزناد. لقد سُمعت تكة ناعمة، وشعر بحركة عضلاته على امتداد يده وذراعه. إنه الإعدام الصُّوري.

بهذه الطريقة حاولوا إيقاف بوبو عن المقاومة.

ففي تشرين الثاني/نوفمبر من العام 1991، وبعد حصار مستمر وقصف دام ثلاثة أشهر، استسلمت فوكوفار أخيراً. كان المطر قد بدأ بالانهيار مع دخول الصرب المدينة. وقد أُمرَ حينها بالوقوف إلى جانب من تبقى من أفراد وحدة بوبو البالغ عددهم نحو ثمانين سجين حرب من الكرواتيّين المرهقين والمتضوّرين جوعاً. أُمر بالوقوف في الصف أمام أنقاض ما كان سابقاً الشارع الرئيس للمدينة. طلب الصرب منهم عدم الحراك، وانسحبوا إلى داخل خيمتهم الدافئة. شرع المطر بالانهيار بقوة، جاعلاً الوحل يرغو. وبعد ساعتين، بدأت الدفعة الأولى من الرجال بالسقوط. وعندما ترك الملازم أول التابع لبوبو الصف لمساعدة أحد أولئك المنهارين، خرج جندي صربي صغير في السن - مجرد فتى - من الخيمة، وأطلق النار على الملازم أول في

معدته. بعد ذلك، لم يتحرك أحد من مكانه؛ لقد راقبوا المطر الذي هطل بغزارة، وأملوا أن يكفّ الملائم أول عن الصراخ في وقت قريب. حينها شرع بالبكاء، ولكنه سمع صوت بوبو وراءه. "لا تبيك". فتوقف عن البكاء.

كان الغسق قد حلّ عندما وصلت سيارة جيب مكشوفة، فهرع الصرب الموجودون في الخيمة إلى الخارج وأدّوا التحية العسكرية. لقد علم أنه لا بد أن يكون الرجل الجالس على مقعد الركاب قائد الوحدة؛ الصخرة ذات الصوت الهادئ كما دعاها. وفي الناحية الخلفية لسيارة الجيب، كان رجل مرتدّ ملابس مدنية يجلس منحني الرأس. توقف الجيب أمام وحدتهم، وبما أنه كان في الصف الأول، سمع قائد الوحدة وهو يطلب من المدني النظر إلى سجناء الحرب. عرف المدنيّ على الفور عندما رفع رأسه بتردد. كان من فوكوفار؛ والد فتى في مدرسته. أنعم الوالد النظر إلى صفوف الرجال حتى وصل إليه، ولكنه لم يعرفه كما يبدو، وواصل التدقيق في الوجوه الأخرى، فتنهّد القائد ووقف في الجيب وصاح، غير مستخدم صوته الهادئ: "من منكم ذاك الشخص الذي يُعرف باسم المنقذ الصغير؟". فلم يحرك أي فرد من الوحدة ساكناً.

"هل تخاف من التقدّم إلى الأمام؟ أنت من فجرت اثنتي عشرة دبابة من دبابتنا، وحرمت نساءنا من أزواجهنّ، وجعلت أطفالاً صرباً يتامى الآباء؟".

وانتظر.

"كان ظنيّ في محلّه. من منكم بوبو؟".

ولم يتحرك أحد أيضاً.

عندها، نظر القائد إلى المدني الذي أشار بإصبع مرتجفة نحو بوبو في

الصف الثاني.

"تقدّم"، صاح القائد.

فسار بوبو بضع خطوات نحو الجيب والسائق الذي كان قد خرج ووقف بجانب السيارة. وعندما وقف بوبو متأهباً وأدّى التحية العسكرية، رمى السائق قلنسوته على الوحل.

"لقد فهمنا عبر استماعنا إلى الجهاز اللاسلكي أن المنقذ الصغير يعمل تحت إمرتك"، قال القائد. "رجاءً، دلّني عليه".

"لم يسبق لي أن سمعت بأي منقذ"، قال بوبو.

رفع القائد مسدسه وضربه به، فخرج دفق أحمر من الدماء من

أنف بوبو.

"بسرعة. أنا أبتلّ والطعام جاهز".

"أنا بوبو، نقيب في الجيش الكروا...".

أوماً القائد برأسه للسائق الذي شدّ شعر بوبو وأدار وجهه نحو المطر الذي غسل عن أنفه وفمه الدماء التي سالت حتى وصلت إلى منديل عنقه.

"غبيّ!". قال القائد. "لا وجود لأي جيش كرواتي هنا، أنتم مجرد خائنين فقط! يمكنك الاختيار بين إعدامك في الحال أو توفير الوقت علينا. فسوف نعثر عليه مهما حدث".

"وأنت ستعدمنا مهما حدث"، أنّ بوبو.

"بالطبع".

"لماذا؟".

وشرع القائد بإعداد مسدسه ببطء، فيما كانت قطرات المطر تتساقط من ممشط المسدس. وبعد ذلك وضع الماسورة على صدغ بوبو قائلاً: "لأنني ضابط صربي، وعلى الرجل أن يحترم عمله. هل أنت مستعدّ للموت؟".

فأغمض بوبو عينيه، وسالت قطرات المطر فوق وجهه.

"أين المنقذ الصغير؟ ساعدّ إلى الرقم ثلاثة، ومن ثم سأطلق النار. واحد...".

"أنا بوبو...".

"اثنان!".

"... نقيب في الجيش الكرواتي. أنا...".

"ثلاثة!".

لقد بدا صوت التكة الخفيف كما لو أنه انفجار بالرغم من انهمار المطر.

"آسف، لا بد من أن أكون قد نسيْتُ تلقيم الممشط"، قال القائد.

مرّر له السائق ممشطاً، فدفعه بقوة، ولقّمه ورفع المسدس مجدداً.

"الفرصة الأخيرة! واحد!".

"أنا... وحدتي هي...".

"اثنان!".

"... أول كتبية مشاة في... في...".

"ثلاثة!".

وكانت هناك تكة خافتة أخرى. وشرع الوالد الجالس على المقعد

الخلفي بالنحيب.

"يا الله! مِمِشَط فارغ. هل نَجْرَبُ إطلاق النار باستعمال بعض العيارات النارية البرّاقة تلك؟".

وأخرج المِمِشَط، ووُضِع مِمِشَط آخر، ولُقِّم المسدس.

"أين المنقذ الصغير؟ واحدا!".

وقتم بوبو: "أوتشي نا...".

"اثنان!".

انفتحت السماوات، وهطل المطر بغزارة، وهدر الرعد كما لو أنه يقوم بمحاولة يائسة لإيقاف ما يقومون به. لم يعد بإمكانه تحمّل ما يعاني منه بوبو، وفتح فمه ليصيح بأنه المنقذ الصغير؛ وأنه هو من يريدونه وليس بوبو، هو فقط، وباستطاعتهم الاقتصاص منه. ولكن نظرة بوبو المحدّقة مرّت به في تلك اللحظة، وتمكّن من رؤية الرجاء فيها، ورآه يهزّ رأسه. وبعد ذلك، انتفض جسد بوبو حين قطعت الرصاصة الصّلة بين الجسد والروح، وشاهد عينيه تنطفئان وهو يُسَلِّم الروح.

"أنت"، صاح القائد مشيراً إلى أحد الرجال في الصف الأول. "حان

دورك. تعال إلى هنا!".

وركض الضابط الصربي الصغير الذي كان قد أطلق النار على الملازم

أول نحو القائد صائحاً:

"هناك إطلاق نار في المستشفى".

فأطلق القائد الشتائم ولوّح للسائق. وفي اللحظة التالية، شُغِّل المحرّك وهدر، وسرعان ما تلاشت سيارة الجيب في الظلام، ولكن ليس قبل أن يقول لهم إنه لا سبب يدعو الصرب للقلق. فلا وجود لأي كرواتي في المستشفى في وضع يسمح له بإطلاق النار؛ كما أنهم لا يملكون أسلحة.

لقد تركوا بوبو حيث كان ممدّداً، ووجهه فوق الوحل الأسود. وعندما

أصبح الظلام حالكاً لدرجة عدم تمكّن الصرب الموجودين في الخيمة من

رؤيتهم، زحف نحو الأمام، وانحنى فوق النقيب الميّت، وفك العقدة وأخذ

منديل العُنُق الأحمر.

8 - الثلاثاء، 16 كانون الأول/ديسمبر. موعد وجبة

الطعام

إنها الثامنة من صباح السادس عشر من كانون الأول/ديسمبر الذي تَبَّتْ أنه الأكثر برودة في أوصلو طوال أربعة وعشرين عاماً، وكان الظلام لا يزال مخيماً. غادر هاري مركز الشرطة بعد أن وقَّع لدى غِرد على استلام مفتاح شقة توم والر. لقد سار إلى هناك وياقة معطفه مقلوبة. وعندما سعل، بدا الأمر كما لو أن الصوت قد اختفى في الحشوة القطنية، وجعل البرد الهواء ثقيلًا وكثيفًا.

كان الناس في الصباح الباكر يمشون بسرعة على امتداد الأرصفة المزدحمة. لم يستطيعوا دخول المباني بسرعة كافية، في حين تقدّم هاري بخطى بطيئة لأنّ نعلي حذائه المطاطيين من ماركة دوك مارتنز كانا ينزلقان على الجليد.

وعندما دخل شقة توم والر، كانت زرقة السماء وراء إِكْرِغ تبدو فاتحة أكثر فأكثر. لقد خُتِمت الشقة بالشمع الأحمر في الأسابيع التي تلت وفاة والر، ولكن التحقيق لم يؤدِّ إلى أي دليل يشير إلى وجود مهرّبي أسلحة آخرين محتملين. على الأقل، هذا ما قاله الضابط المُشْرِف عندما أعلمهم أن القضية لم تُعد من الأولويات بسبب مهام تحقيقية أخرى طارئة .

أشعل هاري الضوء في غرفة الجلوس، ولاحظ مجدداً أن لمنازل الأموات صمتاً خاصاً بها. على الجدار المواجه للأثاث الجلدي الأسود اللّمَاع وُضِع تلفاز بلاسما ضخّم مع مكبّري صوت بارتفاع متر. وكان هناك عدد كبير من الصور على الجدران، مع مجسّمات زرقاء مكعّبة الشكل. تدعو راكيل هذه الأشكال فنّ المسطرة والفرجار.

دخل هاري غرفة النوم حيث يتسرّب ضوء رمادي عبر النافذة. كانت الغرفة مرتّبة، وعلى الطاولة شاشة كمبيوتر، ولكنه لم يتمكن من رؤية جهاز الكمبيوتر. لا بد من أنهم أخذوه معهم للتأكد من المعلومات المخزّنة فيه، ومن إمكانية توافر أي دليل. ولكنه لم يره بين مجموعة الأدلة في مقر القيادة. لقد مُنِع بالطبع من النظر في القضية. فوفقاً للتفسير الرسمي، تُجري أس إي أف أو، وهي سلطة التحقيق المستقلّة التابعة للشرطة، تحقيقاً حوله بسبب مقتل والر. ولكنه لم يستطع أن يُخرج من رأسه فكرة

وجود شخص ما غير سعيد بما حصل.
كان هاري على وشك مغادرة الغرفة عندما سمع ذلك.
لم تُعد شقة المتوقِّ هادئة.

فقد أدَّى صوت ما- تكةٌ بعيدة صادرة من خزانة الملابس - إلى تنبيهه وانتصابٍ شعرٍ ذراعيه. تردد في بداية الأمر، ثم فتح باب الخزانة. وجد هناك علبة كرتونية مفتوحة على الأرضية في الداخل، وعرف على الفور السترة التي كان والر يرتديها تلك الليلة في كامبن. وفي أعلى السترة ساعة يد تُصدر تكتكة ماثلة للتكتكة التي كانت تُصدرها بعد قيام توم والر الذي كان مع هاري في المصعد بلکم نافذة باب المِصعد بذراعه وإدخالها عبر النافذة، قبل أن يتحرك المصعد ويقطع ذراعه. بعد ذلك، جلسوا في المِصعد وذراعه بينهم أشبه بمادة شمعية بدون حياة؛ طَرَف اقتُلح من تمثالٍ عرضٍ ملابس، مع فارق غير مألوف بوجود ساعةٍ حول معصم ذاك الطَرَف؛ ساعةٍ تتكتك وترفض التوقف عن ذلك؛ ساعة حيةٍ كما في القصة التي كان والد هاري قد رواها له في صِغَره عن صوت مستمر لخفقان قلب رجل مَيِّت أدَّى إلى جنون القاتل.

كانت تكة متميِّزة ونشيطة وقوية، من التكتكات التي يتم تذكُّرها إلى الأبد. لا بد من أن تكون ساعة روليكس ثقيلة وكبيرة.
أغلق هاري باب الخزانة بقوة مُحدثاً صدى تردد بين الجدران، وشقَّ طريقه في اتجاه الباب الأمامي. أصدرت المفاتيح صوتاً مرتفعاً عندما فتح قفل الباب، وحثَّ خطاه نحو الخارج على نحو مضطرب حتى وصل إلى الشارع، وأغرق ضجيج حركة المرور كل شيء آخر.

عند الساعة الثالثة، كانت الظلال قد بدأت تخيِّم على كومان دور تي آي أوغريمس بلاس رقم 4، وتسَللت الأضواء عبر نوافذ المقر الرئيس للاتحاد الرعاية الاجتماعية. حلَّ الظلام عند الخامسة، وانخفض الزئبق حتى وصل إلى خمس عشرة درجة تحت الصفر. وسقطت نُدف ثلج قليلة هائمة على سطح السيارة الصغيرة الغريبة التي كانت مارتين إكهوف تنتظر داخلها.
"هيا ياأبي"، تمتت في أثناء قيامها بإلقاء نظرة قلقة وسريعة على سعة البطارية. لم تكن واثقة من كيفية عمل السيارة الكهربائية - التي قدَّمتها العائلة الملكية هدية للاتحاد - في الطقس البارد. كانت قد قامت بكل ما يتوجب القيام به قبل أن تقفل المكتب، فقد أدخلت على الصفحة الرئيسة معلومات عن الاجتماعات اللاحقة، وعن تلك المُلغاة لمُختلف

الهيئات، وراجعت جداول خدمة حافلة الحساء في إغرتورغ، وتحققت من الرسالة الموجهة إلى مكتب رئيس الوزراء بشأن العرض الفني السنوي بمناسبة الميلا؛ الذي سيُقام في قاعة الحفلات الموسيقية في أوسلو.

فُتح باب السيارة، ودخل البرد مع رجل ذي شعر أبيض كث يعتمر قلنسوة نظامية، ولم يسبق لمارتين أن رأت عيني زرقاوين أكثر لمعاناً من عينيّه. كان عمره يزيد عن الستين، وتمكّن بصعوبة من وضع ساقيه بين المقعد ولوحة القيادة.

"لنذهب". قال ذلك نافضاً الثلج عن بذلته الرسمية التي تدل على مركزه في اتحاد الرعاية الاجتماعية في النرويج. كان يتكلم بثقة من اعتاد أن تُطاع أوامره.

"لقد تأخرت"، قالت.

"وأنتِ ملاك". ومرّر قفا يده على خدّها بنعومة، وعيناه الزرقاوان تلمعان من فرط الحيوية. "لنُسرع الآن".

"أبي...".

"لحظة واحدة". وأنزل زجاج نافذة السيارة منادياً: "ريكارد!".

كان هناك شاب يقف أمام مدخل قاعة اجتماعات الاتحاد القائمة بجانب المقر الرئيس نفسه. أجفل الشاب عند سماعه النداء، وأسرع نحوهما في الحال ضاغطاً ذراعيه على وركيه. انزلق وكاد يسقط، ولكنه لوّح بذراعيه واستعاد توازنه، وبلغ السيارة مقطوع الأنفاس.

"أجل، أيها المدير".

"ادعني ديفيد على غرار الجميع ياريكارد".

"حسناً ياديفيد".

"ولكن، ليس في كل جملة تتفوه بها رجاءً".

قفزت عينا ريكارد من المدير ديفيد إكهوف إلى ابنته مارتين، ومن ثم إلى إكهوف مجدداً. ومرّر إصبعيه على شفته العليا المتعرّقة. طالما تساءلت مارتين عن كيفية تعرُّق أحدهم إلى هذا الحد في موضع معيّن من جسده بصرف النظر عن حالة الطقس والريح، ولا سيما عندما يكون جالساً بجانبها، وهامساً بشيء ما يُفترض به أن يكون مُضحكاً، ويمكن أن يكون كذلك لولا فشله في إخفاء عصبية مزاجه بسبب اقترابه منها كثيراً؛ وبالتالي، دُنوّ شفته العلوية المتعرّقة منها أيضاً. ومن حين لآخر، عندما يكون ريكارد جالساً قربها وملتزمًا الهدوء، تسمع صوت كشط في أثناء تمريره أصابعه على فمه. فبالإضافة إلى تعرّقه، ينبت لريكارد نيلسن، وبسرعة غير عادية،

الكثير من الشُّعيرات القاسية. فهو يصل إلى المقر الرئيس في الصباح وقد حلق لحيته، ولكن بشرته البيضاء تبدأ بالتلاؤُّ وقت الغداء. ولاحظت مراراً أنه يأتي لحضور الاجتماعات في المساء وقد حلق لحيته مرة ثانية.

"أنا أُمَازحك، ياريكارد"، وابتسم ديفيد إكهوف.

كانت مارتين تعلم أن لا وجود لأي نوايا سيئة وراء الأعيب والدها هذه، ولكنه يبدو أحياناً غير مُدرك لواقع تنمُّره على الناس. "آه! صحيح". قال ريكارد ذلك مُرغماً نفسه على الابتسام، ثم طأطأ رأسه ونظر إليها: "مرحباً يامارتين".

"مرحباً ياريكارد"، قالت مارتين متظاهراً بالتركيز على سعة البطارية. "أتساءل عما إذا كان بإمكانك أن تقدّم لي صنيعاً"، قال المدير. "هناك الكثير من الجليد على الطرقات الآن، وإطارات سيارتي غير مزوّدة بجنائزير. كان يُفترض بي تغييرها، ولكن عليّ الذهاب إلى لايتهاوس...".

"أعرف"، قال ريكارد بحماسة. "لديك اجتماع حول مائدة الغداء مع وزير الشؤون الاجتماعية. نأمل في قدر كبير من التغطية الصحافية. كنت أتحدث إلى رئيس العلاقات العامة منذ قليل".

فمنحه ديفيد إكهوف ابتسامة متفضّلة وقال: "إنّ متابعتك الأمور أمرٌ جيّدٌ ياريكارد. ولكن ما أودّ قوله هو أن سيارتي هنا في المرأب، وأودّ رؤيتها مع إطارات مزوّدة بجنائزير عندما أعود. تعلم...".

"هل الإطارات في صندوق السيارة؟".

"أجل. ولكن، إذا كان لديك أمر آخر أكثر إلحاحاً فيمكنني الاتصال بجون. قال إن باستطاعته...".

"لا، لا". قال ريكارد هازأً رأسه بقوة. "سأبدّلها في الحال. ثق بي، يا... ديفيد".

"هل أنت واثق؟".

نظر ريكارد إلى المدير مُربكاً. "من أن يكون باستطاعتك الوثوق بي؟".

"لا، بل من أنه ليس لديك أي أمر آخر أكثر إلحاحاً؟".

"بالطبع، إنه عمل ممتع. أحب العمل بالسيارات و... و...".

"تغيير الإطارات؟".

فابتلع ريكارد لعبه وأوماً، فيما كان المدير ينظر إليه بوجه بشوش. وبينما كان يرفع زجاج النافذة في أثناء خروجهما من الميدان، أعربت مارتين عن اعتقادها بأنه أخطأ في استغلال طبيعة ريكارد الخدومة. "المُطبعة، هذا ما تعنيه كما أفترض"، أجاب والدها. "استرخي ياعزيزتي،

إنه اختبار لا أكثر".

"اختبار؟! للأناية أو للخوف من صاحب السلطة؟".

"للحالة الثانية"، قال المدير مُقهقهاً. "كنت أتحدث إلى شقيقة ريكارد ثيا، وحصل صدفة أنها أخبرتني عن بذل ريكارد قُصارى جهده لإتمام الموازنة قبل انتهاء الحد الزمني الأقصى غداً. في هذه الحال، كان يُفترض به إعطاء عمله الملحّ الأولوية وترك مسألة تغيير الإطارات لجون".

"وماذا في ذلك؟ ربما تصرّف ريكارد على هذا النحو بدافع اللطف؟".

"أجل، إنه لطيف وذكي، ويكّد في العمل، وجدي. أردت التأكد من امتلاكه العزيمة والشجاعة اللتين يتطلبهما منصب هام في الإدارة".

"الجميع يقولون إن جون هو من سيحصل على المنصب".

نظر ديفيد إكهوف إلى يديه مخفياً ابتسامته. "هم يقولون ذلك؟!

بالمناسبة، أقدر دفاعك عن ريكارد".

لم ترفع مارتين نظرها عن الطريق، ولكنها شعرت بوالدها وهو يرمقها بنظراته متابعاً: "عائلتان صديقتان منذ سنوات عديدة كما تعلمين. إنهم أشخاص صالحون، ولديهم أساس متين في اتحاد الرعاية الاجتماعية". فأخذت مارتين نفساً عميقاً لكبت شعورها بالإثارة.

تتطلب المهمة رصاصة واحدة.

بالرغم من ذلك، دسّ كل الطلقات النارية في الممشط لأن السلاح لا يكون متوازناً بشكل تام إلا عندما يكون الممشط مليئاً، ولأنّ ذلك يقلل من فرص حدوث خلل في استخدامه.

وثبّت بعد ذلك قراب الكتف. لقد اشتراه مستعملاً، وكان الجلد طرياً وتبعث منه رائحة مالحة ولاذعة ناجمة عن التعرّق واحتكاكه بالبشرة. وضع المسدس بشكل منبسط كما يُفترض به أن يكون، ووقف أمام المرأة وارتمى سترته؛ لا يمكن رؤيته. الأسلحة الأكبر حجماً تكون أكثر دقة، ولكن الدقة غير مطلوبة في هذه الحالة. ارتدى معطفه الواقى من المطر، ومن ثم المعطف، ودسّ القلنسوة في جيبيه، وتلمّس منديل العنق الأحمر في جيبيه الداخلي، ونظر إلى ساعته.

"العزيمة"، قال غونار هاغن، "والشجاعة. إنهما الميزتان اللتان أسعى

وراءهما في مفتشيّ قبل أي شيء آخر".

لم يتفوّه هاري بأي كلمة ردّاً على ذلك، بل ألقى نظرة على أرجاء

المكتب حيث يجلس في غالب الأحيان كما هو الحال الآن. ولكن، بصرف النظر عن السيناريو المألوف المتمثل بقيام البيي أو بي بإعطاء توجيهاته للمفتشين تغير كل شيء. فقد أزيلت أكداس أوراق بيارني مولر، وحُشرت مجلات القصص المصوّرة لدونالد داك وشركاه بين المستندات القانونية الخاصة بالشرطة على الرف، وغابت الصورة الفوتوغرافية الكبيرة للعائلة، لا بل الصورة الأكبر حجماً لكلب صيد ذهبي اللون مُنح للأبناء ونسوا أمره منذ زمن بعيد بسبب وفاته قبل تسع سنوات، وكان بيارني لا يزال يُبدي حزنه الكبير عليه.

وما تبقى طاولة فارغة عليها شاشة ولوحة مفاتيح، وركيزة فضية صغيرة مع عظمة بيضاء بالغة الصغر، ومرفقا غونار هاغن الذي كان يرمق هاري بنظراته من تحت حاجبيه الكئيبين.

"ولكن، هناك مزية ثالثة أتمنّا أكثر من المزيّتين الأخرين يا هول. هل يمكنك أن تحزر ما هي؟".

"لا"، قال هاري بنبرة رتيبة.

"الانضباط. ان - ض - باط".

قيام البيي أو بي بتجزئة الكلمة إلى مقاطع صوتية أوحى لهاري أنه يتلقى محاضرة في أصل الكلمات. ولكن هاغن وقف وشرع بالتبختر ذهاباً وإياباً ويده وراء ظهره كما لو أنه يحدد نطاق مسؤوليته، وهو ما اعتبره هاري أمراً مُضحكاً.

"لقد أُجري هذا الحوار وجهاً لوجه مع كل شخص في القسم".
"الوحدة".

"أستميحك عُذراً؟".

"لم نُدعَ قسماً من قبل قط؛ علماً أن رتبتك كانت رئيس قسم ، أي بيي أيه أس . أقول لك ذلك لمزيد من المعلومات ليس إلا".

"شكراً لك للفتك انتباهي إلى هذا الأمر أيها المفتش. أين كنت؟".

"ان - ض - باط".

حملق هاغن بهاري الذي لم يرف له جفن، فيما تابع البيي أو بي تبختره.

"لقد ألقى محاضرات في الأكاديمية العسكرية في السنوات العشر الأخيرة. كانت الحرب في بورما ميدان اختصاصي. أفترض أنك قد تتفاجأ لدى سماعك أن لهذا الأمر علاقة كبيرة بعلمي هنا يا هول".

"حسناً". وحك هاري ساقه. "باستطاعتك قراءتي كما لو أنني كتاب

مفتوح أيها الرئيس".

مرّر هاغن سبّابته فوق إطار النافذة وتأمّل النتيجة باستياء. "عام 1942، احتل مئة ألف جندي ياباني بورما. كان حجم بورما يوازي ضعف حجم اليابان، وكانت تخضع في ذلك الوقت لسيطرة جنود بريطانيين يفوقون اليابانيين بالعدد والقدرة النارية". ورفع هاغن سبّابته. "ولكن اليابانيين كانوا متفوّقين في أحد الميادين؛ مما مكّنهم من إلحاق الهزيمة بالبريطانيين والمرتزة الهنود: الانضباط. عندما زحف اليابانيون إلى رانغون، كانوا يسرون لمدة خمس وأربعين دقيقة، وينامون لمدة خمس عشرة دقيقة على الطريق، وتقودهم أقدامهم إلى المكان المقصود. لذلك، لم يكونوا يسرون في الخندق أو في الاتجاه الخطأ عندما يستيقظون. فالوجهة هامة ياهول. هل تفهم؟". علم هاري القصد من السؤال. "أفهم أنهم تمكنوا من الوصول إلى رانغون أيها الرئيس".

"لقد وصلوا كلهم لأنهم قاموا بما طُلب منهم. لقد أبلغتُ للتوّ بأنك وقّعتَ على استلام مفاتيح شقة توم والر. هل هذا صحيح ياهول؟". "ألقيتُ نظرة سريعة أيها الرئيس، لأسباب علاجية".

"آمل ذلك. لقد دُفنت القضية. إن التطفّل في أرجاء شقة والر ليس مضیعة للوقت فحسب، بل مخالفاً للأوامر التي أعطيت إياها من قبل الضابط المُشرف ومني الآن. لا أعتقد أنني بحاجة إلى تهجئة عواقب رفض إطاعة الأوامر. ويمكنني الإشارة أيضاً إلى أن الضباط اليابانيين كانوا يُطلقون النار على الجنود الذين يشربون الماء خارج أوقات الشرب. لا يعود سبب هذا التصرف إلى الساديّة بل إلى الانضباط الذي يستأصل الأورام منذ البداية. هل أنا واضح ياهول؟".

"واضح جدّاً... حسناً، شديد الوضوح أيها الرئيس".

"هذا كل شيء في الوقت الحاضر ياهول". وجلس هاغن على كرسيّه، وتناول قصاصة ورق من الدُّرج، وبدأ يقرأها بتركيز كما لو أن هاري قد غادر المكتب. ثم رفع نظره متفاجئاً ببقاء هاري جالساً أمامه. "هل هناك شيء آخر ياهول؟".

"حسناً، كنت أتساءل. ألم يخسر اليابانيون الحرب؟".

واستمرّ غونار هاغن بالتحديق إلى الورقة بعدم تركيز بعد مغادرة هاري بمدة طويلة.

كان المطعم ممتلئاً جزئياً على غرار اليوم السابق. استقبله عند الباب

نادل شاب حسن المظهر ذو عيَّين زرقاوين وحُصَل شعر شقراء. وقف هناك للحظات مندهشاً على غرار جيورجي. ولدى رؤيته الابتسامة تتَّسع على شفتي النادل، أدرك أن أمره قد افْتُضح. فخلع معطفه والمِعطف الواقى من المطر في غرفة الملابس، وشعر بالنادل يرمقه بنظراته.

"ما اسمك؟" سأل النادل، فتمتم بجوابه.

مرَّ النادل إصبعاً طويلة ونحيلة وصولاً إلى أسفل صفحة قائمة الحجز. وتوقف.

"أضع إصبعي على اسمك الآن"، قال النادل، والتقت نظراتهما فشعر بأنه يحمرُّ خجلاً.

لم يكن المطعم مختصاً بفئة معيَّنة من الناس كما يبدو، ولكنه لم يستطع تصديق الأسعار المُدرَّجة على القائمة، والتي أفقدته القدرة على إجراء الحسابات الذهنية. طلب القليل من المعجنات مع كوب ماء. كان عطشان ونَبَّض قلبه هادئاً ومنتظماً. كان الأشخاص الآخرون في المطعم يتحدثون ويبتسمون ويضحكون كما لو أن شيئاً لن يحدث لهم. لقد أدهشه على الدوام كونه غير مرئي، ولا يملك هالة سوداء، ولا تنبعث منه ربما رائحة تعفَّن كريهة.

أو إن أحداً لم يلاحظ ذلك؛ لمزيد من الدقة.

في الخارج، كانت ساعة المدينة المعلقة على الجدار تدقُّ نغماتها الثلاث ست مرات.

"إنه مكان جميل"، قالت ثيا ذلك ملقيةً نظرةً حولها. فالمطعم يمتاز بمناظر متناسقة، وطاولتهما تُشرف على منطقة المشاة في الخارج. ومن مكبَّرات الصوت المخبَّاة ينبعث صوت منخفض لموسيقى العصر الحديث التأملية يكاد لا يكون مسموعاً.

"أردتُ أن يكون الأمر مميَّزاً"، قال جون متأملاً قائمة الطعام. "ما الذي ترغبين في تناوله؟".

ألقت ثيا نظرة سريعة على القائمة وصولاً إلى أسفل الصفحة المفردة. "أولاً، أنا بحاجة إلى شيء ما أشربه".

وشربت ثيا الكثير من الماء. كان جون يعلم أن للأمر علاقة بداء السكري وبكليتيها.

"ليس من السهل الاختيار"، قالت. "يبدو كل شيء لذيذاً، أليس كذلك؟".

"ولكن، لا يمكننا الحصول على كل شيء مُدرَج على القائمة".
"لا...".

ابتلع جون لعبه متضايقاً؛ فقد خرجت الكلمات من فمه تلقائياً وبدون تفكير. استرق النظر إليها، ولكن من الواضح أن ثيا لم تلاحظ ذلك. فجأة رفعت رأسها. "ماذا تعني بذلك؟".

"بماذا؟". سأل بطريقة عادية.
" كل شيء مُدرَج على القائمة . كنتَ تحاول إخباري شيئاً ما. أنا أعرفك يا جون. ماذا هناك؟".

فهز كتفيه. "اتفقنا على أن يُخبر أحدنا الآخر بكل شيء قبل الخطوبة، أليس كذلك؟".
"أجل".

"هل أنتِ واثقة من أنك أطلعتني على كل شيء؟".
فتنهدت بصبر وقالت: "أنا على ثقة تامة يا جون. لم يسبق لي أن خرجتُ مع أي شخص آخر. ليس... بتلك الطريقة".

ولكن، كان باستطاعته رؤية شيء ما في عينيها، شيء ما في تعابير وجهها لم يسبق له أن رآه من قَبْل. كان هناك نسيج عضلي يختلج بجانب فمها، فلم يتمكن من تمالك نفسه. "حتى مع روبرت؟".
"ماذا؟".

"حتى مع روبرت؟ يمكنني أن أتذكركما وأنتما تتوددان إلى بعضكما في أول صيف لنا في أوستغارد".
"كنت في الرابعة عشرة من عمري يا جون!".
"إذاً؟".

حدقت إليه في بادئ الأمر غير مصدّقة، ومن ثم كفت عن التحدث إليه، فأمسك جون يدها بكلتا يديه، وانحنى إلى الأمام وهمس: "آسف، آسف يا ثيا. لا أعرف ما الذي أصابني! أنا... هل باستطاعتنا أن ننسى طرحي هذا السؤال؟".

"هل اتخذت قرارك؟".
ورفع كلاهما نظريهما إلى النادل.
"هليون طازج"، قالت ثيا ممررةً له قائمة الطعام. "وشاتوبريان مع فُطر كطبّق رئيس".

"خيار جيد. هل يمكنني أن أوصي بشارب أحمر مُغذٍّ متوسط السعر أنزلناه مؤخراً إلى الأسواق؟".

"يمكنك ذلك. ولكن، لا بأس بالماء"، قالت بابتسامة مُشرقة. "الكثير من الماء".

فنظر جون إليها، وأعجب بقدرتها على إخفاء أحاسيسها. وعندما غادر النادل، وجّهت ثيّا نظرها نحو جون قائلة: "إذا انتهيت من استجابي فبإمكاني أن أسألك: ماذا عنك؟". فابتسم جون وهز رأسه. "لم تكن لديك صديقة مطلقاً. أليس كذلك؟" قالت. "ولا حتى في أوستغارد".

"وهل تعرفين السبب؟". قال جون واضعاً يده على يدها. فهزت رأسها. "لأنني أُغرمت بفتاة في ذلك الصيف"، قال جون مسترعياً كل انتباهها. "كانت في الرابعة عشرة من عمرها، وأنا مُغرّم بها مذاك الحين". فابتسم وابتسمت، وكان باستطاعته رؤيتها وهي تخرج من مخبئها مرة أخرى وتتوجه نحوه.

"حساء لذيذ". قال وزير الشؤون الاجتماعية، ملتفتاً نحو المدير ديفيد إكهوف. كان صوته مرتفعاً بما يكفي ليرسمه الصحفيون المتجمعون. "إنه أحد أطباقنا الخاصة"، قال المدير. "لقد نشرنا كتاب طهو منذ عامين واعتقدنا أنه ربما...".

وبإشارة من والدها، دنت مارتين من الطاولة، ووضعت الكتاب بجانب سُلطانية الحساء الخاصة بالوزير. "... يكون مفيداً إذا أراد الوزير تناول وجبة لذيذة ومغذية في المنزل".

فأطلق العدد القليل من الصحفيين والمصورين الفوتوغرافيين الموجودين في المقهى ضحكات مكبوتة. وإضافةً إلى هؤلاء، لم يكن هناك سوى عدد قليل من الحاضرين. فقد تواجد في المطعم رجلان مُسْتان من هوستل، وسيدة تضع لفاعاً وتسيل الدموع من عينيها، ومُدمن مخدّرات ينزف من جبينه ويرتجف كورقة حور بسبب خوفه من التوجه إلى المستشفى الميداني حيث غرفة المعالجة في الطابق الأول. لم يكن هذا العدد القليل من الأشخاص مفاجئاً جداً؛ إذ لا يفتح لايتهاوس أبوابه عادة في مثل هذا الوقت. ولكن الزيارة الصباحية لم تكن مناسبة للوزير؛ لأنه لم يتحقق من العدد الحقيقي للأشخاص الذين يترددون على المطعم. شرح له المدير الأمر، كما شرح له عن تكلفة المكان وكيفية إدارته بفعالية. وكان الوزير يومئ

برأسه بين وقت وآخر بحكم الواجب؛ واضعاً في فمه ملء ملعقة من الحساء.

تحققت مارتين من ساعتها. إنها السادسة وخمس وأربعون دقيقة. كانت سكرتيرة الوزير قد قالت إنها السابعة تماماً، ويتعين عليهما المغادرة. "إنها وجبة لذیذة"، قال الوزير. "هل لدينا وقت لتبادل أطراف الحديث مع شخص ما هنا؟". فأومأت السكرتيرة برأسها.

إنه يحاول كسب رضی الناس؛ فكّرت مارتين في سرّها. بالطبع، لديهم الوقت لتبادل أطراف الحديث، وهذا هو سبب وجودهم هنا. فهم لا يريدون توزيع مخصّصات مالية - لأن باستطاعتهم القيام بذلك عبر الهاتف - بل يريدون أن يكتب الصحفيون عن وزير الشؤون الاجتماعية الذي يتنقل بين المعوزين، ويتناول الحساء، ويصافح مدمني المخدرات، ويصغي إليهم بتعاطف والتزام.

وأشارت المتحدثة باسم الصحافة للمصوّرين الفوتوغرافيين للبدء بالتقاط الصور إذا شاءوا، لا بل بضرورة البدء بالتقاط الصور. وقف الوزير وزرّر سترته مُلقياً نظرة سريعة في أنحاء الغرفة، فتساءلت مارتين عن كيفية نظره إلى خياراته الثلاثة. كان الرجلان المُستأنَّ يدوان شاغلين نموذجيين ملجأ شعبي ولا يخدمان الغاية المرجوة؛ فالهدف هو التقاء الوزير مدمني المخدرات، أو أشخاصاً من هذا القبيل. وكان هناك أمر مُربك في ما يتعلق بالمدمن المُصاب؛ إذ يمكن أن يفي بالغرض. ولكن المرأة... بدت مواطنة عادية يود الجميع مساعدتها ولا سيما إذا سمعوا قصتها التي تُدمي القلب.

"هل يُعجبك أن تكوني قادرة على القدوم إلى هنا؟". سأل الوزير مادّاً يده نحوها.

رفعت المرأة نظرها، فيما ذكر الوزير اسمه. "أدعى برنيل..." استهلّت المرأة كلامها ولكن الوزير قاطعها. "برنيل اسم جميل. الصحافة هنا كما تعرفين، والمصورون يرغبون في التقاط صورة لك. هل الأمر مناسب بالنسبة إليك؟".

"هولمان"، قالت المرأة ناخرةً في منديلها، "برنيل هولمان". وأشارت إلى الطاولة حيث توجد إحدى الصور. "أنا هنا لأتذكر ابني. هل تمنعون تركي بسلام؟".

وقفت مارتين قرب طاولة المرأة، في حين انسحب الوزير وحاشيته،

ورأتهم يتوجهون إلى الرجلين المُسنَّين.

"آسفة لما حصل لبير"، قالت مارتين بصوت منخفض.

فحدّقت إليها المرأة بوجه منتفخ بفعل البكاء والحبوب؛ تماماً كما اعتقدت مارتين.

"هل كنت تعرفين بير؟". همست.

كانت مارتين تُؤثر قول الحقيقة حتى عندما تكون جارحة، ولا يعود سبب ذلك إلى نشأتها، بل إلى اكتشافها أن قول الحقيقة يجعل الحياة أكثر سهولة على المدى البعيد. كان باستطاعتها سماع توَسِّلٍ في صوت المرأة المخنوق؛ كما لو أنها تريد سماع شخص ما يقول لها إن ابنها لم يكن روباتاً مُدمناً على المخدرات وعبئاً إضافياً أُزيل عن عاتق المجتمع فحسب، تريد سماع شخص يقول لها إنه كان يعرف ابنها، أو إنها كانا صديقين، أو إن ابنها قد قُتل.

"سيده هولمان"، قالت مارتين، "كنت أعرفه، وكان فتى صالحاً".

فطرفت برنيل هولمان عينيها مرتين ولم تقل شيئاً. كانت تحاول الابتسام، ولكن محاولاتها تحوّلت إلى تجهّم. لقد تمكنت فقط من قول شكراً لك قبل أن تنسكب دموعها على خديها.

رأت مارتين المدير يلوّح لها من حيث يقف قرب الطاولة، ومع ذلك أثرت الجلوس.

"لقد... لقد أخذوا زوجي أيضاً". وانتحبت برنيل هولمان.

"ماذا؟".

"الشرطة. قالوا إنه هو من قتله".

وعندما تركت مارتين برنيل هولمان وحدها، كانت تفكر في الشرطي الأشقر طويل القامة الذي بدا محترماً عندما قال لها إنه يبالي. كان باستطاعتها الشعور بازدياد غضبها، وحيرتها لأنها لم تفهم سبب غضبها من شخص لا تعرفه. ونظرت إلى ساعتها. إنها السادسة وخمس وخمسون دقيقة. كان هاري قد أعدّ حساء السمك: كيس فيندوس مزجه بالحليب، وأضاف إليه قطعاً صغيرة من بودنغ السمك. لقد اشتراه من متجر البقالة نيازي الذي يديره جاره علي المقيم في الطابق الأسفل، مع شقيقه. وبجانب طبق الحساء على طاولة غرفة الجلوس وضع كوباً كبيراً من الماء.

وضع هاري القرص المضغوط داخل الجهاز ورفع الصوت. لقد أفرغ رأسه من كل الأفكار، وركز على الموسيقى والحساء. صوتٌ ومذاق، هذا كل شيء.

وعندما أصبح الطبق في منتصفه، رنَّ الهاتف. كان قد اتخذ قراراً بتركه يرنّ من دون أن يُجيب على الاتصال، ولكنه نهض عند الرنّة الثامنة وأخفض صوت الموسيقى.

"هاري".

إنها أستريد. "ماذا تفعل؟". كانت تتكلم بصوت منخفض، ولكن الصدى موجود، فقدّر أن تكون في حمام منزلها، وقد أقفلت على نفسها الباب. "آكل وأستمع إلى الموسيقى".

"عليّ الخروج إلى مكان غير بعيد من منزلك. هل لديك خطط للمساء؟".

"أجل".

"وما هي؟".

"الاستماع إلى المزيد من الموسيقى".

"هممم. تجعل الأمر يبدو كما لو أنك لا تريد رفقة".

"ربما".

كانت هناك فترة صمت، ثم تنهّدت وقالت: "أعلمني عندما تبدّل رأيك".

"أستريد".

"أجل؟".

"الأمر لا يتعلق بك، اتفقنا؟ إنه يتعلّق بي".

"لا حاجة للاعتذار يا هاري إذا لم تكن تعتبر الأمر حيويّاً بالنسبة إلينا كلينا. ظننتُ فقط أن الأمر قد يكون مفيداً".

"في وقت آخر ربما".

"متى مثلاً؟".

"في وقت آخر".

"حسناً. ولكنني متيِّمة بك يا هاري. لا تنس ذلك".

وعندما أعاد سماعه الهاتف إلى مكانها، لازم مكانه من دون حراك، عاجزاً عن استيعاب السكون الفجائي لأنه كان شديد الذهول. لقد تخيل وجهاً عندما اتصلت به أستريد، ولم يكن سبب ذهوله هو تخيُّله الوجه، بل واقع أنه ليس وجه راكيل أو أستريد. غرق في كرسيه، وقرر عدم إضاعة المزيد من الوقت في التفكير. فإذا كان ذلك يعني أن دواء الزمن بدأ يُؤتي نفعاً وأنه بات على استعداد للتخلص من ذكري راكيل، فهذا أمر جيد لدرجة أنه لم يشأ تعقيد العملية.

رفع صوت الموسيقى في جهاز الستيريو وأفرغ رأسه من الأفكار مجدداً.

دفع الفاتورة، ورمى عود تنظيف الأسنان في المِنْفِضَة، ونظر إلى ساعته. إنها السادسة وسبع وخمسون دقيقة. كان قِرَابِ المِسْدَسِ المَثْبُتِ بكتفه يحتك بعضلة صدره. أخرج الصورة الفوتوغرافية من جيبه الداخلي وألقى عليها نظرة سريعة وأخيرة. لقد حان الوقت.

لم يلاحظ أيّ من الزبائن الآخرين في المطعم - ولا حتى الثنائيّ الجالس إلى الطاولة المجاورة - نهوضه وتوجهه إلى الحمام. أقفل على نفسه في إحدى حجيرات المرحاض، وانتظر لمدة دقيقة من دون الاستسلام لإغراء التحقق من تذكير المسدس. لقد تعلّم ذلك من بوبو: إذا اعتدت التحقق من كل شيء مرتين فستفقد سرعتك .

مرت الدقيقة، فقصد غرفة الملابس، وارتنى معطفه الواقي من المطر، وعقد منديل العُنُقِ الأحمر، وسحب القلنسوة في اتجاه الأسفل فوق أذنيه، وفتح الباب المُشرف على كارل جوهانز.

توجه إلى أعلى مكان في الشارع بخطوات واسعة؛ ليس لأنه مستعجل، بل لأنه لاحظ أنها طريقةٌ مشي الناس هنا، إنه الإيقاعُ الذي يضمن عدم لفت انتباه الآخرين إليه. مرّ بجانب سلة المهملات عند عمود الإنارة؛ حيث قرر في اليوم السابق رمي المسدس في طريق عودته؛ وسط شارع المشاة المكتظ. سوف يجده رجال الشرطة، ولكن لا أهمية لذلك؛ فالمهم ألا يجده معه.

كان باستطاعته سماع صوت الموسيقى قبل وقت طويل من وصوله إلى هناك.

وعندما وصل، كان بضع مئات من الأشخاص قد تجمّعوا على شكل نصف دائرة أمام موسيقيين يختتمون أغنية. وقُرِعَ جرس ما في أثناء التصفيق، فعلم أنه قد وصل في الوقت المحدد. داخل نصف الدائرة، وعلى أحد الجوانب أمام الفرقة الموسيقية، كانت هناك قِدْرٌ طهو سوداء مدلاة من قضبان خشبية، وبجانبها الرجل الظاهر في الصورة الفوتوغرافية. في الواقع، كانت مصابيح الشارع وثلاثة مشاعل تضيء الموقع، ولكنه الرجل المعنيّ بدون شك، وتحديدًا لأنه يرتدي المعطف والقلنسوة النظاميين الخاصين بأعضاء اتحاد الرعاية الاجتماعية.

صاحت المغنّية بشيء ما عبر مكبّر الصوت، فابتهج الناس وصفقوا،

وانطلق وميض عندما شرعوا بالغناء مجدداً. كانوا يعزفون بصوت مرتفع، وكان الطبال يرفع يده اليمنى عالياً في الهواء كلما قرع الطبل. شق طريقه عبر الحشد حتى أصبح على بُعد ثلاثة أمتار من هدفه، وتحقق من عدم وجود أحد وراءه. أمامه، كانت هناك فتاتان مراهقتان تزفران في الهواء الجليدي وتلوكان اللبان بفرح. إنهما أصغر منه سنًا. لم تكن لديه أفكار خاصة ينوي تنفيذها، لذا لم يستعجل، وقام بما جاء للقيام به من دون أي طقوس: أخرج المسدس من قرابه فقط وأمسكه بذراع مستقيمة؛ مما جعل المسافة تنقلص إلى مترين. سدّد، ولكن الرجل الذي كان يقف بجانب قِدر الطهو أصبح مُبهماً بالنسبة إليه قبل أن تتوضح رؤيته مجدداً.

"سكال"، قال جون.

كانت الموسيقى تتسرّب من مكبّرات الصوت كمزيج كعكة لرجة. "سكال"، قالت ثيا رافعةً كأسها في اتجاه كأسه بامتثال. وبعد تناولهما جرعة من الشراب، حدّق كل منهما إلى عيني الآخر، ولفظ كلمة: أحبك .

فوجّهت نظرها إلى الأسفل محمّرةً خجلاً، ولكنها ابتسمت.

"لديّ هدية صغيرة لك"، قال.

"آه!". كانت نبرتها لعوباً ومغناجاً.

وضع يده في جيب سترته. تحت الهاتف المحمول، كان باستطاعته تحسّس علبة المجوهرات البلاستيكية الصلبة بأطراف أصابعه. وخفق قلبه بسرعة أكبر. يا الله! كم انتظر هذه اللحظة بشوق.

وبدأ الهاتف يتذبذب.

"هل هناك خَطْب ما؟". سألت ثيا.

"لا، أنا... آسف. سأعود بعد ثوانٍ".

في الحمّام، أخرج الهاتف من جيبه وقرأ ما كتب على شاشة العرض، فتنهّد وضغط على الزر الأخضر.

"مرحباً ياعزيزي. كيف تجري الأمور؟".

كان صوتها مازحاً؛ كما لو أنها سمعت للتوّ أمراً مُضحكاً جعلها تفكر فيه فاتصلت به تلقائياً بعد ذلك. وأظهر سجّله ستة اتصالات لم يُجب عليها.

"مرحباً يارانهيلد".

"هناك صوت غريب. هل...؟".

"أنا في الحمّام، في مطعم. ثيا وأنا هنا نتناول وجبة طعام. سيتوجب علينا التحدث في وقت آخر".

"متى؟".

"في وقت آخر".

وكان هناك صمت.

"آه!".

"كان يُفترض بي الاتصال بك يارانهيلد. هناك أمر عليّ إخبارك به. أنا واثق أنك تعرفينه". وأخذ نفساً عميقاً قبل أن يتابع: "أنتِ وأنا، لا يمكننا...".

"جون، يستحيل تقريباً سماع ما تقوله".

لم يصدّق جون أن الأمر يحدث.

"هل يمكنني أن أراك مساء غد في منزلك؟". سألته رانهيلد. "حينئذٍ،

يمكنك إخباري؟".

"لن أكون مُتاحاً مساء غد، أو في أي...".

"لاقني في غراند لنتناول الغداء إذًا. يمكنني أن أرسل لك رقم الغرفة

بواسطة رسالة نصيّة".

"رانهيلد، لن أكون...".

"لا أستطيع سماعك. اتصل بي غداً يا جون. آه! لا، لديّ اجتماعات

طوال اليوم. سأتصل بك. لا تُطفئ هاتفك المحمول. وامرح جيداً يا عزيزي".

"رانهيلد؟".

ولكنها كانت قد أنهت الاتصال. باستطاعته الخروج الآن والاتصال بها

وإنهاء المسألة. ستكون هذه الخطوة هي الخطوة المناسبة والحكيمة؛ تسديد

الضربة القاضية.

كانا واقفين وأحدهما قبالة الآخر، ولكن رجل اتحاد الرعاية الاجتماعية

لم يكن يراه كما يبدو. كان تنفّسه هادئاً، وإصبعه على الزناد، وزاد الضغط

ببطء. ومن ثم لاحظ أن الرجل لم يتفاجأ أو يُبدي أي صدمة أو دُعر،

بل على العكس؛ فقد بدا له أن ضوء التفهّم قد عبّر وجهه، ووقّر له

منظر المسدس الإجابة عن أمر ما كان يتساءل في شأنه. وبعد ذلك، سُمع

دويّ.

ولو تزامن إطلاق النار مع القرع على الطبل لحجبتة الموسيقى ربما،

ولكن الانفجار دوى في كل الاتجاهات، وتوجّهت الأنظار إلى الرجل ذي المعطف الواقي من المطر، وإلى مسدسه، ورأى الجميع الرجل - الذي أصبح لديه ثقب في الحافة الناتئة للقبعة تحت الحرف A - يقع إلى الورا، وذراعه تتأرجحان إلى الأمام كذراعي دمية.

انتفض هاري على كرسيه. كان قد استغرق في النوم، والغرفة هادئة. ما الذي أيقظه؟ أصغى السمع، ولكن كل ما تمكّن من سماعه هدير منخفض ومنتظم على نحو مطمئن. لا، كان هناك صوت آخر أيضاً، وبذل جهداً لسماعه. ها هو. فالصوت يكاد يكون غير مسموع، ولكنه تمكن من تمييزه بعد أن ارتفع وأصبح أكثر وضوحاً. إنه صوت تكتكة منخفضة. بقي هاري على كرسيه مُغمّض العينين.

وبعد ذلك، اعتراه غضب فجائي، فدخل غرفة النوم بدون تفكير، وفتح دُرج الطاولة، وأمسك ساعة يد مولر، ثم فتح النافذة ورماها في الظلام بأكبر قدر من الطاقة والقوة تمكّن من استجماعه. سمع الساعة تصطم بجدار المجمع السكني الملاصق في بادئ الأمر، ومن ثمّ بإسفلت الشارع المغطى بالجليد. أغلق النافذة بقوة، وعاد إلى غرفة الجلوس، ورفع الصوت كثيراً فبدأ مكبر الصوت يهتزّ أمام ناظره. كان الصوت عالي الطبقة صافياً في أذنيه على نحو رائع.

أشاح المحتشدون أنظارهم عن الفرقة الموسيقية، ونظروا إلى الرجل المستلقي على الثلج. كانت قبعته قد تدحرجت بعيداً حتى صارت قرب منصة المغنية، في حين واصل الموسيقيون العزف غير مُدركين ما حدث بعد. وتراجعت الفتاتان اللتان كانتا تقفان بالقرب من الرجل إلى الورا، وشرعت إحداهما بالزعيق.

فتحت المغنية عينيها - وكانت تُغني مغمضة العينين - واكتشفت أنها لم تعد تحظى بانتباه الحاضرين، فاستدارت ورأت الرجل الملقى على الثلج. بحثت عيناها عن حارس، أو منظم، أو مدير، أو أي شخص يمكنه التعاطي مع الوضع، ولكنها كانت مجرد حفلة موسيقية في الشارع. وكان الجميع متمسرين في أماكنهم، فيما واصل الموسيقيون العزف.

بعد ذلك، صارت هناك حركة بين المحتشدين، وأفسح الناس المجال لمرور امرأة راحت تشقّ طريقها بمرفقها.

"روبرت!"

كان صوتها خشناً وأجشاً، ووجهها شاحباً، وترتدي سترة جلدية سوداء رقيقة. توجّهت نحو الجثة الهامدة متمائلة، وسقطت على ركبتيها بجانبه. "روبرت؟".

وضعت يدها النحيلة على عنقه، ومن ثم استدارت نحو الموسيقيين صارخة:

"أوقفوا العزف حباً بالله".

فكف أعضاء الفرقة الموسيقية عن العزف الواحد تلو الآخر.

"الرجل يموت. اتصلوا بطبيب. بسرعة!".

أعادت وضع يدها على عنقه، وكان النبض لا يزال مفقوداً. لقد سبق لها أن مرت بهذا الوضع مراراً؛ كان الأمر ينتهي على نحو جيد أحياناً، وعلى نحو سيئ في معظم الأحيان. لقد شعرت بالارتباك. لا يمكن أن يكون قد وصل إلى هذه الحال بسبب جرعة مُفْرِطَة؛ إذ لا يتعاطى أي عضو في اتحاد الرعاية الاجتماعية المخدرات، أليس كذلك؟ كانت الثلوج قد بدأت تتساقط، فيما نُذِف الثلج تذوب على خديّه. كانت عيناه مغمضتين وفمه مفتوحاً جزئياً. كان شاباً وسيماً، وبدا لها بوجهه المسترخي كما لو أنه ابنها عندما يكون نائماً. ومن ثم اكتشفت الخط الأحمر الممتد من ثقب أسود بالغ الصغر في رأسه نزولاً على الجبين والصّدغ، ووصولاً إلى داخل أُذنه.

أمسكتها ذراعان ورفعتاها، في حين قام شخص آخر بالانحناء فوق الشاب. أَلقت نظرة سريعة وأخيرة على وجهه، ومن ثم على الثقب، وأدركت بشكل مؤكد وموؤم أن هذا المصير ينتظر ابنها أيضاً.

سار بسرعة، ولكن ليس بسرعة كبيرة؛ فهو لم يكن يفرّ. نظر إلى ظهور الناس أمامه، فرأى شخصاً مسرعاً، فسار في أعقابه. لم يحاول أحد إيقافه بالطبع. فالأقاويل التي تُفِيد بوجود مسدس معه حملت الناس على التراجع إلى الوراء والهرب لدى رؤيته. في هذه الحالة، لم يستوعب معظمهم ما حدث.

إنها المهمة الأخيرة.

كان باستطاعته سماع استمرار عزف الفرقة الموسيقية.

كانت قد بدأت تُثلج. عظيم. من شأن ذلك أن يحمل الناس على توجيه أنظارهم نحو الأسفل لحماية عيونهم.

وعلى بُعد مئات قليلة من الأمتار، رأى مبنى محطة القطارات الأصفر. لقد اختبر شعوراً ينتابه من حين لآخر بأن كل شيء يطفو، وأن لا شيء يمكن أن يحدث له، وأن دبابة تي-55 الصربية ليست سوى وحش

حديدي ضرير وأصم يسير ببطء، وأن مدينته ستنهض من كبوتها عندما يعود إلى مسقط رأسه.

كان هناك شخص واقف حيث قرر رمي المسدس.

لقد بدت ملابسه جديدة وعلى "الموضة"، بصرف النظر عن حذاء الرياضة الأزرق الذي كان ينتعله. ولكن وجهه مجروح ومسفوع كوجه حدّاد. ويبدو أن الرجل، أو الفتى، أو أيّاً يكن، يعتزم البقاء حيث هو، وقد دسّ ذراعه اليمنى بأكملها في فتحة سلّة المهملات الخضراء.

ومن دون إبطاء، تحقق من ساعته. لقد مرت دقيقتان على إطلاق النار، وبقيت إحدى عشرة دقيقة على مغادرة القطار، وكان لا يزال يحتفظ بالمسدس. لذا، مرّ بجانب السلّة، وواصل طريقه نحو المطعم. دنا منه رجل محدّقاً، ولكنه لم يُشِحْ بنظره إلا بعد أن مرّ بجانب بعضهما.

توجّه إلى باب المطعم ودفعه.

وفي غرفة الملابس، كانت هناك والدة منحنية فوق فتى يلهو بسحاب سترته، فلم ينظر أيّ منهما إليه. كان المعطف المصنوع من قماش وبَرّ الجمال لا يزال معلّقاً في مكانه، والحقيبة تحته. أخذهما معه إلى حمام الرجال، وأقفل على نفسه في إحدى الحجرتين، وخلع معطفه الوافي من المطر، ووضع القلنسوة في الجيب، ثم ارتدى المعطف المصنوع من قماش وبَرّ الجمال. وبالرغم من عدم وجود نوافذ، كان باستطاعته سماع صفارات الإنذار تدوي في الخارج؛ صفارات إنذار عديدة. ألقى نظرة حوله. يجب عليه التخلص من المسدس، ولم تكن لديه خيارات عديدة. لذا، وقف على مقعد المرحاض، ومدّد نفسه في اتجاه فجوة التهوية البيضاء في الجدار، وحاول وضع المسدس داخلها. ولكن، كان هناك حاجز شبكي حديدي.

نزل عن مقعد المرحاض وهو يتنفس بصعوبة ويشعر بالحرارة. كانت لا تزال هناك ثماني دقائق حتى ينطلق القطار. باستطاعته أن يستقلّ قطاراً ينطلق في وقت لاحق بالطبع. لم يكن موعد انطلاق القطار هو الأمر بالغ الأهمية، بل مرور خمس دقائق من دون أن يتخلص من السلاح. وهي تقول على الدوام إن أي تأخير يفوق الدقائق الأربع مجازفة غير مقبولة.

كان باستطاعته ترك المسدس على الأرض، ولكنهم يتبعون على الدوام مبدأ عدم السماح بالعثور على المسدس قبل أن يصبح في مأمن.

غادر حجرة المرحاض وتوجّه إلى المغسلة، غسل يديه فيما كانت عيناه تتفحصان الغرفة المُقْفِرة بعناية. وتوقفتا عند علبه الصابون فوق المغسلة.

غادر جون وثيا المطعم في تورغاتا بذراعين متشابكتين.
وأطلقت ثيا صرخة عندما انزلت على الجليد في منطقة المشاة. لقد
جرّت معها جون الذي أنقذهما معاً في الدقيقة الأخيرة. وجلجلت ضحكتها
المرحة في أذنيه.

"قلتِ نعم!". صاح رافعاً رأسه نحو السماء، وشعر بُندف الثلج تذوب
على وجهه. "قلتِ نعم!".

ودوى صوت صفارة إنذار في سكون الليل؛ بل عدة صفارات إنذار.
وجاءت الأصوات من ناحية كارل جوهانز.

"هل نذهب ونتحقق من سبب هذه الجلبة؟". سأل جون وهو يُمسك
يدها.

"لا، يا جون". قالت ثيا مقطبةً جبينها.

"بلى. هيا بنا، فلنذهب!".

فتبنت ثيا قدميها على الأرض، ولكن نعليّ حذائها الزلّقيين لم يجدا أي
قوة ارتكاز. "لا يا جون".

ولكن جون ضحك فحسب وسحبها وراءه.
"قلتُ لا!".

كان صدى صوتها كافياً ليدعها جون في الحال. ونظر إليها مندهشاً.
فتنهدت قائلة: "لا أريد رؤية حريق الآن بالذات، بل أريد الذهاب
معك إلى السرير".

أمعن جون النظر إلى وجهها. "أنا سعيد جداً يا ثيا. لقد جعلتني في
غاية السعادة".

لم يتمكن من سماع جوابها، لأنها كانت تُخفي وجهها في سترته.

القسم الثاني: المنقذ

9 - الثلاثاء، 16 كانون الأول/ديسمبر. الثلج

كان الثلج المتساقط على إغرتورغْت مَبْقَعاً باللون الأصفر بسبب الأنوار الكشّافة التابعة لوحدة مسرح الجريمة .

وقف هاري وهالفورسن في الخارج يراقبان المشاهدين والصحافيين الذين راوحوا يتدققون إلى حواجز الشرطة. أخرج هاري السيارة من فمه وسعل بصوت أجشّ وقال: "عدد كبير من الصحافيين".

"وصلوا إلى هنا بسرعة فائقة"، قال هالفورسن. "مركز الشرطة على بُعد رَمِيّة حجر من مكاتبهم بالطبع".

"عدد مشوّق. جريمة وسط زحمة الميلاد، وفي الشارع الأكثر شهرة في النرويج. ضحية رآها الجميع: رجل يقف بجانب قِدر اتحاد الرعاية الاجتماعية بينما كانت فرقة موسيقية ذائعة الصيت تُحيي حفلة. ماذا يمكنهم أن يطلبوا أكثر من ذلك؟".

"مقابلة صحافية مع المحقق الشهير هاري هول؟".

"سنبقى هنا في الوقت الحاضر"، قال هاري. "هل عرفت وقت حدوث الجريمة؟".

"بعد الساعة السابعة بقليل".

نظر هاري إلى ساعته. "أي قبل ساعة تقريباً. لماذا لم يتصل بي أحد من قَبْل؟".

"لا أعرف. تلقيتُ اتصالاً من البيبي أو بي قبل السابعة والنصف بقليل. اعتقدتُ أنك ستكون هنا قبل أن أصل...".

"إذاً، لقد اتصلت بي بمبادرة خاصة منك؟".

"حسناً، يبدو لي أنك المفتش بالرغم من كل شيء".

"يبدو لك"، تمتم هاري، ناقراً عقب السيارة وموقِعاً الرماد على الأرض، فأذاب غطاء الثلج الخفيف قبل أن يختفي.

"كل الأدلة ستكون قريباً تحت نصف متر من الثلج"، قال هالفورسن. "قضية نموذجية".

"لن يكون هناك أي دليل"، قال هاري.

كانت بتي تسير في اتجاههما والثلج عالق في شعرها الأشقر، وهي تحمل كيساً لحفظ الأدلة صغيراً بين أصابعها يحتوي على خرطوشة فارغة.

"خطأ"، قال هالفورسن لهاري بابتسامة ظافرة.

"تسعة مليمترات"، قالت بتي مقطبة وجهها. "الذخيرة الحربية الأكثر

انتشاراً. هذا كل ما حصلنا عليه".

"انسي ما حصلت عليه وما لم تحسلي عليه"، قال هاري. "ما كان انطباعك الأول؟ لا تفكري، تكلمي فقط".

فابتسمت بتي. لقد باتت تعرف هاري؛ الحدس أولاً ومن ثم الوقائع، لأن الحدس يوفر الوقائع أيضاً؛ هذا كل ما يوفره لكم مسرح الجريمة من معلومات لا يستطيع العقل تبيانها على الفور.

"لم أكون انطباعاً كبيراً. إغرتورغت هي الميدان الأكثر اكتظاظاً في أوصلو. لدينا مسرح جريمة ملوث إلى أبعد الحدود؛ علماً أننا وصلنا بعد عشرين دقيقة من مقتل الرجل؛ ولكن التنفيذ يبدو احترافياً. الطبيب يفحص الضحية الآن. يبدو الأمر كما لو أنه تلقى رصاصة في الجبين مباشرةً. قاتل محترف، أجل هذا هو حدسي".

"أنعمل وفقاً للحدس أيها المفتش؟".

واستدار الثلاثة في اتجاه الصوت وراءهم. إنه غونار هاغن. كان يرتدي سترة عسكرية خضراء ويعتمر قلنسوة صوفية سوداء، والابتسامة بادية على زاويتي فمه فقط.

"نبذل فُصاري جهدنا للوصول إلى نتيجة أيها الرئيس"، قال هاري. "ما الذي جاء بك إلى هنا؟".

"ألم تقع الجريمة هنا؟".

"بطريقة ما".

"كان بيارني مولر يفضل المكتب كما أستنتج. بالنسبة إليّ، أنا على قناعة تامة بأنه يُفترض بالقائد أن يكون في الميدان. هل أُطلق أكثر من عيار ناري واحد؟ هالفورسن؟".

أجفل هالفورسن وأجاب: "ليس وفقاً للشهود الذين تحدثنا إليهم".

"هل حصلت على أوصاف؟".

"إنه رجل". وتحركت عينا هالفورسن بسرعة بين البيي أو بي وهاري. "هذا كل ما نعرفه حتى الآن. كان الناس يشاهدون الفرقة الموسيقية، وحدث كل شيء بسرعة كبيرة".

فنخر هاغن. "في حشد مماثل، لا بد من أن يكون أحدهم قد ألقى نظرة وافية على الرجل المسلح".

"قد تظن ذلك"، قال هالفورسن، "ولكننا لا نعرف بشكل مؤكد المكان

الذي كان الرجل يقف فيه".

"أتصور ذلك". وأطلق ابتسامة بالغة الصغر مرة ثانية.

"كان يقف أمام الضحية"، قال هاري، "على مسافة مترين كحد أقصى".
"آه!". والتفت هاغن والاثنتان الآخران إلى هاري.

"كان رجلنا المسلح يعرف أنه إذا أراد قتل أحد بسلاح من عيار صغير فعليه إطلاق النار عليه في الرأس"، قال هاري. "وهما أنه أطلق عياراً نارياً واحداً فقط، فقد كان واثقاً من النتيجة. إذاً، لا بد من أنه كان واقفاً في مكان قريب منه جداً ليتمكن من رؤية الثقب في الجبين، وليعرف أنه لم يُخفق. إذا تفحصتم ملابسه، يُفترض بكم العثور على مخلفات عيار ناري يُثبت ما أقوله. متران كحد أقصى".

"متر ونصف"، قالت بتي. "معظم المسدسات تقذف خرطوشات فارغة إلى اليمين ولكن ليس إلى مسافة بعيدة جداً. لقد عُثر على هذه الخرطوشة الفارغة مغروسةً في الثلج على بُعد متر وست وأربعين سنتيمتراً من الجثة. وعلى كمّ معطف الرجل الميت خيوط صوفية محروقة الأطراف".
تأمل هاري بتي. لم يكن مُعجباً بقدرتها الفطرية على تمييز الوجوه فحسب، بل بذكائها أيضاً، وحماستها، وبالفكرة المجنونة التي يتشاطرانها؛ ألا وهي أنّ العمل الذي يقومان به هام.

دفع هاغن قدميه عميقاً في الثلج. "عمل جيد يالون. ولكن، من الذي يرغب في موت عضو في اتحاد الرعاية الاجتماعية؟".
"لم يكن عضواً مهماً"، قال هالفورسن. "بل مجرد عضو عادي". وفتح دفتر مدوناته. "روبرت كارلسن، تسعة وعشرون عاماً، عازب، لا أبناء".
"ليس بدون أعداء كما يبدو"، قال هاغن. "ما رأيك يالون؟".
لم تنظر بتي إلى هاغن بل إلى هاري عندما أجابت: "ربما لا يكون الفرد هو المستهدف".

"آه!". وابتسم هاغن. "من المستهدف إذاً؟".

"اتحاد الرعاية الاجتماعية ربما".

"ما الذي يحملك على الاعتقاد بأنه واقع الحال؟".

فهزت بتي كتفها.

"وجهات نظر مثيرة للجدل"، قال هالفورسن. "ربما يكون متعصباً ما...".

"تمّ تدوين النظرية"، قال هاغن. "فليرني أحدكم الجثة".

فرمق كلٌّ من بتي وهالفورسن هاري بنظرة استجوابية، وأوماً هاري

في اتجاه بتي.

"يا الله!". قال هالفورسن عندما غادر هاغن وبتي. "هل يعترم البيي

أو بي الاضطلاع بالتحقيق؟".

فحك هاري دقنه مستغرقاً في التفكير، ونظره مسمر على المكان الذي يقف فيه مصورو وسائل الإعلام مُضيين ظلمة الشتاء بومضات آلات التصوير. "قاتل محترف"، قال.
"ماذا؟".

"قالت بتي إن مرتكب الجريمة شخص محترف. إذاً، لنبدأ من هنا. ما الأمر الأول الذي يقوم به المحترف بعد تنفيذ عملية القتل؟".
"يلوذ بالفرار؟".

"ليس بالضرورة. ولكن، بأي حال يتخلص من أي شيء يربطه بعملية إطلاق النار".
"السلاح".

"صحيح. أريد التحقق من كل المخازن، والحاويات، وأوعية القمامة، والأفنية الخلفية في إغرتورغيت في شعاع خمسة مجمعات سكنية. واطلب دعم قوات نظامية إذا اضطررت".
"حسناً".

"واحصل على كل أشرطة الفيديو من كاميرات المراقبة في متاجر المنطقة التي تُظهر مشاهد مصورة في الفترة الزمنية التي تتراوح ما بين قبل الساعة السابعة وبعدها".
"سأوكل هذه المهمة إلى سكار".

"وهناك أمر إضافي واحد. لداجلاديت أيضاً يد في تنظيم الحفلات الموسيقية التي تُقام في الشارع؛ إذ تتولى الصحيفة مهمة كتابة مقالات عنها. تحقق مما إذا كان مصورها الفوتوغرافي قد التقط أي صور للمشاهدين".

"بالطبع. لم أفكر في ذلك".

"أرسل الصور إلى بتي لثلقي نظرة عليها. وأريد من كل الثحرين التواجد في غرفة الاجتماعات في المنطقة الحمراء عند الساعة العاشرة من صباح غد. هل ستتصل بهم؟".

"أجل".

"أين لي ولي؟".

إنهما يستجوبان شهوداً في المحطة. كانت هناك فتاتان تقفان بجانب القاتل عندما أطلق النار".

"حسناً. اطلب من أولاً إعداد قائمة بأفراد عائلة الضحية وأصدقائه. من هنا سنبدأ بالتحقق مما إذا كانت هناك أي دوافع واضحة".

"ظننتُ أنك قلتَ إنه عمل محترف؟".

"علينا إبقاء عدة طابات في الجوِّ معاً ياهاالفورسن. وابدأ بالنظر في أي أمر يبدو لك واعداً. في المبدأ، يسهل العثور على أفراد العائلة والأصدقاء. فثماني جرائم من بين كل عشر جرائم يرتكبها...".

"... شخص يكون على معرفة بالضحية"، وتنهَّد هالفورسن.

وقاطع حديثهما شخص ينادي هاري هول. فاستدارا ورأيا الصحفيين يندفعون نحوهما على الثلج.

"حان وقت العرض"، قال هاري. "أرشدهم إلى هاغن. أنا ذاهب إلى

المركز".

سُجِّلت حقيبة الملابس في شركة النقل الجوّي، وكان سائراً في اتجاه مركز العبور الأمني بمعنويات مرتفعة. لقد أنجزت المهمة الأخيرة، وكان في مزاج جيد لدرجة أنه قرر تعريض نفسه للمخاطر. هزت المرأة التي كانت تقف هناك رأسها عندما أخرج المغلف الأزرق من جيبه الداخلي لإبراز تذكرته.

"هل تحمل هاتفاً محمولاً؟". سألت.

"لا". ووضع المغلف على الطاولة بين الآلة العاملة بأشعة إكس وجهاز كشف المعادن في أثناء خلعه معطفه المصنوع من قماش وَبَرّ الجمال. واكتشف أنه لا يزال يضع مِندِيل العُنُق، فنزعه ووضعه في جيبه، ووضع المِعْطَف على الصينيّة التي يحملها أحد الموظفين، وعبر جهاز الكشف تحت مراقبة زوجي عيون إضافيين مترقّبين. فبالإضافة إلى الرجل الذي يتفحص معطفه، وذاك الموجود في الطرف الآخر من الحزام الناقل، عدّ خمسة رجال أمن تتمثل مهمتهم الوحيدة بالتحقق من عدم أخذ المسافر أي شيء معه يمكن استخدامه كسلاح على متن الطائرة. وفي الجانب الآخر من جهاز الكشف، ارتدى معطفه مجدداً، وعاد لإحضار تذكرته الموضوعة على الطاولة. لم يوقفه أحد، ومرّ بجانب الموظفين. بهذه الطريقة، يمكن تهريب مدية داخل مغلف بسهولة تامة. ولج قاعة المغادرة الكبيرة. أوّل ما لفت انتباهه هو المنظر الذي تُطل عليه النافذة البانورامية الضخمة، وقد أسدل الثلج ستارة بيضاء أمام المنظر في الخارج.

جلست مارتين منحنيةً فوق عَجَلَة القيادة في أثناء قيام مسّاحتي

زجاج السيارة الأمامي بإزالة الثلج.

"كان الوزير إيجابياً"، قال ديفيد إكهوف بارتياح. "إيجابياً جداً".
"كنت تعرف ذلك مُسبقاً"، قالت مارتين. "إن الأشخاص أمثاله لا يأتون
لتناول الحساء ويدعون الصحافة إذا كانوا يريدون قول لا. فهم يريدون أن
تتم إعادة انتخابهم".

"أجل"، قال إكهوف متنهداً. "عليهم العمل لكي يُعاد انتخابهم". ونظر
إلى خارج النافذة. "إنه فتى حسن المظهر، أقصد ريكارد، أليس كذلك؟".
"أنت تكرر ما قلته سابقاً يا أبي".

"إنه بحاجة إلى القليل من التوجيه فقط ليكون رجلاً مفيداً لنا".
توجّهت مارتين بالسيارة إلى المرأب، وضغطت على جهاز التحكم عن
بُعد ففُتح الباب الفولاذي. دخلا المرأب، وأحدثت الإطارات المدعّمة بجنازير
صوتاً على الأرض الإسمنتية لموقف السيارات الفارغ.
تحت أحد مصابيح السطح، وبجانب الفولفو الزرقاء الخاصة بالمدير،
كان ريكارد واقفاً وقد ارتدى بذلة عمل وزوجاً من القفّازات. ولكنها لم
تنظر إليه، بل إلى الرجل الأشقر طويل القامة الواقف بجانبه، وقد عرفته
على الفور.

ركنت السيارة بجانب الفولفو، وظلّت فيها باحثةً عن شيء ما في
حقيبتها في أثناء خروج والدها الذي ترك الباب مفتوحاً، فسمعت الشرطي
يقول:

"إكهوف؟". وتردد الصوت بين الجدران.

"صحيح. هل يمكنني مساعدتك بأي شيء أيها الشاب؟".

وعرفت الابنة الصوت الذي اعتمده والدها؛ إنّه صوت المدير الودود
ولكن الحازم.

"أدعى المفتش هاري هول، منطقة أوسلو. الأمر مرتبط بأحد موظّفيك.
روبرت...".

كان باستطاعة مارتين الشعور بعيني الشرطي ترمقانها في أثناء خروجها
من السيارة.

"... كارلسن"، تابع هول كلامه ملتفتاً نحو المدير مجدداً.

"إنه بمثابة أخ لنا"، قال ديفيد إكهوف.

"أستميحك عُذراً؟".

"نحب التفكير في زملائنا كما لو أنهم من أفراد عائلتنا".

"أدرك ذلك. في هذه الحالة، أخشى أنه عليّ أن أنقل لك خبراً سيئاً

عن حدوث وفاة في العائلة ياسيد إكهوف".

شعرت مارتين بضيق في صدرها. وانتظر الشرطي قليلاً ريثما يستوعب الحاضرون النبأ قبل أن يتابع: "تُوِّفِّي روبرت كارلسن بعد إصابته بطلق ناري في إغرتورغَت عند الساعة السابعة من هذا المساء".

"يا الله القدير!". هتف والدها. "كيف؟".

"كل ما نعرفه هو أن شخصاً مجهول الهوية أطلق عليه النار وفرّ".
فهز والدها رأسه غير مصدّق. "ولكن... ولكن، هل قلت عند الساعة السابعة؟
لماذا... لماذا لم يُخبرني أحد حتى الآن؟".

"بسبب وجود إجراءات روتينية في حالات كهذه، فنحن نُبلغ الأنسباء أولاً. وأنا آسف للقول إننا لم نتمكن من العثور على أيّ منهم".

أدركت مارتين انطلاقةً من جواب التحري الواقعي والصّبور أن هذا الأخير معتاد على الأشخاص الذين يُبدون رد فعل حيال نبأ فقدان أحد الأقارب ويطرحون هذا النوع من الأسئلة.

"أفهم ذلك". قال إكهوف نافخاً خديّه ومُطلقاً الهواء من فمه. "لم يُعدّ والدا روبرت يقيمان في النرويج. ولكن، لا بد من أن تكون قد اتصلت بشقيقه جون، أليس كذلك؟".

"ليس في المنزل، وهو لا يُجيب على هاتفه المحمول. قيل لي إنه ربما يكون هنا في المقر الرئيس يعمل حتى وقت متأخر. ولكن الشخص الوحيد الذي التقينّه هنا هو هذا الشاب". وأوماً برأسه في اتجاه ريكارد الذي كان واقفاً هناك وعيناه تلمعان كخوريلا مكتتبه، وذراعاها متدليتان على جانبيه وتنتهيان بقفازي اختصاصي ضخمين، والعرق يتصبّب فوق شفته العلوية.

"هل لديك أي فكرة عن المكان الذي يمكنني العثور عليه فيه؟". سأل الشرطي.

فنظرت مارتين إلى والدها، ثم هزّأ رأسيهما نافرين.

"هل لديك أي فكرة عمّن قد يرغب في إزهاق روح روبرت كارلسن؟".

وهذا رأسيهما مجدداً.

"حسناً، الآن بتّم تعرفون. عليّ الانصراف، ولكننا نرغب في العودة غداً لطرح المزيد من الأسئلة".

"بالطبع أيها المفتش"، قال المدير مقوِّماً وقفته. "ولكن، قبل أن تذهب، هل يمكنني أن أطلب منك المزيد من التفاصيل عما حدث؟".

"حاول على التيليتكست. عليّ المغادرة".

راقبت مارتين تبدّل لون وجه والدها، ثم التفتت نحو الشرطي والتقت نظراتهما.

"أعتذر، الوقت عامل هام في هذه المرحلة من التحقيق."
"يمكنك... يمكنك أن تحاول العثور عليه في منزل شقيقتي ثيا نيلسن."
والتفت الثلاثة إلى ريكارد الذي تابع قائلاً: "إنها تُقيم في المجمع السكني التابع لاتحاد الرعاية الاجتماعية في غوتربورغاتا".
فأوما الشرطي برأسه. وكان على وشك المغادرة عندما استدار مجدداً نحو إكهوف وسأله:

"لماذا لا يُقيم الوالدان في النرويج؟"
"إنها قصة طويلة. لقد ارتكبا زلّة".
"ارتكبا زلّة!"

"لقد تخلياً عن مبادئهما. إن الأشخاص الذين نشأوا وفقاً لمفاهيم اتحاد الرعاية الاجتماعية غالباً ما يجدون صعوبة عندما يختارون طريقاً مختلفاً".

راقبت مارتين والدها، ولكنها هي أيضاً لم تتمكن من ملاحظة الكذب على ملامح وجهه العنيدة. وحين غادر الشرطي، شعرت بتدفق أولى العبرات. وبعد أن اختفى صوت وَقْع حُطاه، تنحنح ريكارد قائلاً: "وضعتُ إطارات الصيف في صندوق السيارة".

عندما صدر الإعلان أخيراً عبر مكبرات الصوت في مطار غاردموين، حزر المضمون:

"نظراً لتردّي أحوال الطقس، أوقفت الرحلات مؤقتاً".
إنه أمر واقع، قال لنفسه، على غرار الإعلان الأول قبل ساعة الذي أشار إلى إرجاء الرحلات الجوية بسبب كثافة الثلج.
كان الركاب قد انتظروا في أثناء قيام الثلج بفرش أغشية سميكة فوق الهيكل الخارجي للطائرة، وراقب بشكل غير مباشر الموظفين المرتدين بذلات نظامية: ربما يرتدون بذلات نظامية في المطار. وعندما رفعت المرأة المرتدية بذلة زرقاء والتي تجلس وراء المنضدة عند البوابة 42 مكبر الصوت، تمكّن من رؤية الكتابة فوق وجهها. لقد أُغيت الرحلة الجوية إلى زغرب. اعتذرت الموظفة وقالت إن الطائرة ستقلع عند العاشرة وأربعين دقيقة من صباح اليوم التالي. أطلق الركاب أنيناً جماعياً مكتوماً، فأبلغتهم أن الخطوط الجوية ستغطي تكلفة رحلة العودة إلى أوصلو على متن القطار، إضافةً إلى

تأمينها غرفة لكل مسافر في فندق أس أس لركاب الترانزيت وأولئك المسافرين بموجب تذكرة عودة.

إنه الواقع، قال لنفسه مرة أخرى بينما كان القطار يجري وسط المنظر الطبيعي الليلي المظلم. لقد توقف مرة واحدة فقط قبل أوصلو؛ عند مجموعة متنوعة من المنازل على أرض ممتشحة بالبياض. كان هناك كلب يرتجف تحت أحد المقاعد في أثناء تكوم الثلج. لقد بدا شبيهاً بتينتو؛ الكلب اللعوب الشارد الذي كان يركض في الحي في فوكوفار في صغره، والذي زوده جيورجي وفتيان آخرون أكبر سنًا بطوق جلدي كُتب عليه اسمه: تينتو، واسم المالك: سفي. الجميع. لم يكن أحد يتمنى أي أذى لتينتو. لا أحد. ولكن ذلك لم يكن كافياً أحياناً.

انتقل جون إلى آخر الغرفة، بعيداً عن الباب الأمامي، في أثناء توجهه ثيا لفتحه. إنها جارتها إيما: "أسفة ياثيا، ولكن هذا الرجل بحاجة للاتصال بجون كارلسن لضرورة ماسة".

"جون؟"

وسمع صوت رجل: "أجل. أبلغت أنني ربما أتمكن من العثور عليه في هذا العنوان مع ثيا نيلسن. لا وجود لأي أسماء بجانب الأجراس في الأسفل، ولكن هذه السيدة ساعدتني كثيراً".

"جون هنا! لا أعرف كيف...".

"أنا من الشرطة. أدعى المفتش هاري هول. الأمر يتعلق بشقيق جون".

"روبرت؟"

وتوجه جون نحو الباب. كان رجل طويل مثله وذو عينين زرقاوين براقتين ينظر إليه من حيث يقف عند المدخل. "هل قام روبرت بأي أمر خاطئ؟". سأل محاولاً تجاهل الجارة الواقفة على أطراف أصابعها لتتمكن من الرؤية من فوق كتف المفتش.

"لا نعرف". قال الرجل. "هل يمكنني الدخول؟".

"رجاءً تفضّل"، قالت ثيا.

دخل المفتش وأغلق الباب في وجه الجارة خائبة الأمل. "أخشى أن يكون هناك نبأ سيئ. ربما يجدر بك الجلوس".

وجلس الثلاثة حول طاولة صغيرة منخفضة. لقد بدا الأمر كما لو أن جون قد تلقى لكمة على معدته، فقد مدّ رأسه إلى الأمام كردّ فعل

تلقائي؛ منتظراً سماع ما سيقوله المفتش.

"هل مات؟". سمع ثيا تهمس. "روبرت؟".

تنحى وتابع كلامه. بدت الكلمات بالنسبة إلى جون كصوت غامض يكاد لا يكون مفهوماً. وفي أثناء استماعه طوال الوقت إلى المفتش الذي راح يشرح الظروف، كان يركز على شيء واحد؛ فم ثيا المفتوح جزئياً وشفتيها الحمراء الرطبتين. كان تنفّسها عبارة عن لُهاث قصير وسريع. ولم يلاحظ جون أن المفتش كَفَّ عن الكلام حتى سمع صوت ثيا:

"جون! لقد طرح عليك سؤالاً".

"آسف. كنت... ماذا قلت؟".

"أعلم أنه وقت عصيب، ولكنني كنت أتساءل عما إذا كنت تعرف شخصاً ما يتمنى موت شقيقك".

"روبرت؟!". وبدا الأمر كما لو أن كل شيء - وهزة رأس جون أيضاً -

يحدث بحركة بطيئة.

"حسناً"، قال الشرطي من دون أن يكتب أي شيء على دفتر المدونات الذي أخرجه. "هل هناك أمر ما في عمله أو حياته الخاصة ربما تسبب بظهور أعداء له؟".

وسمع جون ضحكته غير الملائمة وهو يقول: "روبرت في اتحاد الرعاية الاجتماعية. عدونا الوحيد هو الفقر المادّي والروحي. من النادر أن يتعرّض أي منا للقتل".

"حسناً، هذا في ما يتعلق بالعمل. ماذا عن الحياة الخاصة؟".

"ما قلته ينطبق على العمل وحياته الخاصة معاً".

وانتظر المفتش أن يتابع جون كلامه.

"كان روبرت لطيفاً"، قال جون ذلك بصوت متهدّج، وتابع: "ومخلصاً.

كان الجميع يحبونه. إنه...". وأصبح صوته غير واضح، وصمت.

ألقي هاري نظرة على أرجاء الغرفة. لم يبدُ مرتاحاً للوضع، ولكنه

انتظر، وانتظر.

ابتلع جون لعابه بصعوبة وتابع: "كان يُظهر جفاءً من حين لآخر،

وقليلاً من... التهور. واعتبره البعض متهمكاً قليلاً. هذا ما كان عليه حاله.

ولكن في العمق، لم يكن روبرت مؤذياً".

التفت هاري نحو ثيا، ثم نظر إلى مدوناته. "أنت ثيا نيلسن، شقيقة

ريكارد نيلسن كما أعتقد. هل يتطابق ما قاله جون مع انطباعك عن

روبرت كارلسن؟".

فهزت ثيا كنفِها وأجابت: "لم أعرف روبرت جيداً. لم...". وشبكت ذراعِها وتجنّبت نظرة جون المحدّقة. "لم يؤدّ أحداً مطلقاً وفقاً لمعلوماتي". "هل قال روبرت أي شيء يمكن أن يوحي بأنه يواجه نزاعاً مع أحد؟".

هزّ جون رأسه بقوة كما لو أنه يحاول التخلص من شيء ما داخله. لقد مات روبرت. مات.

"هل كان روبرت يدين بالمال لأحد؟".

"لا. أجل. لي. القليل من المال".

"هل أنت واثق من أنه لم يكن يدين بالمال لأي شخص آخر؟".

"ماذا تعني؟".

"هل كان روبرت يتعاطى المخدرات؟".

فحدّق جون إلى هاري مذعوراً، ومن ثم أجاب: "لا، لم يكن يتعاطى

المخدرات".

"كيف يمكنك أن تكون متأكداً من ذلك؟ لا...".

"كنا نعمل مع مُدمني مخدرات. ونحن نعرف الأعراض، لذا أقول إن

روبرت لم يكن يتعاطى المخدرات. اتفقنا؟".

أوماً هاري برأسه ودوّن بعض الملاحظات. "آسف، ولكن علينا طرح

أسئلة عن هذه الأمور. من الطبيعي ألا يكون بإمكاننا استبعاد احتمال أن

يكون الرجل الذي أطلق النار من المسدس مجنوناً وروبرت ضحية عشوائية،

أو أن تكون عملية القتل موجّهة ضدكم بما أن العضو الواقف بجانب قدر

الطعام في فترة الميلاد يمثلكم. هل تملك أي معلومات قد تدعم النظرية

الأخيرة؟".

وهزّ الشاب والشابة رأسيهما بشكل متزامن.

"شكراً لمساعدتك". دسّ هاري دفتر المدوّنات في جيب سترته ووقف.

"لم نتمكن من العثور على رقم هاتف والديك أو عنوانهما...".

"سأهتم بذلك"، قال جون محدّقاً إلى الفضاء الفارغ. "هل أنت واثق

تماماً؟".

"واثقٍ ممّ؟".

"من أنه روبرت؟".

"أجل. آسف لأنه واقع الحال".

"ولكن، هذا كل ما أنت واثق منه"، قالت ثيا فجأةً. "عدا عن ذلك،

أنت لا تعرف شيئاً".

وقف هاري أمام الباب، وفكّر ملياً بتعليقها قبل أن يُجيب.
"أعتقد أنها خُلاصةٌ دقيقة عن الوضع".

عند الثانية من بعد منتصف الليل توقف هطول الثلج، واختفت
السُّحُبُ التي كانت معلّقة فوق المدينة كستارة مسرح سوداء ثقيلة، وظهر
قمر أصفر كبير. وبدأت درجة الحرارة تحت السماء الصافية بالانخفاض
مجدداً.

10 - الأربعاء، 17 كانون الأول/ديسمبر. المرتاب

حلّ اليوم السابع السابق لعشيّة الكرسمس مع درجة حرارة شديدة الانخفاض؛ فشعر الناس في شوارع أوسلو بأنهم عُصروا بققّاز فولاذي فيما كانوا يحثون الخطى بصمت، مرّكين على أمر واحد: الوصول إلى مقاصدهم والفرار من قبضة البرّد القارس.

كان هاري جالساً في غرفة الاجتماعات في المنطقة الحمراء في المقرّ الرئيس للشرطة، يُصغي إلى تقرير بتي لون المثبط للعزيمة، محاولاً تجاهل الصحف المكدسة على الطاولة أمامه. كانت كل الصحف قد نشرت خبراً عن الجريمة في صفحاتها الأمامية مع الصورة الحبيبية لإغرتورغيت المظلمة في الشتاء. لقد تمكنت فيردنز غانغ و داجبلاديت من جمع بعض الوقائع - بشيء من حُسن النية - التي يمكن اعتبارها أوصافاً لروبرت كارلسن بالاستناد إلى أحاديث عشوائية متسرّعة مع أصدقاء ومعارف. "شخص لطيف"، "يرغب على الدوام في مدّ يد العون"، "مأساوي". كان هاري قد قرأها بدقة وتمعّن فيها من دون أن يتمكن من العثور على أي شيء هام. ولم يتّصل أحد بالوالدين، وكانت أفنتبوستن هي الصحيفة الوحيدة التي نشرت اقتباساً عن جون: "غير مفهوم". كان هذا التعليق الوجيز قد طُبِع تحت صورة رجلٍ ملامح وجهه مشوّشة، وشعره منفوش، ويقف أمام شقق اتحاد الرعاية الاجتماعية في غوتربورغاتا. لقد وضع المقالة صديق قديم يُدعى رودجر دجنديم.

حك هاري فخذَه من فوق سروال الجينز، مفكراً في أنه كان ينبغي له ارتداء معطف طويل. لدى وصوله إلى العمل عند الساعة والنصف، قصد هاغن ليسأله عن الشخص الذي سيتّأسس التحقيق، فنظر إليه هاغن وأجابَه أنه قرر مع الضابط المُشرف تكليفه مهمة قيادة التحقيق حتى إشعار آخر. لم يطلب هاري شرحاً عما تعنيه عبارة حتى إشعار آخر، بل أوماً برأسه وغادر.

كان اثنا عشر تحريياً من فريق مكافحة الجريمة - رغبوا في المشاركة في التحقيق - إضافةً إلى بتي لون وغونار هاغن، قد شرعوا بمناقشة القضية. وخُلاصةً ثيا نيلسن التي دوّنها في المساء السابق دقيقةً كسابقاتها.

قبل كل شيء، ليس هناك شهود. فأَيّ من أولئك الذين كانوا في إغرتورغيت لم ير شيئاً ذا أهمية، وكان العمل لا يزال جارياً للتحقق من المشاهد الملتقطة بواسطة كاميرات السي سي تي في، ولكن لم يتم العثور

على شيء بعد. وأي من الموظفين الذين تمّ التحدث إليهم في المتاجر والمطاعم في بوابة كارل جوهانز لم يلاحظ شيئاً غير عادي، ولم يتقدّم أي شهود آخرين بجديد. وأفادت بتي التي كانت قد استلمت صوراً للمتواجدين حينها أرسلتها لها داجلايت في الليلة السابقة، أنها إما صور مكبّرة لفتيات مبتسمات، أو صور فوتوغرافية شديدة الإبهام لا توفر تفاصيل جيدة عن مميّزات الوجوه. لقد كبرت أجزاء من الصور الأخيرة، مركّزة على الأشخاص الموجودين أمام روبرت كارلسن، ولكنها لم ترّ سلاحاً أو أي شيء آخر يساعد على تحديد هوية الشخص الذي يبحثون عنه.

ثانياً، لم يزودهم الخبراء الجنائيون بأي دليل؛ باستثناء ما أفاد به خبير علم المقذوفات في كريمتكيسك بأن الرصاصة التي اخترقت رأس روبرت كارلسن مطابقة للخرطوشة الفارغة التي عثروا عليها. وثالثاً، لم يعثروا على أيّ دافع.

أنهت بتي عرض تقريرها، وطلب هاري من ماغنوس سكار الكلام. "هذا الصباح، تحدثتُ إلى مديرة متجر فريتكس في كيركفين حيث كان روبرت كارلسن يعمل. لقد صُدمت وقالت إن الجميع أحبوا روبرت، وإنه كان جذاباً ومواسياً للآخرين. وأقرت بأنه لم يكن بالإمكان توقع تصرفاته، وقالت إنه لم يكن يذهب إلى العمل أحياناً، ولكن لا يمكنها أن تتخيّل أن يكون لديه أعداء".

"إنها التعليقات نفسها التي أدلى بها أولئك الذين أجريتُ مقابلات معهم"، قال هالفورسن.

في أثناء النقاش، جلس غونار هاغن ويده خلف رأسه؛ مراقباً هاري بابتسامة صغيرة مترقبة كما لو أنه في عرض للألعاب السحرية؛ بانتظار أن يسحب هاري أرنباً من قبّعته. ولكن شيئاً لم يحدث؛ باستثناء الشُّبهات المعتادة والنظريات.

"هل هناك أيّ تخمينات؟". قال هاري. "هيا، بإمكانكم الظهور بمظهر الأغبياء. بعد انتهاء الاجتماع سيُسحب هذا الإذن".

"إنّ إطلاق النار على مرأى من الجميع في إحدى مناطق أوسلو الأكثر اكتظاظاً"، قال سكار. "يشير إلى أمر واحد؛ إنه عمل احترافي ناجح. وقد حصل ذلك ربما ليتمّ ردع الآخرين الذين لا يدفعون ديون المخدرات".

"حسناً"، قال هاري، "إن أيّاً من الأشخاص السريين في وحدة ناركو لم يرَ أو يسمع بروبوت كارلسن. وسجله نظيف. لا سوابق لديه أو أي شيء آخر. ألم يسمع أحد هنا بمُدمني المخدرات الذين لم يتم اعتقالهم قط؟".

"لم يعثر الخبراء الجنائيون على أي مواد غير قانونية في عيّات الدم"، قالت بتي. "ولم يكن هناك أي ذكر لآثار إبر أو دلالات أخرى".
تنحج هاغن، فالتفت إليه الآخرون. "لن يتورط أي عضو في اتحاد الرعاية الاجتماعية في ذلك النوع من الأمور. تابع".

لاحظ هاري رُقعاً حمراء تظهر شيئاً فشيئاً على جبين ماغنوس سكار. فسكار قصير القامة وبدين، وهو لاعب جُمباز سابق، شعره بُني ناعم وفيه فَرَق جانبي. إنه أحد التَّحرين الأصغر سنّاً، حديث النعمة، ومتعجرف وطموح، يذُكره بتوم والر الشاب بطرق شتّى، ولكنه لا يتمتع بذكاء والر المميّز، ولا بالمهارة اللازمة لعمل الشرطة. ولكن ثقة سكار بنفسه تبخرت في العام الأخير بطريقة ما، وكان هاري قبل ذلك قد بدأ يظنّ أنه من الممكن جعله شرطياً لائقاً بالرغم من كل شيء.

"من جهة ثانية، كان لدى روبرت كارلسن ميل اختباري"، قال هاري. "ونعلم أنه يمكن لمدمني المخدرات قضاء مدة الحكم القضائي في متاجر فريتكس. وكما تعلمون، إن حبّ الاستطلاع وسهولة المنال لا يلتقيان".

"بالتحديد"، قال سكار. "وعندما سألتُ السيدة في فريتكس عما إذا كان روبرت عازباً، قالت إنها تعتقد ذلك؛ علماً أن فتاة غريبة سألت عنه مرات قليلة، ولكنها بدت صغيرة في السن جداً. وهي تعتقد أن الفتاة من مكان ما في يوغوسلافيا السابقة".

"حسناً"، قال هاري. "سنبحث عن سلاح الجريمة، ولكننا سنوسّع منطقة البحث لتشمل شعاع ستة مجمعات سكنية. وسنستمر باستجواب الشهود، وسنقوم بجولة على المتاجر التي كانت مُغلقة تلك الليلة. لن نضيّع المزيد من الوقت على الصور التي التقطتها كاميرات سي سي تي في. لنتنظر حتى يصبح لدينا أمر محدّد نبحث عنه. لي ولي، لديكما عنوان شقة روبرت كارلسن ومذكرة البحث. بوابة غوربيتز، أليس كذلك؟".

فأوما لي ولي برأسيهما.

"تحققاً من مكتبه أيضاً، ربما ستعثران على شيء ما مثير للاهتمام هناك. أحضرا أي رسالة أو أسطوانة صلبة تجدانها في المكين إلى هنا لنتمكن من دراستها ومعرفة الأشخاص الذين كان على علاقة بهم. لقد تحدثتُ إلى كريوس ليتصلوا بالإنترنت اليوم لمعرفة ما إذا كانت هناك قضايا مماثلة في أوروبا. هالفورسن، سترافقني إلى المقر الرئيس لاتحاد الرعاية الاجتماعية في وقت لاحق. بتي، أودّ التحدّث إليك قليلاً بعد الاجتماع. انطلقوا!".

"لحظة واحدة، أيها السادة".

وساد الصمت، فيما نظر الجميع إلى غونار هاغن.

"كما أرى، جاء بعضكم إلى العمل مرتدياً سراويل جينز بالية وملابس تروّج لما أفترض أنه نادي فالرنغن لكرة القدم. ربما قَبِلَ رئيسكم السابق بذلك، ولكنني لا أوافق عليه، فالصحافة ستتعبّنا. بدءاً من الغد، أريد رؤية ملابس مناسبة من دون وجود شعارات دعائية عليها. الرأي العام في الخارج، ونحن نريد أن يُنظر إلينا كموظفين حكوميين حياديين. أود أن أطلب من الذين يحملون رتبة مفتش وما فوق عدم المغادرة".

وعندما فرغت الغرفة، بقي هاري وبتي فيها فقط برفقة هاغن.

"سأصدر مذكرة أطلب فيها من كل المفتشين في الوحدة حمل أسلحة بدءاً من الأسبوع القادم"، قال هاغن.

فنظر إليه هاري وبتي غير مصدّقين.

"الحرب تحدثم هناك في الخارج"، قال هاغن رافعاً دَقنه. "وعلينا التعوّد على فكرة أن الأسلحة ستكون ضرورية مستقبلاً. ومن ثم، على الضباط عالي الرُتب أن يكونوا قُدوة للآخرين. يجب ألا يكون السلاح أمراً غير مألوف، بل وسيلة عادية لممارسة المهنة كالهاتف المحمول أو الكمبيوتر. اتفقنا؟".

"حسناً"، قال هاري، "لا أملك إجازة حمل سلاح ناري".

"أفترض أنك تمزح"، قال هاغن.

"أغفلتُ الاختبار في الخريف الماضي وتعيّن عليّ تسليم مسدسي".

"سأصدر لك إجازة. أملك سلطة القيام بذلك. ستجد الطلب الرسمي في صندوق رسائلك، وباستطاعتك استعادة سلاحك. لن يُستثنى أحد. انطلقاً".
ثم غادر هاغن.

"إنه مجنون"، قال هاري. "ما حاجتنا إلى المسدسات بالله عليك؟!".

"حان الوقت لترقيع سراويلنا الجينز وشراء قراب مسدس. آه!". قالت

بتي ذلك، وبريق مَرَحٍ ظاهر في عينيها.

"حسناً، لن أمانع إلقاء نظرة سريعة على الصور التي التقطتها

داجبلاديت لإِغرتورِغت".

"أخذم نفسك". ومرّرت له ملفاً أصفر.

فتح هاري المغلف وقال: "ستحصلين على الصور الفوتوغرافية في وقت

لاحق".

وقف بجانب النافذة في فندق راديسون أس أيه أس في هولبرغز، ملقياً نظرةً على المدينة البيضاء المتجمّدة عند الفجر. إن المباني منخفضة ومتواضعة؛ لقد بدا التفكير في أن هذه العاصمة هي عاصمة إحدى الدول الأكثر ثراءً في العالم أمراً غريباً. فالقصر الملكي بناء أصفر ولا يحمل طابعاً مميزاً، بل يجمع بين الديمقراطية الوردية والملكية الفقيرة. ورأى من بين أغصان الأشجار العارية شرفة واسعة. لا بد من أن الملك يتوجّه إلى مواطنيه من هناك. رفع بندقية وهمية إلى كتفه، وأغمض إحدى عينيه وسدّد، فانقسمت الشرفة إلى شطرين بطريقة مشوّشة.

كان قد حلم بجورجي.

عندما التقى جيورجي للمرة الأولى، كان جاثماً بجانب كلب يئنّ. تينتو هو ذاك الكلب، ولكن من هو الفتى الأشقر، أزرق العينين، مجعد الشعر؟ لقد تعاونوا على وضع تينتو في صندوق خشبي، وعلى نقله إلى الطبيب البيطري في المدينة الذي كان يقطن في منزل رمادي من الآجر، مؤلف من غرفتين، ويقع في غيضة تفاح كثيفة الأعشاب بجانب النهر. حينها، شخصّ الطبيب البيطري مرض تينتو، وقال إنه يعاني من مشاكل في الأسنان، وقال إنه ليس طبيب أسنان. علاوةً على ذلك، من الذي سيدفع المال من أجل كلب شارد مُسنّ سيفقد بقيّة أسنانه قريباً؟ من الأفضل وضع حد لحياته لتجنّبه الألم والموت البطيء نتيجة تضرّره جوعاً. ولكن جيورجي شرع بالبكاء. كان بكاؤه مرتفع الوتيرة، وممزّقاً الفؤاد، ولحنياً تقريباً. وعندما سأله الطبيب البيطري عن سبب بكائه، قال جيورجي إنه يشفق على الكلب المسكين الذي لا يوفّر له أحد المأوى أو الطعام. فهز الطبيب البيطري رأسه، واتصل بطبيب الأسنان. بعد المدرسة، عاد برفقة جيورجي ليريا تينتو وهو يهزّ ذيله. وأراهما الطبيب البيطري حشوات الأسنان السوداء الجميلة في فمه.

وبالرغم من أن جيورجي كان يتقدّمه بصفّ مدرسيّ، فقد لعباً معاً مرات قليلة بعد تلك الحادثة. ولكن ذلك لم يدُم سوى أسابيع قليلة بسبب بدء العطلة الصيفية. وعندما فتحت المدرسة أبوابها مجدّداً في الخريف، كان جيورجي قد نسيه كما يبدو. بأيّ حال، لقد تجاهله كما لو أنه لا شأن له به.

ومع مرور الزمن نسي أمر تينتو، ولكنه لم ينسَ جيورجي قطّ. وبعد عدة سنوات، وفي أثناء الحصار، مرّ بجانب كلب نحيل بين الأنقاض في الطرف الجنوبي للمدينة، فاقترب الكلب منه ولحق وجهه. لقد فقد طوقه

الجلدي، ولم يدرك أنه تينتو إلا عندما رأى حشوات الأسنان السوداء. تحقق من ساعته. من المتوقع وصول الحافلة التي ستقلهم إلى المطار بعد عشر دقائق. فالتقط حقيبة ملبسه، وألقى نظرة سريعة وأخيرة في أرجاء الغرفة للتحقق من عدم نسيانه أي شيء. وأصدرت الصحيفة صوت حفيف في أثناء فتحه الباب. نظر إلى أرض الممر ورأى الصحيفة نفسها ملقاة خارج عدد من الغرف. وقع نظره على صورة لساحة الجريمة في الصفحة الأمامية، فانحنى والتقط الصحيفة السميقة التي تحمل كتابة بخط قوطي غير مقروء.

وفي أثناء انتظاره المصعد حاول القراءة، ولكن بعض الكلمات ذكّرتَه بطريقة ما باللغة الألمانية التي لا يفهمها تقريباً. فقلّب الصفحات متأملاً الصور. وفي تلك الأثناء، فُتحت أبواب المصعد، فقرّر وضع الصحيفة الكبيرة غير العملية في سلّة المهملات بين المصعدين، ولكن المصعد كان فارغاً فاحتفظ بها، وضغط على زرّ الطابق الأرضي وركز على الصور. بدأ بقراءة النصّ الموجود تحت إحدى الصور، فلم يصدّق في بادئ الأمر ما يقرأه. ولكن، في أثناء اهتزاز المصعد قبل توقفه أدرك أمراً مريعاً؛ لدرجة أنه شعر بالدوار للحظات، وكان عليه الاستناد إلى الجدار. سقطت الصحيفة من يده تقريباً، ولم يرَ بابي المصعد اللذين فتحا أمامه.

وعندما رفع نظره أخيراً، كان يحدّق إلى الظلمة، ويعلم أنه موجود في الطابق السُّفلي وليس في بهو الاستقبال الذي يُعتبر الطابق الأول في هذا البلد لسبب مجهول.

خطا خارج المصعد، وأغلق البابان وراءه. جلس في الظلام محاولاً التفكير بوضوح لأن ما جرى يُفسد كل خطته، وحافلة المطار ستغادر بعد ثماني دقائق. هذا كل ما لديه من وقت لاتخاذ قرار.

"أحاول النظر إلى بعض الصور هنا"، قال هاري بيأس. فحدق هالفرسون من طاولته المقابلة لطاولة هاري قائلاً: "لا مانع لديّ".

"إذاً توقف عن طقطقة أصابعك. لماذا تقوم بذلك؟".
"هكذا؟". نظر هالفورسن إلى أصابعه وطقطقتها، ثم ضحك شاعراً بقليل من الإحراج. "إنها عادة قديمة".
"أه! حقاً!؟".

"كان والدي من المعجبين بليف ياشن، حارس المرمى الروسي في

الستينيات".

وانتظره هاري ليُكمل حديثه.

"أراد والدي أن أكون الحارس في نادي ستينجر. لذلك، عندما كنت صغيراً، اعتاد طقطقة أصابعه بين عينيّ، هكذا، كي لا أخاف من التسديدات الموجهة إلى المرمى. كان والد ياشن يتّبع الأسلوب نفسه كما يبدو. وإذا لم تطرف عيناك كنت أحصل على مكعب سكر".

وتلت الكلمات لحظة صمت تام في المكتب.

"أنت تمزح"، قال هاري.

"لا. سكر أسمر لذيذ".

"أعني في ما يتعلق بالطقطقة. هل ما أخبرتي به صحيح؟".

"تماماً. كان يقوم بذلك في كل الأوقات. في أثناء تناول وجبات الطعام، وفي أثناء مشاهدة التلفاز، لا بل أيضاً عندما يكون أصدقائي هناك. في النهاية، بدأت أقوم بذلك أنا أيضاً. لقد كتبت اسم ياشن على كل حقائبي المدرسية، وحفرت اسمه على طاولتي. حتى إنني أستخدم اسم ياشن الآن ككلمة مرور لبرامج الكمبيوتر ولكل ما يحتاج إلى كلمة بديلة. لقد تركت هذه العادة أثرها في تصرفاتي. هل تفهم؟".

"لا. هل الطقطقة تساعد؟".

"أجل، فأنا لا أخشى التسديدات القادمة في اتجاهي".

"إذاً، أنت...".

"لا. لقد ثبت أنني لا أملك الموهبة المناسبة للعب الكرة".

ضغط هاري على شفته العلوية بإصبعيه.

"هل باستطاعتك تمييز شيء في الصور؟". سأل هالفورسن.

"ليس عندما تكون جالساً أمامي، وأنت تططق أصابعك وتتكلم".

فهز هالفورسن رأسه قليلاً وقال: "أليس من المفترض بنا أن نكون في

طريقنا إلى مقر اتحاد الرعاية الاجتماعية؟".

"عندما أنني ما أقوم به يا هالفورسن".

"حسناً".

"هل عليك التنفس بهذه الطريقة... الغريبة جداً؟".

فأطبق هالفورسن فمه وسيطر على أنفاسه، فيما أبعد هاري نظراته عنه بسرعة ووجهها مجدداً إلى الأسفل. ظن هالفورسن أنه رأى ما يشبه الابتسامة، ولكنه ما كان ليراهن على ذلك. فقد زالت الابتسامة بسرعة وحلت مكانها تجعيدة عميقة في جبين التحري.

"تعال وانظر إلى هذه ياهالفورسن".

دار هالفورسن حول الطاولتين. كانت هناك صورتان فوتوغرافيتان أمام هاري تُظهران الحشود في إغرتورغت.

"هل يمكنك رؤية الرجل الذي يعتمر القبعة ويضع منديل العنق؟". وأشار هاري إلى وجه حُبيبي. "إنه يتخذ موقفاً متراصفاً مع روبرت كارلسن الواقف بمحاذاة الفرقة الموسيقية تماماً، أليس كذلك؟". "أجل...".

"ولكن، انظر إلى هذه الصورة. هناك. القبعة نفسها ومنديل العنق نفسه، ولكنه الآن في الوسط، أمام الفرقة الموسيقية مباشرةً". "هل هذا الأمر شديد الغرابة؟ لا بد من أن يكون قد انتقل إلى الوسط ليسمع ويرى بشكل أفضل".

"ولكن، ماذا لو قام بذلك بطريقة معاكسة؟". لم يُجب هالفورسن، لذلك تابع هاري. "فأنت لن تستبدل مكاناً في الأمام بمكان آخر بجانب مكبر الصوت حيث لا يمكنك أن ترى الفرقة الموسيقية ما لم يكن لديك سبب وجيه".

"كإطلاق النار على شخص ما؟". "كفك رُعونة".

"حسناً، ولكنك لا تعرف أيّاً من الصورتين تم التقاطها أولاً. أراهن على أنه تحرك إلى الوسط". "إلى أي مسافة؟". "مسافة مئتي متر".

"انتهى الوقت. انظر إلى الضوء تحت عمود الإنارة. إنه يظهر في كلتا الصورتين". ومرّر هاري لهالفورسن عدسة مكبرة وتابع: "هل يمكنك رؤية الفارق؟".

فأوما هالفورسن برأسه ببطء نائفاً.

"الثلج"، قال هاري. "إنها تُثلج في الصورة التي تُظهره جانباً. عندما بدأت تُثلج مساء أمس، لم تتوقف حتى وقت متأخر من الليل. لذلك، أقول إن تلك الصورة قد التقطت في وقت لاحق. سيكون علينا الاتصال بـودلوغ ذاك من داجبلاديت. إذا كان يستخدم آلة تصوير رقمية ذات ساعة داخلية، فربما سيكون لديه الوقت المحدد الذي التقطت فيه الصورة". كان هانز ودلوغ، من داجبلاديت، أحد أولئك الذين يولون آلات التصوير العاكسة أحادية العدسة ولفافات الأفلام ثقة كبيرة. لهذا السبب،

كان عليه تخيب أمل المفتش في ما يتعلق بتوقيت التقاط كل من الصور الفوتوغرافية.

"حسناً، قال هول. "هل صوّرت في الحفلة الموسيقية الليلة الماضية؟".
"أجل. أقوم ورودبرغ بتصوير كل ما يتعلق بموسيقى الشارع".
"إذا كنت تستخدم لفافات أفلام، فلا بد من أن تكون لديك صور في مكان ما هنا، أليس كذلك؟".
"أجل، لديّ صور. لو كنت أستخدم آلة تصوير رقمية لَمَا توافرت لديّ نتيجة مَحوها".
"هذا ما كنت أتساءل في شأنه. كنت أتساءل أيضاً عما إذا كنت تودّ تقديم خدمة لي".
"آه! وما هي؟".

"هل باستطاعتك التحقق من الفيلم الذي يعود تاريخه إلى أمس الأول؟ فرمّا استطعت العثور على رجل يعتمر قبعة صوفية ويرتدي معطفاً ويضع منديل عُنُق. نحن منكّبون على تفحص إحدى صورك الآن. باستطاعة هالفورسن مسحها بدقة وإرسالها لك إذا كان جهاز الكمبيوتر قربك".
فأبدى ودلوع بعض التحفظات. "باستطاعتي إرسال الصور لك، لا مشكلة في ذلك، ولكن تفحصها يبدو كما لو أنه مرتبط بعمل الشرطة. ونظراً إلى كوني رجل صحافة فأنا لا أريد أن تكون لي أي صلة بقضاياكم".
"أخشى أن الوقت يداهمنا. هل تودّ الحصول على صورة للمشتبه به أم لا؟".

"هل يعني ذلك أنك ستسمح لنا بطباعتها؟".
"أجل".

فارتفع صوت ودلوع وقال: "أنا في المختبر الآن، لذلك يمكنني التحقق في الحال. لقد التقطت مجموعة كبيرة من الصور للحشد، لذلك الأمل موجود. أحتاج إلى خمس دقائق".
مسح هالفورسن الصورة وأرسلها، فيما جلس هاري وهو ينقر بأصابعه منتظراً.

"ما الذي يجعلك واثقاً إلى هذه الدرجة من أنه كان هناك في مساء اليوم السابق؟". سأل هالفورسن.

"لست واثقاً من أي شيء"، قال هاري. "ولكن، إذا كانت بتي مُحقة وكان محترفاً، فلا بدّ أنه قام بعملية استكشاف في ظروف مماثلة قدر الإمكان لظروف العملية المخطّط لها. وكانت هناك حفلة موسيقية في

الشارع في اليوم السابق".

انتهت الدقائق الخمس. وبعد إحدى عشرة دقيقة، رنَّ الهاتف.
"ودلوع يتكلم. آسف، لا قبّعات، ولا معاطف، ولا مناديل عُنُق".

"تباً"، قال هاري بصوت مرتفع وواضح.

"أقدم اعتذاراتي. هل أرسلها إليكم لكي تتمكنوا من التحقق منها بأنفسكم؟ لديّ صور تُظهر الحاضرين في تلك الليلة تحت أضواء مرگزة. ستحصلون على منظر أفضل للوجه".

فتردد هاري. إن إعطاء الأولوية لكيفية تحديد الوقت أمر مهم، ولا سيما في الساعات الأربع والعشرين الأولى الحاسمة.

"أرسلها وسنلقي عليها نظرة في وقت لاحق"، قال هاري، وكان على وشك إعطاء ودلوع عنوان بريده الإلكتروني. "بالمناسبة، من الأفضل لك أن ترسلها إلى لون في كريمتكيسك؛ فلديها موهبة التعرف على الوجوه، وربما تمكنت من رؤية شيء ما". وأعطى ودلوع العنوان.

"لا أريد أن يُذكر اسمي في خانة مُرسل الصور، اتفقنا؟".

"بالطبع لا. سيكون مرسل الصور مصدرًا مجهولاً. يُسعدني العمل معك".

وضع هاري سماعة الهاتف مكانها، وأوماً برأسه لهالفورسن الذي كان يفتح عينيه على اتساعهما. "حسنًا أيها المبتدئ، لتوجه إلى مقر اتحاد الرعاية الاجتماعية".

ألقى هالفورسن نظرة سريعة على هاري. كان المفتش عاجزاً عن إخفاء نفاذ صبره في أثناء تمعنه بلوحة الإعلانات التي تتناول التدريبات الموسيقية، وجداول الخدمة. وبعد مرور وقت طويل، أنهت موظفة الاستقبال رمادية الشعر التي ترتدي بذلة نظامية مكاملتها، والتفتت إليهما مبتسمة.

فأخبرها هاري عن الغاية من زيارتهما بسرعة واقتضاب. أومأت برأسها كما لو أنها كانت بانتظارهما، وزودتهما بالتوجيهات.

لم يتكلما وانتظرا المصعد، ولكن هالفورسن رأى قطرات العرق تتجمّع على جبين المفتش. كان يعلم أن هاري لا يحب المصاعد. خرجا في الطابق الرابع، وتبع هالفورسن هاري مُهرولاً عبر الممرات الصفراء المؤدية إلى باب مكتب مفتوح. توقف هاري على نحو مفاجئ، لدرجة أن هالفورسن اصطدم به تقريباً.

"مرحباً"، قال هاري.

"مرحباً"، قال صوت امرأة. "أنت مجددًا!".

ملأت قامة هاري المدخل، وحالت دون رؤية هالفورسن المتكلمة، ولكنه لاحظ التبدل في صوت هاري. "هذا أنا بالفعل. هل يمكنني مقابلة المدير؟".

"إنه بانتظارك. ادخل فحسب".

تبع هالفورسن هاري عبر غرفة الانتظار الصغيرة، مع إيماءة خفيفة بالرأس لامرأة صغيرة الحجم تجلس وراء الطاولة. كانت جدران المكتب مزينة بدروع خشبية، وأقنعة، وحِراب. وعلى رفوف الكتب المرتبة منحوتات لأشخاص أفريقيين وصور أشخاص افترض هالفورسن أنهم أفراد عائلة المدير. "شكراً لك لمقابلتنا بهذه السرعة ياسيد إكهوف"، قال هاري. "أعرفك بالشرطي هالفورسن".

"حادث مأساوي"، قال إكهوف الذي وقف وراء طاولته وأشار بيده إلى كرسيين. "لاحقتنا الصحافة طوال اليوم. دعني أسمع ما لديك حتى الآن". وتبادل هاري وهالفورسن نظرات سريعة.

"نحن غير راغبين بعد في البوح بما توصلنا إليه ياسيد إكهوف".
قطب المدير حاجبيه على نحو مهذّب. وأطلق هالفورسن تنهيدة صامتة، واستعدّ لقيام هاري بجولة أخرى من مصارعة الديكّة. حينئذٍ عاد حاجبا المدير إلى مكائيهما.

"سامحني أيها المفتش هول، إنه تشويه مهني. نظراً إلى كوني المدير المشرف هنا، أنسى أحياناً أنه ليس من واجب كل شخص أن يقدم لي تقريراً. كيف يمكنني المساعدة؟".

"باختصار، كنت أتساءل عما إذا كان بإمكانك أن تتخيّل أي دوافع ممكنة لما حدث".

"هممم، بالطبع، لقد فكرت في هذا الأمر. يصعب التوصل إلى أي سبب. فقد كان روبرت في حالة من الفوضى ولكنه لطيف. إنه مختلف عن شقيقه تماماً".

"أليس جون لطيفاً؟".

"كنت أقصد أنه ليس في حالة من الفوضى".

"في أي نوع من المآزق كان روبرت متورطاً؟".

"متورط؟ أنت توحى بأمور لا أعرف عنها شيئاً. لقد عنيّت أن روبرت لم يكن يملك أي هدف جدّي في حياته بخلاف شقيقه. لقد عرفت والدهما جيّداً. كان جوزف من أفضل الأعضاء، ولكنه اضطر إلى الابتعاد".

"قلت إن القصة طويلة. هل من الممكن الحصول على رواية

مختصرة؟".

فتنهّد المدير بعمق وحدّق إلى خارج النافذة. "كان جوزف يعمل في الصين في زمن الفيضانات، حيث يموت الناس كالذباب. كان يوزّع أدوية في مقاطعة هونان؛ فقد كانت المياه مليئة بأفاعي راسل، لذلك تعرّض عدد كبير من الأشخاص للسعاتها. وبالرغم من قيام جوزف وفريقه باصطحاب صندوق مليء بالأدوية معهم، فقد كانوا يصلون متأخرين لأن تلك الأفاعي تفرز سُمًّا زُعافاً يُذيب الشرايين ويجعل الضحايا ينزفون من عيونهم وآذانهم... فيهلكون في غضون ساعة واحدة أو ساعتين. لقد شاهدت بنفسي تأثيرات هذا السُم عندما كنت أعمل في تانزانيا؛ فقد رأيت أشخاصاً يتعرضون لهذا النوع من السُموم. إنه منظر رهيب".

وأغمض إكهوف عينيه للحظات.

"في إحدى القرى، كان جوزف وممرّضته يحقنان توأمًا مصابًا بالتهاب رئوي بالينسلين. وفي أثناء قيامهما بذلك، دخل الوالد. كان قد تعرّض للتوّ للسهعة أفعى راسل في مياه حقل أرز. لم يكن جوزف كارلسن يملك سوى جرعة واحدة من المصل، فطلب من الممرّضة وضعها في محقنة وحقن الرجل. وفي غضون ذلك، خرج جوزف للتغوّط لأنه كان يعاني - على غرار العديدين - من تشنّجات معوية وإسهال. وبينما كان جاثمًا في المياه تعرّض للسهعة في خُصّيته وأطلق صيحات حادّة لدرجة أن الجميع عرفوا بما حدث. بعد عودته، قالت له الممرضة إن الصيني لم يسمح لها بحقنه لأنه أراد لجوزف أن يتلقّى الحقنة بدلًا منه. فإذا عاش جوزف، فباستطاعته إنقاذ حياة العديد من الأطفال، أما هو فلم يكن سوى مزارع فقد مزرعته".

وأخذ إكهوف نفسًا عميقًا قبل أن يتابع:

"قال جوزف إنه كان خائفًا جدًا لدرجة أنه لم يفكر مليًا برفض العرض، وطلب من الممرضة أن تحقنه بالمصل في الحال. بعد ذلك، شرع بالبكاء بينما كان المزارع الصيني يحاول مواساته، ثم توفي هذا الأخير في الحال".

راقبهما إكهوف في أثناء استيعابهما ما حصل.

"إذًا، كان ذلك سبب مغادرته البلد؟".

"هذا ما أخبرني به".

فأومأ هاري برأسه واسترق نظرة عابرة إلى ساعته وقال:

"هل تعتقد أن وفاة روبرت قد تكون موجّهة ضدكم كاتحاد معني"

بتقديم المساعدة الاجتماعية؟".

كان رد الفعل الفطري للمدير الجلوس بشكل مستقيم على كرسيه. "إذا كنت تعتقد أن من قام بذلك مجموعة محفزة ضدنا سياسياً فأنا أشك في ذلك. فنحن نلتزم الحياد في المسائل السياسية على الدوام، وموقفنا ثابت على هذا المبدأ. نحن نهتم بشؤوننا فقط وبمساعدة الآخرين." "أهنتكم"، علق هالفورسن بطريقة جافة، وتلقى نظرة تحذيرية محدقة من هاري.

قال هاري: "يبدو لي أن اتحادكم أكثر شعبية من أي وقت مضى." "حسناً، أجل ولا"، قال إكهوف. "نحن نحظى بثقة الشعب النرويجي. باستطاعتنا الشعور بذلك. ولكن المتطوعين لتقديم المساعدة ليسوا كثيراً. ففي هذا الخريف، لم يكن لدينا سوى أحد عشر متطوعاً في آسكرك؛ بالرغم من اتساع مركز الإقامة لستين شخصاً. ويمكننا القول إننا لا نتمتع بالشعبية في كل الأحياء. ولكن، هل تعرف أمراً؟ أعتقد أنه لا أهمية كبيرة لتقدم الأمور ببطء في الأزمنة المتغيرة". وابتسم لهالفورسن وهاري بطريقة توحى بأنهما عبّرا عن موافقتهما على كلامه. "بأي حال، سيضطلع الموظفون الأصغر سناً بشؤون المؤسسة مع رؤية للأمور تنسجم مع أعمارهم كما أفترض. في الوقت الحاضر، نحن على وشك تعيين رئيس مُشرف جديد، ولقد تقدّم بعض المرشحين الشبان بطلبات لشغل هذا المنصب". ووضع يده على معدته.

"هل كان روبرت أحدهم؟". سأل هاري.

فهب المدير رأسه مبتسماً. "يمكنني القول بثقة تامة إنه لم يكن أحدهم. ولكن شقيقه جون أحدهم. سيتولى من سيتم تعيينه مهمة الإشراف على مبالغ كبيرة من المال، بما في ذلك كل ممتلكاتنا، وروبرت ليس من النوع الذي يمكنك إسناد هذه المسؤولية إليه".

"هل الممتلكات هي تلك الموجودة في غوتربورغاتا؟".

"لدينا العديد منها. يُقيم موظفونا في غوتربورغاتا، في حين تُستخدم أماكن أخرى، كما في بوابة جاكوب آلز، لإيواء لاجئين من أرتريا والصومال وكرواتيا".

"حسناً". ونظر هاري إلى دفتر مدوناته، ووضع القلم على ذراع الكرسي بقوة ثم وقف. "أعتقد أننا شغلنا قدرًا وافيًا من وقتك ياسيد إكهوف". "آه! لا بأس بذلك؛ بالرغم من كل شيء، إنها مسألة تعيننا". وتبعهما المدير إلى الباب.

"هل باستطاعتي طرح سؤال شخصي عليك يا هول؟". سأل المدير. "أين سبق لي أن رأيتك؟ فأنا لا أنسى وجهاً أبداً".

"ربما على شاشة التلفاز أو في الصحيفة"، قال هاري. "كان هناك قدر كبير من الجلبنة في شأني بسبب مقتل مواطن نرويجي في أستراليا".

"لا، لقد نسيْتُ تلك الوجوه. لا بد أنني رأيتك شخصياً".
"هلا ذهبتَ لإحضار السيارة". قال هاري لهالفورسن. وعندما غادر هالفورسن، التفت إلى المدير وقال:

"لا أعلم. ولكنكم ساعدتموني ذات مرة. لقد أنقذني أحد الأعضاء ذات يوم قارس البرودة عندما كنت ثملاً جداً لدرجة أنه لم يكن باستطاعتي الاعتناء بنفسي. أراد العضو الذي عثر عليّ الاتصال بالشرطة بادئ ذي بدء كما لو أن باستطاعتهم القيام بالمهمة بشكل أفضل. فشرحتُ له أنني أعمل لصالح الشرطة، وأن ذلك يعني طردي من وظيفتي. لذلك، اصطحبني إلى مستشفى فيلد هوسبيتال حيث تلقيت حقنة وسمح لي بالنوم. أنا مدين لكم بقدر كبير من الامتنان".

فأوماً ديفيد إكهوف برأسه. "حسناً، كنت أظن ذلك؛ علماً أنني لم أشأ البوح به. وبما أنك ممتنٌ لنا، أعتقد أنه يُفترض بنا نسيان الأمر في الوقت الحاضر. سنكون مدينين لك إذا عثرتَ على الشخص الذي قتل روبرت. ليباركك الله وليبارك عملك يا هول".

أوماً هاري برأسه، ودخل غرفة الانتظار حيث مكث هناك للحظات محدقاً إلى باب إكهوف المُغلق.
"أنتِ تشبهينه كثيراً"، قال هاري.

"آه". صدر صوت المرأة الجّهير. "هل كان صارماً؟".

"أعني في الصورة الفوتوغرافية".

"كنتُ في التاسعة عشرة من عمري"، قالت مارتين إكهوف. "لقد أحسنتُ بالتعرّف إليّ".

فهز هاري رأسه. "بالمناسبة، عنيتُ بذلك البقاء على اتصال. أردتُ التحدث إليك".

"آه!".

كان باستطاعة هاري فهم نبرتها، فسارع إلى القول: "في شأن بير هولمان".

"هل هناك أي شيء لتحدث عنه؟". أجابت هازةً كتفّيتها بلا مبالاة، بالرغم من انخفاض حدة صوتها. "أنتَ تقوم بعملك وأنا أقوم بعلمي".

"ربما. ولكنني... حسناً، أردت القول إن الأمر ليس كما يبدو."
"وكيف يبدو؟".

"قلت لكِ إنني كنت أبالي ببيير هولمان، وانتهى بي الأمر مدمراً من
تبقي من عائلته. هذا هو حال عملي أحياناً".

كانت تهمّ بالإجابة عندما رنّ الهاتف، فرفعت السماعة وأصغت.
"دار عبادة فِستِه آكر"، أجابت. "الأحد في الحادي والعشرين، عند
الساعة الثانية عشرة. أجل".

وأعدت السماعة إلى مكانها.

"سيذهب الجميع إلى الجنازة"، قالت مقلبة الأوراق. "سياسيون،
ومشاهير. الكل يريدون قطعة منا في ساعة حزننا. لقد اتصل مدير أحد
مغنينا الجدد ليقول إنه باستطاعة المغني المشاركة في الجنازة".
"حسناً، إن...".

ولكن الهاتف رنّ ثانية، لذلك لم يتمكن من متابعة استفساره. كان
يعلم أن الوقت قد حان لخروج سريع، فأوماً برأسه واتجه نحو الباب.
"لقد حددت موعداً لأوليه يوم الأربعاء في إغرتورغيت"، سمعها تقول
وراءه. "أجل، في شأن روبرت. إذاً، يكمن السؤال في ما إذا كان بإمكانك
مرافقتي في حافلة الحساء هذا المساء".

في المصعد، شتم بصوت منخفض وفرك وجهه بيديه، ثم أطلق ضحكة
يائسة كما لو أنه يسخر من مهرجين مُريعين.

بدا مكتب روبرت أصغر حجماً اليوم، وعلى الدرجة نفسها من
الفوضى. كان الجليد يغطي النافذة، وسكين الجيب مغروزة في الطاولة
بجانب كومة أوراق ومغلفات غير مفتوحة. وكان جون جالساً إلى الطاولة،
وهو يجول بنظره على الجدران. توقف عند صورة لروبرت وله. متى
التقطت تلك الصورة؟ في أوستغارد بالطبع، ولكن في صيف أي عام؟ كان
روبرت يحاول التزام الجدّية من دون أن يتمكن من إخفاء ابتسامته التي
بدت غير طبيعية ومتكلفة.

كان قد قرأ عن قتل شقيقه في الصحف، وبدا الأمر غير حقيقي
ومرتبطاً بشخص آخر غير روبرت، بالرغم من علمه بكل التفاصيل.

وفُتح الباب. في الخارج، كانت هناك امرأة شقراء، طويلة القامة،
وترتدي سترة خضراء اللون، فمها شاحب، وعيناها قاسيتان وباهتتان، وملامح
وجها خالية من أي تعبير، ويقف وراءها رجل قصير وبدين، أحمر الشعر،

ذو ملامح صبيانية، وابتسامته العريضة من النوع الذي يبدو محفوراً في وجوه الأشخاص.

"من أنت؟". سألت المرأة.

"جون كارلسن". وعندما رأى عيني المرأة تزدادان قسوة، تابع. "أنا شقيق روبرت".

"أعتذر"، قالت المرأة برتابة، ودخلت الغرفة مائة يدها. "توريل لي، شرطية في فريق مكافحة الجريمة". كانت يدها قاسية كالعظام، ولكنها دافئة. "إنه الشرطي أولاً لي".

فأوماً الرجل برأسه، وأوماً له جون في المقابل.

"نأسف لما جرى"، قالت المرأة. "ولكن، علينا إغلاق هذه الغرفة بما أن المقيم فيها كان ضحية جريمة قتل".

واصل جون الإيماء برأسه، مُعيداً النظر إلى الصورة على الجدار.

"أخشى أن ذلك يعني أنه يتعين علينا...".

"آه، أجل، بالطبع"، قال جون. "آسف، أعاني من شرود في الذهن

قليلاً".

"الأمر مفهوم تماماً"، أجابت توريل لي بابتسامة غير عريضة، بل بابتسامة صغيرة وملائمة للوضع. كان جون يعتقد أنه لا بد للشرطة من أن تكون قد خبرت هذا النوع من الأمور؛ أي التعاطي مع المجرمين وما شابه. "هل لمست أي شيء؟". سألت.

"ماذا؟ لا، ولماذا سأقوم بذلك؟ كنت جالساً على الكرسي".

نهض جون، وسحب السكين المغروزة في الطاولة من دون أن يعرف

السبب، ثم وضعها في جيبه.

"كلها لك". قال مغادراً الغرفة. وأغلق الباب وراءه بهدوء. وعندما بلغ

الدرج، أدرك مدى غباء ما قام به؛ ألا وهو المغادرة حاملاً السكين،

فاستدار لإعادتها. ومن الخارج، سمع صوت المرأة وهي تضحك قائلة: "يا

الله! يا للصدمة التي تلقيتها! إنه صورة طبق الأصل عن شقيقه. لقد ظننتُ

في بادئ الأمر أنني أرى شبحاً".

"لا يبدو أن متشابهين البتة"، قال الرجل.

"لم تر سوى صورة...".

وتبادرت إلى ذهن جون فكرة مُريعة.

أقلعت أس كيه - 655 إلى زغرب من مطار غاردموين عند العاشرة

وأربعين دقيقة تماماً، ومالت جانبياً فوق بحيرة هوردال منطلقة إلى الجنوب في اتجاه برج الملاحة في آلبورغ، الدانمارك. وبما أن الطائرات تخلف وراءها آثار بخار في السماء عندما تحلق في مثل هذا الطقس، كان من المفترض به رؤية الطائرة - لو نظر إلى الأعلى من حيث يقف ويرتجف بجانب حُجيرات الهاتف في جرنبانيتورغت - التي كان ينبغي له السفر على متنها. كان قد ترك حقيبته في خزانة حقائب السفر في محطة قطارات أوصلو المركزية، وهو بحاجة الآن إلى غرفة في فندق. فعليه إتمام مهمته؛ مما يعني ضرورة حصوله على مسدس. ولكن، كيف يمكن الحصول على مسدس في مدينة لا يتوافر لكم فيها مصدر معلومات واحد؟ أصغى إلى المرأة في خدمة استعلامات الهاتف وهي تشرح بلغة إنكليزية رتيبة وبلكنة اسكنديناوية توافر سبعة عشر مدخلاً في دليل هاتف أوصلو للأشخاص الذين يحملون اسم جون كارلسن، وأسفت بسبب عدم تمكنها من إعطائه كل الأرقام، ولكن باستطاعتها تزويده برقم هاتف اتحاد الرعاية الاجتماعية.

قالت له السيدة في مقر اتحاد الرعاية الاجتماعية إن لديهم شخصاً يدعى جون كارلسن، ولكنه لم يأتِ إلى العمل. فأخبرها أنه يريد إرسال هدية له، وسألها عن عنوان منزله.

"دعني أتحقق من ذلك. غوتربورغاتا 4، صندوق بريد رقم 0566. من المناسب أن يفكر فيه أحد ما في مثل هذا الوقت. ياله من مسكين!".

"مسكين!".

"أجل، لقد قُتل شقيقه أمس بطلق ناري".

"شقيقه؟".

"أجل، في إغرتورغت. تمّ نشر الخبر في صحيفة اليوم".

فشكرها على مساعدتها وأنهى المكالمة.

لمس شيء ما كتفه، فاستدار.

شرح الكوب الورقي ما يريده الشاب. صحيح أن سترة الجينز متسخة قليلاً، ولكنه حليق الذّقن على نحو جيد، وتسريحة شعره عصرية، ويرتدي ملابس تنمّ عن ثراء، ولديه نظرة محدّقة واسعة ومترقّبة. قال الشاب أمراً ما، ولكن عندما هزّ كتفيه تعبيراً عن عدم إجادته اللغة النرويجية، تكلم الشاب بلغة إنكليزية سليمة:

"أدعى كريستوفر. أحتاج إلى المال للحصول على غرفة الليلة وإلا

فسأجمد حتى الموت".

كان الأمر أشبه بشيء ما تعلّمه عن التسويق: رسالة وجيزة ومختصرة إضافةً إلى اسمه ليثير مشاعر الشفقة. وترافق الطلب مع ابتسامة عريضة. هز رأسه وهمّ بالمغادرة، ولكن المتسوّل وقف أمامه حاملاً الكوب وقال: "هيا ياسيد. ألم تُضطر يوماً إلى النوم في ظروف صعبة؛ متجمّداً من البرد وخائفاً؟".

"بلى، في الواقع". لقد شعر في لحظة مجنونة بأنه على وشك أن يخبره بأنه اختبأ ذات مرة في جُحر ثعلب مليء بالماء طوال أربعة أيام، منتظراً دبابه صربية.

"إذاً، أنت تعرف ما الذي أتحدث عنه ياسيد". فأجاب بإيماءة بطيئة، ثم دسّ يده في جيّبه، وأخرج ورقة نقدية وأعطاهما لكريستوفر من دون أن ينظر إليه. "ستنام في ظروف صعبة بأي حال، أليس كذلك؟".

وضع كريستوفر المال في جيّبه، وأوماً برأسه، وقال بابتسامة اعتذارية: "عليّ إعطاء الأولوية للدواء ياسيد". "أين تنام عادة؟".

"هناك في الأسفل". وأشار مدمن المخدرات نحو منطقة حاويات قائلاً: "في منطقة الحاويات. سوف يبنون دار أوبرا هناك في الصيف". وأطلق كريستوفر ابتسامة واسعة أخرى وتابع: "أحب الأوبرا". "أليس الطقس بارداً قليلاً هناك الآن؟".

"ربما يؤمّن لي اتحاد الرعاية الاجتماعية مكاناً للنوم هذه الليلة. لديهم على الدوام سرير شاغر".

"هل يقومون بذلك فعلاً؟". وتأمل الفتى. كان يبدو نظيفاً، وتكشف ابتسامته عن مجموعة من الأسنان البيضاء اللامعة والمستوية. ومع ذلك، كانت تفوح منه رائحة عفن.

11 - الأربعاء، 17 كانون الأول/ديسمبر. الكرواتي

جلس هالفورسن بصبر وراء عَجَلَة القيادة، منتظراً سيارة متوقفة أمامه وتحمل لوحة برغن. دارت إطاراتها على الجليد بسرعة في أثناء ضغط السائق على دواسة الوقود حتى لامست قدمه أرضية السيارة. كان هاري يتحدث إلى بتي عبر هاتفه المحمول.

"ماذا تعنين؟" صاح هاري لحجب ضجيج المحرك الذي يتم تشغيله بأقصى سرعته.

"لا يبدو الشخص نفسه في هاتين الصورتين"، كررت بتي.

"إنها القُبعة الصوفية نفسها، والمعطف نفسه، ومِنديل العُنُق نفسه. لا بد من أن يكون الشخص نفسه، أليس كذلك؟".

فلم تُجب.

"بتي؟".

"الوجهان غير واضحين. هناك أمر غريب. لستُ واثقة منه تماماً. ربما يكون مرتبطاً بالضوء".

"حسناً، هل تظنين أن محاولتنا كشف هوية القاتل لا طائل منها؟".

"لا أعرف. إن موقعه أمام كارلسن يتطابق مع الدليل المتوافر لدينا. ما كل هذا الضجيج؟".

"بسبب الجليد. أراك لاحقاً".

"تمهّل، لا تنه الاتصال!".

فتمهّل هاري.

"هناك أمر إضافي"، قالت بتي. "لقد أقيتُ نظرة على الصور الأخرى".

"أجل، ماذا بشأنها؟".

"لا أرى أي وجوه مطابقة، ولكن لفتني تفصيل واحد صغير. هناك رجل يرتدي معطفاً مائلاً إلى الصُفرة، ربما يكون مصنوعاً من وَبَر الجمال. يضع لِفَاعاً...".

"أتعنين مِنديل عُنُق؟".

"لا، يبدو لِفَاعاً صوفياً عادياً، ولكنه معقود بالطريقة نفسها التي يُعقد بها مِنديل العُنُق. إذ ينتأ الجانب الأيمن من العُقدة. هل رأيته؟".

"لا".

"لم يسبق لي أن رأيت أحداً يعقد لِفَاعاً على هذا النحو"، قالت بتي.

"أرسلني لي الصور بالبريد الإلكتروني، وسألقي نظرة عليها".

أول شيء قام به هاري بعد عودته إلى المكتب إصدار نسخات ورقية عن صور بتي.

وعندما قصد غرفة الطباعة لإحضارها، كان غونار هاغن هناك. فأوماً هاري برأسه، ووقف الرجلان بصمت يراقبان الآلة الرمادية وهي تلفظ الأوراق الواحدة تلو الأخرى. "هل من جديد؟". سأل هاغن بعد مضي وقت طويل. "أجل ولا"، أجاب هاري.

"الصحافة تلاحقني باستمرار. سيكون أمراً جيداً إن تمكنا من تزويدهم بشيء ما".

"آه، أجل، نسيئاً أن أخبرك أيها الرئيس. لقد لمّحت لهم بأننا نبحت عن هذا الرجل". والتقط هاري إحدى النسخات المطبوعة، وأشار إلى الرجل الذي يضع منديل عُنُق. "ماذا فعلت؟". قال هاغن.

"لقد لمّحت للصحافة. داجبلاديت بالتحديد".

"من دون المرور بي؟".

"إنه جزء من الإجراءات المتبّعة أيها الرئيس. ندعوها تسريبات بناءة. نقول إن المعلومات من مصدر مجهول كي تتمكن الصحف من التظاهر بأنها تمارس دوراً استقصائياً جدياً. إنهم يحبون ذلك، لذلك يقومون بتخصيص مكان لها في الأعمدة أكبر مما لو طلبنا منهم نشر الصور. الآن، يمكننا الحصول على بعض المساعدة من الرأي العام لتحديد هوية الرجل، وسيكون الجميع سعداء".

"لست سعيداً ياهول".

"إذاً، أنا آسف فعلاً لسماعي ذلك أيها الرئيس". قال هاري بطريقة تعبيرية تنم عن قلق.

"وما هو المميّز جداً في شأن هذا الرجل؟". قال هاغن بعد أن أخذ النسخة المطبوعة من هاري.

"لسنا واثقين تماماً بعد. ربما هناك العديدون منهم. تعتقد بتي لون أنهم... حسناً، يعقدون منديل العُنُق بطريقة خاصة".

"إنها عُقدة كرافات". وألقى هاغن نظرة أخرى. "ماذا في شأنها؟".

"ماذا قلت عنها أيها الرئيس؟".

"عُقدة كرافات".

"هل تعني عُقدة ربطة عُقُق؟".

"إنها عُقدة كرواتية يارجل".

"ماذا؟".

"ألا يندرج هذا الأمر في إطار التاريخ الأساسي؟".

"أكون ممتناً لك إن قمت بتنويري أيها الرئيس".

وضع هاغن يديه وراء ظهره وسأله: "ماذا تعرف عن حرب الأعوام

الثلاثين؟".

"ليس بالقدر الكافي، كما أفترض".

"في أثناء حرب الأعوام الثلاثين، وقبل دخوله ألمانيا، تمّ غوستاف

أدولف، الملك السويدي، جيشه الصغير المدربّ بمن كان يُعتقد أنهم أفضل

الجنود في أوروبا. كانوا الأفضل لأنهم اعتُبروا شجعاناً بشكل مطلق. لقد

استأجر مرتزقة كرواتيين. هل كنت تعلم أن كلمة نرويجي *Krabat* مشتقة

من اللغة السويدية ومعناها الأصلي *Croat*، أي الشخص المجنون الذي لا

يهاب؟".

فهز هاري رأسه.

"بالرغم من أن الكرواتيين كانوا يقاتلون في بلد أجنبي وعليهم ارتداء

اللباس النظامي للملك غوستاف أدولف، إلا أنه سُمح لهم بالاحتفاظ بما

يُميّزهم عن الآخرين: منديل عُقُق الفرسان. إنه منديل عُقُق كان الكرواتيون

يعقدونه بطريقة مميّزة. لقد اعتمد اللباس وطُور من قِبَل الفرنسيين،

ولكنهم أبَقوا على الاسم الذي أصبح كرافات *Cravate*."

" *Cravat* ، *Cravate* "

"بالتحديد".

"شكراً لك أيها الرئيس". وأخذ هاري النسخة الأخيرة المطبوعة، وأمعن

النظر إلى الرجل الذي وضعت بتي دائرة حوله، والذي يضع لفاعاً حول

عنقه. "ربما تكون قد أعطيتنا إلماعة للتوّ".

"لا حاجة لنا إلى شكر بعضنا لقيامنا بواجباتنا ياهول". والتقط هاغن

بقية النسخات المطبوعة وخرج.

حدّق هالفورسن بهاري الذي دخل المكتب بأقصى سرعة.

"لقد حصلتُ على طرف خيط"، قال هاري. وتنهّد هالفورسن. فهذه

العبرة يمكن أن تعني مقداراً كبيراً من العمل من دون التوصل إلى أي

نتيجة ربما.

"سأتصل بألكس في يوروبول"، قال هاري.

كان هالفورسن يعرف أن اليوروبول هو الشقيق الأصغر للإنتربول في لاهاي، وقد أنشأه الاتحاد الأوروبي بعد الأعمال الإرهابية التي حصلت في مدريد عام 1998 للتركيز بصفة خاصة على الإرهاب الدولي والجريمة المنظمة. وما لم يكن يعرفه هو سبب استعداد ألكس هذا لمساعدة هاري في غالب الأحيان في حين أن الزويج لا تنتمي إلى الاتحاد الأوروبي.

"ألكس؟ هاري يتكلم، من أوسلو. هل باستطاعتك التحقق من أمر ما لأجلي، رجاء؟".

أصغى هالفورسن إلى هاري وهو يطلب من ألكس بلغته الإنكليزية المتقطعة ولكن الفعالة البحث في قاعدة البيانات عن جُنْح ارتكبتها مجرمون دوليون في أوروبا في السنوات العشر الأخيرة، والبحث عن كلمات: قَتلة مأجورون و كرواتيون .

"سأنتظر"، قال هاري، وانتظر. ومن ثم قال بدهشة: "كل ذلك!". وحك ذقنه، ثم طلب من ألكس أن يضيف كلمات مسدس و تسعة مليمترات إلى البحث.

"ثلاث وعشرون عملية نوعية يا ألكس؟! ثلاث وعشرون عملية قتل والمشتبه به كرواتي؟ يا الله! حسناً، أعلم أن الحروب تولد قَتلة مأجورين محترفين، ولكن مهما يكن. حاول إضافة اسكندينايفيا . لا شيء؟ حسناً، هل حصلت على أي أسماء يا ألكس؟ لا شيء؟ ابقِ على الخط للحظة".

ونظر هاري إلى هالفورسن كما لو أنه يأمل في أن يمده بكلمات قد تساعده، ولكن هالفورسن هزّ كتفيه فحسب.

"حسناً يا ألكس"، قال هاري. "محاولة واحدة أخيرة".

وطلب منه إضافة عبارة منديل عُنُق أحمر أو كلمة لِفَاع إلى البحث. كان باستطاعة هالفورسن سماع ألكس وهو يضحك من حيث يجلس.

"شكراً يا ألكس. أتحدث إليك في وقت قريب".

ووضع هاري سماعة الهاتف.

"حسناً؟". قال هالفورسن. "هل تبخر طرف الخيط؟".

فأوماً هاري برأسه. كان قد غاص في كرسيه، ولكنه قوّم جلسته بحركة فُجائية وقال: "علينا التفكير من مُنطَلقات جديدة. ماذا لدينا؟ لا شيء؟ عظيم، أحب الأوراق الفارغة".

وذكَر هالفورسن هاري بما قاله ذات مرة، حين قال إن ما يميّز تحريراً جيداً عن تحريراً من الدرجة الثانية هو القدرة على النسيان. فالتحرّي الجيد

ينسى على الدوام أن فطرته خذلته، وينسى كل أطراف الخيوط التي آمن بها والتي لم تؤدّ إلى أي نتيجة، وينكبّ على العمل بنشاط؛ بسذاجة ولكن بالحماسة نفسها.

رَنّ الهاتف، فتلقّف هاري السماعة. "هار -" ولكن الصوت انطلق في الطرف الآخر من الخط.

نهض هاري بسرعة من وراء الطاولة، وكان باستطاعة هالفورسن رؤية بُرْجُمَات أصابعه وهي تصبح بيضاء حول السماعة.

"تمهّل يا ألكس. سأطلب من هالفورسن تدوين بعض الملاحظات".

ووضع هاري يده على السماعة ونادى هالفورسن: "حاول للمرة الأخيرة لمجرد التسلية، وأدخل الكلمات: كرواتي، تسعة مليمترات، والأشياء الأخرى، وبحث في خانة لِفَاع أَحمر ، فاندرجت أمامه زغرب عام 2000 و2001، وميونخ عام 2002، وباريس عام 2003".

وعاد هاري إلى الهاتف. "إنه رجلنا يا ألكس. لا، لستُ واثقاً، ولكنه شعوري الفطري. ويقول لي عقلي إن وقوع جريمتين في كرواتيا ليس صدفة. هل لديك أي تفاصيل إضافية يمكن لهالفورسن تسجيلها؟".

وراقب هالفورسن هاري وهو يحدّق إليه فاغراً فمه من قَرط الدهشة.

"ما الذي تعنيه بقولك إنه لا توجد أوصاف؟! إذا كانوا قد تذكروا اللِّفَاع، فلا بد من أن يكونوا قد لاحظوا أموراً أخرى. ماذا؟ طول قامة طبيعي؟ هذا كل شيء؟".

وهز هاري رأسه فيما كان يُصغي.

"ماذا يقول؟". همس هالفورسن.

"تباينات كبيرة بين الإفادات"، همس هاري لهالفورسن.

فدوّن هالفورسن تباينات .

"أجل، عظيم، أرسل لي التفاصيل بالبريد الإلكتروني. حسناً، هذا كل شيء في الوقت الحاضر، شكراً يا ألكس. إذا عثرت على أي شيء آخر كمكانٍ مشتبهٍ فيه يكثر التردد إليه، أو ما شابه فاتّصل بي، اتفقنا؟ ماذا؟ ها ها. صحيح. سأرسل لك صورة عني وعن زوجتي".

وأنتهى هاري المكالمة، فلاحظ نظرة هالفورسن الاستجابية المحدّقة.

"إنها دُعاة قديمة"، قال هاري.

طلب هاري رقماً آخر، واكتشف في أثناء انتظاره الرد أن هالفورسن

لا يزال ينظر إليه، فتنهد قائلاً. "لم يسبق لي أن تزوجتُ يا هالفورسن".

اضطر ماغنوس سكار إلى الصياح كي يطغى صوته على ضجيج آلة القهوة. "ربما يكون هناك عدد من القتلة المأجورين المنتمين إلى زمرة من الأشرار مجهولة حتى الآن، يضعون لفاعات حمراء كلباس نظامي من نوع ما".

"هذا هُراء"، تشدّقت توريل لي آخذةً مكانها في طابور الواقفين للحصول على القهوة وراء سكار. كانت تحمل قدحاً فارغاً عليه شعار العالم أفضل يأمي .

أطلق أولاً لي ضحكةً صغيرة، وجلس على مقعد بجانب الطاولة داخل المطبخ الصغير الذي يخص فريق مكافحة الجريمة .
"هُراء؟!". قال سكار.

"يُفترض بك كتابة سيناريوهات أفلام، يُفترض بك القيام بذلك"، قالت توريل لي. وضحك أولاً لي بصوت مرتفع كالعادة من دون أن يقول شيئاً.
"وأنتما الاثنان، يُفترض بكما الإخلاص للصوص المصارف في روهينول".
تمتم سكار مشيراً إلى واقع أن توريل لي وأولا لي - غير المتزوجين - قدما من وحدة مكافحة السرقة.

"يبقى هناك تفصيل صغير"، قال هالفورسن. "فالقضايا الأربع التي تلقيناها من يوروبول عمليات نوعية، ويسود الهدوء بعد حدوثها. والضحايا متورطون بصورة عامة في أمر ما. فالضحيتان في زغرب صربيان بُرّنا من ارتكاب جرائم حرب، والضحية في ميونيخ كان يهدد هيمنة بارون محلي متورط في تهريب أشخاص. والرجل في باريس كان مُداناً سابقاً".

جال هاري هول في أرجاء المكان حاملاً القدح بيده. وملاً سكار ولي أكوابهم ومشوا الهويّنا بدلاً من الجلوس. كان هالفورسن قد لاحظ أثر هاري على زملائه. وحين جلس المفتش، رأى هالفورسن تجعيدة القلق على جبينه.

"ستنقضي أربع وعشرون ساعة قريباً". قال هالفورسن.

"أجل". قال هاري، محدّقاً إلى قدحه الذي كان لا يزال فارغاً.

"هل هناك خطب ما؟".

"لا أعرف. اتصلتُ ببيارني مولر في برغن للحصول على أفكار بناة".

"وماذا قال؟".

"لم يقل الكثير. لقد بدا...". وبحث هاري عن الكلمة المناسبة.

"مستوحشاً".

"ألا تقيم عائلته معه؟".

"كان من المفترض بأفراد عائلته أن يتبعوه".

"هل هناك مشكلة؟".

"لا أعرف. لا أعرف شيئاً".

"ما الذي يزعجك إذاً؟".

"كان ثملاً".

صدم هالفورسن، واهتزّ قدح القهوة الخاص به وأراق محتوياته. "مولر! ثمل في العمل! أنت تمازحني بالتأكيد".

فلم يُجب هاري.

"ربما لم يكن بخير أو ما شابه؟". أضاف هالفورسن.

"أعرف كيف يبدو رجل ثمل يا هالفورسن. عليّ الذهاب إلى برغن".

"الآن؟ أنت تقود تحقيقاً بشأن جريمة قتل ياهاري".

"سأذهب إلى هناك وأعود في يوم واحد. وسأعهد إليك بالتحقيق في

تلك الأثناء".

فابتسم هالفورسن. "هل تطعن في السنّ ياهاري؟".

"أطعن في السنّ! ماذا تعني؟".

"أنت تتحوّل إلى طاعن في السنّ وإنساني. إنها المرة الأولى التي تولى

فيها أهمية للحَيّ أكثر من الميت".

نظر هالفورسن إلى وجه هاري المليء بالندم ثم قال: "لم أقصد...".

"لا بأس"، قال هاري، ثم وقف. "أريد منك الاهتمام بقوائم الركاب

في كل الرحلات الجوية من كرواتيا وإليها في الأيام القليلة الأخيرة. اسأل

الشرطة في مطار غاردموين عما إذا كنت بحاجة إلى محامي شرطة للتقدم

بطلب. وإذا كنت بحاجة إلى قرار محكمة، أسرع إلى المحكمة واحصل عليه

في الحال. وعندما تحصل على القوائم، اتصل بأكس في اليوروبول واطلب

منه التحقق من الأسماء لأجلنا. قُل له إنني طلبتُ منك ذلك".

"هل أنت واثق من أنه يستطيع مساعدتنا؟".

فأوماً هاري برأسه. "في هذه الأثناء، سنذهب بتي وأنا لتبادل أطراف

الحديث مع جون كارلسن".

"آه!".

"حتى الآن، كل ما سمعناه عن روبرت كارلسن غير مفيد. أعتقد أن

هناك المزيد".

"لماذا لا تصطحبني معك؟".

"لأن بتي، بخلافك، تعرف متى يكذب الناس".

أخذ نفساً عميقاً قبل صعود الدرجات في اتجاه المطعم المدعو
بيسكيت.

كان وجه الاختلاف مع المساء السابق يتمثل في عدم وجود أي
شخص فيه تقريباً. ولكن النادل نفسه كان متكئاً على باب غرفة الطعام،
ذاك الذي يشبه جيورجي بحُصل شعره المجددة وعينيه الزرقاوين.
"مرحباً"، قال النادل. "لم أعرفك".

وغمز مرتين، وتفاجأ حين أدرك أن ذلك يعني أن النادل قد عرفه.
"ولكنني عرفت المعطف"، قال النادل. "أنت حسن الذوق. هل هو
من وِبر الجمال؟".

"آمل ذلك"، تلعثم وابتسم.

فضحك النادل ووضع يده على ذراعه. لم يرَ أثراً للخوف في عيني
الرجل، واستنتج أن النادل لا يرتاب في أي شيء. وأمل أن يعني ذلك أن
الشرطة لم تزر المكان، وأنه لم يتم العثور على المسدس بعد.

"لا أريد تناول الطعام"، قال. "بل أريد دخول الحمام فحسب".

"الحمام؟!". كرر النادل متسائلاً، ورأى العينين الزرقاوين تحدقان إلى
عينيه مباشرة. "هل جئت إلى هنا لاستخدام الحمام حقاً؟".

"زيارة سريعة". لقد أقلقه حضور النادل.

"زيارة سريعة"، كرر النادل. "أفهم ذلك".

كان الحمام فارغاً، وتعبق فيه رائحة صابون وليس رائحة الحرية.
وازدادت رائحة الصابون قوة عندما فتح إناء الصابون فوق المغسلة.
رفع كُمه ودفع يده في اتجاه الأسفل داخل السائل الأخضر اللزج. وللحظة
من الزمن، تبادرت إلى ذهنه فكرة أن يكونوا قد بدّلوا أدوات توزيع
الصابون. ولكنه شعر به، فأخرجه ببطء، فتقطر منه الصابون على مغسلة
البورسلان البيضاء. بعد غسله ووضع القليل من الزيت سيصبح المسدس في
حال جيدة. كانت لا تزال لديه ست طلاقات في المِمشط. سارع إلى غسل
المسدس بالماء، وكان على وشك وضعه في جيب معطفه عندما فُتح الباب.
"مرحباً مجدداً". همس النادل وهو يبتسم ابتسامة عريضة. ولكن
ابتسامته تصلبت عندما رأى المسدس.

عندها، دسّ المسدس في جيبه، وتمتم تحية وداع، وشقّ طريقه بجانب
النادل في الممر الضيق. لقد شعر بأنفاس الرجل الآخر السريعة على وجهه،

ولم يشعر بقلبه ينبض إلا عندما خرج إلى الطقس البارد. كان يخفق بقوة كما لو أنه خائف، والدم يتدفق في جسده ناشراً الدفء فيه.

كان جون كارلسن في طريقه إلى الخارج عندما وصل هاري إلى غوتربورغاتا.

"هل تأخر الوقت إلى هذه الدرجة؟". سأل جون مُربكاً وملقياً نظرة سريعة على ساعته.

"أنا مُبكر قليلاً"، قال هاري. "ستصل زميلتي بعد لحظات".

"هل أملك الوقت الكافي لشراء القليل من الحليب؟". كان يرتدي سترة رقيقة، وكان شعره ممشطاً.
"بالتأكيد".

يقع متجر الزاوية في الجانب الآخر من الشارع. وفيما كان جون يبحث عن نقود من فئات صغيرة لشراء لتر من الحليب المكشوط جزئياً، تأمل هاري مجموعة الزينة. لم يلاحظ أيّ منهما منصة الصحف القائمة بجانب الطاولة حيث تصرخ لهما جريمة إغرتورغت بحروف كبيرة وسوداء. كانت الصفحة الأمامية لداجبلاديت تحمل مجموعة صور حُبّية ومُبهمّة لودلوغ يظهر فيها الحشد مع دائرة حمراء حول رأس الشخص الذي يضع لفاعاً، والعنوان الرئيس: الشرطة تبحث عن هذا الرجل.

خرجا، ووقف جون أمام متسوّل أحمر الشعر ذي لحية صغيرة مدبّبة في أسفل ذقنه على غرار تلك التي كانت معتمّدة في السبعينيات. بحث في جيبه طويلاً وبمشقة إلى أن عثر على شيء ما يمكنه إلقاؤه في الكوب الورقي البني.

"لا أملك الكثير لأقدّمه لك"، قال جون لهاري. "وفي الحقيقة، كانت القهوة موجودة في المصفاة منذ بعض الوقت، وربما سيكون مذاقها سيئاً".
"عظيم، هكذا أحبها".

"أنت أيضاً؟". وأطلق جون كارلسن ابتسامة شاحبة قبل أن يصرخ: "آه!". ثم رفع رأسه والتفت إلى المتسوّل وسأله مندهشاً: "هل ترمي المال عليّ؟".

نخر المتسوّل منزعجاً، وصاح بصوت حادّ: "أريد عملة قانونية فقط، شكراً لك!".

كانت شقة جون كارلسن مماثلة لشقة ثيا نيلسن بنظافتها وترتيبها، ولكن المكان في الداخل لا يزال يحمل علامات لا لبس فيها عن مرحلة

العزوبية. فاستنتج هاري ثلاثة افتراضات سريعة: أن الأثاث القديم الذي يحظى بالعناية مصدره المكان نفسه الذي حصل منه على أثاثه؛ أي من متجر الأثاث المستعمل في أولفالسفين، وأن جون لم يزر معرض الفنون الذي يروّج له المُلصق الكبير والوحيد الموجود على جدار غرفة الجلوس، وأنه يتناول وجباته وهو مُنحني فوق الطاولة المنخفضة أمام التلفاز أكثر من تناولها في المكان المخصص لذلك في المطبخ الصغير. وعلى الرف الفارغ تقريباً، كانت هناك صورة فوتوغرافية لرجل يرتدي الزي الموحد لاتحاد الرعاية الاجتماعية وينظر إلى الفضاء وملامحه تشير إلى حزمه.

"أهو والدك؟". سأل هاري.

"أجل". أجاب جون، متناولاً قَدَحَيْن من خزانة المطبخ، وساكباً القهوة من إبريق بَنِّي ومبَقَّع.

"تبدو مشابهاً له جداً".

"شكراً لك". قال جون. "آمل أن يكون الأمر صحيحاً". وضع القَدَحَيْن على الطاولة الصغيرة المنخفضة بجانب علبة الحليب الطازج الكرتونية. كان هاري على وشك سؤاله عن كيفية تقبُّل والدَيه نبأ وفاة روبرت، ولكنه تطرَّق إلى موضوع آخر.

"لنبدأ بفرضية"، قال هاري، "أن شقيقك قد قُتل بسبب إساءته إلى بعض الأشخاص. ربما خدعهم، أو استدان منهم المال، أو شتمهم، أو هددهم، أو آذاهم، أو أيّاً يكن ما قام به. كان شقيقك صالحاً؛ الكل يقول ذلك. وهذا ما نسمعه غالباً في قضايا القتل. إذ يحب الناس التشديد على الجوانب الجيدة، ولكننا نملك جوانب غامضة غالباً. أليس كذلك؟".

فأوماً جون برأسه، ولم يكن هاري قادراً على اتخاذ قرار في شأن ما إذا كانت إشارة موافقة أم لا.

"ما نحتاج إليه هو إلقاء بعض الضوء على الجوانب الغامضة لدى روبرت".

حدَّق إليه جون وهو لا يستوعب ما يقوله له.

فتنحج هاري قائلاً: "لنبدأ بالمال. هل كان روبرت يواجه أي مشاكل مادية؟".

هز جون كتفَيه. "لا، ونعم. لم يكن مسرفاً أو يعيش بترف، لذلك لا يمكنني أن أتخيّل أنه يدين لأحدهم بمبالغ ضخمة؛ إذا كان هذا ما تعنيه. على العموم، كان يقترض مني المال عندما يكون بحاجة إليه، كما أعتقد. أعني، كان يقترض...". كانت ابتسامة جون مليئة بالحزن والشوق.

"ما حجم المبالغ التي نتحدث عنها؟"
"ليست كبيرة، باستثناء ما اقترضه مني هذا الخريف."
"ما المبلغ؟"
"... ثلاثون ألفاً."
"لأي غرض طلبه؟"

حك جون رأسه وأجاب: "كان لديه مشروع ما، ولكنه لم يستفص في التحدث عنه. قال فقط إنه سيكون بحاجة للسفر إلى الخارج، وإنه سيُطلعني عليه لاحقاً. أجل، اعتبرتُ أنه مبلغ طائل، ولكنني أعيش بأقل قدر من النفقات ولا أملك سيارة. لقد بدا ذات مرة شديد الحماسة، وانتابني الفضول لمعرفة المشروع، ولكن حينئذٍ... حسناً، حينئذٍ حدث الأمر." كان هاري يدوّن ملاحظات. "حسناً. ماذا عن جوانب روبرت الأكثر غموضاً، كشخص؟"

وانتظر. لقد تأمّل الطاولة الصغيرة المنخفضة، وسمح لجون بالجلوس والتفكير ليسري مفعول الصمت الذي ينجم عنه شيء ما على الدوام عاجلاً أم آجلاً: كذبة، استطراد يائس، أو الحقيقة في أفضل السيناريوهات. "عندما كان روبرت فتى يافعاً، كان..." وغامر جون، ومن ثم صمت. لم يقل هاري شيئاً، وبقي بلا حراك. "كان يفتقر إلى... الضوابط."

فأوماً هاري برأسه من دون أن يرفع نظره. كان يمنح الشجاعة من دون أن يُفسد فترة الصمت.

"كنت أخشى ممّا يمكنه أن يتورط فيه. كان عنيفاً جداً. فالأمر أشبه بوجود شخصين داخله، أحدهما هو الشخص البارد والباحث والمسيطر على نفسه، والثاني هو ذاك الذي ينتابه الفضول حيال... ماذا أقول؟ ردود الفعل، والمشاعر، وربما المعاناة أيضاً. ذلك النوع من الأمور." "هل يمكنك أن تعطيني أي أمثلة؟" سأل هاري.

فابتلع جون لعابه وتابع: "ذات مرة، عندما عدت إلى المنزل، قال إن لديه شيئاً ما يريد أن يُريني إياه في غرفة الملابس المُعدّة للغسل في القبو. كان قد وضع هرّنا في حوض أسماك صغير وفارغ؛ حيث كان والدي يحتفظ بالأسماك الصغيرة، ودسّ خرطوم المياها تحت الغطاء الخشبي في الأعلى. ومن ثم، فتح الصنبور. جرت الأمور بسرعة كبيرة لدرجة امتلاء حوض الأسماك بالماء بسرعة قبل أن أتمكن من إزالة الغطاء وإنقاذ الهرّ. قال روبرت إنه أراد رؤية رد فعل الهرّ، ولكنني كنت أتساءل أحياناً عما

إذا كان يرغب في مراقبة رد فعلي في الواقع".
"حسناً. إذا كان على هذا النحو، فمن الغريب ألا يشير أحد إلى الأمر".

"لم يكن عدد كبير من الأشخاص يعرفون ذلك الجانب من روبرت. أفترض أنه خطئي جزئياً. فمَنْذ أن كنا صغيرين، كان عليّ أن أعد والدي بمراقبة روبرت كي لا يتورط في أي مشكلة حقيقية. لقد بذلتُ قُصاري جهدي. لم يكن سلوك روبرت، كما قلتُ، خارجاً عن السيطرة. باستطاعته أن يكون غاضباً وبارداً في الوقت نفسه، إذا كنتَ تفهم ما أقوله. لذلك، أولئك الأكثر قرباً منه هم فقط الذين يشعرون ب... الجوانب الأخرى في شخصيته. حسناً، والصفدع...". وابتسم جون. "لقد أطلق الصفدع في الفضاء بعد أن وضعه في أحد بالونات الهيليوم. وعندما أخذه أبي على حين غرّة، قال روبرت إنه من المحزن أن نكون صفدعاً ولا نتمكن أبداً من الحصول على منظر عام من عل. و...". وحدّق جون إلى الفضاء، وكان باستطاعة هاري رؤية عينيّه وهما تغروران بالدموع. "وشرعت بالضحك. لقد غضب والدي، ولكنني لم أتمكن من تمالك نفسي. باستطاعة روبرت أن يحملني على الضحك دائماً".

"وهل أقلع عن هذا الأمر؟".

فهز جون كتفيّه. "صدّقاً، لا أعرف كل ما كان روبرت يقوم به في السنوات الأخيرة. فمَنْذ انتقال أمي وأبي إلى تايلاند، لم أعد مقرباً منه كثيراً".

"لماذا؟".

"يحدث هذا النوع من الأمور بين الأشقاء. لا ضرورة لوجود أي سبب".

فلم يُجب هاري، بل انتظر. وأغلق باب بقوة في المدخل.
"كانت هناك حوادث قليلة مع بعض الفتيات"، قال جون.
وسُمع الصوت البعيد لصفارات إنذار سيارة إسعاف، وصوت مصعد.
تنهّد جون وتابع قائلاً: "شابات صغيرات في السن".
"ما مدى صغرهنّ؟".

"لا أعلم. ما لم يكن روبرت يكذب، لا بد من أن يكنّ صغيرات في السنّ جداً".

"لماذا سيكذب؟".

"كما قلتُ، أعتقد أنه كان يحب رؤية رد فعلي".

وقف هاري وتوجه إلى النافذة. كان هناك رجل يمشي الهوينا في حديقة سوفينبرغ العامة على امتداد دربٍ تُرابي يبدو كخط بُني غير مستوٍ رسمه طفل على ورقة بيضاء. وإلى شمال دار العبادة، كان هناك مدفن صغير مسيَّج.

"هل كان عنيماً مع أي من أولئك الفتيات؟" سأل هاري.
"لا!". وتردد صدى تعجُّب جون بين الجدران العارية. لم يقل هاري شيئاً. كان الرجل قد غادر الحديقة العامة وشرع بعبور بوابة هلغسنز في اتجاه مبناهما.

"لا؛ وفقاً لمعلوماتي"، قال جون. "ولو قال لي إنه كان عنيماً لَمَا صدَّقته".

"هل تعرف أيّاً من الفتيات اللواتي التقاهن؟".
"لا. لم يبقَ معهنّ لمدة طويلة. في الواقع، هناك فتاة واحدة أعلم أنه كان جدياً حيالها".
"آه!".

"ثيا نيلسن. كانت تستحوذ على عقله عندما كنا فتيين".
"صديقتك!؟".
حدّق جون إلى كوب القهوة مفكراً ثم قال: "ربما يتبادر إلى ذهنك أنه كان باستطاعتي الابتعاد عن الفتاة الوحيدة التي اتخذ أخي قراره بالحصول عليها، أليس كذلك؟ الله يعلم كم تساءلتُ عن سبب عدم ابتعادي عنها".
"وماذا بعد؟".

"كل ما أعرفه هو أن ثيا هي الإنسانة الأكثر روعة التي التقيتها يوماً".

وتوقف فجأةً صوت المصعد.
"هل كان شقيقك يعرف عن علاقتك بثيا؟".
"اكتشف أننا التقينا بضع مرات. كانت لديه شكوكه، ولكنني وثيا حاولنا التكتّم على الأمر".

وقُرِع الباب.
"إنها بتي زميلتي"، قال هاري. "سأفتح الباب".

ألقي هاري دفتر مدوّناته، ووضع قلمه بشكل مُوازٍ له، ثم سار المسافة القليلة التي تفصله عن الباب، وناضل بضع ثوانٍ لفتحه؛ إلى أن أدرك أنه يُفتح نحو الداخل. ظهرت على الوجه الذي رآه أمارات الدهشة

التي بدت على وجهه، ووقفنا للحظات وهما ينظران إلى بعضهما. ولاحظ هاري رائحةً عذبةً وعطرة؛ كما لو أن الشخص الآخر يستخدم مزيل رائحة عطرياً وقويّاً.

"جون؟". سأل الرجل بتردد.

"بالتأكيد"، قال هاري. "آسف، كنا نتوقع شخصاً آخر. لحظة واحدة".

وعاد هاري إلى الأريكة. "هناك شخص يسأل عنك".

وما إن ارتقى على الأريكة حتى فوجئ بحدوث أمر ما في الثواني القليلة الأخيرة. فقد تحقق من أن قلمه لا يزال موازياً للدفتري ولم يلمسه أحد. ولكن هناك أمراً ما اكتشفه عقله ولم يتمكن من تحديده.

"مساء الخير؟". سمع جون يردّ التحية بتهذيب وتحفظ، وبنغمة صوت مرتفعة، كما لو أنه يرحب بشخص لا يعرفه أو لا يعرف ما يريد. وشعر بالأمر مجدداً. لقد حدث أمر ما، لقد سمع صريفاً. هناك أمر ما في شأنه. كان قد استخدم اسم جون الأول عندما سأل عنه، ولكن من الواضح أن جون لم يكن يعرفه.

"هل هناك أي رسالة؟". قال جون.

ومن ثم، أدرك هاري الأمر. العُنُق. فالرجل يضع شيئاً ما حول عُنُقِه؛ إنه يضع مَنديل عُنُق. عقدة كرافات. وضع هاري يديه على الطاولة الصغيرة المنخفضة ليرفع نفسه، وزعق قائلاً: "أغلق الباب!".

ولكن جون وقف عند المدخل محدّقاً؛ كما لو أنه غير واعي، وانحنى ليُصغي.

عندها، عاد هاري خطوة إلى الوراء، وقفز فوق الأريكة، وركض إلى الباب بأقصى سرعة.

"لا". قال جون.

ورمى هاري نفسه. وبعد ذلك، بدا الأمر كما لو أن كل شيء قد توقف. لقد سبق لهاري أن اختبر ذلك الإحساس عندما يبذل الأدرينالين إحساسك بالوقت. فالأمر أشبه بالتحرك في الماء. كان يعلم أن الأوان قد فات. فقد اصطدمت كتفه اليمنى بالباب، وكتفه اليسرى بورك جون، وتلقت طبله أذنه الموجات الصوتية لبارود منفجر بعد خروج الرصاصة من المسدس.

وسُمع الدوي بعد ذلك، ثم أغلق الباب بقوة وحاول إقفاله، فيما اصطدم جون بخزانة المطبخ. دار هاري ثم استقرّ على جنبه، ورفع نظره. كان هناك من يُحکم الإمساك بمقبض الباب.

"تبّاً". همس هاري وركع.

هُزَّ الباب بقوة مرتين.

فأمسك هاري حزام جون الذي لا حياة فيه، وسحبه في اتجاهه على الأرضية الخشبية للحمام.

كان هناك صوت خَدش خارج الباب، ومن ثم سُمع دويّ آخر، وتطايرت الكِسر من وسط الباب، وانتفضت إحدى وسائل الأريكة، وارتفع عمود أسود مائل إلى الرمادي نحو السقف، وبدأت العلبة الكرتونية للحليب المكشوط جزئياً بإصدار بقبقة. ورسم دَفق من الحليب خطأً منحنيّاً أبيض رفيعاً على الطاولة.

لقد تمّ التقليل من الضرر الذي تُلحقه رصاصة من عيار تسعة مليمترات، فكّر هاري في سرّه، ملتفتاً نحو جون المستلقي على ظهره، وقد سالت نقطة دم واحدة من جرح في جبينه. وسُمع دويّ آخر، وصوت تحطّم زجاج.

أخرج هاري هاتفه المحمول من جيّبه، وطلب رقم بتي.

"حسناً، حسناً، أنا قادمة"، أجابت بتي بعد الرنة الأولى. "أنا في

الخارج...".

"اسمعي"، قاطعها هاري. "اتصلي بكل سيارات الدورية بواسطة جهاز اللاسلكي لتأتي إلى هنا الآن، ولتشغّل صفارات الإنذار. هناك شخص في الخارج يُطردنا بالرصاص. ولا تقتربي من المكان. هل تلقيتِ الرسالة؟".

"تلقيتها. ابقِ على الخط".

وضع هاري الهاتف على الأرض أمامه. كان هناك صوت كَشط على الجدار. هل تمكن من سماعهما؟ جلس هاري بدون حراك. واقترب صوت الكَشط. أي نوع من الجدران هذا؟ إنّ رصاصة تخترق باباً أمامياً مكسوّاً بمادة عازلة لن تواجه أي مشكلة مع جدار مصنوع من الجصّ والألياف. اقترب الصوت أكثر فأكثر، ثم توقف. فحبس هاري أنفاسه. حينئذٍ، سمع جون يتنفس.

بعد ذلك، انبثق صوتٌ من ضجيج المدينة، وكان بمثابة موسيقى بالنسبة إلى هاري. إنه صوت صفارات الإنذار الخاصة بالشرطة.

أصغى هاري إلى صوت الكَشط. لا شيء. ربما يحاول القاتل الفرار.

لقد انصرف مستعجلاً، وسمع هاري وقع خطاه في الممر وعلى الدرج.

استلقى هاري على ظهره على الأرضية الخشبية الباردة، وحدّق إلى

السقف. كان هناك تيار هوائي قادم من تحت الباب، فأغمض عينيه. تسعة

عشر عاماً. ياالله! لا تزال لديه تسعة عشر عاماً حتى يتمكن من التقاعد.

12 - الأربعاء، 17 كانون الأول/ديسمبر. مستشفى

ورماد

على زجاج نافذة المتجر، رأى انعكاس سيارة الشرطة المندفحة في الشارع وراءه، فواصل السير مُرغماً نفسه على عدم الركض. كان قد نزل على الدرج بأقصى سرعة بعد مغادرته شقة جون كارلسن قبل دقائق قليلة. خرج إلى الرصيف، وكاد أن يصطدم بشابة تحمل هاتفاً محمولاً بيدها. عبّر الحديقة العامة في اتجاه الغرب بأقصى سرعة حتى وصل إلى الشوارع المكتظة.

كانت سيارة الشرطة تنطلق بسرعة مثله، رأى باباً ففتحه، وكان لديه انطباع بأنه يشارك في فيلم سينمائي، فيلم أميركي مع سيارات كاديلاك، وشبان يشبهون إلفيس. وبدت الموسيقى المنبعثة من مكبرات الصوت كما لو أنها أسطوانة هيلي بيلي قديمة تدور بسرعة تزيد عن السرعة العادية بثلاثة أضعاف. وبدت بذلة الساعي كما لو أنها قد رُفعت عن غلاف آل بيلي. كان ينظر بدهشة إلى أرجاء المكان الممتلئ تماماً عندما لاحظ أن الساعي يوجه إليه الكلام.

"آسف".

"أتريد كأساً من الشراب ياسيدي؟".

"لِمَ لا؟".

"حسناً، شراب خفيف ومريح ربما".

"شكراً لك".

دنت صفارة إنذار الشرطة ثم ابتعدت. وخرج دَفَق من العرق من مسام جلده بسبب ارتفاع الحرارة، فانتزع منديل عنقه ودسّه في جيب معطفه. كان سعيداً برائحة التبغ التي تموّه رائحة المسدس في جيب معطفه.

قُدّم له الشراب، ووجد لنفسه مقعداً بجانب الجدار المواجه للنافذة. من كان ذلك الشخص الآخر في الغرفة؟ أهو صديق لجون كارلسن أم نسيبه؟ أو إنه شخص يشاطره كارلسن الشقة؟ وتناول رشفة من الشراب. لماذا يطرح على نفسه هذه الأسئلة الغبية؟ لا يصدر رد فعل مماثل إلا عن شرطي. ويمكن للشرطي فقط أن يطلب المساعدة بهذه السرعة. لقد باتوا يعرفون من هو هدفه، ومن شأن هذا الأمر أن يجعل مهمته أكثر

صعوبة. عليه التفكير بالانسحاب ملياً. وتناول رشفة أخرى.
كان الشرطي قد رأى معطفه المصنوع من قماش وَبَر الجمال.
نهض وقصد الحَمَّام، ونقل المسدس ومِنْدِيل العُنُق وجواز السفر إلى
جيوب سترته، ودسَّ المعطف داخل سلَّة المَهْمَلات تحت المِغْسلة. وعلى
الرصيف في الخارج، راقب الشارع في الاتجاهين؛ فاركاً يديه ومرتعشاً.
إنها المهمة الأخيرة الأكثر أهمية. فكل شيء يعتمد عليها.
كل شيء بخير، قال لنفسه. فهم لا يعرفون هويَّتكَ. عدُّ إلى البداية.
فكَّر بشكل بناء .

وبالرغم من ذلك، لم يستطع إزالة فكرة الفرار من عقله: من كان
ذلك الرجل في الشقة؟

á á á

"لا نعرف"، قال هاري. "كل ما نعرفه هو أنه ربما يكون الشخص
نفسه الذي قتل روبرت".
وأبعد ساقيه لتتمكن الممرضة من تمرير السرير الفارغ بجانبها في
الممر الضيق.

"م... من يمكن أن يكونوا؟". تأتأت ثيا نيلسن. "هل هناك عدد كبير
منهم؟". وانحنت إلى الأمام قليلاً، مُمسكةً مقعد الكرسي الخشبي بإحكام
كما لو أنها تخاف من الوقوع.
انحنت بتي لون فوقها، ووضعت يداً مطمئنة على ركبة ثيا. "لا
نعرف. الأمر الأكثر أهمية هو أنه نجا. يقول الطبيب إنه أُصيب بارتجاج،
هذا كل شيء".

"الذي تسبَّب له به"، قال هاري، "بحافة جهاز الطهو؛ بعد اصطدام
جبينه به وظهور جُرح صغير فيه. لقد أخطأته الرصاصة، ووجدناها في
الجدار. واستقرت الرصاصة الثانية في علبة الحليب الكرتونية. تخيَّلي ذلك.
داخل علبة الحليب. وأصابت الثالثة خزانة المطبخ بين حبوب الزبيب و...".
ألقت بتي نظرة سريعة على هاري تريد من خلالها القول إن ثيا
غير مهتمة الآن بدقائق علم المَقْدوفات.

"بأي حال، جون بخير، ولكنه فاقد وعيه قليلاً، لذلك يُبقيه الأطباء
تحت المراقبة في الوقت الحاضر".

"حسناً. هل يمكنني الذهاب لرؤيته الآن؟".

"بالطبع"، قالت بتي. "ولكننا نودُّ أن تلقي نظرة على هذه الصور
أولاً، وأن تقولي لنا إذا كنتِ قد رأيتِ أيًّا من هؤلاء الرجال من قَبْل".

وأخرجت ثلاث صور فوتوغرافية من ملف وسلّمتها لثيا. لقد تمّ تكبير صور إغرتورغِت كثيراً لدرجة أن الوجوه بدت كفسيفساء مؤلفة من نقاط سوداء وبيضاء.

فهزّت ثيا رأسها قائلة: "الأمر صعب، حتى إنني لا أرى أي فارق بينها".

"وأنا أيضاً"، قال هاري. "ولكن بتي أخصائية في تمييز الوجوه، وهي تقول إنهما شخصان مختلفان".

"أعتقد أنهما شخصان مختلفان"، صحت بتي. "إضافةً إلى ذلك، كاد أن يصطدم بي في أثناء خروجه من المجمع السكني في غوتربورغاتا راكضاً، ولم يبدو لي مشابهاً لأيّ من هذين الشخصين الظاهرين في الصور".
فشعر هاري بالحيرة؛ إذ لم يسبق له أن سمع بتي تُعرب عن شكها في هذا المجال.

"يا الله!"، همست ثيا. "كم يبلغ عددهم برأيك؟".

"لا تقلقي"، قال هاري. "لدينا حارس خارج غرفة جون".

"ماذا؟!". وحدّقت إليه ثيا بعينين واسعتين، فأدرك هاري أنه لم يتبادر إلى ذهنها أن يكون جون بخطر في مستشفى أوليفال، حتى الآن. رائع.
"هيا. لنذهب ولنرّ كيف أصبح حاله". اقترحت بتي بنبرة ودود.

أجل، قال هاري لنفسه، ولنترك هذا الغبيّ جالساً وحده يفكر ملياً في مفهوم التعامل مع الناس.

واستدار لدى سماعه صوت وقع خطى راكضة في الطرف الآخر للممر. كان هالفورسن يشق طريقه نحوه بشكل متعرّج بين المرضى والزائرين والممرضات، وحذاؤه يُحدث طقطقة. توقف أمام هاري لاهتاً، وسلّمه ورقة عليها كتابة سوداء باهتة، وقد أنبأته النوعية البرّاقة بأنها صادرة من جهاز الفاكس التابع لفريق مكافحة الجريمة.

"إنها قائمة الركاب. حاولتُ الاتصال بك...".

"يجب إطفاء الهواتف المحمولة هنا"، قال هاري. "هل هناك ما يثير الاهتمام؟".

"حصلتُ على قائمة بأسماء الركاب، لا مشكلة، وأرسلتها بالبريد الإلكتروني لألكس الذي انكبّ على العمل عليها في الحال. في سجليّ راكبين شوائب صغيرة، ولكن لا وجود لما يثير الرّيبة. ولكن هناك أمراً واحداً غريباً قليلاً...".

"حقاً؟ ما هو؟".

"قدِم أحد الركاب إلى أوصلو قبل يومين، وكان يُفترض به المغادرة أمس في رحلة العودة، ولكنها أُرجئت إلى اليوم. يُدعى كريستو ستانكيك. لم يظهر مطلقاً. الأمر غريب لأنه حصل على تذكرة رخيصة وغير صالحة لرحلات جوية أخرى. لقد ذُكر في القائمة أنه مواطن كرواتي، لذلك طلبت من ألكس التحقق من السجلات في كرواتيا. وكرواتيا ليست عضواً في الاتحاد الأوروبي، ولكن بما أن الكرواتيين شديداً التوق للانضمام إليه فهم يُبدون تعاوناً كبيراً ما دام...".

"عُدْ إلى النقطة الرئيسة ياهالفورسن".

"كريستو ستانكيك غير موجود".

"هذا مثير للاهتمام". وحك هاري ذقنه. "ولكن، قد لا تكون لستانكيك

أي علاقة بقضيتنا".

"بالطبع".

تمعن هاري بالاسم المكتوب على القائمة. كريستو ستانكيك. إنه مجرد اسم، ولكنه اسم موجود على جواز السفر الذي تطلب الخطوط الجوية رؤيته لدى حجز مقعد على متن إحدى رحلاتها الجوية، وذلك نظراً إلى وجود الاسم على قائمة الركاب، أي إنه جواز السفر نفسه الذي ستطلب الفنادق رؤيته.

"أريد التحقق من كل قوائم النزلاء في كل فنادق أوصلو"، قال هاري. "لنرَ إذا كان أيّ منها قد استقبل كريستو ستانكيك في اليومين الأخيرين".

"سأتولى الأمر في الحال".

قوم هاري وقفته، ووجهه لاهالفورسن إيماءةً أمل أن تحمل له ما أراد قوله؛ وهو أنه مسرور بالعمل معه.

"سأنطلق إلى عيادة عالم النفس"، قال هاري.

á á á

كانت عيادة عالم النفس ستال أون تقع في شارع سبورفيسغاتا حيث يوجد السبورفي؛ أي خط حافلة الترام.

"إذاً، كان روبرت كارلسن هذا يحب الفتيات اللواتي لا يزلن صغيرات ودون سن الإدراك"، قال أون الذي علّق سترة التويد على ظهر الكرسي، وتابع: "يمكن لأمر عديدة التسبب بذلك بالطبع، ولكنني أستنتج أنه نشأ في محيط محافظ. هل هذا صحيح؟".

"أجل"، قال هاري، ونظر إلى رفوف الكتب المرتبة التي تخص

مستشاره النفسي المحترف.

"ما علاقة نشأته بذلك؟"

ضمّ أون أصابعه إلى بعضها وأجاب: "إذا تعرّض أحدهم للعقوبة أو الإذلال في طفولته أو مراهقته من قبل والديه، مثلاً، بسبب إظهاره ميولاً جنسية طبيعية، فما يحدث هو أن هذا الشخص يقمع هذا الجزء من شخصيته، فيتوقف النضج الجنسي الطبيعي لديه على الفور. وفي سنّ البلوغ، يحاول العديدون العودة إلى فترة سابقة من حياتهم، ويطلقون العنان لرغباتهم".

"كوضع حفاظات أطفال".

"أجل، أو اللعب بالغايط. أتذكّر حالة في كاليفورنيا عن سيناتور...".
وسعل هاري.

"أو يعودون في سنّ البلوغ إلى ما يُعرف بالحدث الأساسي"، تابع أون، "ويكون في غالب الأحيان آخر نجاح لهم في مساعيهم، أي آخر مرة شعروا فيها بالإثارة. وقد يكون ذلك النجاح افتتاحاً في سنّ المراهقة، أو اتصالاً جنسياً من نوع ما لم يتم اكتشافه أو المعاقبة عليه".
"وقد يكون اعتداءً جنسياً، أليس كذلك؟"

"صحيح. أي عندما يكونون مسيطرين ويشعرون بقوتهم؛ وهذا نقيض الإذلال تماماً. وهكذا يقضون بقية حياتهم ساعين إلى استعادة ذلك النجاح".
"لن يكون الأمر سهلاً إذاً".

"لا. ففي الواقع، تعرّض العديدون لضرب مبرّح في سنوات المراهقة لدى عثور أهلهم على مجلات إباحية لديهم. ولكنهم مع ذلك يُظهرون نشاطاً جنسياً طبيعياً وسليماً. ولكن، إذا أردت أن ترفع إلى الحد الأقصى فرص أن يصبح الإنسان غير سويّ، فعليك أن تعطيه والدّاً عنيفاً، ووالدة عدوانية، ومحيطاً تُقمع فيه الحقيقة".

ارتجّ هاتف هاري المحمول، فأخرجه وقرأ نص رسالة هالفورسن. لقد نزل شخص يدعى كريستو ستانكيك في فندق سكانديا بجانب محطة قطارات أوصلو المركزية في الليلة التي سبقت وقوع الجريمة.
"كيف تسير الأمور في أيه أيه؟". سأل أون. "هل تساعدك على الامتناع عن احتساء الشراب؟".

"حسناً"، قال هاري وهو ينهض، "نعم ولا".

لقد أعادته صرخة حادّة إلى الواقع، فاستدار ونظر إلى زوجٍ من

العيون وفم مفتوح على بُعد سنتيمترات قليلة من وجهه. ضغط الطفل أنفه على الجدار الزجاجي الفاصل في غرفة اللعب في برغر كينغ قبل أن يقع إلى الورا على سجادة تتناثر عليها كرات بلاستيكية حمراء وصفراء وزرقاء.

مسح بقايا الكتشاب عن فمه، وأفرغ صينيته في سلة المهملات، ثم خرج مُسرعاً ومنتجهاً إلى بوابة كارل جوهانز. لقد حاول أن يحمي جسده من البرد بواسطة السترة الرقيقة، ولكن البرد كان عديم الشفقة. قرر شراء معطف جديد حالما يصل إلى غرفته في فندق سكانديا.

بعد ست دقائق، عبر أبواب ردهة الفندق، ووقف وراء ثنائيّ يريدان النزول في الفندق كما يبدو. ألقى موظفة الاستقبال نظرة سريعة عليه من دون أن تبدو على وجهها أي دلالة على معرفتها إيّاه. وبعد ذلك، انحنت فوق أوراق الضيفين الجديدين متكلّمةً باللغة النرويجية. استدارت المرأة نحوه، ولاحظ أنها شقراء وجذّابة فابتسم لها. هذا كل ما تمكّن من القيام به لأنه رآها قبل ساعات قليلة خارج مبنى غوتربورغاتا.

ومن دون أن يتحرك من مكانه، أحنى رأسه، ووضع يديه في جيبي سترته. كان يمسك المسدس بإحكام وبطريقة مطمئنة. رفع رأسه بحرص شديد، ورأى المرأة وراء موظفة الاستقبال فحدّق إليها، ولكن الصورة أصبحت مُبهمة وثنائية، فأغمض عينيه، وأخذ نفساً عميقاً، ثم فتحهما مجدداً وتمكّن من رؤية الرجل طويل القامة بوضوح تدريجياً: بشرة شاحبة وأنف أحمر، ملامح وجه قاسية وواضحة بخلاف الفم الحساس. إنه هو، الرجل الثاني في الشقة؛ الشرطي. جال بنظره في منطقة الاستقبال. كانوا الأشخاص الوحيدين في المكان. وأزالت كلمتان مألوفتان وسط حديثٍ باللغة النرويجية آخر ظلال الشك لديه؛ كريستو ستانكيك. أرغم نفسه على التزام الهدوء. لم يكن يملك أي فكرة عن كيفية تمكّنهم من اقتفاء أثره، ولكن النتائج بدأت تتضح له.

سلّمت موظفة الاستقبال مفتاحاً للمرأة الشقراء التي تلقّت ما بدا أنها علبة أدوات، وسارت نحو المصعد. وقال الرجل طويل القامة شيئاً ما لموظفة الاستقبال التي دوّنت ملاحظة. وبعد ذلك، ألقى الشرطي نظرة في أرجاء المكان، والتقت عيونهما للحظة قبل أن يتوجه إلى المخرج.

ابتسمت له موظفة الاستقبال، وقالت بالنرويجية عبارةً ودوداً كانت قد تدربّت على لفظها، ورمقته بنظرة مستفهمة، فسألها عما إذا كانت لديهم غرفة في الطابق الأعلى يُمنع فيها التدخين.

"دعني أتحقق من ذلك ياسيدي". ونقرت على لوحة المفاتيح.
"عُذراً. الرجل الذي كنت تتحدثين معه، أليس الشرطي الذي نشرت
الصحف صورته؟".

"لا أعلم". وابتسمت.

"أعتقد أنه هو، إنه ذائع الصيت، ما اسمه مرة أخرى...؟".
ألقت نظرة سريعة على دفتر مدوناتها. "هاري هول. هل هو ذائع
الصيت حقاً؟".

"هاري هول؟".

"أجل".

"لا بد أنني أخطأت في الاسم".

"لديّ غرفة واحدة شاغرة. إذا كنت تريدها، فسيتوجب عليك ملء
هذه البطاقة وتسليمي جواز سفرك. بأي طريقة تودّ أن تدفع؟".
"ما هو المبلغ؟".

وتحققت من السعر.

"آسفة"، وابتسمت. "إنها باهظة التكلفة".

غادر الفندق ودخل محطة القطارات، وتوجه إلى الحمام وأقفل على
نفسه في إحدى الحجيرات، وجلس هناك محاولاً تنظيم أفكاره. إنهم الآن
يعرفون الاسم الذي استخدمه، لذلك عليه العثور على منزل كي لا يُضطر
إلى إظهار جواز سفره. وباستطاعة كريستو ستانكيك أن ينسى أمر حجز
مقعد على متن رحلة جوية، أو قطار، أو حتى عبور حدود وطنية. ماذا
سيفعل؟ عليه الاتصال بزغرب والتحدث إليها.

مشى الهويّنا في الميدان خارج محطة القطارات. وهبّت ريح مخدّرة
على المنطقة المفتوحة. أبقى نظره على الهواتف العامة فيما كانت أسنانه
تصطك. كان هناك رجل متكئ على سيارة نقانق بيضاء في الوسط، يرتدي
سترة وسروالاً مبطنين ويشبه رائد فضاء. هل يتخيّل ذلك أم إن الرجل
يراقب الهواتف؟ هل تتبّعوا مكالماته الهاتفية وينتظرون عودته؟ لا، هذا
مستحيل. وتردد. إن كانوا يراقبون الهواتف، فسيؤدي اتصاله بها إلى إفشاء
سرّها ربما. واتخذ قراره. باستطاعة المكالمات الهاتفية الانتظار، وما يحتاج إليه
الآن غرفةً مع سرير وجهاز تدفئة. سوف يُطلب منه دفع قيمة الإيجار
نقداً نظراً إلى نوعية المكان الذي يبحث عنه، وكان قد أنفق آخر ما
تبقى معه من مال على شراء وجبة البرغر.

داخل ميدان العبور المكتظ، وبين المتاجر وأرصفت الركاب، عثر على

صَراف آليّ، فأخرج بطاقة الفيزا، وقرأ التعليمات المكتوبة باللغة الإنكليزية والتي تطلب منه إبقاء الشريط المغناطيسي إلى اليمين. أوشك على إدخال البطاقة في الشقّ، ثم توقفت يده فجأة؛ فالبطاقة باسم كريستو ستانكيك أيضاً. ربما يكون الاسم مسجلاً، وعندها إن أدخل البطاقة فسيطلق جهاز إنذار في مكان ما. وتردد. بعد ذلك، أعاد البطاقة إلى محفظة جيبه، وتجوّل في ميدان العبور متمهلاً. كانت المتاجر تُقفل أبوابها، ولم يكن يملك المال الكافي لشراء سترة سميكة تدفئه. ألقى حارس أمن نظرة سريعة ومتفحّصة عليه، فمشى باضطراب مرة أخرى إلى داخل جرنباينيتورغت. كانت ريح شمالية تهبّ على الميدان، والرجل الواقف بجانب كشك النقانق الساخنة قد ذهب. ولكن هناك رجلاً آخر بجانب منحوتة النمر.

"أحتاج إلى بعض المال للحصول على مكان أنام فيه الليلة".

لم يكن بحاجة إلى إجادّة اللغة النرويجية ليفهم ما يطلبه منه الرجل. إنه مُدمن المخدرات الشاب نفسه الذي أعطاه المال في وقت سابق من اليوم؛ المال الذي يحتاج إليه الآن. هز رأسه وألقى نظرة سريعة على مجموعة مُدمني المخدرات المرتجفين الموجودين بجانب ما بدا له في بادئ الأمر موقّف حافلة. كانت الحافلة البيضاء قد وصلت.

شعر هاري بألم في صدره ورثتيه؛ ألم شديد، وبحريق في فخذه؛ حريق شديد.

فعندما يكون عالقاً في قضية ما، يقوم أحياناً بما يقوم به الآن؛ إذ ينزل إلى غرفة اللياقة البدنية في الطابق السُّفلي لمقر قيادة الشرطة ويركب الدراجة. وهو لا يقوم بذلك لأن التمرين يجعله يفكر بشكل أفضل، بل لأنه يحمله على الكف عن التفكير.

"قالوا لي إنك موجود هنا". واعتلى غونار هاغن جهاز قياس الجهد العضلي بجانبه. كانت ملابسه الرياضية تُبرز عضلات جسمه الهزيل والتالف تقريباً أكثر مما تغطيها. "ما البرنامج الذي تعمل وفقه؟".

"رقم تسعة"، لهث هاري.

ضبط هاغن ارتفاع المقعد، ومن ثم ضغط على المكان المناسب في اللوحة الرقمية الخاصة بالدراجة. "أستنتج أنك واجهت يوماً مثيراً".

فأوماً هاري برأسه.

"سأكون متفهّماً إذا أردتَ التقدم بطلب للحصول على إجازة مرّضية"، قال هاغن. "بالرغم من كل شيء، نحن في زمن سلّم".

"شكراً لك، ولكنني أشعر بنشاط تام أيها الرئيس".
"جيد. لقد تحدثت للتو إلى تورليف".
"الرئيس المُشرف؟".

"نحتاج إلى معرفة كيفية سير القضية. فقد وردتنا اتصالات هاتفية كثيرة لأن اتحاد الرعاية الاجتماعية يحظى بشعبية كبيرة، والأشخاص المتمتعين بالنفوذ في المدينة يريدون معرفة ما إذا كنا سنحل القضية قبل الكرسمس".
"لقد تعامل السياسيون بنجاح مع ست قضايا وفاة متعلقة بجُرعات مُفرطة في فترة الكرسمس من العام الماضي".

"كنت أطلب منك معلومات جديدة عن القضية ياهول".
فشعر هاري بالعرق يتصبب من جسده.

"حسناً، لم يعرض أي شاهد تقديم خدماته بالرغم من نشر الصور في داجبلاديت اليوم. وتقول بتي لون إن الصور توهي بأننا لا نتعامل مع قاتل واحد، بل اثنين مع الأقل، وأنا أشاطرها الرأي. فالرجل الذي قصد شقة جون كارلسن كان يرتدي معطفاً مصنوعاً من وَبر الجمال، ويضع منديلاً حول عنقه، وملابسه تشبه ملابس الرجل الذي ظهر في إِغرتورِغت في المساء السابق للجريمة".

"ألم تتعرفوا إلا على ملابسه فقط؟".

"لم أتمكن من رؤية وجهه جيداً. ولا يستطيع جون كارلسن تذكر الكثير. لقد أقرت إحدى القاطنات في المبنى بأنها سمحت لرجل إنكليزي بالدخول ليترك هدية خارج باب جون كارلسن".

"حسناً، قال هاغن. "ولكننا سنُبقي نظرية القتل المتعددين لأنفسنا.

تابع".

"لا يوجد المزيد لأقوله".

"لا شيء!".

تحقق هاري من عداد السرعة بتصميم هادئ، ثم زاد السرعة إلى خمسة وثلاثين كيلومتراً في الساعة.

"حسناً، لدينا جواز سفر مزور يعود لكرواتي يدعى كريستو ستانكيك لم يستقل الطائرة المتوجهة إلى زغرب اليوم، وكان يُفترض به القيام بذلك. وقد اكتشفنا أنه كان يقيم في فندق سكانديا، وتفحصت لُون غرفته بحثاً عن حمضه النووي. لا ينزل لديهم عدد كبير من الضيوف، لذلك أمِلنا أن تتمكن موظفة الاستقبال من تمييز الرجل من خلال صورنا".

"وماذا بعد؟".

"آسف، فهي لم تتمكن من تمييزه".
"إذًا، على أي أساس تبني ظنك بأنه رجلنا؟".
"جواز السفر المزور"، قال هاري مسترقاً نظرة سريعة إلى عدّاد السرعة
لدى هاغن. أربعون كيلومتراً في الساعة!
"وكيف ستعثر عليه؟".

"حسناً، الأسماء تترك آثاراً في عصر المعلومات، وقد نبهنا كل مصادر
معلوماتنا. فإذا قام أي شخص يحمل اسم كريستو ستانكيك بدخول فندق
ما، أو شراء تذكرة، أو استخدام بطاقة ائتمان، فسنعرف ذلك على الفور.
ووفقاً لموظفة الاستقبال، لقد استعلم عن مكان وجود هاتف عام، فوجهته
إلى جرنبانيتورغت. سنحصل على قائمة بالاتصالات الهاتفية التي أُجريت في
اليومين الأخيرين من الهواتف العامة هناك".

"إذًا، كل ما توصلتم إليه هو أنه كرواتيّ يحمل جواز سفر مزوراً
وتخلّف عن السفر في رحلته الجوية"، قال هاغن. "أنت تواجه عقبة، أليس
كذلك".

فلم يُجب هاري.

"حاول التفكير بطريقة مختلفة"، قال هاغن.

"حسناً أيها الرئيس"، تشدّق هاري.

"هناك بدائل على الدوام"، قال هاغن. "هل أخبرتك عن الفصيلة

اليابانية وعن تفشّي الكوليرا؟".

"لا أعتقد أنني تشرفتُ بسماع هذه القصة أيها الرئيس".

"كانوا في الدّغل شمال رانغون، واستمروا بتقيؤ كل ما يأكلونه
ويشربونه فأصيبوا بالجفاف، ولكن القائد رفض الاستسلام، لذلك أمرهم بإفراغ
مِحَقنات المورفين واستخدامها لحقن أنفسهم بالماء من مَطْرَاتهم".

وزاد هاغن إيقاعه، فيما أصغى إليه هاري منتظراً عبثاً أي دلالة
تشير إلى انقطاع أنفاسه.

"لقد نجح الأمر. ولكن، بعد أيام قليلة، لم يتبقّ لديهم سوى برميل
يعجّ ببيرقات البعوض. حينئذٍ، اقترح الرجل الثاني في قيادة الفصيلة وخز
المِحَقنات في لبّ الفاكهة النامية حولهم، ومن ثم حقنها في مجرى الدم.
نظرياً، إن 90 بالمئة من عصير الفاكهة ماء بأي حال، وماذا لديهم
ليخسروه؟ ولكن، أتصدق ما حصل؟ لقد أنقذتِ الفصيلة ياهول. مخيِّلة
وشجاعة".

"مخيِّلة وشجاعة"، أزرّ هول. "شكراً أيها الرئيس".

وسرّع التمرين قدر المستطاع. كان باستطاعته سماع طقطقة أنفاسه
كنار مستعرة. وظهر الرقم 42 على عداد السرعة. ألقى نظرة سريعة على
عداد سرعة البيبي أو بي: 47. هل يتنفس؟ بشكل منتظم.
تذكّر هاري جملة قرأها في كتاب يعود لألف عام مضت أعطاه إيّاه
سارق مصارف. فن الحرب؛ اختر معاركك . وكان يعلم أنه يُفترض به
الانسحاب من هذه المعركة لأنه سيخسر مهما فعل.
أبطأ هاري، وظهر الرقم 35 على عداد السرعة. لقد تفاجأ من عدم
شعوره بالإحباط؛ بل كان متعباً ومستسلماً. ربما كان يكبر في السن، وربما
كف عن كونه الغبي الذي يهاجم كل من يلوح بخارقة حمراء؟ استرق
هاري نظرة جانبية سريعة. كانت ساقا هاغن تتحرّكان بسرعة ونشاط، فيما
العرق يتلألأ على وجهه تحت الضوء الأبيض الصادر عن المصباح.
جفف هاري عرقه، وأخذ نفسين عميقين، ثم تابع التمرين، وعاد الألم
الرائع بعد ثوانٍ.

13 - الأربعاء، 17 كانون الأول/ديسمبر. التكتكة

كانت مارتين تفكر مرة بعد أخرى بالشائعات السارية عن استسلام لجنة العمل الخيري الاجتماعي. وتتمثل الحجة العلنية للمناوئين بأن المنطقة تحت الشبان على تعاطي المخدرات. وكان رأي مارتين أن كل من يفكر في أن الحياة في بلاتا يمكن أن تكون جذابة لا بد من أن يكون مجنوناً، أو إن قدمه لم تطأ المكان هناك.

وتمثلت الحجة غير المعلنة بأن هذه الأرض التي يحدها خط أبيض على الطريق المعبّدة بجانب جرنباينيتورغت - كما لو أنها حدود - تشوّه صورة المدينة. ألم يكن السماح بتبادل المخدرات والمال بشكل علني في قلب العاصمة إقراراً واضحاً بإخفاق الديمقراطية الاجتماعية الأكثر نجاحاً في العالم، أو الأكثر ثراءً على الأقل؟

لقد سلّمت مارتين بحدوث إخفاق، وبخسارة معركة تحويل المجتمع إلى مجتمع خالٍ من المخدرات. من جهة ثانية، إذا أردتم الحؤول دون انتشار المخدرات فمن الأفضل حدوث عملية الاتجار بالمخدرات تحت أنظار كاميرات مراقبة وليس تحت جسور على امتداد أكرسلفا، وفي الأفنية الخلفية المظلمة على امتداد رادوسغاتا والجانب الجنوبي لقلعة أكرشوس. كانت مارتين تعلم أن معظم الناس الذين يتواصلون بطريقة ما مع ناركو- أو سلو يفكرون بالطريقة نفسها: بلاتا أفضل من البدائل الأخرى.

ولكنّ المشهد ليس جميلاً.

"لِنغمان!". صاحت مناديةً الرجل الواقف في الظلام خارج حافلتهم. "ألا تريد حساء الليلة؟".

ولكن لِنغمان ابتعد بحياء. لقد اشترى جرعته من المخدرات على الأرجح وغادر لحقن نفسه.

كانت تركز على سكب الحساء لشخص شرق أوسطي يرتدي سترة زرقاء عندما سمعت أسناناً تصطك بجانبها، وحين رفعت رأسها رأت رجلاً مرتدياً سترة رقيقة ينتظر دوره. "حان دورك". قالت ساكبة الحساء له. "مرحباً يا عزيزتي". صدر صوت أجش.

"ونش!".

"عانقيني وامنحي الدفاء لبائسة مسكينة"، قالت المرأة المُستة بضحكة صادرة من القلب، وعانقت مارتين. كانت رائحة العطور تفوح منها. وجلسنا إلى الطاولة الشاغرة.

فبالرغم من قيام بعض العاملات الغريبات اللواتي أغرقن المنطقة في العام الأخير بتعاطي المخدرات، يبقى تعاطي المخدرات أكثر انتشاراً بين النساء المحليات. وونش إحدى الغريبات اللواتي لا يتساهلن.

"أنا هنا للبحث عن ابن صديقة لي"، قالت وونش. "يُدعى كريستوفر. قيل لي إنه يتعاطى الهيروين".

"كريستوفر؟! لا أعرفه".

"آه". وصرفت النظر عن الموضوع. "انسَى الأمر. لديك أمور أخرى في عقلك كما يبدو".

"حقاً؟".

"لا تكذبي. باستطاعتي تمييز الفتاة عندما تكون مُغرمة. أهو ذاك الشاب الذي يقف هناك؟".

وأومات وونش برأسها في اتجاه الرجل الذي يرتدي الرّيّ الخاص بأعضاء اتحاد الرعاية الاجتماعية ويحمل كتاباً بيده. وكان قد جلس للتو بجانب الرجل الذي يرتدي سترة رقيقة.

نفخت مارتين خديها. "ريكارد؟! لا، شكراً لك".

"هل أنت متأكدة؟ كانت عيناه تتبعانك منذ وصولي".

"ريكارد شاب صالح"، وتنهدت. "بأي حال، لقد تطوّع لنوبة العمل هذه من دون أن يحظى بمهلة كافية للاستعداد. فالشخص الذي يُفترض به أن يكون هنا قد توفّي".

"أتقصدين روبرت كارلسن؟".

"هل كنت تعرفينه؟".

أجابت وونش بإيماءة رأس حزينة، ومن ثم أشرق وجهها مجدداً وقالت: "انسَى أمر المتوفّي، وأخبري الماما عن الشخص الذي أغرمت به. بالمناسبة، أصبحت في سنّ ملائمة".

ابتسمت مارتين. "حتى إنني لم أكن أعرف أنني مُغرمة".

"هيا".

"لا، الأمر في غاية السُّخف. أنا...".

"مارتين"، قال صوت آخر.

وحين رفعت نظرها رأت عيني ريكارد المتوسلتين.

"الرجل الجالس هناك يقول إن لا ملابس لديه، كما أنه لا يملك مالاً أو مكاناً يُقيم فيه. هل تعرفين إن كان هناك مكان شاغر في النزل؟".

"اتصل بهم واسأل"، قالت مارتين. "لديهم بعض الملابس الشتوية

بالتأكيد".

"حسناً". غير أنه لم يتحرك. وبالرغم من أن مارتين كانت جالسة قبالة ونش، إلا أنها لم تكن بحاجة للنظر إليه لكي تدرك أن شفته العلوية متعرّقة.

بعد ذلك، تتم كلمة شكراً وعاد إلى الرجل المرتدي سترة رقيقة.
"هيا، أخبريني"، حثتها ونش هامسة.
في الخارج، كانت الريح الشمالية تعصف.

سار هاري وحقيبته الرياضية على كتفه، مقطّباً حاجبيه في مواجهة الريح التي جعلت نُدْف الثلج المستدقة وغير المرئية تقريباً تخز عينيه. وفي أثناء مروره بجانب بليتز، رنّ هاتفه المحمول. إنه هالفورسن.
"أجري اتصالان بزغرب في اليومين الأخيرين من هاتفين عامين في جرنبانيتورغت. كان الرقم الذي تم الاتصال به هو نفسه في كلتا المرتين. لقد اتصلت بالرقم وأجابتنى موظفة استقبال في فندق هوتيل إنترناشونال. لم يتمكنوا من معرفة الشخص الذي اتصل من أوصلو، أو بمن كان هذا الشخص يحاول الاتصال، ولم يسمعوا بشخص يدعى كريستو ستانكيك".
"هممم".

"هل أتابع؟".

"لا". وتنهّد هاري. "سندع الأمر على حاله حتى يُنبئنا شيء ما بأن ستانكيك هذا ربما يكون مثيراً للاهتمام. أطفئ النور قبل أن تغادر وسوف نتحدث غداً صباحاً".
"تمهّل!".

"لست ذاهباً إلى أي مكان".

"هناك المزيد. تلقى رجال الشرطة الذين يرتدون بذلات نظامية اتصالاً من نادل في بيسكيت. قال إنه دخل الحمام هذا الصباح وصادف أحد الزبائن هناك".

"ماذا كان يفعل هناك؟".

"سأخبرك. كان في يد الزبون شيء ما...".

"أعني النادل. إنّ موظفي المطاعم لديهم حمّاماتهم الخاصة على الدوام".

"لم أسأل"، قال هالفورسن الذي نفذ صبره. "اسمع. كان الزبون يحمل شيئاً أخضر يتقطر منه سائل أخضر".

"يبدو كما لو أنه يُفترض به زيارة طبيب".
"مضحك جداً. أقسم النادل إنه مسدس مغطى بصابون. كان غطاء
إناء الصابون مرفوعاً".

"بيسكيت"، كرر هاري فيما كان يستوعب المعلومة. "إنه في كارل
جوهانز".

"على بُعد مئتي متر من مسرح الجريمة. أراهن أنه مسدسنا".
"بالمناسبة، ما زلتَ تدين لي بمئتي كرون. أطلعني على بقية القصة".
"هنا يأتي الجزء الأفضل. فقد طلبتُ منه وصفاً، ولم يتمكن من
تزويدي بأي وصف".

"يبدو أنها اللازمة في هذه القضية".
"لكنه عرف الرجل من معطفه؛ قال إنه معطف في غاية القباحة
مصنوع من قماش وَبَر الجمال".
"أجل!". صاح هاري. "إنه الرجل ذو اللِّفَاع في صورة إِغْرْتورِغْت في
الليلة السابقة لمقتل كارلسن".
"لقد اعتبر النادل أنه معطف مقلّد. كان يبدو مطّلعاً على هذا النوع
من الأمور".

"ماذا تعني؟".
"كما تعلم، بسبب طريقة تكلمه".
"من؟".
"مرحباً! تبّاً. أيّاً يكن. لقد غادر الرجل بعد أن أخذ معه المسدس.
هذا كل ما لديّ في الوقت الحاضر. أنا في طريقي الآن إلى بيسكيت لأُري
النادل الصور الفوتوغرافية".

"جيد"، قال هاري.
"ما الذي تتساءل في شأنه؟".
"أتساءل؟!".

"أنا أتعلّم طرقك يا هاري".
"حسناً، كنت أتساءل عن سبب عدم اتصال النادل بالشرطة على الفور
هذا الصباح. أسأله، اتفقنا؟".

"في الواقع، كنت أعتزم القيام بذلك يا هاري".
"بالطبع. آسف".
أنهى هاري الاتصال، لكن هاتفه المحمول رنّ مجدداً بعد خمس

دقائق.

"ماذا نسيّت؟". سأل هاري.

"ماذا؟".

"آه! هذه أنتِ يا بتي. حسناً؟".

"لدي أخبار جيدة. لقد أنهيتُ عملي في فندق سكانديا".

"هل عثرتِ على أي حمض نووي؟".

"لا أعلم بعد. لديّ شعرتان، ربما تعودان لعامل التنظيفات أو لزائر سابق. ولكن، وصلتنى نتائج علم المقذوفات قبل نصف ساعة. إن الرصاصة الموجودة في علبة الحليب الكرتونية في منزل جون كارلسن مصدرها السلاح نفسه الذي أطلق الرصاصة التي عثرنا عليها في إغرتورغِت".

"حسناً. ذلك يعني أن نظرية وجود عدة رجال مسلحين تميل إلى أن تكون خاطئة".

"أجل، وهناك المزيد. تذكرت موظفة الاستقبال في فندق سكانديا شيئاً ما بعد مغادرتك. إنّ كريستو ستانكيك هذا يرتدي قطعة ملابس قبيحة بصفة خاصة. وتعتقد أنها مقلّدة...".

"دعيني أحزر. إنها معطف مصنوع من قماش وَبَر الجمال؟".

"هذا ما قالته".

"لقد حققنا تقدّماً"، صاح هاري عالياً لدرجة أن صدى صوته تردد في أرجاء الشارع وسط المدينة.

أنهى هاري الاتصال واتصل بهالفورسن مجدداً.

"أجل، هاري؟".

"كريستو ستانكيك هو رجلنا. أعطِ وصف المعطف المصنوع من قماش وَبَر الجمال لذوي البذلات النظامية ولخرفة العمليات، واطلب منهم استنفار كل سيارات الدورية". وابتسم هاري لسيدة مُسنّة تمشي بخطى سريعة، مُجرّرة قدميها، وفي أسفل حذائها عالي الساق موانع انزلاق مزوّدة بمسامير. "وأريد مراقبة الاتصالات السلوكية واللاسلكية على مدى أربع وعشرين ساعة لنعرف إن قام أحدهم بالاتصال بفندق هوتيل إنترناشونال في زَغْرَب من أوسلو، والرقم الذي تمّ الاتصال منه. تحدّث إلى كلاوس توركيلدسن في مركز تيلينور للأعمال، منطقة أوسلو".

"إنّ هذا يُعتبر تنصّتاً على الهاتف. ونحن بحاجة إلى إذن للقيام بذلك، وقد يتطلب الأمر أياماً للحصول عليه".

"لن تنصّت على المكالمات. نحتاج فقط إلى عنوان الاتصال القادم".

"أخشى ألا يكون بإمكان تيلينور إحداث فرق".

"قُل لتوركيلدسن إنك تحدثت إليّ. اتفقنا؟".
"هل يمكنني أن أسألك عن سبب رغبته في المجازفة بوظيفته لأجلك؟".
"إنها قصة قديمة. لقد أنقذته منذ سنوات قليلة من التعرّض للضرب
المبرّح في مركز السجن الاحتياطي. أنقذته من توم والر وزملائه. أنت نعي
ما يكون عليه الحال عندما يتم إلقاء القبض على ناشري الإشاعات
وأمثالهم".

"هل هو ناشر إشاعات إذاً؟".
"إنه متقاعد الآن، وهو يكون سعيداً بتبادل الخدمات لقاء التزام
الصمت".
"فهمتُ".

أنهى هاري المكاملة، وشرع بالتحرك، فلم يعد يشعر بالريح الشمالية
أو بالهجوم العنيف لإبر الثلج. كان العمل يمنحه أحياناً لحظات من
السعادة الخالصة. واستدار وعاد إلى مقر قيادة الشرطة.
في الغرفة الخاصة في مستشفى أوليفال، شعر جون باهتزاز الهاتف
على الملاءة فالتقطه على الفور. "أجل".
"هذه أنا".

"آه، مرحباً". قال من دون أن يُخفي خيبة أمله.
"تبدو كما لو أنك كنت تأمل في أن يكون المتصل شخصاً آخر"،
قالت رانهيلد بنبرة توحى ببهجة عارمة، ولكنها تُظهر امرأة مجروحة
المشاعر.

"لا يمكنني قول الكثير"، قال جون وهو يُلقي نظرة سريعة على
الباب.

"أردت أن أعبرّ لك عن فظاعة الخبر الذي تناول روبرت"، قالت
رانهيلد. "أشعر بالحزن من أجلك".
"شكراً لك".

"لا بد أن الأمر مؤلم. أين أنت في الوقت الحاضر؟ حاولتُ الاتصال
بك في المنزل فلم تجب".

لم يُجب جون.
"مادس يعمل حتى وقت متأخر، لذلك يمكنني التوجه إلى منزلك إذا
شئت".

"لا. شكراً لك يارانهيلد، سأتدبّر أمري".
"كنت أفكر فيك. الظلام دامس في الخارج والبرد قارس. أنا خائفة".

"أنتِ لا تخافين أبداً يارانهيلا".
"أشعر بالخوف أحياناً". واكتسى صوتها نبرة ممتعة. "هناك غرف
عديدة هنا وأيّ منها ليس في المتناول".
"انتقلي إلى منزل أصغر حجماً إذاً. عليّ إنهاء الاتصال الآن. لا يُسمَح
لنا باستخدام الهواتف المحمولة هنا".
"انتظر. أين أنت يا جون؟".
"تعرّضت لارتجاج طفيف في الدماغ. أنا في المستشفى".
"أي مستشفى؟ أي قسم؟".
فشعر جون بالارتباك: "معظم الناس سيسألون عن كيفية تعرّض
للارتجاج".

"تعلم أنني أكره عدم معرفتي مكان وجودك".
وتخيّل جون رانهيلد تدخل حاملة باقة ورد كبيرة في أثناء فترة
الزيارة في اليوم التالي، ونظرات ثيا المستفهمة إليها أولاً ومن ثم إليه.
"أستطيع سماع صوت الممرضة"، همس. "يجب عليّ إنهاء الاتصال".
وضغط على زرّ إنهاء المكالمة وحدّق إلى السقف حتى أطلق الهاتف
صُداح البوق، وأطفئت شاشة العرض. كانت مُحقة. إن الظلام دامس، ولكنه
الشخص الخائف.

وقفت رانهيلد غيلستراب قرب النافذة مُغمضة العينين، ومن ثم نظرت
إلى ساعتها. كان مادس قد قال لها إن هناك عملاً يتعيّن عليه القيام به
لأجل اجتماع مجلس الإدارة وإنه سيتأخر، وشرع بقول أمور كتلك التي
اعتاد قولها في السنوات الأخيرة. قبل ذلك، كان يخصص لها بعضاً من
وقته، ويصل إلى البيت في الوقت المحدد تماماً، أو باكراً في بعض الأحيان.
لم تكن تريده أن يصل إلى المنزل باكراً، بل كانت تستغرب تصرّفه الجديد؛
فهو غريب بطريقة ما. إنه أمر غير معتاد بطريقة ما، هذا كل شيء؛ تماماً
كما كان من غير المعتاد تصنيف كل الاتصالات على فاتورة الخط الهاتفي
الأرضي الأخيرة. فهي لم تطلب أموراً مماثلة، ولكن هذا ما حصلت عليه:
خمس صفحات مع قَدْر كبير من المعلومات. كان يُفترض بها الكف عن
الاتصال بجون، ولكنها لم تستطع بسبب نظرته تلك، نظرة جوهانز تلك. لم
تكن نظرته لطيفة أو ذكية أو نابغة من القلب أو شيئاً من هذا القبيل،
بل كانت نظرة تقرأ كل ما تفكر فيه قبل أن تُمعن في التفكير فيه؛ نظرة
تراها على حقيقتها وتواصل إعجابها بها.

فتحت عينيها، وتأمّلت الطبيعة غير الملوّثة التي تمتد على مساحة

سته آلاف متر مربع. لقد ذكّرنا المنظر بالمدرسة الداخلية في سويسرا. كان انعكاس الضوء على الثلج يسطح داخل غرفة النوم الواسعة ويغطي السقف والجدران بضوء أبيض مائل إلى الزُرقة.

هي التي أصرت على البناء هنا في مكان مرتفع فوق المدينة. حسناً، في الغابة في الواقع. وزوجها، مادس غيلستراب - الذي تخيل أن المدينة هي القيد الذي تشير إليه - كان قد أنفق بعض المال الذي يملكه على عملية تشييد هذا المنزل. لقد كلفه الأمر إنفاق عشرين مليون كرون. وعندما انتقلا إلى المنزل، شعرت رانهيلد بأنها تنتقل من زنزانة إلى باحة سجن. شمس، هواء، وغرفة خاصة؛ ومع ذلك المكان محدود كمدرسة داخلية.

من حين لآخر - كما هو الحال هذا المساء - كانت تتساءل عن كيفية انتهاء الأمر بها هنا. ويمكن إيجاز ظروفها بما يلي: مادس غيلستراب وريث إحدى الثروات الكبرى في أوسلو. لقد التقته في أثناء تخصصها الجامعي خارج شيكاغو، إيلينويس، حيث درسا إدارة الأعمال في جامعة متوسطة المستوى تقدّم للطالب منزلة مرموقة أكثر من الكفاءة المعهودة في جامعات النرويج. بأي حال، كانا يشعران بهرح أكبر. فالاثنان متحدران من عائلتين ثريتين؛ ولكن عائلته أكثر ثراء. ففي حين تتكوّن عائلته من خمسة أجيال من مالكي السفن الذين جمعوا أموالهم على مرّ العقود، يعود ثراء عائلتها إلى العمل في المزارع، ولا تزال أموالهم تحمل آثار حبر الطابعات والسمك المرّبي. لقد عاشوا في الفجوات بين المعونات المالية الزراعية والاعتداد بالنفس المجروح إلى أن باع والدها وعمها جرّارتهما، وخاطرا باستثمار رأسمالهما في مزرعة سمك صغيرة في الخليج البحري الطويل القائم بين صخور عالية خارج نافذة غرفة جلوسهما في فيست - أغدر التي تقع في أقصى الجنوب على خط الساحل الذي تهبّ عليه الرياح. كان التوقيت ممتازاً، والمنافسة في مستواها الأدنى، فجمعا عدة ملايين من الدولارات في غضون أربع سنوات مُربحة. وهدم المنزل المبنيّ على الصخرة شديدة الانحدار، واستُبدل بمنزل على صورة قالب حلوى أكبر من مخزن الحبوب، ويتباهى بثماني نوافذ بارزة، وبمرآب مزدوج.

لم تكد رانهيلد تبلغ السادسة عشرة من عمرها حتى أرسلتها والدها من صخرة شديدة الانحدار إلى أخرى: مدرسة آرون شوستر الخاصة للبنات على ارتفاع تسعمئة متر عن سطح البحر في بلدة سويسرية تحتوي على محطة قطارات، وست دور عبادة، و بيرستاب . ويعود السبب الرئيس لذلك إلى أنه يتعيّن على رانهيلد دراسة الفرنسية، والألمانية، وتاريخ الفنون، وهي

مواضيع تُعتبر مفيدة بسبب استمرار تسجيل سعر كيلو السمك المرَبّي مستويات قياسية.

ولكن السبب الحقيقي للنفي هو صديقها جوهانز بالطبع. جوهانز ذو اليدين الدافئتين؛ جوهانز ذو الصوت اللطيف والنظرة التي يمكنها أن تقرأ كل ما تفكر فيه قبل أن تُمعن في التفكير فيه؛ جوهانز كتلة التراب الريفية، جوهانز الذي لن يذهب إلى أي مكان. فبعد ابتعادها عن جوهانز تغير كل شيء. لقد تغيرت بعد جوهانز.

في مدرسة آرون شوستر الخاصة، تحررت من الأحلام المزعجة، ومن شعورها بالذنب ورائحة السمك، وتعلمت كل ما تحتاج إليه الفتيات الشابات للحصول على زوج من مكانتهن الاجتماعية وما فوق. وبفضل الرغبة في البقاء التي مكنتها من الاستمرار والثبات على الصخرة شديدة الانحدار في النرويج، دفنت ببطء - وبطريقة مؤكدة - رانهيلد التي كان جوهانز يقرأ عقلها جيداً، وأصبحت رانهيلد التي تقصد الأماكن التي يقصدها أفراد الطبقة العليا، وتقوم بعملها بنفسها من دون مساعدة أي من الفتيات الفرنسيات المنتميات إلى الطبقة العليا، أو الفتيان الداهمركيين الذين يُطلقون ضحكات ماكرة في الزوايا بسبب محاولات الفتيات عديمات النفع - مثل رانهيلد - التصرف كريفيات أو بفضاظة.

وجاء ثأرها الصغير حين أغوت السيد برهمه، المدرس الألماني الشاب، الذي كانت الفتيات جميعاً مفتونات به. كان المدرسون يُقيمون قبالة المجمع السكني الخاص بالتلامذة، فعبرت ببساطة الميدان المرصوف وقرعت باب غرفته الصغيرة. لقد زارته أربع مرات، وعادت في الليل أربع مرات، مطلقاً بكعب حذائها على حجارة الرصيف، فيما الصدى يتردد بين جدران المبنين.

انطلقت الشائعات، ولم تحاول القيام بأي شيء لإيقافها. وعندما انتشر نبأ استقالة السيد برهمه واضطاعه بسرعة بمنصب تدريسي في زوريخ، أشرقت على وجه رانهيلد ابتسامة نصر حققتة على كل الفتيات الشابات في صفها اللواتي ظهر الحزن على وجوههن.

وبعد انتهاء العام الدراسي الأخير في سويسرا، عادت رانهيلد إلى الوطن. الوطن أخيراً، قالت لنفسها. ولكن عيني جوهانز كانتا هناك مرة أخرى؛ في الخليج البحري الفضي الطويل بين الصخور، وفي ظلال دار العبادة الصغيرة، أو في السيارات التي تمر أمامها بسرعة كبيرة مخلّفة وراءها سحابة غبار تملأ فمها بمذاق مرّ. وعندما وصلت الرسالة من شيكاغو مع عرض لها

لدراسة إدارة الأعمال - أربع سنوات للحصول على بكالوريوس، وخمس سنوات للحصول على ماجستير - قصدت والدها لتطلب منه تحويل الاعتمادات المالية لتتابع دراستها من دون إبطاء.

شعرت بالارتياح بسبب مغادرتها الوشيكة؛ فبإمكانها أن تكون رانهيلد الجديدة مرة أخرى. كانت تتوق إلى النسيان، ولكنها بحاجة إلى مشروع، إلى هدف. في شيكاغو، عثرت على ذلك الهدف؛ مادس غيلستراب.

لقد توقعت أن يكون الأمر سهلاً. فبالرغم من كل شيء، إنها تملك الأساس النظري والعملي لإغواء الفتيان المنتمين إلى الطبقة العليا، فقد كانت حسنة المظهر. فجوهانز والعديدون غيره قالوا لها ذلك. وعيناها جميلتان أيضاً؛ فقد أنعم الله عليها بقرحيتي والدتها الزرقاوين الفاتحتين المحاطتين ببياض غير عادي؛ واللتين ثبت أنهما تجتذبان الجنس الآخر. لهذا السبب، غالباً ما كانت رانهيلد تضع نظارة شمسية، ولا سيما عندما تخطط لخلعها في لحظة ملائمة لتُحدِث عيناها الأثر المطلوب.

قال البعض إنها تشبه نيكول كيدمان. لقد فهمت ما عنوه: فهي جميلة بطريقة جافية وصارمة. والصرامة هي سبب تصرفه ربما كجواد جامح مُجفَل عندما حاولت التخطيط لإجراء بعض الاتصالات به؛ فقد أشاح بنظره، ورفع قائمته الأماميتين عالياً في الهواء ثم خبَّ إلى منطقة آمنة. في النهاية، راهنت بكل ما لديها على ورقة واحدة.

ففي مساء إحدى الحفلات السنوية العديدة السخيفة، والتقليدية في الظاهر، أعطت رانهيلد زميلتها في الغرفة المال لشراء حذاء جديد واستئجار غرفة في فندق في المدينة، وقضت ثلاث ساعات أمام المرأة. وللمرة الأولى، وصلت إلى الحفلة باكراً لأنها تعرف أن مادس غيلستراب يذهب إلى كل الحفلات باكراً ليسبق منافسين محتملين.

فتأتاً وتلعثم، ولم يكن يملك الجرأة للنظر إلى عينيها - إلى عينيها الرائعتين - وإلى ياقة الثوب المنخفضة. كانت قد توصلت إلى استنتاج - بعكس رأيها السابق - أن الثقة بالنفس لا تترافق مع المال بالضرورة. وفي وقت لاحق، كان عليها استنتاج أن سبب الصورة السيئة التي يحتفظ بها ماد عن نفسه يعود إلى والده اللامع والمتطلب، والكاره للضعف، والعاجز عن فهم سبب عدم تمتع ابنه بصفات مميزة أكثر منه.

ولكنها لم تستسلم، وعرضت نفسها طُعماً أمام مادس غيلستراب. كان من الواضح أنها تريد أن تظهر بمظهر الفتاة سهلة المنال؛ لدرجة أنها لاحظت أن الفتيات اللواتي تدعوهن صديقات حزينات وخائبات الأمل. ومن

ثم - بعد ست كؤوس من الشراب - تجرّاً الجواد الجامح على الخروج إلى الأرض المفتوحة، وغادرا الحفلة.

لقد سمحت له بإقامة علاقة معها؛ ولكن على سرير صديقتها المفضّلة. وبالرغم من كل شيء، لقد كلفها ذلك ثمناً باهظاً. وعندما أبعدته بعد ذلك بواسطة غطاء سرير زميلتها المُحَاك بإبرة معقوفة، علمت أنها أمسكت به، واحتفظت بَعْدَة الحصان والسَّرج لوقت لاحق.

بعد انتهاء دراستهما، عادا إلى الوطن كثنائيّ. أدار مادس غيلستراب حصته من ثروة العائلة، وتمثلت وظيفته بالعثور على المستشارين المناسبين.

وتقدّمت رانهيلد بطلب، وحصلت على وظيفة لدى مدير ودائع مالية لم يسبق له أن سمع بالجامعة متوسطة النوعية، بل سمع بشيكاغو، وأحب ما سمعه ورآه. لم يكن شديد البراعة، بل كان متطلباً، واعتبر رانهيلد صديقة متألّفة. وهكذا، وبعد مدة قصيرة، تمّ نقلها من عملها الفكري المتطلب كمحلّلة أسهم، ووُضعت وراء شاشة وهاتف على إحدى الطاولات في المطبخ المدعوّ غرفة الاتجار بالأسهم. هناك، شرعت رانهيلد غيلستراب بالتصرف على هواها (وكانت قد غيّرت اسمها إلى غيلستراب حاملا خطبا لأنه عمليّ أكثر). لم تكن تكتفي بتقديم المشورة للمستثمرين المحترفين، بل تعدّت ذلك إلى التودد والمناورة والكذب والبكاء. كان باستطاعة رانهيلد غيلستراب استمالة رجل - أو امرأة إذا اضطرّت إلى ذلك - لتحريك الأسهم بفعالية؛ أكثر من أيّ من المحلّلين الآخرين. ولكن مزيتها الكبرى كانت فهمها الفائق للمحفّز الأكثر أهمية لسوق الأسهم العادية: الجشع.

ذات يوم أصبحت حاملاً، ووجدت نفسها تفكر ملياً في الإجهاض، وقد فاجأها ذلك. حتى ذلك الحين، كانت قد اعتقدت حقاً أنها تريد إنجاب أطفال؛ طفل واحد على الأقل. وبعد ثمانية أشهر، أنجبت أمالي. وبعد أسبوعين، نُقلت أمالي إلى المستشفى بسبب ارتفاع حرارتها. شعرت رانهيلد بقلق الأطباء، ولكن لم يكن باستطاعتهم إخبارها بما تعاني منه طفلتها. وفي الليلة التالية، توقّيت أمالي الصغيرة عند الساعة الحادية عشرة بدءاً ذات الرئة، فأقفلت رانهيلد على نفسها، وبكت طوال أربعة أيام متتالية.

"تليّف كيسيّ"، كان الطبيب قد قال لها سرّاً. "الأمر مرتبط بالجينات، ممّا يعني أنك أو زوجك من يحمل الداء. هل تعرفين أحداً في عائلتك أو عائلته قد أُصيب بهذا الداء؟ قد يتجلى بنوبات ربو متكررة أو ما شابهه."

"لا". أجابت رانهيلد. "وأفترض أنك مُدرك أنك مؤتمن على أسرار

مرضاك".

ترافقت فترة الحداد مع مساعدة أخصائيّ. وبعد شهرين، استطاعت التحدث إلى الناس مجدداً. وعندما حلّ الصيف، انتقلا إلى شاليه غيلستراب على الشاطئ الغربي للسويد، وحاولا إنجاب طفل آخر. ولكن، ذات ليلة، وجد مادس زوجته تبكي أمام مرآة غرفة النوم، وقالت له حينها إن ما حدث عقاب لها لأنها أرادت الإجهاض، فواساها. ولكن، عندما أصبحت مداعباته الرقيقة أكثر جرأة، دفعته بعيداً عنها وقالت إنها المرة الأخيرة ولفترة طويلة. ظنّ مادس أنها تعني بذلك رفضها الإنجاب ووافق على الفور. ولكن، عندما اكتشف أنها تعني عدم القيام بأي علاقة معه شعر بالخيبة والإحباط. وبالرغم من ذلك، فسّر ردود فعلها بأنها ناجمة عن الحزن والتبدلات الهرمونية بعد الولادة. ولم تكن رانهيلد تعتقد أن باستطاعتها إخباره أن علاقتهما في العامين الأخيرين كانت بمثابة واجب بالنسبة إليها، وأن ما تبقى من المتعة زال في غرفة الولادة عندما حدّقت إلى وجهه الغبيّ المحمق ببلاهة، والمصدوم بسبب الدُّعر. وعندما بكى فرحاً شعرت بالرغبة في صفعه. لم تكن تعتقد أن باستطاعتها إخباره بهذا الأمر أيضاً ما دام يعيشان معاً؛ علماً أنها كانت تلبي ورئيسها حاجاتهما معاً في العام الأخير.

كانت رانهيلد سمسارة الأسهم الوحيدة في أوصلو التي عُرضت عليها شراكة كاملة عندما غادرت لقضاء إجازة الأمومة. ولكنها استقالت فجأة، وفاجأ الأمر الجميع. ولكن، كانت قد عُرضت عليها وظيفة أخرى: إدارة ثروة عائلة مادس غيلستراب.

لقد شرحت لرئيسها في ليلة الوداع اعتقادها أن الوقت قد حان لقيام السمسارة بإجراء حديث ودّي معها، وليس العكس. لم تقل أي شيء عن السبب الحقيقي؛ وهو أن مادس غيلستراب عاجز عن إدارة المهمة الوحيدة التي أوكلت إليه؛ ألا وهي العثور على مستشارين جيدين، وأنها اضطرت وحموها، ألبرت غيلستراب، للتدخل بسبب انكماش ثروة العائلة بسرعة. كان ذاك اللقاء آخر لقاء لها برئيسها. وبعد أشهر قليلة، بلغها أنه حصل على إجازة مرضية بعد سنوات من المعاناة مع مرض الربو.

لم تكن رانهيلد تحب وسط مادس الاجتماعي، ولاحظت أن مادس لا يحبه أيضاً. ولكنهما استمرا بالذهاب إلى الحفلات التي يُدعيان إليها لأن البديل - الخروج من مجموعة الأشخاص الأثرياء أو الذين يملكون كل شيء - أسوأ بكثير. كانا يُضيان الوقت مع أشخاص متباهين وراضين عن أنفسهم يشعرون في قرارة نفوسهم بأن المال يمنحهم الحق ليكونوا كذلك؛ ولكن

زوجاتهم- أو العاهرات كما تدعوهن رانهيلد سرًا- أمر مختلف تمامًا. فهن سيدات منازل ثرثارات ومدمنات على التسوق، ويهتمن كثيراً بصحتهن، ناهيك عن سُمرة اكتسبها بعد تضيتهن أسبوعين مع أبنائهن مسترخيات في سانت تروبيز بعيداً عن عمال كثيري الصخب لا يُنهون أبداً أحواض السباحة والمطابخ الجديدة. هنّ يتحدثنّ باهتمام صادق عن مدى سوء التسوق في أوروبا في العام السابق، في حين أن آفاقهنّ لا تمتد أبعد من التزلج في سليمدال أو السباحة في بوغستاد، وكلاهما قرب أوسلو، وفي كراغيرو في الجنوب عند الحاجة. الملابس، وشدّ الوجه، وأدوات التمارين الرياضية هي المواضيع التي تتناولها الزوجات بأحاديثهن كما لو أنها الوسائل التي تمكنهنّ من المحافظة على أزواجهنّ الأثرياء المتفاخرين؛ وهي بالطبع مهمتهنّ الحقيقية الوحيدة هنا على الأرض.

كانت رانهيلد تتفاجأ عندما تفكر على هذا النحو. هل كنّ مختلفات عنها كثيراً؟ ربما يكمن الفارق في أن لديها وظيفة. ألهذا السبب لا تُطبق وجوههنّ المغرورة عندما يتذمرنّ من الإساءة إلى العمل الخيري الاجتماعي والتهرب من الضرائب في ما يدعونه بشيء من التهكم مجتمعاً؟ أم إن هناك سبباً آخر؟ لأن شيئاً ما حدث؛ ثورة. كانت قد بدأت نهتمّ بشخص آخر غير ذاتها، ولم تشعر بذلك إلا حيال أمالي، وجوهانز.

لقد بدأ الأمر برمته بخطة عمل. كانت قيمة الأسهم مستمرة بالهبوط بسبب استثمارات مادس سيئة الحظ، وتعيّن القيام بأمر جذري. لم تكن المسألة مجرد تحويل الأصول إلى اعتمادات مالية للتقليل من المخاطر؛ فقد تراكمت الديون التي يتعيّن تغطيتها. باختصار، كانوا بحاجة إلى القيام بأعجوبة للتخلّص من ذلك الوضع. فحَموها هو من اقترح الفكرة التي فاحت منها رائحة سرقة. ليست سرقة مصرف يحظى بحراسة جيدة، بل سرقة سيّدة مسنة. والسيدة المستهدفة هي اتحاد الرعاية الاجتماعية. لقد اطّلت رانهيلد على مجموع ممتلكات الاتحاد التي لا يمكن إلا أن تكون مثيرة للإعجاب؛ أي إن الممتلكات لم تكن في حالة جيدة ولكن مواردها ومواقعها ممتازة، وعلى رأسها تلك الموجودة وسط أوسلو، ولا سيما في ماجورستوين. لقد أظهرت لها الحسابات أمرين على الأقل: إنهم بحاجة إلى المال، والممتلكات منخفضة القيمة إلى حد كبير. ولكنهم لم يكونوا مدركين على الأرجح أهمية الأصول التي ينظرون فيها، وكانت تشك كثيراً في أن يكون صانعو القرار في الاتحاد هم السكاكين الأكثر حدة الموجودة في الدُّرج. إضافةً إلى ذلك، ربما كان الوقت المثالي للشراء بعد هبوط أسعار الممتلكات؛

بالتزامن مع هبوط أسعار الأسهم، وبدء مؤشرات أولية أخرى بالاتجاه صعوداً مرة أخرى.

وبعد إجراء اتصال هاتفي في وقت لاحق، تمكنت من الإعداد لاجتماع. وفي يوم ربيعي رائع، توجهت إلى مقرّ اتحاد الرعاية الاجتماعية. استقبلها المدير ديفيد إكهوف، وبعد ثلاث ثوانٍ أدركت حقيقة المتعة. لقد رأيت فيه رجلاً متغطراً من النوع الذي تجيد استخدام المناورة معه، وقالت لنفسها: باستطاعة ذلك أن يسير بشكل جيد. رافقها إلى غرفة اجتماعات، حيث قُدمت لها كعكات صغيرة وقهوة سيئة النكهة، وحيث تواجد رجل كبير في السن وشابان أصغر سنّاً. كان الرجل الكبير في السن هو القيم الأعلى على الممتلكات، وكان على وشك التقاعد. أما الشابان الأصغر سنّاً فهما ريكارد نيلسن الشاب الخجول الذي يشبه للوهلة الأولى مادس غيلستراب، وجون كارلسن الذي صافحها وقد ارتسمت على وجهه ابتسامة مترددة. لم يُثر انتباهها طول قامته واحديابه، أو وجهه الصبياني غير المتحفظ، أو صوته الدافئ، بل عيناه. لقد نظر إليها مباشرةً، إلى داخلها؛ بعينه الشبيهتين بعيني جوهانز.

في القسم الأول من الاجتماع، وفي أثناء عرض القيم الأعلى على الممتلكات رأس مال الاتحاد الذي يبلغ نحو بليون كرون تُسهم فيها إلى حد كبير عائدات تأجير 230 قطعة أرض يملكها الاتحاد، كانت جالسة في حالة أشبه بالذهول، محاولةً إرغام نفسها على الكف عن التحديق إلى الشاب؛ إلى شعره، ويديه اللتين يضعهما على الطاولة بدعة تامة، ومنكبيه اللذين لم يملأ بعد البذلة الرسمية السوداء. لا بد من أن تكون قد ظنت - بدون أن تفكر - أن الاتحاد يساعد أولئك الذين لا يمكنهم الحصول على موطنٍ قديم في أي مكان آخر، في الأماكن البسيطة التي لا بريق فيها ولا ذكاء؛ تلك التي لا يريد أي شخص آخر تكبد عناء التفكير فيها.

وعندما أنهى القيم الأعلى على الممتلكات كلامه، شكرته رانهيلد، وفتحت الملف الذي اصطحبته معها، ومرّرت ورقة أياه 4 مُفردة للمدير. "هذا هو عرضنا"، قالت. "ستتضح لك من خلال هذه الورقة الممتلكات التي تثير اهتمامنا".

"شكراً لك". قال المدير متفحّصاً المستند بعناية.

حاولت رانهيلد قراءة تعابير وجهه، ولكنها كانت تعلم أنها لا تعني الكثير. كانت هناك نظارة للقراءة أمامه على الطاولة؛ غير أنه لم يلمسها. "سيتوجب على أخصائينا إجراء الحسابات وتقديم النصيحة". قال المدير

مبتسماً، ومرّر المستند إلى جون كارلسن. ولاحظت رانهيلد التعابير التي بدت على وجه ريكارد نيلسن.

دفعت نحو جون كارلسن بطاقة عمل خاصة بها من فوق الطاولة. "إذا كان هناك أي أمر غير واضح، اتصل بي فحسب". وشعرت بنظراته ترمقها كما لو أنها مداعبة جسدية. "شكراً لتحديثك إلينا ياسيدة غيلستراب". قال المدير إكهوف مصففاً بيديه. "نعدك بإعطائك جواباً خلال... جون؟". "مدة غير طويلة".

وأطلق المدير ابتسامة مَرحة وهو يكرر: "مدة غير طويلة". ورافقها الرجال الأربعة إلى المِصعد، ولم يقل أحد منهم شيئاً في أثناء فترة الانتظار.

وبينما كانت أبواب المِصعد تنفتح، انحنت جزئياً في اتجاه جون، وقالت بصوت منخفض: "في أي وقت، اتصل بي على هاتفي المحمول". لقد حاولت حمله على النظر إلى عينيها لتشعر بالأمر مجدداً، ولكنها أخفقت. وفي أثناء توجهها إلى الأسفل بمفردها داخل المِصعد، شعرت رانهيلد غيلستراب بدمها يتدفق في اندفاعات فجائية ومؤلمة، وبدأت بالارتجاف بطريقة لا يمكن التحكم بها.

مرّت ثلاثة أيام قبل أن يتصل ليقول لا. لقد قيّموا العرض واستنتجوا أنهم لا يريدون البيع. دافعت رانهيلد عن السعر على نحو يفيض بالمشاعر، وأشارت إلى أن وضع اتحاد الرعاية الاجتماعية في سوق الممتلكات غير ملائم لأن الممتلكات لا تُدار بأسلوب احترافي، وهم يخسرون المال بسبب الإيجارات المنخفضة، ويُفترض بهم تنويع استثماراتهم. وكان جون كارلسن يُصغي من دون مقاطعة.

"شكراً لك". قال عندما أنهت كلامها، "بسبب تمعّك في القضية بهذه الدقة ياسيدة غيلستراب. ونظراً إلى كوني عالم اقتصاد، فأنا لا أخالفك الرأي حول ما قلته. ولكن...".

"ولكن ماذا؟ الحسابات لا تحمل أي التباس...". لقد سمعت الحماسة الملحوظة في صوتها.

"ولكن هناك بعداً إنسانياً".

"ماذا تعني بقولك بعداً إنسانياً؟".

"المستأجرون بشر؛ إنهم أشخاص مُستنون عاشوا هناك طوال حياتهم، أو لاجئون، وهم بحاجة إلى الشعور بالأمان. هذا ما قصدته. سوف ترمونهم

خارجاً لترميم الشقق وتأجيرها أو بيعها لتحقيق الربح. الحسابات - كما قلتِ بنفسك - لا تحمل أي التباس. أنا أقبل ببعدهك الاقتصادي، فهل تقبلين بُعدي؟".

والتقطت أنفاسها.

"أنا...". استهلت.

"يُسعدني كثيراً اصطحابك للقاء بعض أولئك الأشخاص"، قال. "حينئذٍ، ربما ستفهمين ما أعنيه بشكل أفضل".

جلست تهز رأسها، وقالت: "أودّ توضيح بعض الأمور ما دمنا نتكلم عن النوايا"، قالت. "هل أنت منشغل مساء الخميس؟".
"لا، ولكن...".

"للتقي في فينشميكر عند الثامنة".

"ما هو فينشميكر؟".

كان عليها الابتسام. "إنه مطعم في فروغز. دَعني أسهّل عليك عملية الوصول: سيعرف سائق سيارة الأجرة مكانه".

"إذا كان في فروغز، فسأقصده على متن الدراجة".
"حسناً. أراك لاحقاً".

اجتمعت بعد ذلك مع مادس وحميها، وقدمت لهما تقريراً حول نتيجة اتصالاتها.

"يبدو أن مستشارهم هذا هو المفتاح". قال حموها ألبرت غيلستراب.
"إذا تمكنا من إقناعه فستصبح الممتلكات لنا".

"ولكنني أقول لك إنه غير مهتم بأي سعر ندفعه".

"آه بلى، إنه مهتم"، قال حموها.

"لا، هو غير مهتم!".

"لأن الأمر مرتبط باتحاد الرعاية الاجتماعية وليس به شخصياً، ولهذا يلوح برايته الأخلاقية. ولكن، علينا مخاطبة جسعه الشخصي".

فهزت رانهيلد رأسها قائلة: "ليس هذا الشخص. ليس... ليس من النوع الذي يقوم بذلك".

"لكل شخص ثمنه". قال ألبرت غيلستراب وقد رسم على وجهه ابتسامة حزينة. "أقترح مليونين".

"مليونان!". وابتلع مادس غيلستراب لعابه بصعوبة. "كي... يوصي بالبيع؟".

"شرط أن يكون هناك بيع بالطبع. لا علاج، لا مال".

"لا يزال هذا مبلغاً كبيراً من المال"، احتجّ الابن.

وأجاب حموها من دون أن ينظر إليه: "الجنون الوحيد هو أننا عملنا على تدمير ثروة عائلية في حين أن كل شيء آخر ينمو". فتح مادس غيلستراب فمه ثم أغلقه؛ كما لو أنه سمكة داخل حوض أسماك.

"مستشارهم هذا لن يكون راجباً في التفاوض حول السعر إذا اعتقد أن العرض الأول منخفض جداً"، قال حموها، "علينا صرعه من اللكمة الأولى. مليونان. ما رأيك يارانهيلد؟".

أومأت رانهيلد برأسها ببطء، مركزةً على أمر ما خارج النافذة لأنها لم تتمكن من حمل نفسها على النظر إلى زوجها الجالس في الظل وقد أحنى رأسه.

كان جون كارلسن جالساً إلى الطاولة عندما وصلت. لقد بدا أقصر قامَةً مما تتذكر، ولكن ربما يعود سبب ذلك إلى استبداله ملبسه الرسمية بثياب فضفاضة افترضت أنه اشتراها من فريتكس. اصطدمت يده بإناء الزهور عندما وقف للترحيب بها، وأنقذا الأزهار في عملية مشتركة ثم ضحكا. تحدثا بعد ذلك عن مجموعة متنوعة من الأمور. وعندما سألتها عما إذا كان لديها أبناء، اكتفت بهز رأسها.

هل لديه أبناء؟ لا. حسناً، ولكن ربما لديه...؟ لا، ليس ذلك أيضاً. وانتقل الحديث إلى الممتلكات التي يملكها اتحاد الرعاية الاجتماعية، ولكنها لاحظت أنه يجادل بدون الشرارة المعتادة. كان يتسم بتهذيب وهو يرتشف الشراب. رفعت العرض بنسبة 10 بالمئة، فhez رأسه مواصلاً الابتسام، وأطرى على قِلاذتها التي تعلم أنها تتباين مع لون بشرتها. "إنها هدية من والدتي"، كذبت من دون بذل أي مجهود؛ ظناً منها أنه مُعجَب بعينيها الزرقاوين الفاتحتين.

وفي الفترة الممتدة بين تقديم طبق الطعام الرئيس وطبق التحلية، عرضت عليه رشوة بقيمة مليوني دولار. لقد أُعفيت من النظر إلى عينيه بسبب تمعنه في كأسه بصمت وقد شحِب وجهه فجأةً.

أخيراً، سألتها هامساً: "هل كانت فكرتك؟".

"فكرتي وفكرة ألبرت". كان باستطاعتها أن تلاحظ انقطاع أنفاسها.

"ألبرت غيلستراب؟".

"أجل. وباستثنائنا نحن الاثنين وزوجي، لن يعرف أحد بهذا الأمر مطلقاً. ستكون خسارتنا بمقدار... خسارتكم إذا شاع الخبر".

"هل لذلك علاقة بأمر ما قلته أو فعلته؟".

"أستميحك عُذراً؟".

"ما الذي حملكما على الاعتقاد بأنني سأقبل بحَفنة من الفضة؟".
ورفع نظره إليها. كان باستطاعة رانهيلد الشعور باحمرار وجهها. لم
تتذكر أنها احمرّت بهذا القَدْر منذ مراهقتها.
"هلاً أَلغينا طبَق التحلية". والتقط فوطة المائدة من حُضنه ووضعها
على الطاولة بجانب طبَق العشاء.
"حُذْ وقتك وفكّر قبل أن تُجيب يا جون"، تأتأت. "لمصلحتك الخاصة.
قد يمنحك هذا المبلغ فرصة لتحقيق بعض أحلامك".
لقد تنافرت الكلمات في أُذنيه. وأوماً جون للنادل لإحضار الفاتورة.
"وما هي هذه الأحلام؟ أن يكون المرء أجيراً فاسداً وفاراً بانساً؟ أم
قيادة سيارة فخمة في حين أن ما تقومين بإنجازه يرتسم خراباً من
حَوْلِك؟". لقد جعل الغضب صوته يرتعش. "هل هذه هي أحلامك يارانهيلد
غيلستراب؟".

عجزت عن الإجابة.

"لا بد أنني أعمى"، قال. "هل تعرفين السبب؟ عندما التقيتُك ظننتُ
أنني رأيت... شخصاً مختلفاً تماماً".
"لقد رأيتني على حقيقتي"، همست شاعرةً بالارتجاف كما حدث لها
في المِصعد.
"ماذا؟".

وتنحنت. "لقد رأيتني على حقيقتي، وها أنا الآن أجرح شعورك،
أسفة جداً".

وفي أثناء فترة الصمت التي تبعت ذلك، شعرت بأنها تغوص في مياه
باردة.

"لنضع كل هذا وراءنا"، قالت فيما كان النادل يدنو منهما، ثم تناول
البطاقة التي كانت ترفعها بيدها. "لا أهمية للأمر بالنسبة إلى كلينا. هل
تودّ السير معي في حديقة فروغز العامة؟".

"أنا...".

"رجاءً".

فنظر إليها ووجدها في حالة من الذهول.

أم إنه هو الذي كان في حالة من الذهول؟!

كيف يمكن لهاتين العينين اللتين تريان كل شيء أن تُذهلا؟

نظرت رانهيلد غيلستراب من نافذتها في هولمنكولين إلى ميدان مُظلم

في الأسفل: حديقة فروغز العامة. كان كل الجنون قد بدأ هناك.

لقد تخطى الوقت منتصف الليل، وحافلة الحساء مركونة في المرأب، ولكن مارتين تشعر بإرهاق ممتع. كانت واقفة على الرصيف أمام النُّزل في الشارع الضيق والمُظلم بانتظار ريكارد الذي غادر لإحضار السيارة، عندها سمعت صوت انسحاق الثلج وراءها.
"مرحباً".

فاستدارت، وشعرت بتوقف قلبها لدى رؤيتها الصورة الظلية لشخص طويل القامة تحت مصباح الإنارة الوحيد في الشارع.
"ألم تعرفيني؟".

وخفق قلبها مرة واحدة، ثم مرتين، ومن ثم ثلاث مرات وأربع. لقد عرفتِ الصوت.

"ماذا تفعل هنا؟!". سألت آملَةً ألا يكشف صوتها عن مدى خوفها.
"اكتشفتُ أنك كنت تعملين على متن الحافلة هذا المساء. لقد حدث تطور في القضية كما قالوا. كنت أفكر قليلاً". وخطا إلى الأمام، وغمر الضوء وجهه. كان أكثر قسوة وأكبر سنًا مما تتذكّر. "ولديّ سؤالان".
"ألا يمكنهما الانتظار؟". سألت مبتسمة، ورأت أن ابتسامتها قد جعلت وجه الشرطي يلين.

"هل تنتظرين أحداً؟". سأل هاري.
"أجل، ريكارد. سيوصلني إلى المنزل".
ونظرت إلى الكيس الذي يحمله الشرطي على كتفيه. كانت هناك كلمة zette على أحد جانبيه، ولكنه بدا قديماً جداً وبالياً.
"يُفترض بك الحصول على ضبايّن جديدين لحذاء الرياضة الذي لديك هناك"، قالت مشيرةً إلى الكيس.
فنظر إليها مذهولاً.

"لست بحاجة إلى أن تكون جان- باتيست غرونوي لتعرف الرائحة"، قالت.

"باتريك ساسكيند"، قال. "عطر".
"شرطي يقرأ!", قالت.
"عضو في اتحاد الرعاية الاجتماعية تقرأ عن جريمة قتل"، قال، "مما يُعيدنا، للأسف، إلى سبب قدومي إلى هنا".
وصلت السيارة التي يقودها ريكارد وتوقفت، وأنزلت النافذة بدون

إحداث أي صوت.

"هل ننطق يامارتين؟"

"لحظة فقط ياريكارد". واستدارت نحو هاري. "إلى أين أنت ذاهب؟".

"بيسلت. ولكنني أفضل...".

"ريكارد، هل تمنع انضمام هاري إلينا حتى بيسلت؟ أنت تُقيم هناك

أيضاً، أليس كذلك؟".

حدّق ريكارد نحو الخارج في الظلام قبل أن يُجيب بتشدّق قائلاً:

"بالطبع لا أمانع".

"هيا"، قالت مارتين مادّةً له يدها.

رمقها هاري بنظرة استغراب.

"حذاء زَلِق"، همست وهي تمسك بيده. كان باستطاعتها الشعور

بدفء يده وجفافها، وضغط على يدها على الفور كما لو أنه خشي أن

تقع في تلك اللحظة.

قاد ريكارد بعينين حريصتين تقفزان من مرآة إلى مرآة كما لو أنه

يتوقع كميناً من الخلف.

"حسناً؟". قالت مارتين من حيث تجلس على المقعد الخلفي.

وتنحج هاري. "حاول شخص ما إطلاق النار على جون كارلسن

اليوم".

"ماذا؟!". صاحت مارتين.

التقت عينا هاري عيني ريكارد في المرآة.

"هل سبق لك أن سمعتَ بالأمر؟". سأل هاري.

"لا". قال ريكارد.

"من...؟" استهلت مارتين.

"لا نعرف"، قال هاري.

"ولكن... روبرت وجون! هل لذلك أي علاقة بعائلة كارلسن؟".

"أعتقد أن هناك من يسعى وراء أحدهما فقط"، قال هاري.

"ماذا تعني؟".

"أرجأ مطلق النار رحلة عودته إلى الوطن. لا بد من أن يكون قد

اكتشف أنه أطلق النار على رجل آخر عن طريق الخطأ. لم يكن روبرت

هو الهدف المقصود".

"لم يكن روبرت...".

"لهذا السبب كان عليّ التحدث إليك. أعتقد أنه باستطاعتك إخباري

إن كانت نظريتي صائبة أم لا".

"أي نظرية؟"

"أن روبرت مات لأنه كان سيئ الحظ بما يكفي ليحل محلّ جون في نوبة العمل في إغرتورغيت".

نظرت مارتين إلى هاري مذعورة.

"لديك جدول خدمة"، قال هاري. "عندما ذهبتُ لرؤيتك في المرة الأولى، لاحظتُ جدول الخدمة مدلى من اللوح في غرفة الاستقبال؛ حيث يستطيع الجميع أن يروا الشخص الذي كان يُفترض به أن يعمل في تلك الليلة في إغرتورغيت. كان جون كارلسن".

"كيف...؟"

"ذهبت إلى هناك بعد أن غادرت المستشفى وتحققتُ من الأمر. كان اسم جون هناك. ولكن روبرت وجون تبادلوا نوبات العمل بعد طبع القائمة، أليس كذلك؟"

وسلك ريكارد طريق ستنسبرغاتا في اتجاه بيسلت.

عضت مارتين على شفتها العليا. "تبدّل نوبات العمل في كل الأوقات. ولا أعرف بذلك دائماً حين يتبادل الأشخاص نوبات عملهم".

قاد ريكارد في اتجاه بوابة صوفيز، واتسعت عينا مارتين.

"آه، أتذكر الآن! اتصل روبرت ليقول لي إنهما تبادلوا نوبات العمل، لذلك لم أكن بحاجة إلى القيام بأي شيء. لا بد من أنه سبب عدم تفكيري في الأمر. ولكن... ولكن ذلك يعني أن...".

"جون وروبرت متشابهان جداً"، قال هاري. "وفي الزي الخاص...".

"وكان الظلام سائداً والطقس مثلجاً...". قالت مارتين بصوت هامس كما لو أنها تخاطب نفسها.

"ما أردتُ معرفته هو إن قام أحد ما بالاتصال بك ليسأل عن جدول الخدمة، وعن ذلك المساء بصفة خاصة".

"لا، كما أتذكر"، قالت مارتين.

"هل يمكنك التفكير في الأمر؟ سأتصل بك غداً".

"اتفقنا"، قالت مارتين.

ونظر هاري إلى عينيها، ولاحظ مرة أخرى تحت ضوء مصباح الإنارة عدم الانتظام في حركة بؤبؤي عينيها.

توقف ريكارد عند حافة الرصيف.

"كيف عرفت؟". سأل هاري.

"ما الذي عرفته؟". سألت مارتين.
"كنت أسأل السائق"، قال هاري. "كيف علمت أنني أقيم هنا؟".
"أنت قلت إنك تقيم هنا"، أجاب ريكارد. "أعرف الطرقات في هذه المنطقة. فكما قالت مارتين، أنا أقيم في بيسلِت أيضاً".

وقف هاري على الرصيف، مراقباً السيارة وهي تبتعد.
من الواضح أن الفتى وَلهَان. لقد قاد السيارة إلى هنا أولاً ليتمكن من الانفراد بمارتين لدقائق قليلة، والتحدث إليها، والحصول على السلام والهدوء الضروريين عندما يكون لدى المرء ما يقوله، أو للإفصاح عن مشاعره وإزالة العبء عن كاهله. كل ذلك من أجل كلمة لطيفة، ومعانقة، وأملٍ في الحصول على قُبلة قبل أن يغادر؛ أي باختصار إنه يفعل ما يفعله الأغبياء المتيمّمون من كل الأعمار.

مشى هاري الهُوينا في اتجاه الباب الأمامي، فيما كانت يده تبحث تلقائياً عن المفاتيح في جيب سرواله، وعقله يبحث عن شيء ما يبتعد كلما اقترب منه. كانت عيناه تُنشدان شيئاً ما يناضل لسماعه؛ صوتاً خافتاً، ولكن بوابة صوفيز هادئة في هذه الساعة المتأخرة. وجّه هاري نظره إلى الأسفل، حيث أكوام الثلج التي خلّفتها الجرافات اليوم. لقد بدا الصوت صادراً عن شيء ما يتفكك، أو يذوب. هذا مستحيل، فالحرارة تبلغ ثماني عشرة درجة تحت الصفر.

ووضع هاري المفتاح في القفل.
كان متأكداً من أنه ليس صوت ذوبان، بل صوت تكتكة.
واستدار ببطء، ودقّق النظر إلى الركام الثلجي فرأى لمعاناً. إنها زجاجة.
عاد هاري أدراجه، وانحنى، ثم التقط الساعة. كان زجاج ساعة بيارني مولر برافاً كصفحة الماء، ولا وجود لأي خدش عليه، والوقت صحيح تماماً؛ يسبق الوقت الذي تشير إليه ساعته بدقيقتين. ما الذي قاله مولر؟ كي يتواجد في الوقت المحدد ليقوم بما يعتقد أنه سيُفعله.

14 - ليلة الأربعاء، 17 كانون الأول/ديسمبر. الظلام

دوّى جهاز التدفئة الكهربائي في الغرفة في النُّزل كما لو أن شخصاً ما يرمي الحصى عليه. وعبقت في الغرفة رائحة الغراء، ورائحة تعود لأولئك الذين أقاموا فيها سابقاً. وخدمته نسيج الأريكة الخشن عبر سرواله. وبالرغم من الحرارة الجافة المنبعثة من جهاز التدفئة، كان يرتعش في أثناء متابعته الأخبار على شاشة التلفاز المثبت على دعامة في الجدار. لقد عرف صور الساحة ولكنه لم يفهم شيئاً مما يُقال. في الزاوية الأخرى، كان هناك رجل جالس على كرسيّ بذراعين يدخن لفافات رفيعة تكاد تحرق أطراف أصابعه السوداء.

بعد عامين من انتهاء الحرب وانسحاب الصرب مما كانت ذات مرة فوكوفار، جمعتهم السلطات الكرواتية في فندق هوتيل إنترناشونال في زغرب. لقد سأل عدداً كبيراً من الأشخاص عما إذا كانوا يعرفون المكان الذي انتقلت إليه عائلة جيورجي. والتقى ذات يوم لاجئاً آخر علم أن والدة جيورجي قد توفيت في أثناء الحصار، وأنه ووالده قد انتقلا إلى دالج، وهي مدينة حدودية صغيرة غير بعيدة عن فوكوفار. وفي 26 كانون الأول/ديسمبر، استقل القطار إلى أوسيجك ومن ثم إلى دالج، وتحدث إلى قاطع التذاكر الذي أكد له أن القطار سيصل إلى بوروفو، ويعود إلى دالج عند السادسة والنصف. كانت الساعة هي الثانية عندما ترجل في دالج، وسأل عن عنوان الشقة التي تقع في مجمع سكني رمادي اللون. دخل المبنى، وعثر على الشقة. وقبل أن يقرع الجرس، تضرّع إلى الله كي يكونا في المنزل. كان قلبه ينبض بسرعة عندما سمع وقع خطى خفيفة في الداخل.

فتح جيورجي الباب، ولم يكن قد تغير كثيراً. لقد ازداد شحوباً، ولكنه كان لا يزال يحتفظ بخُصل الشعر الشقراء نفسها، وبالعَيْنَيْن الزرقاوين نفسيهما، وبالضم الشبيه بالقلب. ولكن البسمة التي بدت في عينيه سرعان ما اختفت.

"ألم تعرفني يا جيورجي؟". سأل بعد قليل. "كنا نُقيم في المدينة نفسها، ونرتاد المدرسة نفسها".

غضن جيورجي جبينه. "هل كنا كذلك؟ انتظر. الصوت ليس غريباً. لا بد أن تكون سرغ دولاك. بالطبع، كنت العداء الأسرع. يا الله! كم تغيرت! ولكن، من الرائع رؤية شخص عرفناه في فوكوفار؛ فقد غادر الجميع".

"ليس أنا".

"لا، ليس أنت يا سِرغ".

عانقه جيورجي، وضمّه إلى صدره للحظات طويلة، وبعد ذلك رافقه إلى داخل الشقة.

كانت غرفة الجلوس التي تحتوي على أثاث مبعثر مُظلمة، وجلسا للتحدث عن كل الأمور التي حدثت في ما مضى، وعن كل الأشخاص الذين كانوا على معرفة بهم في فوكوفار، وعن أماكن وجودهم الآن. وعندما سأل جيورجي إن كان يتذكر الكلب تينتو، ظهرت على وجه جيورجي ابتسامة حائرة.

قال جيورجي إن والده سيعود إلى المنزل قريباً. وسأله إن كان يريد البقاء وتناول الطعام معهما؟

فنظر إلى ساعته. سيكون القطار في المحطة بعد ثلاث ساعات.

اندهش الوالد كثيراً حين التقى الزائر من فوكوفار.

"إنه سِرغ"، قال جيورجي. "سِرغ دولاك".

"سِرغ دولاك؟". سأل الوالد، مدققاً النظر إليه. "أجل، هناك شيء

مألوف في شأنك. حسناً. ألم أكن أعرف والدك؟ لا؟".

حلّ الظلام. وبعد أن اتخذوا أماكنهم إلى الطاولة، أعطاهما الوالد منديلي مائدة أبيضين، فأرخی منديل عُنقه الأحمر، وعقد منديل المائدة حول عُنقه.

وفي أثناء تناول جيورجي ووالده أدوات المائدة، انحنى وترنم: "مَنْ الذي تحمل ملابسه بقعاً قرمزية اللون؟ إنه أنا؛ المنقذ الصغير".

فنظر إليه الوالد بذهول، ومن ثم مرر له الطبق الذي يحتوي على قطع لحم كبيرة.

وواصلوا تناول الوجبة بصمت، فيما الريح تعصف في الخارج.

بعد الوجبة، كان هناك طبّق تحلية، بالاسينكا، وهو عبارة عن فطائر رقيقة مقلية ومحمّصة بالمُرّي، ومدهونة بالشوكولا. لم يتذوّق بالاسينكا مذ كان طفلاً في فوكوفار.

"تناول قطعة أخرى أيها العزيز سِرغ"، قال الوالد.

تحقق من ساعته، سيغادر القطار بعد نصف ساعة. لقد حان الوقت.

فتتحنج، ووضع فوطة المائدة ووقف: "كنت أتحدث وجيورجي عن كل الأشخاص الذين نتذكّرهم، ولكن هناك شخصاً واحداً لم نتحدث عنه بعد".

"أفهم ذلك". قال الوالد محتاراً وابتسم. "من هو يا سِرغ؟". كان الوالد

قد أدار رأسه قليلاً ونظر إليه بعين واحدة؛ كما لو أنه يحاول اكتشاف أمر ما لم يتمكن من تبيانه.
"اسمه بوبو".

لقد رأى في عينيّ والد جيورجي إدراكه للأمر؛ ربما كان ينتظر هذه اللحظة منذ زمن. وسمع صوته الذي تردد صداه بين الجدران العارية. "كنت جالساً في سيارة الجيب، وأشرت إليه لقائد الوحدة الصربية. لقد مات بوبو".

ساد الصمت في الغرفة، وألقى الوالد أدوات المائدة من يده. "كانت تلك فترة حرب ياسرغ. كلنا سنموت". قال ذلك بهدوء وبإذعان تقريباً. ولزم الوالد وجيورجي السكون عندما أخرج المسدس وصوّبه عبر الطاولة نحو الوالد وأطلق النار. كان الصوت خافتاً، وانتفض جسد الوالد في أثناء احتكاك قوائم الكرسي بالأرض. فأنزل الوالد رأسه، وحدّق إلى الثقب الواضح في فوطة المائدة المتدلية على صدره، والتي انتفعت بالدماء المتدفقة من صدره كوردة حمراء على قطعة قماش بيضاء.
"انظر إليّ"، أمره، فرفع الوالد رأسه على الفور.

وأحدث الطلق الناري الثاني ثقباً أسود بالغ الصغر في جبينه الذي سقط إلى الأمام واصطدم بطبق الحلوى، مُحدثاً صوتاً مكتوماً. استدار نحو جيورجي الذي كان يحدّق إليه بفم فاغر، فيما سائل أحمر يسيل على ذقنه. لقد تطلبه الأمر ثانيةً ليُدرك أنه المرئي من البلاسينكا. ثمّ دسّ المسدس تحت سرواله.
"سيتوجب عليك إطلاق النار عليّ أيضاً ياسرغ".

"لا وجود لأي خلاف بيني وبينك". وخرج من غرفة الجلوس، وتناول السترة المعلقة بجانب الباب.

تبعه جيورجي وهو يقول: "سأثّر منك. سأعثر عليك وأقتلك إذا لم تقتلني الآن".

"وكيف ستعثر عليّ يا جيورجي؟".

"لا تستطيع الاختباء. أعرف من تكون".

"حقاً! أتعتقد فعلاً أنني سرغ؟ ولكن سرغ دولاك ذو شعر أحمر، وهو أكثر طولاً مني، ولست عداءً سريعاً يا جيورجي. ولكن، لنسعد لأنك لا تعرفني يا جيورجي. فهذا يعني أن باستطاعتي الإبقاء على حياتك".

بعد ذلك، انحنى إلى الأمام، ثم فتح الباب وغادر.

كانت الصحف قد نشرت خبر الجريمة، ولكن الشرطة لم تبحث عن

أحد. وذات يوم أحد، بعد ثلاثة أشهر، أخبرته والدته عن كرواتي قام بزيارتها طلباً للمساعدة. لم يكن الرجل قادراً على دفع الكثير، ولكنه جمع بعض المال من العائلة. ذكر أحدهم شيئاً ما عن شخص كانوا يُطلقون عليه لقب المنقذ الصغير.

أحرق الرجل المُسنّ أطراف أصابعه باللّفافة الرقيقة، وأطلق الشتائم بصوت مرتفع.

حينها، وقف وتوجّه إلى غرفة الاستقبال. كانت هناك راية تحمل شعار اتحاد الرعاية الاجتماعية وراء الفتى الجالس في الجانب الآخر من الجدارِ الزجاجي الفاصلِ.

"هل يمكنني استخدام الهاتف رجاءً؟"

نظر إليه الفتى بوجه متجهّم وأجاب: "إذا كان الاتصال محلياً، أجل".
"إنه كذلك".

وأشار الفتى إلى مكتب ضيق وراءه، فدخل، وجلس إلى الطاولة، وتأمّل الهاتف. لقد فكّر في صوت والدته وبما ينمّ عن قلقها وخوفها ورقتها وحرارتها في آن معاً. كان الأمر أشبه بمعانقة. لذا، وقف، وأقفل باب غرفة الاستقبال، وطلب رقم فندق هوتيل إنترناشونال. غير أنها لم تكن هناك، ولم يترك لها أي رسالة. وفتح الباب.

"لا يُسمَح لك بإغلاق الباب"، قال الفتى، "اتفقنا؟".

"اتفقنا. آسف. هل لديك دليل هاتف؟".

أشار الفتى إلى كتاب سميك بجانب الهاتف بانزعاج ثم غادر.
لقد عثر على جون كارلسن وغوتربورغاتا 4، وطلب الرقم.

تأمّلت ثيا نيلسن الهاتف الذي يرنّ.

كانت قد أقفلت على نفسها في شقة جون مستخدمة المفتاح الذي سلّمها إياه.

لقد قالوا إن هناك ثقب رصاصة في مكان ما، وبحثت وعثرت عليه في باب خزانة الملابس.

لقد حاول الرجل إطلاق النار على جون ليقتله. كانت تشعر بالقلق وليس بالخوف كلما فكرت في ذلك، وتقول لنفسها من حين لآخر إنها لن تشعر بالخوف أبداً مرة أخرى، ليس بهذه الطريقة، وليس بسبب هذا الأمر؛ ليس من الموت.

كان رجال الشرطة هنا، ولكنهم لم يقضوا وقتاً طويلاً في البحث. لقد

قالوا إنه لا وجود للأدلة باستثناء الرصاصات.

في المستشفى، أصغت إلى جون وهو يتنفس محدقاً إليها. كان يبدو عاجزاً جداً هناك على سرير المستشفى الكبير؛ لدرجة أنه كان باستطاعتها وضع الوسادة فوق وجهه وقتله. لقد أحبّت رؤيته ضعيفاً. ربما كانت المدرّسة مُحِقّة: بالنسبة إلى بعض النساء، إن حاجتهنّ إلى الشعور بالتعاطف تجعلهنّ يكرهنّ رجالهنّ الأقوياء المتمتعين بالصحة، ويتمنّين سرّاً أن يكون أزواجهنّ كسيحين يعتمدون على لُطفهنّ.

ولكنها بمفردها الآن في هذه الشقة، والهاتف يرنّ. نظرت إلى ساعتها. إنه منتصف الليل، ولا يتصل أي شخص عادة في مثل هذا الوقت؛ أي شخص لديه نوايا حسنة. لم تكن ثيا تخشى الموت، ولكنها خشيت من الاتصال الهاتفي. أليست المرأة التي لا يعرف جون شيئاً عنها؟ تقدمت خطوتين في اتجاه الهاتف ثم توقفت. رنّ الهاتف للمرة الرابعة، ثم الخامسة. وترددت في رفع السماعة، غير أنه رنّ مرة أخرى. عندها، اندفعت إلى الأمام والتقطت سماعة الهاتف.

"أجل؟"

ساد الهدوء للحظات في الجانب الآخر من الخط، وبعد ذلك، تكلم رجل بالإنكليزية. "آسف لاتصالي في هذا الوقت المتأخر. أدعى إدوم. هل جون موجود؟"

"لا"، قالت بارتياح. "إنه في المستشفى."

"آه، أجل. لقد سمعتُ بما حدث اليوم. أنا صديق قديم وأرغب في زيارته. في أي مستشفى يتعالج؟"

"أوليفال".

"أوليفال".

"أجل. لا أعرف معنى القسم بالإنكليزية، إنه نوروكيوروجيسك بالزويجية. ولكن هناك شرطياً جالساً خارج الغرفة، ولن يسمح لك بالدخول. هل تفهم ما أقوله؟"

"عفواً؟"

"لغتي الإنكليزية... ليست...".

"أفهم تماماً. شكراً جزيلاً لك".

وضعت سماعة الهاتف مكانها، ووقفت مُستغرقةً في التفكير لمدة طويلة.

بعد ذلك، واصلت البحث. لقد قالوا إن هناك عدة ثُقوب رصاصات.

قال للفتى في غرفة الاستقبال في النُّزل إنه ذاهب للقيام بنزهة سيراً على الأقدام، وسلّمه مفتاح الغرفة.

ألقي الفتى نظرةً سريعةً على ساعة الجدار التي كانت تشير إلى الثانية عشرة والربع، وطلب منه الاحتفاظ بالمفتاح، وشرح له قائلاً إنه سيُقفل الباب ويذهب للنوم قريباً، ولكن مفتاح الغرفة يفتح الباب الأمامي أيضاً.

لقد هاجمه البرد بلسعته حالمًا خرج، فأخفض رأسه، وشرع بالسير بخطى واسعة عمدًا. الأمر محفوف بالمخاطر، ولكن عليه القيام بذلك. كان أولاً هِنمو، مدير الأعمال في هافسلاند إنرجي، جالساً في غرفة المراقبة التابعة لمركز إرسال الشّحنات في مونتيلو، أوصلو، مفكراً في روعة التدخين في أثناء مراقبة الشاشات الأربعة الموزعة في أرجاء الغرفة. في النهار، يكون هناك اثنا عشر شخصاً في الغرفة، لا يبقى منهم سوى ثلاثة في الليل يجلسون في العادة وراء شاشاتهم. ولكن البرد القارس دفعهم كما يبدو للجلوس إلى طاولة واحدة في وسط الغرفة.

كان غير وإبه يتجادلان في شأن الجياد- كما هو الحال على الدوام- وفي شأن نتائج السباق في 75. لقد دأبا على القيام بذلك منذ ثماني سنوات، ولم يحدث قط أن راهنا بشكل منفصل.

أما أولاً فكان أكثر اهتماماً بالمحطة الفرعية في كيركفين بين أولفالسفين وسونسفين.

"ست وثلاثون بالمئة من الحمل الزائد على تي 1. تسع وعشرون بالمئة على تي 2 و تي 4"، قال.

"يا الله! كم يُذكي الناس النار هناك"، قال غير. "هل يخشون التجمّد حتى الموت؟ إنه الليل. لماذا لا يستكثون تحت دفاء لحفهم السميكة؟ هل فقدوا صوابهم؟".

"لا يرفع الناس درجة الحرارة بسبب ذلك"، قال إبه. "ليس في هذا البلد. فهم يرمون المال من النافذة".

"سينتهي الأمر بالدموع"، قال أولاً.
"لا، لن ينتهي على هذا النحو"، قال إبه. "سنستخرج المزيد من النفط".

"أنا أفكر في تي 1"، قال أولاً مشيراً إلى الشاشة. "إنه يُنتج الآن ستمئة وثمانين أمبير. وطاقته القصوى هي خمسمئة أمبير".

"استرخ"، وتمكن إِبّه من ولوج المعلومات قبل ثانية من انطلاق جهاز الإنذار.

"آه تَبّاً"، قال أولاً. "ها هي تتخطى طاقتها القصوى. تحققنا من القائمة، واتصلا بالأشخاص الموجودين في الخدمة".
"هل ترى؟"، قال غير. "تي 2 ما زالت دون طاقتها القصوى. وتمّ تشغيل تي 3 للتوّ".

"بينغو!". صاح إِبّه. "هل نراهن على ما إذا كانت تي 4...".
"فات الأوان. لقد تخطت طاقتها القصوى للتوّ"، قال غير.
وألقى أولاً نظرة سريعة على الخارطة المرسومة وفقاً لمقياس صغير.
"حسناً"، وتنهد. "بدأت سون السفلية، وفاغربورغ، وبيسلت، بتوفير الطاقة".
"أراهنكما على أنني أعرف ما حدث!". قال إِبّه. "بلغ التزويد بالطاقة ألف أمبير".

فأغمض غير إحدى عينيه: "خمسمئة أمبير كافية".
زمجر أولاً: "إِبّه، اتصل بمركز الإطفاء. أراهن على نشوب حريق هناك".
"موافق"، قال إِبّه.

عندما انقطع التيار الكهربائي في المستشفى، عمّ الظلام الغرفة، لدرجة أن الفكرة الأولى التي تبادرت إلى ذهن جون هي أنه أصبح ضريباً. لا بد من أن يكون العصب البصري قد تضرر في أثناء الاصطدام ولم يظهر أثر ذلك حتى الآن. ولكنه سمع حينذاك صراخاً في الممر، ورأى الخط الكفافي للباب، وأدرك أن الكهرباء مقطوعة.

سمع صوت كشط الكرسي في الخارج، وفُتح الباب.
"مرحباً، هل أنت هناك؟". قال صوت.
"أجل". أجاب جون بطبقة صوت أعلى مما كان ينوي.
"سأقوم بجولة في الأرجاء للتحقق مما حدث. لا تذهب إلى أي مكان، اتفقنا؟".

"لا، ولكن...".

"ماذا؟".

"أليس لديهم مولّد كهرباء للحالات الطارئة؟".
"أعتقد أن لديهم واحداً لغرف العمليات الجراحية وكاميرات المراقبة".
"أفهم ذلك...".

أصغى جون إلى وقع خطى الشرطي في أثناء ابتعاده، فيما كان

يحدِّق إلى لافتة المَخْرَجِ المضاءة باللون الأخضر فوق الباب. لقد ذكَّرتَه اللافتة برانهيلد مرة أخرى. كان ذلك الأمر قد بدأ في الظلام أيضاً. فبعد تناولهما الطعام، غادرا للقيام بنزهة سيراً على الأقدام في حديقة فروغنر المظلمة. لقد وقفا في الميدان المُقْفِرِ بجانب العمود الحجري المؤلف من قطعة واحدة والذي يتخذ وُجْهة الشرق حيث وسط المدينة، وأخبرها عن اشتراط غوستاف فيغلاند- الفنان الخارق من ماندال- توسيع الحديقة العامة لتزيينها بمنحوتاته...

كانت تنظر إليه بتعابير جدِّية في أثناء تكلمه، عندما تبادر إلى ذهنه أن هذه المرأة قوية وذكية لدرجة أنها زرعت الخشية في نفسه. "أنا متجمدة"، قالت له مرتجفةً تحت معطفها.

"ربما يُفترض بنا العودة...". ولكنها وضعت يدها وراء رأسه مسكتة إياه، وأدارت وجهها نحو وجهه. كانت تملك العينين الأكثر غرابة اللتين رآهما يوماً. فهما زرقاوان فاتحتان؛ فيروزيتا اللون تقريباً، ومحاطتان بلون أبيض غريب، وتُضفيان لوناً على بشرتها الشاحبة. قبلته بحرارة، وهمست في أذنه:

"هيا". غير أنه أفلت من قبضتها قائلاً:
"لا أستطيع."
"لم لا؟". تأوَّهت.
"لقد قطعت عهداً".

أمعنت النظر إليه؛ محتارة في بادئ الأمر. بعد ذلك، ترقرت عينها بالدموع، وشرعت بالبكاء بهدوء، ووضعت رأسها على صدره قائلةً له إنها لم تعتقد قط أنها ستعثر عليه مرة أخرى. لم يفهم حينها ما عنته. وهكذا بدأ كل شيء. كانا يلتقيان على الدوام في شقته بعد أن تأخذ المبادرة، فتقوم في بادئ الأمر بمحاولات قليلة فاترة لحمله على الإخلال بعهدده، ولكنها تبدو سعيدة باستلقائها إلى جانبه على السرير فقط. ومن حين لآخر، ولأسباب لم يفهمها، كانت تقول بياس وتهوُّر إنه يجب عليه ألا يتركها أبداً. وعندما التقى ثيا، توقفت لقاءاتهما فجأة؛ ليس لأنه لم يعد يريد أن يراها بل لأن ثيا أرادت تبادل المفاتيح الاحتياطية معه. لقد قالت له إنها مسألة ثقة، وعجزت عن الرفض.

استدار جون على السرير وأغمض عينيه. أراد أن يحلم الآن؛ يحلم وينسى إذا تمكن من القيام بذلك. كان على وشك الاستسلام للنوم عندما شعر بتيار هواء في الغرفة. فتح عينيه في رد فعل فطري واستدار، وحينها

رأى الباب مُغَلَقًا. حدّق في الظلام، حابساً أنفاسه، وأصغى.

وقفت مارتين قرب النافذة في شقتها المظلمة في سورغنفریغاتا التي أعتمت بسبب انقطاع التيار الكهربائي. بالرغم من ذلك، كانت لا تزال قادرة على رؤية السيارة في الأسفل. لقد بدت كسيارة ريكارد.

لم يكن ريكارد قد حاول تقبيلها عندما خرجت من السيارة. لقد نظر إليها فحسب بعيني كلب صغير، وقال إنه سيصبح القيم الأعلى الجديد على الممتلكات. فهناك إشارات، إشارات إيجابية، وسيتولى المنصب. واجه صعوبة في لفظ الكلمات عندما سألها عما إذا كانت تعتقد ذلك هي أيضاً. فقالت له إنه سيكون القيم الأعلى الجديد على الممتلكات، وقامت بفتح باب السيارة، وخرجت بعد ذلك.

تنهّدت مارتين، ثم التقطت الهاتف المحمول وطلبت الرقم الذي تم إعطاؤها إياه.

"هاري يتكلم". لقد بدا صوت هاري هول مختلفاً تماماً عبر الهاتف، أم إن ذلك يرجع إلى وجوده في المنزل.
"أنا مارتين"، قالت.

"مرحباً". كان من الصعب معرفة ما إذا كان مسروراً أم لا.
"طلبت مني التفكير"، قالت، "في ما إذا كان باستطاعتي أن أتذكر قيام أحدهم بالاتصال بي أو سؤالي في شأن جدول الخدمة".
"أجل".

"لقد فكرت".

"وماذا أيضاً؟".

"لم يتصل بي أحد أو يسألني".

وكانت هناك فترة صمت طويلة.

"هل اتصلت بي لتقولي لي ذلك؟". كان صوته دافئاً وخشناً كما لو

أنه قد استيقظ من النوم للتو.

"أجل. ألا يُفترض بي القيام بذلك؟".

"أجل، أجل، بالطبع. شكراً جزيلاً لك على مساعدتك".

"لا شكر على واجب".

وأغمضت عينيها وانتظرت سماع صوته مجدداً.

"هل... وصلت إلى المنزل بخير؟".

"أجل. التيار الكهربائي مقطوع هنا".

"وهنا أيضاً"، قال. "سيعود قريباً".

"ماذا لو لم يعد؟".

"ماذا تعنين؟".

"هل سنواجه حالة من الفوضى الشاملة؟".

"هل تفكرين كثيراً بهذا النوع من الأمور؟".

"من حين لآخر. أعتقد أن البنية التحتية للمدينة أكثر هشاشة مما نحب أن نعتقد. ما رأيك؟".

صمت لمدة طويلة قبل أن يُجيب. "حسناً، أعتقد أنه باستطاعة كل الأنظمة التي نعتمد عليها أن تُعيقنا وترميننا في الليل الأكثر ظلمة؛ حيث تكفّ القوانين والأنظمة عن حمايتنا، وحيث البرد ووحوش شريعة الغاب، وحيث يتعيّن على كل شخص محاولة إنقاذ نفسه".

"ما قلتَه"، قالت عندما كفّ عن الكلام، "ليس ملائماً كثيراً لمساعدة الفتيات الصغيرات على الذهاب للنوم. أعتقد أنك متشائم جداً يا هاري".

"بالطبع. أنا شرطي. عُمّت مساءً".

وأنهى المكالمة قبل أن تحظى بفرصة لصياغة جواب.

زحف هاري تحت اللحاف السميك وحدّق إلى الجدار.

لقد انخفضت درجة الحرارة في شقته. فكر في السماء في الخارج، وأندالسنس، وجدّه، ووالدته، والجنّازة... فكر في مارتين، وفي صوتها في اللحظة عديمة الأهمية قبل النوم.

عاد التلفاز في غرفة الجلوس إلى الحياة مجدداً مصدراً أليماً خافتاً، وبدأ يهسهس. وعاد النور مجدداً. حينها استغرق في النوم.

بعد عشرين دقيقة، رنّ هاتف هاري مجدداً، ففتح عينيه بسرعة وشتّم، ثم جرجر خطاه نحو المدخل مرتجفاً، ورفع السّاعة.

"هاري يتكلم".

"هاري؟".

"تقريباً. ماذا هناك يا هالفورسن؟".

"حدث أمر ما".

"أمر ما أم أمور عدة؟".

"أمور عدة".

"تبّاً".

15 - الساعات الأولى، الخميس، 18 كانون

الأول/ديسمبر. الإغارة

وقف سايل على الطريق بجانب أكرسلفا مرتجفاً. ليذهب الوغد إلى الجحيم! فبالرغم من البرد، كان النهر أسود وخالياً من الجليد، ويعزز السواد تحت الجسر الحديدي العادي. سايل في السادسة عشرة من عمره. كان قد جاء من الصومال مع والدته في سن الثانية عشرة. وفي الرابعة عشرة من عمره، شرع ببيع أطباق اللحم، ثم بدأ ببيع الهيروين في ربيع العام السابق. وبعد أن خذله هاكس مرة أخرى، لم يعد بإمكانه المجازفة بالوقوف هنا طوال الليل مع سلعه التي لا يبيع منها شيئاً. عشر جرعات من المخدرات. لو كان في الثامنة عشرة من عمره، لتمكن من الذهاب إلى بلاتا وبيعها هناك. ولكن رجال الشرطة في بلاتا يعتقلون المتجربين بالمخدرات الذين يكونون دون السن القانونية. لذا، إن منطقة عملهم هنا على امتداد النهر، ومعظمهم فتیان من الصومال يبيعون الزبائن الذين لم يبلغوا السن القانونية بعد، أو لديهم أسباب تمنعهم من الظهور في بلاتا. كان هاكس بحاجة إلى السيولة النقدية بشكل يائس!

جاء رجل على طريق المشاة. لم يكن هاكس بالتأكد؛ فهو لا يزال يعرج بعد تعرضه للضرب من قبل عصابة بي بسبب بيعه أمفيتامينات مخففة، كما لو أن هناك سلعاً أخرى يمكن بيعها. لم يبدُ القادم رجلاً متخفياً أو مدمن مخدرات؛ علماً أنه يرتدي معطفاً أزرق من النوع الذي يرتديه العديد من مدمني المخدرات. نظر سايل حوله، كانا مفردهما.

عندما اقترب منه الرجل مسافة كافية، خرج سايل من ظل الجسر وسأله: "هل تريد جرعة مخدرات؟".

فأطلق الرجل ابتسامة، وهز رأسه، ثم تابع سيره. ومع ذلك، وقف سايل معترضاً طريقه. كان كبير الحجم بالنسبة إلى سنّه، وبالنسبة إلى أي سنّ، على غرار سكينه أيضاً التي تشبه السكين في رامبو: فيرست بلود مع مقبض يحتوي على بوصلة. يبلغ ثمنها ألف كرون في متجر اتحاد الرعاية الاجتماعية. ولكنه حصل عليها من أحد الزملاء لقاء ثلاثمئة كرون.

"هل تريد أن تشتري أم لا؟". سأل سايل حاملاً السكين بطريقة تجعل الضوء الباهت المنبعث من مصباح إنارة الشارع ينعكس على نصلها. "عفواً؟".

إنه شخص أجنبي، ويصعب على سايل التفاهم معه.
"أريد مالاً". سمع سايل صوته يرتفع. كان على الدوام يشعر بغضب شديد عندما يسرق الناس؛ ولم يكن يعرف السبب. "الآن".

فأوماً الأجنبي برأسه، ورفع يده اليسرى في حركة دفاعية، في حين دسّ يده اليمنى بهدوء داخل سترته وأخرجها بسرعة البرق. لم يتسنّ لسايل إظهار أي رد فعل، وهمس تبتاً عندما أدرك أنه يحدّق إلى فوهة مسدس. لقد أراد الهرب ولكن الفوهة المعدنية السوداء جعلت قدميه تتسمّران بالأرض من شدة الخوف.

"أنا..."، استهلّ.

"اركض"، قال الرجل. "الآن".

ركض سايل بسرعة، وشعر أن هواء النهر البارد والرطب يحرق رئتيه، وأضواء فندق بلازا ومبنى البريد تقفز صعوداً ونزولاً على شبكيتي عينيه. لقد ركض حتى فاض النهر في الخليج البحري بين الصخور العالية ولم يعد بإمكانه مواصلة الركض.

كانت ربيع ساعة قد مرت على استيقاظ هاري بسبب اتصال هالفورسن به. وتوقفت سيارة الشرطة بجانب حافة رصيف بوابة صوفيز، وانزلق هاري على المقعد الخلفي بجانب زميله وتمتم "مساء الخير" للشرطيّين اللذين يجلسان في الأمام مرتدين بذلتيهما النظاميتين. قاد السائق، وهو زميل جسيم ذو وجه شرطي مُنغلق على ذاته السيارة ببطء في بادئ الأمر.

"زد السرعة"، قال الشرطي الشاب، شاحب الوجه، وكثير البثور، الذي يجلس إلى جانب السائق.

"كم يبلغ عددنا؟". وحدّق هاري إلى ساعته.

"سيارتان بالإضافة إلى هذه"، قال هالفورسن.

"إذاً، ستة أشخاص بالإضافة إلينا. لا أريد أي أضواء. سنحاول القيام بذلك بهدوء. أنت، وأنا، وشرطي ببذلة نظامية يحمل مسدساً. يكفي ذلك للقيام بعملية الاعتقال. سيغطّي الخمسة الآخرون طرق الفرار المحتملة. هل تحمل سلاحاً؟".

ووضع هالفورسن يده على جيب سترته.

"هذا جيد لأنني لا أحمل سلاحاً"، قال هاري.

"ألم تعالج مسألة رخصة سلاحك الناري؟".

انحنى هاري إلى الأمام بين المقعدين الأماميين وسأل:
"من منكما يرغب في الانضمام إلينا لاعتقال قاتل مأجور محترف؟".
"أنا!". صدرت الإجابة الفورية من الشاب الجالس على مقعد الراكب.
"إذًا، ستبقى أنت في السيارة"، قال له هاري ذلك، وأوماً برأسه ببطء
ناظرًا إلى المرأة.

بعد ست دقائق، ركنوا السيارة في أسفل هيمدالسغاتا في غرينلاند،
وأمعنوا النظر إلى الباب الأمامي حيث كان هاري واقفًا في وقت مبكر من
المساء.

"إذًا، رجلنا في تيلينور كان واثقًا؟" سأل هاري.
"أجل"، قال هالفورسن. "يقول توركيلدسن إن رقمًا داخليًا في النُّزل قد
حاول الاتصال بفندق هوتيل إنترناشونال قبل خمس عشرة دقيقة تقريبًا".
"لا يمكن أن يكون الأمر صدفة"، قال هاري فاتحًا باب السيارة. "إنها
منطقة عمل اتحاد الرعاية الاجتماعية. سأقوم بجولة استطلاعية وسأعود بعد
دقيقة".

عندما عاد هاري، كان السائق جالسًا وفي حضنه مدفع رشاش أم بيبي
5. لقد سمحت القوانين الأخيرة لسيارات الدورية بالاحتفاظ بهذا النوع من
الأسلحة في صناديقها.

"أليس لديك سلاح أكثر تكتماً؟" سأل هاري.
فهز الرجل رأسه. عندها، التفت هاري نحو هالفورسن وسأله: "ماذا
عندك؟".

"مجرد مسدس سميث إند ويسن صغير وجميل من عيار 38".
"باستطاعتك أن تستعير مسدسي". قال الشرطي الشاب الجالس على
مقعد الراكب بحماسة. "جريكو 941. قوة حقيقية".

"جريكو؟" كرر هاري. كان باستطاعة هالفورسن رؤية عينيه تضيقان.
"لن أسأل من أين حصلت على هذا المسدس. ولكنني أعتقد أنه يُفترض
بي إبلاغك أن مصدره على الأرجح عصابة مهربي أسلحة كان يقودها
زميلك السابق توم والر".

فاستدار الشرطي الجالس على مقعد الراكب، وعيناه الزرقاوان تقدحان
شرراً وقال: "أتذكر توم والر. أتعرف شيئاً أيها المفتش؟ معظمنا يعتقدون
أنه كان شخصاً صالحاً".

فتجاهله هاري ونظر إلى خارج النافذة.
"معظمكم مخطئون". قال هالفورسن.

"أعطني جهاز اللاسلكي"، قال هاري.

ووجه للسائقين الآخرين تعليمات سريعة وفعالة، وحدد مكان تواجد كل سيارة من دون ذكر أسماء الشوارع أو المباني كي لا يلتقطها مستخدمو أجهزة اللاسلكي المنتظمون؛ المرسلون الصحفيون الذين يغطون الجرائم، أو المحتالون والفضوليون الذين يلتقطون التردد ويعلمون من دون شك أن شيئاً ما يحدث.

"لننطلق"، قال هاري ملتفتاً إلى مقعد الراكب. "ابق هنا، ولتكن على اتصال دائم بغرفة العمليات. اتصل بنا بواسطة جهاز اللاسلكي الخاص بزميلك إذا طرأ أي شيء. اتفقنا؟".
فهز الشاب رأسه.

بعد أن قرع هاري الباب الأمامي للنزل ثلاث مرات، خرج فتى صغير في السن، مُجرجراً قدميه. فتح الباب قليلاً، وحدّق إليهم بعينين ناعستين.
"الشرطة"، قال هاري باحثاً في جييبه. "تبّاً. يبدو أنني نسيت بطاقة هويتي في المنزل. أره بطاقتك يا هالفورسن".
"لا يمكنكم الدخول"، قال الفتى. "وأنتم تعرفون ذلك".
"إنها جريمة قتل، ولا علاقة لها بالمخدرات".
"آه!".

نظر الفتى بعينين مفتوحتين على اتساعهما من فوق كتف هاري إلى الشرطي الذي رفع مدفعه الرشاش أم بيبي 5. بعد ذلك، فتح الباب، وتراجع إلى الوراء من دون أن ينظر إلى بطاقة الهوية الخاصة بهالفورسن.
"هل لديكم هنا شخص يدعى كريستو ستانكيك؟". سأل هاري.
فهز الفتى رأسه.

"إنه غريب يرتدي معطفاً مصنوعاً من قماش وَبَرّ الجمال ربما". قال هالفورسن في أثناء انسلال هاري وراء طاولة الاستقبال، وفتحه سِجِلّ الضيوف.

"الغريب الوحيد الموجود هنا هو ذاك الذي اصطحبوه من حافلة الحساء"، تأتأ الفتى. "ولكنه لم يكن يرتدي معطفاً مصنوعاً من قماش وَبَرّ الجمال، وإنما سترة بذلة فقط. لقد أعطاه ريكارد نيلسن سترة شتوية من المخزن".

"هل اتصل بأحد من هنا؟". نادى هاري من وراء الطاولة.
"استخدم الهاتف الموجود في المكتب وراءك".
"في أي ساعة؟".

"عند الحادية عشرة والنصف تقريباً".
"هذا يتطابق مع الوقت الذي أُجري فيه الاتصال بزَغرب"، تَتم
هالفورسن.

"هل هو في الداخل؟". سأل هاري.
"لا أعرف. أخذ المفتاح معه وخلدُ إلى النوم".
"هل لديك مفتاح عمومي؟".
أوماً الفتى برأسه، وأخرج مفتاحاً من المجموعة المعلّقة بحزامه،
ووضعه في يد هاري الممدودة.
"ما رقم الغرفة؟".

"ست وعشرون. إنها في أعلى الدرج، وفي نهاية الممر".
كان هاري قد انطلق متجهاً إلى الغرفة، فيما مشى الشرطي ببذلته
النظامية وراه تماماً، ويده على المدفع الرشاش.
"ابقَ في غرفتك حتى ينتهي الأمر"، قال هالفورسن للفتى في أثناء
حملة مسدسه من طراز سميث إند ويسن، وغمزه وربّت على كتفه.
فتح قفل الباب، ولاحظ أن غرفة الاستقبال غير مأهولة. إنه أمر
طبيعي، كما أن وجود سيارة الشرطة المركونة في الشارع وفي داخلها شرطي
أمر طبيعي أيضاً. فبالرغم من كل شيء، لقد اكتشف للتوّ أنها منطقة
تشهد حدوث جرائم.

صعد الدرج رويداً رويداً، وفي أثناء انعطافه عند الزاوية سمع طقطقة
ممائلة لتلك التي كان قد سمعها في الفجوات الرملية في فوكوفار؛ إنها
صادرة عن جهاز لاسلكي.

ألقي نظرة سريعة نحو الأعلى. في نهاية الممر، وبجانب باب غرفته،
وقف رجلان يرتديان ملابس عادية، وشرطي يرتدي بذلة نظامية ويحمل
مدفعاً رشاشاً. ورأى أحد الرجلين اللذين يرتديان ملابس عادية يضع يده
على مقبض الباب، فيما رفع الشرطي المرتدي بذلة نظامية جهاز اللاسلكي
وتكلّم عبره بهدوء.

كان الرجلان الآخران يقفان قبائله. لقد فات الأوان على الانسحاب.
فأوماً لهما برأسه، وتوقف أمام الغرفة 22، وهز رأسه كما لو أنه
يُظهر يأسه بسبب تنامي العمل الإجرامي في الحي؛ متظاهراً بالبحث في
جيوبه عن مفتاح غرفته. من زاوية عينه، راقب الشرطي الذي كان قد رآه
في فندق سكانديا في أثناء وقوفه في الصف في غرفة الانتظار، يفتح باب
الغرفة من دون إحداث أي ضجيج ويتبعه الآخران.

حاملًا أصبحوا بمنأى عن الأنظار، عاد إلى الأسفل من حيث أتى؛ مجتازاً السلم بخطوتين واسعيتين. كان قد لاحظ كل المخارج - كما يفعل على الدوام - عندما وصل على متن الحافلة البيضاء في المساء. وتساءل للحظة بشأن الباب الخلفي المؤدي إلى الحديقة، ولكن الأمر بديهي تماماً. لا بد من أن يكونوا قد وضعوا شرطياً هناك، ما لم يكن مُخطئاً. لذا، يبقى المدخل الرئيس فرصته الفضلى. خرج وانعطف نحو اليسار، ثم سار في اتجاه سيارة الشرطة مباشرةً. على تلك الطريق، كان هناك رجل واحد فقط. وإذا تمكن من المرور أمامه فسيضيع وسط الظلام.

"تبّاً، تبّاً، تبّاً!". صاح هاري عندما وجد الغرفة فارغة.
"ربما خرج للقيام بنزهة سيراً على الأقدام"، قال هالفورسن.
والتفتا نحو السائق. لم يكن قد قال أي شيء، ولكن جهاز اللاسلكي الموضوع على صدره كان يتكلم. "إنه الرجل نفسه الذي رأيته منذ لحظة. ها هو يخرج الآن مجدداً ويتجه نحوي".
استنشق هاري الهواء. كانت هناك رائحة عطر مميزة في الغرفة، ولم يتمكن من تمييزها بوضوح.
"إنه هو"، قال هاري. "لقد خدعنا".
"إنه هو"، قال السائق عبر جهاز اللاسلكي؛ مكرراً ما قاله هاري الذي أصبح خارج الغرفة.
"رائع. لقد نلتُ منه"، طقطق جهاز اللاسلكي. "انتهى".
"لا!". صاح هاري في أثناء اندفاعهم عبر الممر. "لا تحاول إيقافه. انتظرنا!".

وكرر السائق الأمر عبر الجهاز، ولكنه لم يتلقَ سوى هسهسة.

رأى باب سيارة الشرطة يُفتح، وخرج شرطي يرتدي بذلة نظامية إلى الضوء الصادر عن مصباح الإنارة في الشارع شاهراً مسدسه.
"مكانك!". صاح الشرطي وهو يقف منفرج الساقين وقد صوّب مسدسه إليه. وعندما رآه فكر في سرّه أنه قليل الخبرة. كانت تفصل بينهما مسافة خمسين متراً تقريباً، وبخلاف تمساح النهر تحت الجسر، لم يكن هذا الشرطي ذكياً بما يكفي لانتظار انقطاع طرق فرار ضحيّته. أخرج اللاما مينيماكس للمرة الثانية في تلك الليلة. وبدلاً من الفرار، شرع بالركض مباشرةً في اتجاه الشرطي.

"مكانك!". كرر الشرطي.

كانت المسافة بينهما قد تقلّصت إلى ثلاثين متراً، ثم عشرين متراً.
رفع مسدسه وأطلق النار.

يميل الناس إلى المبالغة في تقدير فرص إصابة شخص آخر من مسافة تفوق عشرة أمتار. ومن جهة ثانية، غالباً ما يقللون من أهمية الأثر النفسي لصوت الانفجار ممزوجاً مع أزيز الرصاص في أثناء مروره قرب شيء ما. وعندما أصابت الرصاصة زجاج السيارة الأمامي الذي أصبح لونه أبيض قبل أن يفتت، حدث الأمر نفسه للشرطي. فقد شحب لون وجهه، وخرّ على ركبتيه في أثناء محاولته الإمساك بالجريكو 941 الثقيل.

á á á

وصل هاري وهالفورسن إلى هيمدالسغاتا في الوقت نفسه.
"هناك"، قال هالفورسن.

كان الشرطي الشاب لا يزال جالساً على ركبتيه بجانب السيارة، والمسدس مصوّب إلى السماء. ولكنهما رأيا في مكان أبعد من الشارع المعطف الأزرق الذي كانا قد رأياه في الممر.
"إنه يركض نحو إيك"، قال هالفورسن.
والتفت هاري نحو السائق الذي انضم إليهما.
"أعطني الأم بيبي 5".

فمرر الشرطي السلاح لهاري قائلاً: "ليس...".

غير أن هاري كان قد شرع بالركض. وسمع هالفورسن يركض وراءه، ولكن النعلين المطاطيين لحذائه من ماركة دوك مارتنز وقراً له قوة ارتكاز أفضل على الجليد الأزرق. كان الرجل أمامه يسبقه بمسافة طويلة، وقد انعطف عند زاوية بوابة فالز المحاذية للحديقة العامة. حمل هاري المدفع الرشاش بإحدى يديه، وركز على عملية تنفّسه في أثناء محاولته الركض بخفة وفعالية. ثم أبطأ، وسدّد السلاح بوضعية إطلاق النار قبل أن يصل إلى الزاوية. لم يحاول التفكير كثيراً عندما مدّ رأسه ونظر إلى اليمين.

لم يكن هناك أحد في انتظاره.

ولا أحد يُرى في الشارع أيضاً.

ولكن رجلاً مثل ستانكيك لن يكون غيبياً؛ ولن يدخل أيّاً من الباحات الخلفية التي تتحوّل إلى مصيدة جردان ببواباتها المقلّعة. حدّق هاري إلى داخل الحديقة العامة حيث تعكس صفحة الثلج البيضاء الواسعة أضواء المباني المحيطة. ألم يكن هناك شيء ما يتحرك؟ على بُعد ستين أو سبعين

متراً، كان هناك شخص يتقدم على الثلج ببطء، مرتدياً سترة زرقاء. ركض هاري بأقصى سرعته، وغاص في الرُّكام الثلجي، وغرق حتى خصره في الثلج الذي تساقط حديثاً.
"تبّاً!"

لقد سقط المدفع الرشاش من يده، فاستدار الشخص الموجود أمامه، وناضل للمضي قدماً. بحثت يد هاري عن السلاح في أثناء مراقبته ستانكيك الذي راح يشق طريقه بجهد واضطراب عبر الثلج غير الثابت الذي لا يُمكنه من الحصول على موطنٍ قدم بسهولة. لمست أصابعه شيئاً صلباً. ها هو. وسحب هاري السلاح ورفع نفسه، ثم أخرج إحدى ساقيه، ومدّها إلى أبعد مسافة ممكنة، ودفع نفسه نحو الأمام، ثم سحب الساق الأخرى، ومدّها إلى الخارج. بعد ثلاثين متراً، كان يشعر بحرقّة في عضلات فخذه، ولكن المسافة تقلصت. كان الرجل الآخر يسلك ممر المشاة، ثم انتقل للسير على الثلج، فأطبق هاري أسنانه، وتمكّن من الإسراع؛ مقلّصاً المسافة إلى خمسة عشر متراً. لقد أصبح قريباً بما يكفي. ارتقى هاري على معدته فوق الثلج، وركّز السلاح، ونفخ الثلج عن منظار التصويب، ثم حرّر زرّ الأمان، واختار صيغة الطلق الناري الأحادي، وانتظر وصول الرجل إلى الضوء مخروطي الشكل المنبعث من مصباح إنارة الشارع بجانب ممر المشاة.
"الشرطة!" لم يكن هاري يدرك الجانب الهزلي للكلمة إلا بعد أن صاح بها: "مكانك!"

ولكن الرجل واصل شق طريقه بجهد، فضغط هاري على الزناد قليلاً.
"توقف وإلا فسأطلق النار!"

كان الرجل على بُعد خمسة أمتار فقط.
"أنا أسدّد على رأسك"، صاح هاري، "ولن أخطئ".
اندفع ستانكيك إلى الأمام، وأمسك عمود مصباح الإنارة بكلتا يديه، ثم سحب نفسه خارج الثلج. كان هاري يرى السترة الزرقاء من منظار التصويب، فحبس أنفاسه، وقام بما تعلّم القيام به؛ ألا وهو إلغاء الفكرة الموجودة في المخيخ والتي تقول - وفقاً لمنطق التطور - إنه لا يُفترض به قتل أي مخلوق من جنسه، وركز على التقنية: عدم الضغط على الزناد بجهد أو هزّه. شعر هاري بانطلاق الزنبرك وسمع تكة معدنية، ولكن لم يكن هناك أي ارتداد على كتفه. هل هناك عطل؟ ضغط هاري على الزناد مجدداً، فسُمعت تكة أخرى.

وقف الرجل والثلج يعصف حوله، وانتقل إلى الطريق وضرب الأرض

بقدميه، ثم استدار وراقب هاري الذي لم يتحرك. كانت ذراعه متدليتين على جنبه ك شخص يسير في أثناء نومه. رفع ستانكيك رأسه، فرأى هاري المسدس، وعلم أنه عاجز عن القيام بأي أمر من مكان استلقائه. استمرت يد ستانكيك بالارتفاع وصولاً إلى جبينه في تحية ساخرة. وبعد ذلك، دار وشرع بالركض على الطريق.

أغمض هاري عينيه، وشعر بقلبه يخفق بقوة بين ضلوعه. وعندما شق هاري طريقه وصولاً إلى المكان الذي كان ستانكيك يقف فيه، كان الظلام قد ابتلع الرجل منذ مدة طويلة. أخرج هاري ممشط الأم بيبي 5 وتحقق منه فصدق ظنه، عندها رمى السلاح في الهواء في سورة غضب فجائية، فارتفع أمام فندق بلازا كطائر أسود قبيح قبل أن يسقط في المياه السوداء تحته؛ مُحدثاً قليلاً من الرذاذ. وعندما وصل هالفورسن، كان هاري جالساً على الثلج وبين شفتيه سيجارة.

انحنى هالفورسن نحو الأسفل، وصدره يتحرك صعوداً ونزولاً. "يا الله! باستطاعتك الركض بسرعة"، وأزّ تنفّسه. "هل ذهب؟".
"لقد اختفى"، قال هاري. "لنعد أدراجنا".
"أين الأم بيبي 5؟".

نظر هاري إلى هالفورسن، وقرّر عدم الإجابة عن السؤال. كانت سيارتا شرطة تقفان أمام الفندق، وأضواؤهما الزرقاء تومض، فيما احتشدت خارج الباب المقل كما يبدو مجموعة من الرجال المرتجفين الذين يحملون آلات تصوير طويلة. سار هاري وهالفورسن في اتجاه هيمدالسغاتا، وكان هالفورسن يُنهي حديثاً على هاتفه المحمول.
"لماذا يوحى إليّ دائماً احتشاد الناس في صف بفيلم سينمائي؟". سأل هاري.

"إنهم صحفيون"، قال هالفورسن. "كيف بلغهم هذا الخبر؟".
"أسأل العامل على جهاز اللاسلكي"، قال هاري. "أظن أنه من أفشى السر. ماذا قالوا في غرفة العمليات؟".
"سيرسلون إلى النهر كل سيارات الدورية المتوافرة. كما سيرسل قسم ذوي البذلات النظامية عشرة جنود راجلين. ما رأيك؟".
"جيد. لن يعثروا عليه أبداً. اتصل ببتي واطلب منها القدوم".
ورأهما أحد الصحفيين فدنا منهما.
"حسناً يا هاري".

"أنت متأخر، يا جندم".

"ماذا يجري؟".

"ما يجري ليس على قدر كبير من الأهمية".

"آه! أرى أن أحدهم قد أطلق النار على الزجاج الأمامي لإحدى سيارات الشرطة التابعة لكم".

"من يقول إن أحدهم لم يضربها بعصا؟". قال هاري، وكان الصحافي لا يزال يسير ببطء وراءه.

"الشرطي الجالس هناك يقول إنه تعرّض لإطلاق نار".

"يا الله! من الأفضل لي أن أكلّمه"، قال هاري. "اعدُراني، أيها السيدان!".

وتنحّى المحتشدون بتردد، فيما قرع هاري الباب الأمامي. وسمعت طقطقة وأزيز آلات التصوير وومضت المصابيح.

"هل هناك أي صلة بين هذه الجريمة والجريمة في إغرتورغت؟". صاح أحد الصحافيين. "هل اتحاد الرعاية الاجتماعية متورط؟".

فُتح الباب قليلاً، وظهر وجه السائق الذي عاد خطوة إلى الوراء، واندفع هاري وهالفورسن، وعبرا غرفة الاستقبال إلى حيث كان الشرطي الشاب جالساً على كرسيٍّ ومحدّقاً نحو الفضاء بعينين خاليتين من أي تعبير، فيما زميله جاثم أمامه يتحدث إليه بصوت منخفض.

في الطابق الأعلى، كان باب الغرفة 26 لا يزال مفتوحاً.

"لا تلمس شيئاً إلا عند الضرورة"، قال هاري للسائق. "من المؤكد أن بتي لون تريد الحصول على بصمات الأصابع والحمض النووي".

جالا في أنحاء المكان، وفتحا أبواب خزانة الملابس واسترقا النظر تحت السرير.

"يا الله!". قال هالفورسن. "لا يوجد أي شيء. لم يكن لدى الرجل سوى ما يرتديه".

"لا بد من أن تكون لديه حقيبة ملابس أو شيء ما أدخل بواسطته المسدس إلى البلد"، قال هاري. "ربما يكون قد تخلص منه بالطبع، أو وضعه في مكان ما لحمايته".

"لم يعد هناك في أوصلو العديد من الأماكن المخصّصة لإيداع الأمتعة".
"فكّر".

"حسناً. غرفة الأمتعة في أحد الفنادق حيث كان ينزل. والخزانات الصغيرة في محطة قطارات أوصلو المركزية بالطبع".

"اتبع خط تفكيره".

"أي خط؟".

"إنه في الخارج الآن، ولديه حقيبة في مكان ما".

"ربما يكون بحاجة إليها الآن، أجل. سأتصل بغرفة العمليات ليرسلوا شخصاً ما إلى سكانديا والمحطة و... ما هو الفندق الآخر الذي كان ستانكيك موجوداً فيه على قوائمهم؟".

"راديسون أس أيه أس في هولبرغز".

"شكراً لك".

والتفت هاري إلى السائق وسأله إن كان يرغب في الخروج وتدخين سيجارة. فنزلا وخرجا من الباب الخلفي. وفي باحة الحديقة الخلفية المكسوة بالثلج، كان هناك رجل مُسنٌ يدخن ويتأمل السماء الصفرَاء العاصفة، غافلاً عن حضورهما.

"كيف حال زميلك؟". سأل هاري، مُشعلاً سيجارتيهما.

"سينجو. آسف في شأن المراسلين".

"ليس خطأك".

"بلى، إنه خطئي. عندما اتصل بي عبر اللاسلكي وقال إن أحدهم قد دخل النزل كان يُفترض بي التنبه لأمر مماثلة".

"هناك أمران آخران كان يُفترض بك التنبه لهما أكثر".

فتح السائق عينيه على اتساعهما، ورفَّ بهما بسرعة مرتين على التوالي وقال: "أعتذر. حاولتُ تحذيرك، ولكنك انطلقت مسرعاً".

"حسناً. ولكن، لماذا؟".

توهجت السيجارة بلون أحمر في أثناء قيام السائق بامتصاص الدخان بقوة. "معظم المجرمين يستسلمون لحظة تسديد أم بيبي 5 عليهم".

"لم يكن هذا سؤالي".

انتفخت عضلات فك الشرطي السفلي ثم استرخت. "إنها قصة قديمة".

"حسناً". ونظر هاري إلى الشرطي. "لدينا كلنا قصص قديمة لنُخبرها.

ولكن هذا لا يعني أن باستطاعتنا تعريض حياة زملائنا للخطر بوضع ممشط فارغ".

"أنت مُحق". ورمى الرجل ما تبقى من السيجارة على الأرض فاخفت

بين الثلج المتساقط حديثاً. أخذ الشرطي نفساً عميقاً وقال: "لن تواجه أي مشاكل في هذا الشأن ياهول. سأؤكد تقريرك".

فاستند هاري إلى قدمه الثانية، وأمعن النظر إلى سيجارته، "القصة

القديمة، هل هي من النوع الذي أودّ سماعه؟".

"لقد سمعتها من قبل".

"حسناً. هل كان شاباً؟".

"اثنان وعشرون عاماً، لا أكثر".

"هل قُتل؟".

"شُلّ من الصدر في اتجاه الأسفل. لقد أصبته في معدته، ولكن

الرصاصة اخترقته".

سعل الرجل المُسنّ، فنظر هاري في اتجاهه.

في غرفة الاستقبال، كان الشرطي لا يزال جالساً على الكرسي، شاعراً

بالراحة. فأوماً هاري برأسه للزميل الودود للانسحاب، ثم ارتقى جالساً أمامه.

"تقديم النصح في شأن الصدمات النفسية لا يفيد"، قال هاري للشاب

شاحب الوجه. "فكّ عقدتك بنفسك".

"آه!".

"أنت خائف لأنك تظن أنك كنت على بُعد طَلْق ناري من الموت،

غير أنك لم تكن كذلك. لم يكن يصوّب عليك بل على السيارة".

"آه!". كرّر الشرطي الشاب بالرتابة عينها.

"الرجل محترف. وهو يعلم أنه إذا قتل شرطياً فسيفقد كل أمل له

بالفرار. ولقد أطلق النار لإخافتك".

"كيف تعرف...؟".

"لم يطلق النار عليّ أيضاً. أخبر نفسك بذلك وستكون قادراً على

النوم. ولا تذهب إلى عالمٍ نفسي؛ فهناك أشخاص آخرون بحاجة إليه".

وأصدرت ركبنا هاري طقطقة مزعجة عندما وقف. "وتذكّر أن الضباط عالي

الرُتَب أكثر ذكاء منك. لذلك، في المرة القادمة، اتبع الأوامر، اتفقنا؟".

á á á

كان قلبه يخفق بسرعة كما لو أنه حيوان مطارد. وهبّت عَصْفَة ريح

على المصابيح المتدلية من أسلاك رفيعة فوق الشارع، فتراقص ظلّه على

الرصيف. لقد تمّنى السير بخطوات أوسع، ولكن كان عليه السير بحذر قَدْر

الإمكان بسبب صفحة الجليد الرُّلقة المتشكلة فوق الأرض.

لا بد من أن الاتصال الهاتفي الأخير الذي أجراه بزغرب هو الذي

قاد الشرطة إلى النُّزْل. وحدث ذلك بسرعة كبيرة! نتيجةً لذلك، لن يكون

بإمكانه الاتصال بها. سمع صوت سيارة قادمة من الورا، وتعيّن عليه إرغام

نفسه على عدم الاستدارة، وأصغى. لم تتوقف السيارة، بل مرّت بجانبه،

وتلا ذلك اندفاع للهواء ودَفُق من الثلج الذي استقرَّ على عنقه في تلك المساحة الصغيرة التي لا تغطيها السترة الزرقاء؛ السترة التي رآها الشرطي ولم تعد صالحة للتخفي. لقد فكر ملياً في التخلص منها، ولكن رجلاً يرتدي قميصاً فقط لن يبدو مثيراً للشُّبهة فحسب، بل سيتجمّد من البرد حتى الموت أيضاً. وألقى نظرة سريعة على ساعته. كانت لا تزال هناك ساعات قليلة فقط قبل عودة المدينة للحياة، وقبل فتح المقاهي والمتاجر أبوابها حيث باستطاعته العثور على مأوى. ولكن، عليه العثور على مكان يلجأ إليه قبل ذلك الحين: مهرب، مكان يوفّر له الدفء وبعض الراحة حتى الفجر. مرّ بجانب الناحية الأمامية لمنزل أصفر متسخ بكتابات جدرانية، ولفتت كلمة ملوّنة انتباهه: فستريدين . الضفة الغربية؟ وإلى الأمام، كان هناك رجل واقف أمام مدخل منحنيًا. لقد بدا الأمر من بعيد كما لو أنه يُسند رأسه إلى الباب. وعندما اقترب منه اكتشف أنه يضع إصبعه على جرس.

فتوقف وانتظر. ربما كان هذا الأمر فرصة لخلاصه.

طقطق صوت من مكبّر الصوت فوق الجرس، وقوم الشخص المنحني وقفته، وتمايل وبدأ يصيح بقوة. كانت بشرته محمرة بسبب معاقرة الشراب. كَفَّ الرجل عن الصراخ، وتلاشت الأصداء المترددة بين منازل المدينة التي ما زال الليل يلفّها، وسمع أزيز كهربائي منخفض. أمال الرجل بصعوبة مركز ثقله إلى الأمام، ودفع الباب ودخل مترنحاً.

بدأ الباب ينغلق فتصرّف بسرعة البرق. كان سريعاً جداً، فانزلق حذاؤه على الجليد، وتمكّن من الاستناد إلى راحتي يديه على الصفحة الباردة المُحرقة قبل أن يصطدم بقيّة جسده بالرصيف. وقف بصعوبة، ورأى أن الباب على وشك الانغلاق، فاندفع إلى الأمام، ودسّ قدمه بين الباب والإطار، وشعر بثقل الباب على كاحله. ثم تسلل إلى الداخل، ووقف يُصغي. سمع جرجرة أقدام تتوقف، ثم تواصل على نحو مؤلم. وبعد ذلك سمع قرعاً، ثم صوت باب يُفْتَح وامرأة تصيح شيئاً ما بلغتهم الغربية والرتبية، ومن ثمّ تتوقف عن الصياح فجأةً كما لو أن أحدهم قد قطع حلقها. بعد ثوانٍ قليلة من الصمت، سمع أنيباً منخفضاً مماثلاً للصوت الذي يُحدثه الأطفال، ثم أُغلق الباب في الطابق العلوي بقوة وساد الهدوء. ترك الباب يُغلق وراءه. كانت هناك صحيفتان بين القمامة تحت السلم. في فوكوفار، يضعون أوراقاً في أحذيتهم لأنها تعزل الرطوبة وتمتصها. كان لا يزال يشعر بالبرد، ولكنه بأمان في الوقت الحاضر.

جلس هاري في المكتب وراء طاولة الاستقبال في التُّزْل ينتظر، وسَماعة الهاتف على أذنه، محاولاً تخيُّل الشقة التي يتصل بها. رأى صور أصدقاء مُلصقة على المرآة فوق الهاتف: وهم يتسمون كما لو أنهم في حفلة، أو ربما في رحلة خارج البلد. وفي الصورة الرئيسة الصديقات. وتخيُّل شقة ذات أثاث بسيط ولكنه دافئ ومريح، وِحْماً معلقة على باب الثلاجة، وملصقاً لتُشيه غيفارا في الحَمَّام. هل لا يزال الناس يقومون بذلك؟

"آلو؟". قال صوت ناعس.

"هذا أنا مرة أخرى".

"أبي؟".

أبي! فحبس هاري أنفاسه، وشعر بأنه يحمّر خَجَلًا. "الشرطي".
"آه! أجل". وسُمت ضحكة مكبوتة؛ مَرِحَة وعميقة في آن معاً.
"آسف لإيقاظك، ولكننا...".

"لا أهمية لذلك".

وكانت هناك إحدى فترات الصمت تلك التي أراد هاري تجنّبها.
"أنا في التُّزْل"، قال. "كنا نحاول اعتقال مشتبه به. يقول موظف الاستقبال إنك وريكارد نيسلن اصطحبتماه إلى هنا في وقت مبكر من هذا المساء".

"أهو الرجل المسكين الذي لا يملك ملابس ملائمة للجو في الخارج؟".
"أجل".

"ماذا فعل؟".

"نشته في أنه هو من قتل روبرت كارلسن".

"يا الله!".

لاحظ هاري أنها شددت على مخارج الحروف.

"هل يمكننا إرسال شرطي للتحدث إليك؟ وفي أثناء ذلك، ربما تحاولين تذكُر ما قاله".

"اتفقنا. ولكن، ألا يمكن...؟".

وكان هناك توقف.

"آلو". قال هاري.

"لم يقل شيئاً"، قالت. "كان يبدو كلاجئ حرب. يمكنك رؤية ذلك في طريقة تحركهم. فهم يبدوون كمن يسيرون في أثناء نومهم، كما لو أن هناك آلة ما تُسيّرهم، كما لو أنهم أموات".

"حسناً. هل تحدّث إليه ريكارد؟".

"ربما. هل تريد رقمه؟".

"رجاءً".

"لحظة واحدة".

وذهبت لإحضار الرقم. كانت مُحِقّة. ففكر هاري في الرجل الناهض من الثلج، وكيف أنه انسحب وذراعاها متدلّيتان إلى جانبيه ووجهه شاحب كالزومبيين.

سمع هاري سُعالاً فأدار كرسيّه. كان غونار هاغن وديفيد إكهوف واقفين في مدخل الباب.

"هل نسبب لك أي إزعاج؟". سأل هاغن.

"ادخلا"، قال هاري.

فدخل الرجلان، وجلسا في الجانب الآخر للطاولة.

"نودّ الحصول على تقرير"، قال هاغن.

وقبل أن يتمكن هاري من السؤال عمّا يعنيه بالتكلم بصيغة الجمع، عاد صوت مارتين، وزوّده برقم الهاتف، فدوّنه هاري على عجل.

"شكراً لك"، قال. "عُمت مساءً".

"كنت أتساءل...".

"عليّ إنهاء المكالمة"، قال هاري.

"آه - هاه. عُمت مساءً".

ووضع السماعة من يده.

"قدّمنا بأسرع ما يمكن"، قال والد مارتين. "الأمر مُريع. ماذا حدث؟".

فنظر هاري إلى هاغن.

"أخبرنا"، قال هاغن.

زوّدهما هاري بتفاصيل الاعتقال الفاشل، ووصف كيف أصابت الرصاصة السيارة، وأخبرهما عن المطاردة عبر الحديقة العامة.

"ولكن، إذا كنت قريباً جداً وتحمل أم بيبي 5 فلماذا لم تُطلق النار

عليه؟". سأل هاغن.

فتنحج هاري. ونظر إلى إكهوف من دون أن يُجيب.

"حسناً؟". قال هاغن، وكانت هناك إثارة في صوته.

"كان الظلام دامساً"، قال هاري.

تأمّل هاغن مفتّشه قبل أن يتكلم. "إذاً، كان يسير في الخارج عندما

دخلت غرفته. هل لديك أي فكرة عن سبب وجود رجل مسلّح في الخارج

ليلاً فيما درجة الحرارة تبلغ عشرين درجة تحت الصفر؟". وأخض البيبي أو بي صوته. "أفترض أنك توقّر لجون كارلسن حماية على مدار الساعة". "جون؟". قال ديفيد إكهوف. "ولكنه في مستشفى أوليفال". "لديّ شرطي خارج غرفته"، قال هاري. "كنت على وشك التحقق من أن كل شيء يسير على ما يُرام".

تردّد صدى الرنات بين جدران الممرّ العارية في قسم جراحة الجهاز العصبي في مستشفى أوليفال. ورمق رجل يسير جاراً أمامه كيس سائل يُحقن في الوريد ويتدلى على منصّة، شرطيّ الحراسة بنظرة سريعة تأنيبية. فقد كان الشرطي يُجيب على هاتفه المحمول مخالفاً أنظمة المستشفى. "ستراندن".

"هول يتكلم. هل هناك أي جديد؟".
"ليس الكثير. هناك مُصابٌ بالأرق يجول في الممرات ولديه ملامح شخص محتال، ولكنه يبدو مأمون الجانب بما يكفي".
واصل الرجل سيره، ناخراً بصوت مسموع.
"هل هناك أي شيء مميّز حصل هذا المساء؟".
"أجل. ألحق فريق أرسنال بفريق سبيرز هزيمة نكراء في وايت هارت لاين، وحدث انقطاع في التيار الكهربائي".
"والمرريض؟".

"لم يُسمَع له صوت".
"هل تحققت من أن كل شيء على ما يُرام بالنسبة إليه؟".
"باستثناء البواسير، كل شيء يبدو بخير".
أصغى ستراندن إلى الصمت الذي يُنذر بالشؤم ثم قال: "إنها مجرد دُعاة. سأذهب للتحقق في الحال. ابقَ على الخط".
كانت هناك رائحة سُكّريّة في الغرفة. إنها حلوى كما افترض. وملاً الضوء المنبعث من الممر الغرفة، وزال مع إغلاقه الباب وراءه. ولكن، كان باستطاعته رؤية وجهه على الوسادة. دنا أكثر فأكثر. كل شيء هادئ هنا، هادئ جداً ولا يسمع أي صوت.
"كارلسن".

لم يكن هناك أي رد فعل.
فسعل ستراندن وكرر الاسم بصوت أعلى قليلاً. "كارلسن".
كان هناك هدوء تام، لدرجة أن صوت هاري عبر الهاتف بدا مرتفعاً

وواضحاً. "ماذا هناك؟".

وضع ستراندين الهاتف على أذنه وقال: "إنه نائم كطفل".
"هل أنت متأكد؟".

راقب ستراندين الوجه على الوسادة، وأدرك أن هذا ما يُزعجه.
فكارلسن ينام كالطفل، وبالغون يميلون عادة إلى إحداث أصوات. لذا،
انحنى فوق الوجه للإصغاء إلى تنفّسه.
"آلو!". بدا صياح هاري هول عبر الهاتف المحمول بعيداً. "آلو!".

16 - الخميس، 18 كانون الأول/ديسمبر. اللاجئ

وَقُرَّتْ لَهُ الشَّمْسُ الدَّفَاءَ، وَتَمَاوَجَتِ الكَثْبَانُ الرَّمْلِيَّةُ مَعَ الرِّيحِ الخَفِيفَةِ. لَا بَدَّ أَنَّهُ كَانَ يَسْبِغُ لِأَنَّ المُنَشَفَةَ تَحْتَهُ مَبْتَلَّةٌ. "انظر". قَالَتْ وَالِدَتُهُ مَشِيرَةً إِلَى مَكَانٍ مَا بَعِيدٍ، فَظَلَّلَ عَيْنَيْهِ وَأَمَعَنَ النِّظْرَ إِلَى البَحْرِ الأَدْرِيَاتِيكِيِّ المِتَلَالِئِ والأَزْرَقِ عَلَى نَحْوِ لَا يَصَدِّقُ، وَإِذْ بِهِ يَرَى رَجُلًا يَتَقَدَّمُ بِبَطءٍ نَحْوِ اليَابِسَةِ مَبْتَسِمًا. إِنَّهُ وَالِدُهُ، وَوَرَاءَهُ بُوْبُو وَجِيورجِي، وَكَلْبٌ صَغِيرٌ يَسْبِغُ رَافِعًا ذَيْلَهُ بِأَلْبَاحِ الصَّغْرِ كَصَارِي سَفِينَةٍ. وَفِيمَا كَانَ يَرِاقِبُهُمْ، انبَثَقَ المَزِيدُ مِنْهُمُ مِنَ البَحْرِ بِأَعْدَادٍ كَبِيرَةٍ. إِنَّهُ يَعْرِفُ بَعْضَهُمْ جَيِّدًا، مِثْلَ وَالِدِ جِيورجِي. وَالأُخْرُونَ مَأْلُوفُونَ بِالنِّسْبَةِ إِلَيْهِ. كَانَتْ مَلَامِحُ الوُجُوهِ مَشُوْهَةً وَلَا يُمْكِنُ تَمْيِيزُهَا، وَهِيَ أَشْبَهُ بِأَقْنَعَةِ خَيَالِيَّةٍ مَتَنَافِرَةٍ. وَتَوَارَتْ الشَّمْسُ وَرَاءَ سَحَابَةٍ، فِيمَا انخَفَضَتْ دَرَجَةُ الحَرَارَةِ، وَشَرَعَتْ الأَقْنَعَةُ بِالصِّيَاحِ.

اسْتَيْقِظَ شَاعِرًا بِأَمِّ حَارِقِ، وَفَتَحَ عَيْنَيْهِ. كَانَ فِي أَوْسَلُو، مُسْتَلْقِيًا عَلَى الأَرْضِ فِي رَدْهَةٍ مَدخَلِ، وَهَنَاقَ شَخْصٌ وَاقَفَ قَرْبَهُ يَصِيحُ بِشَيْءٍ مَا. لَقَدْ مَيَّزَ كَلِمَةً وَاحِدَةً مِمَّا تَلَّةً تَقْرِيْبًا لِكَلِمَةِ المَعْتَمَدَةِ فِي لُغَتِهِ الأُمِّ. نَارِكُومَانُ . بَعْدَ ذَلِكَ، عَادَ الشَّخْصُ، وَهُوَ رَجُلٌ يَرْتَدِي سِتْرَةً جَلْدِيَّةً قَصِيْرَةً خَطْوَةً إِلَى الوَرَاءِ، وَرَفَعَ قَدَمَهُ. لَقَدْ أَصَابَتْهُ الرِّكْلَةُ فِي جَنْبِهِ وَتَدَحْرَجَ مِنْ شِدَّةِ الأُمِّ. وَوَرَاءَ الرَّجُلِ الَّذِي يَرْتَدِي سِتْرَةً، وَقَفَ رَجُلٌ آخَرٌ يَضْحَكُ، مَمْسِكًا أُنْفَهُ. نَظَرَ إِلَى الأَثْنَيْنِ، وَوَضَعَ يَدَهُ عَلَى جَيْبِ سِتْرَتِهِ، فَشَعَرَ أَنَّ سِتْرَتَهُ مَبْتَلَّةٌ، وَأَدْرَكَ أَنَّهُ لَا يَزَالُ يَحْتَفِظُ بِالمُسْدَسِ. كَانَ هَنَاقَ طَلْقَانِ نَارِيَانِ مَتَبَقِيَانِ فِي المِمْشَطِ. وَإِذَا هَدَدَهُمَا بِالمُسْدَسِ، فَرِمَا سِيْبِلْغَانِ الشَّرْطَةِ.

صَاحَ الرَّجُلُ الَّذِي يَرْتَدِي السِتْرَةَ، وَرَفَعَ يَدَهُ عَالِيًا. فَوَضَعَ ذِرَاعَهُ فَوْقَ رَأْسِهِ، مَدَافِعًا عَنِ نَفْسِهِ، وَوَقَفَ عَلَى قَدَمَيْهِ مَتَمَايِلًا. وَفَتَحَ الرَّجُلُ الَّذِي كَانَ يُمْسِكُ أُنْفَهُ البَابِ بِابْتِسَامَةٍ عَرِيْضَةٍ، وَرَكَلَ مَوْخِرَتَهُ فِي أَثْنَاءِ خُرُوجِهِ. أَغْلَقَ البَابَ وَرَاءَهُ بِقُوَّةٍ، وَسَمِعَ الرَّجْلَيْنِ يَصْعَدَانِ السَّلْمَ بِخَطِيْ ثَقِيْلَةٍ. نَظَرَ إِلَى سَاعَتِهِ: إِنَّهَا الرَّابِعَةُ صَبَاحًا. كَانَ الظَّلَامُ لَا يَزَالُ حَالِكًا، وَدَرَجَةُ الحَرَارَةِ مُنخَفِضَةٌ جَدًّا؛ حَيْثُ تَجَمَّدَ حَتَّى مُخِّ العَظْمِ. وَحِينَ تَلَمَّسَ ظَهْرَ سِتْرَتِهِ وَجَدَ أَنَّهَا مَبْتَلَّةٌ، وَكَذَلِكَ سَاقِي سُرُوَالِهِ. كَانَتْ تَفُوحٌ مِنْهُ رَائِحَةٌ بُولِ. هَلْ تَبَوَّلَ عَلَى نَفْسِهِ؟ لَا، لَا بَدَّ مِنْ أَنَّهُ كَانَ مُسْتَلْقِيًا عَلَيْهِ، فِي بَرَكَةٍ مِنْ البُولِ عَلَى الأَرْضِ؛ بُولٌ مَتَجَمَّدٌ أَذَابَهُ دَفَاءَ جَسَدِهِ.

دَسَّ يَدَيْهِ فِي جَيْبَيْهِ، وَشَرَعَ بِالْهَرُولَةِ عَلَى الطَّرِيقِ. لَمْ تَعُدَّ السِّيَارَاتُ المَارَةَ بِجَانِبِهِ تُزَعِجُهُ.

تمتم المريض عبارة: "شكراً لك". أغلق ماثياس لوند - هِلِغْسِين الباب وراءه، وارتقى على كرسيّ مكتبه. تثناءً ونظر إلى الساعة: إنها السادسة. كانت لا تزال أمامه ساعة قبل حلول موعد نوبة عمل الصباح، وتمكّنه من العودة إلى المنزل، والنوم لساعات قليلة، ومن ثم الذهاب إلى منزل راكيل. لا بد من أن تكون مستلقية تحت اللحاف السميك في المنزل الخشبيّ في هولمِنكولفن في هذه اللحظة. لم يكن قد تمكّن بعد من إيجاد الأسلوب المناسب للتقرب من الفتى، ولكنه سيتمكن من إيجاده كما جرت العادة مع ماثياس لوند - هِلِغْسِين. فأولِغ لا يكرهه، ولكنه أقام صلة قوية جداً مع الصديق السابق؛ الشرطي. غريب كيف يستطيع ولد رَفَع مُدمن مضطرب إلى مستوى والدٍ وهوذَج يُحتذى بدون اعتراض.

كان يفكر في ذِكر هذا الأمر لراكيل، ولكنه تخلّى عن ذلك لأنه سيُظهره بمظهر الغبيّ ليس إلا، بل سيجعلها أيضاً على التساؤل عما إذا كان الرجل المناسب لهما، وهو يريد أن يكون الرجل المناسب. كان مستعداً لكي يكون الشخص الذي يقتضيه الظرف للاحتفاظ بها. كان عليه سؤالها عنه بالطبع، وقد فعل. ماذا عن ذلك الشرطي، فأجابت أن لا شيء مميّز فيه باستثناء حبها له. ولو لم تصغ عبارتها بهذه الطريقة لَمَا فُكّر ربما بسبب عدم استخدامها تلك الكلمة من قَبَل.

سُرف ماثياس لوند - هِلِغْسِين هذه الأفكار التافهة من عقله، وتحقق من اسم المريض التالي على شاشة الكمبيوتر، ثم توجه إلى الجناح المركزي حيث تستقبل الممرضات المرضى في بادئ الأمر، ولكنه كان مُقفرّاً في هذا الوقت من الليل، لذا توجه إلى غرفة الانتظار.

لقد نظر إليه خمسة أشخاص بعيون متوسلة. وكان هناك رجل إضافي في الزاوية البعيدة ينام فاتحاً فمه، ومُسنداً رأسه إلى الجدار. لا بد من أن يكون مُدمن مخدرات. فالسترة الزرقاء ورائحة التبول غير المستساغة المنبعثة منه تشيران إلى رغبته في الحصول على الحبوب.

توجه إليه ماثياس وفرك أنفه، وهزّه بقوة، ثم عاد خطوة سريعة إلى الوراء. فبعد سنوات من حرمانهم من المخدرات والمال أو نفادها منهم، قلّة هم مُدمنو المخدرات الذين لا يكون لديهم رد فعل تلقائيّ إذا تمّ إيقاظهم؛ أي اللجوء إلى الضرب أو الطعن بسكين.

طرف الرجل عينيه، ونظر إلى ماثياس بعينين صافيتين على نحو مثير للدهشة.

"كيف يمكنني مساعدتك؟". سأله ماثياس؛ إذ إن طرح هذا السؤال

على المريض عندما يكون معه بمفرده إجراء قياسي، ولكن ماثياس سئم حتى الموت من مُدمني المخدرات والشراب الذين يستنفدون الوقت والموارد المخصّصة للمرضى الآخرين.

أحكّم الرجل إغلاق ستّرتّه ولم يقل شيئاً.
"مرحباً، يجب عليك أن تُخبرني عن سبب وجودك هنا."
فهز الرجل رأسه، وأشار إلى أحد الأشخاص الآخرين كما لو أنه يشرح أن دوره لم يحن بعد.

"هذه ليست غرفة استراحة"، قال ماثياس. "لا يُسمح لك بالنوم هنا. هيا انصرف، الآن".

"لا أفهم"، قال الرجل.

"غادر"، قال ماثياس، "وإلا اتصلتُ بالشرطة".

أدرك ماثياس أن عليه السيطرة على نفسه، وليس جرّ مُدمن المخدرات هذا عن الكرسي إلى الخارج، وقد أثار ذلك دهشته، والتفت الآخرون للمشاهدة.

أوماً الرجل برأسه، ووقف على قدميه بصعوبة، فيما وقف ماثياس يراقبه بعد انزلاق الباب الزجاجي.

"حسناً فعلتَ برميّه إلى الخارج"، قال صوت وراءه.

فأوماً ماثياس برأسه شارد الذهن. ربما لم يكن عدد المرات التي أعرب لها فيها عن حبه كافياً. ربما هذا هو السبب.

إنها السابعة والنصف، والظلام لا يزال حالكاً خارج قسم جراحة الجهاز العصبي، وفي الغرفة 19، كان الشرطي ستراندين ينظر إلى السرير المرتّب والشاغر حيث كان جون كارلسن يستلقي. فقريباً، سيشغله مريض آخر. إنها فكرة غريبة، ولكنه بحاجة إلى العثور على سرير ليستلقي عليه. تتأب وتحقق من عدم ترك أي شيء على الطاولة قرب السرير، ثم التقط الصحيفة عن الكرسي، واستدار استعداداً للمغادرة.

كان هناك رجل يقف في مدخل الباب. إنه المفتش هول.

"أين هو؟".

"لقد ذهب"، قال ستراندين. "لقد أتوا لاصطحابه قبل ربع ساعة".

"آه! ومَن أذن بذلك؟".

"المستشار. ما عادوا يريدونه هنا".

"أعني من أذن بنقله؟ وإلى أين؟".

"إنه رئيسك الجديد في فريق مكافحة الجريمة. لقد اتصل."
"هاغن؟ شخصياً؟".

"أجل. وتمّ اصطحابه إلى شقة شقيقه".
فهز هول رأسه ببطء، ومن ثم غادر.

كان الفجر يبرز في الشرق في أثناء صعود هاري بمشقة درج المجمع السكني البني المائل إلى الحمرة، والمبني بالآجر في بوابة غوربيتز. توقف في الطابق الأول كما طُلب منه عبر الهاتف الداخلي المثبت عند باب المدخل. وقرأ اسم روبرت كارلسن على قطعة بلاستيكية مستطيلة زرقاء وباهتة معلّقة على باب الشقة الذي تُرك مفتوحاً جزئياً.

دخل هاري وألقى نظرة متفحّصة وسريعة على الشقة. إنه استوديو بالغ الصغر يؤكد الانطباع الذي يكونه المرء عن روبرت لدى رؤيته مكتبه؛ علماً أنه لا يمكن استبعاد احتمال إسهام لي ولي في التسبب بحالة الفوضى في أثناء بحثهما عن رسائل وأوراق أخرى يمكن أن تساعدهما. هيمنت صورة ملوّنة على أحد الجدران.

"إذًا، قرر غونار هاغن أنه يُفترض نقلك إلى هنا؟". خاطب هاري ظهْر الشخص الجالس إلى الطاولة بجانب النافذة.

"أجل"، قال جون كارلسن مستديراً نحوه. "بما أن الرجل المسلح يعرف عنوان شقتي، قال رئيسك إنني سأكون بأمان أكبر هنا".
"حسناً". قال هاري ناظراً حوله. "هل نمت جيداً؟".

"ليس تماماً". وظهرت على وجه جون كارلسن ابتسامة مُحرجة. "كنت أستلقي مُصغياً إلى أصوات لم تكن موجودة. وعندما استغرقت في النوم أخيراً، جاء ستراندن وأخافني في وَضح النهار".

أزال هاري كومة من مجلات القصص الهزلية عن أحد الكراسي، وارتمى عليه. "يمكنني أن أفهم سبب خوفك يا جون. هل فكرت في من يريد قتلك؟".

فتنهّد جون. "لم أفكر في أي شيء آخر منذ الليلة الماضية. ولكن الجواب هو نفسه: لا فكرة لديّ البتة".

"هل سبق لك أن زرت زغرب يوماً؟". سأل هاري. "أو كرواتيا؟".
فهز جون رأسه قائلاً: "أبعد مكانين ذهبْتُ إليهما هما السويد والدانمارك. كنت مجرد فتى آنذاك".

"هل تعرف أي أشخاص كرواتيين؟".

"أعرف فقط اللاجئين الذين نؤمن لهم المسكن".

"حسناً. هل أوضح لك رجال الشرطة سبب نقلك إلى هنا بصفة خاصة؟".

هز جون كتفيه. "قلتُ إنني أملك مفتاحاً للشقة. وهي فارغة بالطبع، لذلك...".

مرّر هاري يده على وجهه.

"كان هناك جهاز كمبيوتر هنا"، قال جون مشيراً إلى الطاولة.

"لقد أخذناه"، قال هاري واقفاً مرة أخرى.

"هل عليك المغادرة الآن؟".

"عليّ اللحاق برحلة جوية إلى برغن".

"آه!". قال جون محدقاً إليه بطريقة خالية من أي تعبير، فشعر

هاري برغبة في وضع يديه على كتفي جون لطمأنته.

تأخر القطار السريع المتجه إلى المطار. إنها المرة الثالثة على التوالي.

"بسبب تأخير ما"، جاء التبرير الوجيه والمُبهم. كان أويستن إيكلاندر، وهو

سائق سيارة الأجرة الذي يُقَلُّ هاري، وصديقه الوحيد منذ الطفولة، قد

شرح لهاري أن المحرك الكهربائي للقطار من أبسط المحركات في الوجود.

فباستطاعة شقيقته الصغيرة أن تشغله، وإذا تبادل الفريق التقني في أس

أيه أس المهام مع تقنيي سكك الحديد النرويجية ليوم واحد، فستسير كل

القطارات في الوقت المحدد، فيما ستبقى كل الطائرات على الأرض. كان

هاري يفضل بقاء الوضع على حاله.

اتصل بالخط المباشر لغونار هاغن بعد خروجهما من النَّفق قبل

ليلستروم.

"هول يتكلم".

"يمكنني أن أسمع".

"أذنتُ بمراقبة جون كارلسن على مدار الساعة، ولم آذن بنقله من

مستشفى أوليفال".

"المستشفى هو الذي يبت في الحالة الثانية"، قال هاغن، "وأنا أبت

في الحالة الأولى".

عدّ هاري ثلاثة منازل قبل أن يجيب. "لقد أوكلت إليّ مسؤولية

إجراء هذا التحقيق ياهاغن".

"أجل، ولكن ليس مسؤولية نفقات العمل الإضافي التي تتخطى الميزانية

منذ زمن طويل كما تعلم".

"الفتى خائف جداً"، قال هاري. "وأنت وضعته في الشقة العائدة

لضحية القاتل؛ شقيقه، لتدخر بضع مئات من الكرونات في اليوم بدلاً من استئجار غرفة له في الفندق".

أعلنت مكبرات الصوت عن مكان التوقف التالي.
"ليلستروم!". بدا هاغن متفاجئاً. "هل أنت على متن القطار السريع المتجه إلى المطار؟".

فلفظ هاري لعنة صامتة وقال: "سأقوم برحلة سريعة إلى برغن".
"هكذا إذاً؟!".

فازرد هاري لعبه. "سأعود بعد ظهر هذا اليوم".
"هل جنت يارجل؟ الأضواء مسلطة علينا هنا. وسائل الإعلام...".
"نحن على وشك دخول نفق"، قال هاري ضاغطاً على الزر الأحمر.

استفاقت رانهيلد غيلستراب من نومها ببطء، ووجدت الغرفة غارقة في الظلام، ولكنها لم تتمكن من تمييز صوت ما كان مسموعاً بوضوح. إنه أشبه بصوت ساعة ميكانيكية كبيرة، ولكن لا ساعات مماثلة لديهم في غرفة النوم. تدرجت على السرير ثم انكلمت خوفاً. ففي الظلام، رأت شخصاً عارياً يقف عند حافة السرير ويتأملها.
"صباح الخير يا حبيبتي"، قال.
"مادس! لقد أخفتني".
"حقاً!".

كان قد استحم للتو، وكان باب الحمام وراءه مفتوحاً، فيما قطرات المياه تتساقط من جسده على الأرض الخشبية مصدرة صوتاً خافتاً.
"هل كنت واقفاً على هذا النحو منذ مدة طويلة؟". سألت وهي تلّف اللحاف السميك حولها بشكل مُحكم.
"ماذا تعنين؟".

فهزت كتفها، ولكنها كانت مرتبكة. لقد أثار انتباهها قوله ذلك بطريقة فَرحة ومُغيظة تقريباً، إضافةً إلى ابتسامته الصغيرة. لم يسبق له أن تصرف على هذا النحو مطلقاً. فتمددت وتثاءبت؛ إنه تظاهر، أقرت لنفسها.
"متى عدت إلى المنزل في الليلة الماضية؟". سألت. "لم أستيقظ".
"لا بد أنك كنت تستمتعين بنوم البريء". وأطلق تلك الابتسامة الصغيرة مجدداً.

أمعنت النظر إليه؛ فقد تغير كثيراً في الأشهر الأخيرة. كان نحيلاً على الدوام، ولكنه يبدو الآن أكثر قوة وذا لياقة بدنية أكبر. لقد تساءلت

بالطبع عما إذا كان يحظى بعشيقته، ولكن ذلك لم يضايقها كثيراً، أم إن هذا ما اعتقدته.

"أين كنت؟". سألت.

"كنت أتناول وجبة مع جان بتر سيسنر".

"أنقصد سمسار الأسهم؟".

"أجل. إنه يعتقد أن توقعات السوق جيدة للعقارات أيضاً".

"أليس من واجبي التحدث إليه؟" سألت.

"ألا تعتقدين أنني أزودك بالمستجدات بشكلٍ كافٍ يا عزيزتي؟".

نظر إليها والتقت نظراتهما، وشعرت بأمر لم يحدث من قبل قطّ

عندما كانت تتحدث إلى مادس؛ فقد احمرّ وجهها.

"أنا واثق من أنك تقولين لي ما أحتاج إلى معرفته يا حبيبتي". ودخل

الحمام مجدداً، وسمعته يفتح الصنبور.

"كنت أتمعن بفكرتين عن العقارات المثيرة للاهتمام"، صاحت لتقول

شيئاً ما وتكسر جدار الصمت الغريب.

"أنا أيضاً"، صاح مادس. "ذهبتُ أمس لإلقاء نظرة على مبنى سكني

في غوتربورغاتا؛ ذلك الذي يملكه اتحاد الرعاية الاجتماعية كما تعلمين".

فتسمّرت في مكانها. شقة جون.

"إنه عقار جيّد. ولكن، هل تعلمين؟ كان هناك شريط شرطة فوق

باب إحدى الشقق. أخبرني أحد السكان أن إطلاقاً للنار حدث هناك. هل

يمكنك أن تتخيّلي ذلك؟".

"حسناً، لا يمكنني تخيّل ذلك أبداً"، صاحت. "ما سبب وجود شريط

الشرطة؟".

"هذا ما تقوم به الشرطة؛ حماية المكان في أثناء قلب الشقة رأساً

على عَقَب بحثاً عن بصمات أصابع وحمض نووي لمعرفة مَنْ كان موجوداً.

بأي حال، ربما يكون اتحاد الرعاية الاجتماعية راغباً في تخفيض السعر إذا

كان هناك إطلاق نار في المبنى، ألا تعتقدين ذلك؟".

"إنهم لا يريدون البيع. لقد أخبرتك بذلك".

"ما كانوا راغبين في البيع يا حبيبتي".

وتبادرت فكرة إلى ذهنها. "لماذا تفتش الشرطة الشقة إذا حدث إطلاق

النار في الممر في الخارج؟".

سمعت مادس يُغلق الصنبور فرفعت نظرها إليه. كان واقفاً في مدخل

الباب وقد رسم ابتسامة صفراء على وجهه الذي تغطيه رغوة الحلاقة،

ويحمل آلة حلاقة بيده. بعد قليل، سيقوم برش عطر ما بعد الحلاقة مرتفع الثمن الذي لا تُطيقه.
"ما الذي تتحدثين عنه؟". قال. "لم أقل أي شيء عن الممرات. ولماذا هذا الشحوب يا حبيبتي؟".

كانت الشمس قد أشرقت متأخرة، ولا تزال هناك طبقة من الضباب الجليدي الشفاف فوق حديقة سوفيينبرغ العامة في أثناء اندفاع رانهيلد عبر بوابة هلغسنز، متنفساً داخل لفاعها البيج من طراز بوتيجا فينيتا. حتى الصوف الذي يتم شراؤه من ميلان بتسعة آلاف كرون لا يمكنه درء البرد، ولكنه يغطي وجهها على الأقل.

بصمات أصابع، حمض نووي؛ لمعرفة من كان موجوداً هناك. يجب ألا يحدث ذلك لأن العواقب ستكون كارثية.
وانعطفت عند الزاوية في اتجاه غوتربورغاتا. لم تكن هناك أي سيارات شرطة في الخارج بأي حال.

انزلق المفتاح داخل قفل المدخل الرئيس، فدخلت وتوجهت إلى المصعد بسرعة. لقد مضى وقت طويل منذ الزيارة الأخيرة التي قامت بها إلى هذا المكان، وكانت هذه المرة هي الأولى التي تصل فيها على نحو غير متوقَّع بالطبع.

كان قلبها يخفق بقوة مع تحرك المصعد نحو الأعلى، وكانت تفكر في شعرها داخل الحمام، وفي ألياف ملابسها على السجادة، وبصمات أصابعها المنتشرة في كل مكان.

كان الممر فارغاً، ويُشير الشريط البرتقالي الموضوع على امتداد الباب إلى أن المنزل فارغ، ولكنها قرعت الباب بأي حال وانتظرت. بعد ذلك، أخرجت المفتاح وحاولت إدخاله في القفل ولكن من دون جدوى. حاولت مجدداً، ولكنها لم تتمكن إلا من إدخال رأس المفتاح في الجزء الأسطواني. ياالله! هل غير جون القفل؟ أخذت نفساً عميقاً، ثم أدارت المفتاح في محاولة جديدة.

انزلق المفتاح داخل القفل الذي أصدر طقّة ناعمة في أثناء فتحه.
تنشّقت رائحة الشقة التي تعرفها جيداً، ثم اتجهت إلى خزانة الملابس حيث يحتفظ بالمكنسة الكهربائية. إنها مكنسة سوداء من طراز سيمنز في أس 08 جي 2040 مماثلة لتلك التي لديها في المنزل، تبلغ قوتها الكهربائية 2000 واط، وهي الأقوى في السوق، وتُصدر هديراً أجش عندما

تصلها بالمقبس في الجدار. كانت الساعة العاشرة، ويُفترض بها تنظيف كل الأرضيات، ومسح كل الجدران في غضون ساعة. نظرت إلى باب غرفة النوم المغلق، وتساءلت إن كان يجدر بها الشروع بتنظيف ذلك المكان حيث الذكريات والأدلة هي الأقوى. لا.

لقد تذكّرت الرسائل بعد دقائق قليلة من بدء عملية التنظيف. يا الله! كادت تنسى أنهم قد يعثرون على الرسائل التي كتبتها؛ الرسائل الأولى التي عبّرت فيها عن أحلامها ورغباتها الكامنة في عمق أعماقها؛ الرسائل الأخيرة اليائسة التي توّسّلت إليه فيها للبقاء على اتصال. تركت المكنسة فوراً، ووضعت الخرطوم على الكرسي، وأسّرت نحو طاولة جون، وشرعت بفتح الأدراج. كان الأول يحتوي على أقلام حبر وشريط لاصق. ووجدت في الثاني دليل هاتف، فيما كان الثالث مُقفلاً بالطبع.

التقطت الأداة التي تستخدم لفتح الرسائل عن المكتب، ودسّتها فوق القفل، ثم انحنت بكل قوّتها في اتجاه المقبض. وبينما كانت تفكر في إمكانية انكسار أداة فتح الرسائل، انشقت الناحية الأمامية للدُّرج على امتداد طوله، فسحبت الدُّرج بقوة، وأزالت الكسر الخشبية، ونظرت إلى المغلفات. كانت هناك أكوام منها، فقلّبتها بأصابعها: هافسلاند إنرجي، دن نورسك بنك، إنتليدجنت فايننس، اتحاد الرعاية الاجتماعية، ومغلّف فارغ قامت بفتحه، فقرأت في أعلاه "ابني العزيز". واصلت البحث في كومة المغلفات. ها هو! إنه المغلف الذي يحمل اسم اعتمادات مالية للاستثمار - غيلستراب إينفست - بلون أزرق باهت في الزاوية اليمنى السفلية. أخرجت الرسالة، شاعرةً بالارتياح.

وعندما أنهت القراءة، وضعت الرسالة جانباً، وشعرت بالدموع تسيل على خديها. لقد بدا الأمر كما لو أنها كانت ضريرة وبات باستطاعتها الإبصار الآن، وكما لو كل شيء لا يزال على حاله. لقد بدا الأمر كما لو أن كل شيء اعتقدته ورفضته ذات مرة بات صحيحاً مجدداً. فالرسالة موجزة، ولكن كل شيء تغيّر بعد أن قرأتها.

كانت المكنسة الكهربائية تهدر، وتحجب بصوتها كل الأصوات الأخرى، فلم تسمع صوت حركة المرور الصادرة من الشارع، ولا صوت الباب لدى إغلاقه، أو الشخص الواقف وراء كرسيها مباشرةً. وعندما شمّت رائحة عطره انتصب شعر عنقها.

á á á

هبطت طائرة أس آيه أس في مطار فيلسلاند وسط رياح غربية

عاصفة. في سيارة الأجرة المتوجهة إلى برغن، كان زجاج السيارة الأمامي يهسهس، والإطارات الشتوية المدعّمة بالمسامير تُحدث صوت سَحَق على الإسفلت الأسود المبلّل في أثناء شقها طريقها بين التلال الصخرية المكّلة بأعشاب مبلّلة وأشجار عارية. إنه الشتاء في النزوح الغربية.

وعندما وصلوا إلى فيلينغسدالن، اتصل سكار.

"عثرنا على شيء ما".

"إذًا، هاتِ ما عندك".

"بحثنا في سوّاقه روبرت كارلسن الصلبة. الشيء الوحيد المثير للشُّبهة هو عثورنا على موقعين إباحيين زارهما عبر الإنترنت".

"يمكننا العثور أيضاً على مثل هذين الموقعين في جهازك ياسكار. ادخل صلب الموضوع".

"لم نعثر على أي شخص مُثير للشُّبهة في الأوراق أو الرسائل".

"سكار...". حدّر هاري.

"من جهة ثانية، عثرنا على جزء من تذكرة مثيرة للاهتمام"، قال. "احزر الوجّهة".

"سأضربك بقسوة".

"إلى زَغرب"، أضاف سكار بسرعة. وعندما لم يُجب هاري أضاف: "في

كرواتيا".

"شكراً لك. متى كان تاريخ الرحلة الجوّية؟".

"في تشرين الأول/أكتوبر. المغادرة في 12 تشرين الأول/أكتوبر، والعودة في مساء اليوم نفسه".

"حسناً. يوم واحد فقط في زَغرب. لا يبدو أنه يوم عطلة".

"تحققتُ من الأمر مع المديرية في فريتكس في كيركفين، وقالت إن روبرت لم يَقم بأي عمل لصالحهم في الخارج".

أنهى هاري المكالمة متسائلاً عن سبب عدم إبلاغه سكار بسروره بالعمل الذي قام به. كان باستطاعته القيام بذلك، لا مشكلة. هل يصبح خسيساً مع تقدّمه في السن؟ لا، قال في سرّه، في أثناء تناوله من سائق سيارة الأجرة الكرونات الأربعة المتبقية له من التعرّف؛ طالما كان خسيساً.

خرج هاري إلى عاصفة مفاجئة رديئة، ومشى خطى قليلة متجهاً نحو الباب الأمامي لمقهى بورس، ووقف في الداخل ممعناً النظر في أرجاء الغرفة، ومتسائلاً عن جدوى قانون التدخين الوشيك في أماكن كهذه. لقد سبق لهاري أن زار بورس مرتين، وهو المكان الذي يشعر فيه بأنه في

وطنه وغريب في آن واحد. كان الندل يتحركون في أرجاء المكان بعجلة؛ مرتدين سترات حمراء، وعلى وجوههم تعابير تقول إنهم يعملون في مؤسسة ذات شأن عالٍ، في حين أنهم يخدمون زبائن محليين كثيري الشكوى، وصيادي أسماك متقاعدین، وبحارة من زمن الحرب ذوي قدرة عالية على الاحتمال، وأشخاص آخرين انقلبت حياتهم. عندما قصد هاري المكان للمرة الأولى، كان هناك شخص شهير مُرهق يرقص التانغو بين الطاولات مع صياد سمك، في حين تغني سيدة أكبر سنًا بالألمانية بمرافقة عزف أكورديون، وتقول بسرعة وسهولة كلمات إيقاعية يُسمع حرف أر في آخرها في أثناء توقف العزف على الآلات الموسيقية.

عثرت عينا هاري على ما كانتا تبحثان عنه، فتوجّه إلى الطاولة حيث يجلس رجل نحيل، وطويل القامة، وأمامه كأس شراب فارغة تقريباً. "أيها الرئيس".

وارتفع رأس الرجل لدى سماعه صوت هاري. كان بؤبؤا عينيه يتقلصان وراء غشاوة الثمالة.

"هاري!". كان الصوت واضحاً وجليّاً، وقد فاجأه الأمر.

سحب هاري كرسيّاً شاغراً كان إلى جانب الطاولة المجاورة.

"هل مررت صدفة بهذا المكان؟". سأل بيارني مولر.

"أجل".

"كيف عثرت عليّ؟".

لم يُجب هاري. كان قد أعدّ نفسه لما سيراه، ولكنه لم يصدّق عينيه. "إذًا، إنهم ينشرون الشائعات في المركز، أليس كذلك؟ حسناً، حسناً". وتناول مولر جرعة كبيرة من الكأس. "إنّه تبادل غريب للأدوار، أليس كذلك؟ فأنا من كان يجدر عليّ هذه الحال".

انحنى هاري فوق الطاولة. "ماذا حدث أيها الرئيس؟".

"ما سبب احتساء رجل ناضج الشراب في أثناء ساعات العمل عادة

يا هاري؟".

"إنّما أن يكون قد طُرد من وظيفته، أو تخلّت عنه زوجته".

"لم أترد بعد وفقاً لمعلوماتي". وضحك مولر. كانت كتفاه تهتزان من

دون أن يصدر عنه أي صوت.

"هل كاري...؟" وصمت هاري نظراً إلى عدم تمكّنه من صياغة عبارته.

"لم يرافقني أيّ من أفراد عائلتي. لا بأس. كان ذلك مقرراً مُسبقاً".

"ماذا؟".

"أفتقد الفتيان بالطبع. أنا أتدبر أموري. إنها مجرد... ماذا يدعونها؟... مرحلة انتقالية... ولكن هناك كلمة أكثر أناقة... أليس كذلك؟". وانحنى رأس بيارني مولر فوق كأسه.

"لنقم بنزهة سيراً على الأقدام". قال هاري ملوحاً بيده لأجل إحصار الفاتورة.

بعد خمس وعشرين دقيقة، كان هاري وبيارني مولر واقفين على جبل فلوين، وموجهين أنظارهما إلى الأسفل نحو ما يمكن أن تكون برغن؛ فيما السحب تتجمع فوقهما. لقد قامت عربة تلفريك أشبه بقطعة حلوى تسحبها أسلاك فولاذية سميكة، بنقلهما من وسط المدينة.

"ألهذا السبب جئت إلى هنا؟" سأل هاري. "لأنك وكاري ستفصلان". وتنهّد هاري قبل أن يتابع كلامه: "احتساء الشراب لن يساعدك أيها الرئيس. فالأمور ستسوء عندها".

"هذا ما أنا عليه يا هاري. كيف تتدبر أمورك مع غونار هاغن؟".
"لا بأس. إنه مُحاضر جيد".

"لا تقترف خطأ الاستهانة به يا هاري. إنه أكثر من مُحاضر. فقد خدم غونار هاغن في أف أس كيه طوال سبع سنوات".
"هل خدم في القوات الخاصة؟". سأل هاري متفاجئاً.

"بالفعل. قال لي الضابط المُشرف إنه أُعيد تجنيد هاغن في أف أس كيه عام 1981 عندما أُعدت القوة لحماية أبراج حفر آبار النفط في بحر الشمال. ونظراً إلى كونها مهمة سرّية، لم يرد ذكرها في سيرته الذاتية".
"أف أس كيه"، قال هاري مُدركاً تسرب المطر البارد عبر سترته وصولاً إلى كتفيه. "سمعتُ أن الولاء هناك قويٌّ على نحو غير مألوف".
"الأمر أشبه بأخوية لا يمكن اختراقها".

"هل تعرف شخصاً آخر كان في القوات الخاصة؟".
هز مولر رأسه نائفاً، وكان يبدو واعياً. "هل هناك أي جديد في التحقيق؟ وردتني بعض المعلومات من الداخل".
"لا جديد، حتى إننا لا نعرف الدافع".

"الدافع هو المال"، قال مولر متنحنحاً. "الجشع، الاعتقاد الباطل بأن الأمور ستتغيّر إذا كنت تملك المال، وأنه يمكنك أن تتغيّر أيضاً".
"المال!". ونظر هاري إلى مولر قائلاً: "ربما".

بصق مولر اشمئزاً وقال: "اعثر على المال. اعثر على المال واتبعه. فهو يقودك إلى الجواب دائماً".

لم يسبق لهاري أن سمعه يتكلم على هذا النحو، ليس بهذا اليقين التام الذي يجعله يبدو كما لو أن لديه معرفة بكنه الأمور يفضل عدم امتلاكها.

أخذ هاري نفساً عميقاً واتخذ خطوة جريئة. "أيها الرئيس، تعلم أنني لا أحب أن أدور حول الموضوع، لذلك إليك ما قَدِمْتُ لأجله. أنت وأنا من الأشخاص الذين لا يملكون العديد من الأصدقاء. وحتى إن لم تكن تعتبرني صديقاً لك ربما، فأنا صديق من نوع ما بأي حال". راقب هاري مولر، ولكنه لم يرَ أي رد فعل.

"جئت إلى هنا لمعرفة ما إذا كان هناك شيء ما يمكنني القيام به، وما إذا كنت تريد التحدث عن أي شيء أو...".

لم يُبدِ مولر أي رد فعل أيضاً. "حسناً، سأكون تافهاً إذا قلتُ لك إنني أعرف سبب قدومي أيها الرئيس. ولكنني هنا بأي حال".

أرجع مولر رأسه إلى الورا وتأمل السماء. "هل تعرف أن سكان برغن يدعون ما يوجد وراءنا جبلاً؟ وهي كذلك في الواقع. إنها جبال حقيقية. وهي تقع على بُعد ست دقائق بواسطة عربة التلفريك من وسط ثاني أكبر مدينة في النرويج، هناك أشخاص تاهوا وماتوا في ذلك المكان. هذا غريب، أليس كذلك؟".

فهز هاري كتفيه. وتنهَّد مولر قائلاً: "لن يتوقف المطر. فلنعد إلى الأسفل". في الأسفل، سارا نحو صف سيارات الأجرة. "يتطلب الأمر عشرين دقيقة لبلوغ مطار فيلسلاند الآن قبل ساعة الدُّروة"، قال مولر.

أوماً هاري برأسه، وانتظر قليلاً قبل أن يدخل، فابتلت سترته كثيراً. "اتبع المال"، قال مولر واضعاً يده على كتف هاري. "قُم بما يتعين عليك القيام به".

"أنت أيضاً أيها الرئيس". رفع مولر يده في الهواء وشرع بالسير، ولكنه استدار لدى دخول هاري سيارة الأجرة، وصاح بشيء ما طغى عليه ضجيج حركة المرور. شغل هاري هاتفه المحمول في أثناء عبور السيارة ميدان داغماركس. كانت هناك رسالة نصية بانتظاره من هالفورسن يطلب منه فيها الاتصال به. فطلب هاري الرقم.

"حصلنا على بطاقة اعتماد ستانكيك"، قال هالفورسن. "ابتلعها الصراف الآلي في يونغستورغت ليلة أمس قرابة الساعة الثانية عشرة".
"إذًا، كان قادمًا من هناك عندما أغرنا على النُّزْل"، قال هاري.
"أجل".

"تقع يونغستورغت على مسافة بعيدة"، قال هاري. "لا بد من أن يكون قد ذهب إلى هناك خوفًا من اقتفاء أثر البطاقة إلى مكان قريب من النُّزْل. ويوحى ذلك بأنه بحاجة ماسّة إلى المال".
"ولكن الوضع يميل لصالحنا"، قال هالفورسن. "فالصراف الآلي يخضع لمراقبة كاميرا بالتأكيد".
"حسنًا، ماذا بعد؟".

صمت هالفورسن متباهياً.
"هيا"، قال هاري. "إنه لا يُخفي وجهه، أليس كذلك؟".
"لقد ابتسم وهو ينظر إلى الكاميرا مباشرةً؛ كما لو أنه بطل فيلم"، قال هالفورسن.

"هل حصلت بتي على التسجيل؟".
"إنها منكبّة عليه الآن".
كانت رانهيلد غيلستراب تفكر في جوهانز وفي مدى اختلاف كل شيء. ليتها تبعت قلبها؛ فلطالما كان أكثر حكمة من عقلها. غريب كيف أنه لم يسبق لها أن كانت بمثل هذه الحالة من الحزن. ومع ذلك، تخطّت رغبتها في العيش الآن كل رغبة لها في الحياة سابقاً.
أن تحيا لوقت أطول بقليل.
لأنها تعرف كل شيء.

لقد حدّقت إلى الفوّهة السوداء وعرفت ما رأته، وما سيحدث.
أخفى هدير محرك مكنسة سيمنز في أس 08 جي 2040 الخفيف صراخها. وسقط كرسيّ على الأرض، فيما دنت فوّهة المكنسة ذات القدرة الكبيرة على الامتصاص من عينها. فحاولت إطباق جفونها بشدة، ولكنها بقيت مفتوحة بواسطة أصابع قوية أرادتها أن ترى، ورأت، وعلمت ما سيحدث.

17 - الخميس، 18 كانون الأول/ديسمبر. الوجه

كانت ساعة الجدار فوق المنضدة في الصيدلية تشير إلى التاسعة والنصف، وكان الناس جالسين في الغرفة وهم يسعلون، وقد أغمضوا عيونهم الناعسة، أو يتناوبون على إلقاء نظرات سريعة تنتقل بين العدد الرقمي الأحمر على الجدار ورقمهم في الصف؛ كما لو أن الأرقام بطاقة للحياة. لم يكن قد أخذ رقماً من الآلة، وأراد الجلوس بجانب أجهزة التسخين في الصيدلية، ولكن شعوراً انتابه بأن السترة الزرقاء تجذب انتباهاً غير مرغوب فيه؛ لأن الموظفين بدأوا يرمقونه بنظراتهم. حدّق إلى خارج النافذة؛ وراء الضباب، وتمكن من رؤية الخطوط الكفافية لشمس ضعيفة عاجزة. مرّت سيارة شرطة بجانب المكان. لديهم كاميرات أمنية هنا، وعليه المغادرة، ولكن إلى أين؟ فمن دون مال سيُرمى خارج المقاهي والفنادق، وهو لم يَعد يملك بطاقة ائتمان. ففي الليلة السابقة، كان قد قرر سحب المال من الصراف الآلي بالرغم من علمه بوجود مخاطرة باقتفاء أثر البطاقة. لذا، بحث بعد خروجه من النُزل في المساء عن صرّاف آلي على مَبعدة من المكان. ولكن الآلة ابتلعت بطاقته من دون إعطائه أي شيء باستثناء تأكيدها على ما يعرفه؛ أي إنهم يحاصرونه. إنه محاصر مجدداً.

كان مطعم بيسكيت الفارغ جزئياً مغموراً بالموسيقى. إنها الفترة الهادئة بعد الغداء وقبل وجبات المساء، لذلك جلس تور بيورغن بجانب النافذة وشرع بالتحديق نحو الخارج بطريقة حاملة. ليس لأن المنظر يروق له، بل لأن أجهزة التدفئة موجودة تحت النوافذ، وهو لم يكن يشعر بالدفء كما يبدو. كان في مزاج سيئ، فعليه شراء بطاقة الرحلة الجوية إلى كايب تاون في غضون اليومين التاليين، ولم يكن قد استنتج بعد سوى ما يعرفه منذ مدة طويلة؛ وهو أنه لا يملك مالاً كافياً. فبالرغم من بذله قُصارى جهده، لم يتمكن من جمع المبلغ. فهناك مرآة الروكوكو التي اشتراها للشقة في الخريف بالطبع. ولكن، كان هناك الكثير من احتساء الشراب، وتعاطي المخدرات، وأمور أخرى مرتفعة التكلفة. لم يفقد سيطرته على الأمور بالتأكيد، ولكن الوقت قد حان للفرار من الحفلات التي تسودها الرذيلة نتيجة تعاطي الأقراص المنومة والمخدّرات التي تمنحه الطاقة للعمل ساعات إضافية بهدف تمويل عاداته السيئة. وها هو الآن لا يملك فلساً واحداً في حسابه. لقد احتفل في السنوات الخمس السابقة بمناسباتي

الكرسمس ورأس السنة في كايب تاون بدلاً من العودة إلى وطنه في قرية فيغارديشي، وإلى اتهامات والديه الصامتة، واشمئزاز أعمامه وأبناء أشقائه وشقيقاته المموه قليلاً. لقد استبدل ذلك بثلاثة أسابيع في منطقة تتصف بدرجة حرارة مجمدة لا تحتمل، وبالظلمة الموحشة، والشوق إلى الشمس وحياء الليل النابضة والألعاب الخطيرة. ففي شهري كانون الأول/ديسمبر وكانون الثاني/يناير، تجتاح كايب تاون وكالات دعاية أوروبية، وفرق عمل لتصوير أفلام، وعارضو أفلام، وعارضات. هنا يجد أفراداً مشابهيين له في طريقة التفكير. واللعبة التي يحبها أكثر من سواها هي الموعد من دون سابق معرفة. وفي مكان مماثل لكايب تاون، هناك على الدوام مجازفة من نوع ما. لم يكن يعرف سبب قيامه بمثل هذه الأمور الغريبة؛ فكل ما يعرفه هو أنه بحاجة إلى مواجهة الخطر ليشعر بأنه حي. يجب أن تطرح اللعبة صعوبة محتملة لتكون مثيرة للاهتمام.

ونخر تور بيورغن. لقد كُدرت أحلام يقظته برائحة أمل ألا تكون صادرة من المطبخ. واستدار.

"مرحباً مرة أخرى"، قال الرجل الواقف وراءه.

لو كان بيورغن نادلاً أقل احترافية لظهر على وجهه تعبير مستهجن. لم يكن الرجل الواقف أمامه يرتدي السترة الزرقاء غير اللائقة والرائحة في أوساط مُدمني المخدرات في بوابة كارل جوهانز فحسب، بل كان غير حليق الذقن أيضاً، وأحمر العينين، وتفوح منه رائحة البول التنتنة.

"هل تتذكرني؟". قال الرجل.

في بادئ الأمر، ظنَّ بيورغن أنه يُمازحه، ثم أدرك أن الرجل يشير إلى لقائهما في الحمام. حينئذٍ عرفه. لقد عرف صوته، وفكر في أن التخلي عن الحاجات الأساسية المتمدنة طوال أربع وعشرين ساعة، كآلة الحلاقة والاستحمام والنوم طوال الليل، يجعل مظهر الإنسان على هذا النحو وحُلْم اليقظة الانفعالي الذي تمت مقاطعته هو الذي تسبب بظهور ردِّ فعل بيورغن المستغرب، ولا سيّما بعد زيارة الشرطي الذي كان هنا سابقاً. وربط ذلك بمقتل ذاك المسكين الذي ينتمي إلى اتحاد الرعاية الاجتماعية.

"أحتاج إلى مكان ما أُقيم فيه"، قال الرجل.

طرفت عينا بيورغن بقوة من دون أن يتمكن من تصديق ما يسمعه. فهذا هو يقف قبالة رجل ربما يكون قاتلاً، رجل يُشتبه بقتله شخصاً ما بدم بارد. إذًا، لماذا لم يدع كل شيء خلفه ويركض إلى الخارج

منادياً الشرطة؟ وكان الشرطي قد قال إن هناك مكافأة مقابل أي معلومات تؤدي إلى اعتقال الرجل. ألقى بيورغن نظرة سريعة على آخر الغرفة حيث يقف رئيس النّدل مقلّباً صفحات سجل الحجوزات. شعر بالخوف، غير أن التفكير في المال جعله يلتزم الصمت.

"ليلة واحدة فقط"، قال الرجل.

"أنا أعمل اليوم".

"يمكنني الانتظار".

نظر بيورغن إلى الرجل. إنه مجنون ، فكّر في سرّه، فيما جعله حبّه للمغامرة يفكّر في أن ذلك ربما يكون الحلّ لمشكلته.

ما إن خرج هاري من القطار السريع في محطة قطارات أوسلو المركزية، حتى هرول متجهاً إلى مقر قيادة الشرطة، واستقلّ المصعد إلى وحدة السرقات، وجرى في الممرات نحو غرفة الفيديو. كان الظلام هناك دامساً، والجو دافئاً وسيئ التهوية في الغرفة الضيقة التي لا نوافذ فيها. وسمع أصابع تتحرك بسرعة على لوحة مفاتيح الكمبيوتر.

"ماذا يمكنك أن تری؟". سأل الصورة الظلية التي يبدو خطها الكفافي على الصور المارّة تبعاً على الشاشة الجدارية.

"إنه شيء مثير للاهتمام جداً"، قالت بتي لون من دون أن تلتفت إليه، ولكن هاري كان يعلم أن عينيها محاطتان بإطار أحمر. لقد سبق له أن رآها وهي تعمل وتحّدق إلى الشاشة لساعات في أثناء استعراض الصور، كما لاحظ توقّفها وتركيزها وتكبيرها بعض أجزاء الصور من دون أن يعرف ما تبحث عنه أو ما يمكن أن تراه. إنه حقل اختصاصها.

"كّلي آذان صاغية". وسار هاري إلى الأمام متلمساً طريقه في الظلام، فاصطدمت ساقه بشيء ما، فجلس وهو يشتم.

"هل أنت جاهز؟".

"انطلقني".

"حسناً. تعرّف بكريستو ستانكيك".

على الشاشة، تقدّم رجل من الصّراف الآلي.

"هل أنت واثقة؟". سأل هاري.

"ألم تعرفه؟".

"أعرف السترة الزرقاء، ولكن...". قال هاري مُصغياً إلى الحيرة البادية في

صوته.

"انتظر"، قالت بتي.

وضع الرجل بطاقته في الآلة ووقف منتظراً. بعد ذلك، أدار وجهه نحو الكاميرا والتوت قسماته بابتسامة مفتعلة من النوع الذي يعني العكس.

"وها قد اكتشف أنه لا يستطيع سحب أي مال"، قالت بتي.

واصل الرجل الضغط على الأزرار، وأخيراً ضرب لوحة المفاتيح بيده.

"والآن، اكتشف أنه لن يتمكن من استعادة بطاقته"، قال هاري.

وقف الرجل محدّقاً إلى شاشة عرض الصراف الآلي لمدة طويلة.

ثم رفع كمّه بعد ذلك، وتحقق من ساعة يده، واستدار وغادر.

"ما الذي يؤكد أنها ساعة؟". سأل هاري.

"كانت الزجاجاة تعكس الضوء"، قالت بتي. "ولكنني كبرتُ الصورة

السلبية، وظهرت عبارة سيكو أس كيو 50".

"فتاة ذكية. ولكنني لم أجد أي تفسير".

"هذا هو التفسير".

وضغطت بتي على لوحة المفاتيح، فظهرت صورتان للرجل كانا قد

رأياهما على الشاشة للتوّ. كان يظهر في إحداهما وهو يُخرج بطاقته، وفي

الأخرى وهو ينظر إلى ساعته.

"اخترتُ هاتين الصورتين لأن وجهه يبدو فيهما في الوضعة نفسها

وتسهل رؤيته. لقد التُقطتا بفارقٍ يزيد قليلاً عن مئة ثانية. هل يمكنك

رؤية ذلك؟".

"لا"، قال هاري بثقة. "يمكنني القول إنني لست بارعاً في هذا الأمر.

حتى إنه لا يمكنني أن أرى أنه الشخص نفسه في الصورتين، كما لا

يمكنني أن أقول إنه الرجل نفسه الذي رأيته في حديقة توين العامّة".

"جيد. إذاً لقد رأيته".

"ما الذي رأيته؟".

"هذه صورته على بطاقة الاعتماد"، قالت بتي ونقرت على الفأرة،

فظهرت صورة رجل قصير الشعر يضع ربطة عُنُق.

"وهاتان هما الصورتان اللتان التقطتهما له داجبلاديت في إغرتورغت".

صورتان إضافيتان.

"هل يمكنك التأكيد على أنه الشخص نفسه؟". سألت بتي.

"حسناً، لا".

"وأنا أيضاً".

"حقاً! إذًا، هذا يعني أنه ليس الشخص نفسه".

"لا"، قالت بتي. "هذا يعني أن لدينا هنا قضية فائقة المرونة يدعوها المحترفون وجه الممثل الإيمائي".

"ما الذي تتكلمين عنه بالله عليك؟".

"إنه شخص يستطيع تغيير مظهره من دون الحاجة إلى التبرُّج، أو التنكُّر، أو الخضوع لجراحة تجميلية".

انتظر هاري ريثما جلس كل المحققين المشاركين في القضية في غرفة الاجتماعات في المنطقة الحمراء قبل أن يبدأ بالكلام. "نعرف الآن أننا نلاحق رجلاً واحداً فقط. في الوقت الحاضر، لندعه كريستو ستانكيك. بتي؟".
شغلت بتي آلة العرض، فظهرت على الشاشة صورة وجهٍ مُغمَض العينين مع قناع أشبه بسباغيتي حمراء.

"ما ترونه هنا هو رسم توضيحي لجهازنا العضلي الوجهي"، استهلَّت كلامها. "ما أقصده هو العضلات التي نستخدمها لتشكيل تعابير الوجه. وبالتالي، لتغيير مظهرنا. والعضلات الأكثر أهمية موجودة في الجبين، وحول العينين، وحول الفم. على سبيل المثال، هذا هو موسكولوس فرونتاليس الذي يُستخدم مع موسكولوس كوراغاتور أوكولي لرفع الحاجبين. ويُستخدم أوربيكولاريس أوكولي لإطباق جفون العينين أو لإحداث ثنايا حول العينين. وهكذا دواليك".

وضغطت بتي على جهاز التحكم من بُعد، فاستبدلت الصورة بصورة مهرَّج ذي خدين منتفخين.

"لدينا مئات العضلات في وجوهنا، حتى إن تلك التي تتمثل مهمتها بشدّ الوجوه تستخدم نسبة مئوية ضئيلة من الخيارات المتوافرة. فالممثلون والفنانون الترفيهيون يدربون عضلات وجوههم للقيام بالحد الأقصى من الحركات التي نفقدها في سنّ صغيرة. ومن جهة ثانية، يميل الممثلون والفنانون الإيمائيون إلى استخدام الوجه للقيام بحركات تقليدية؛ كالتعبير عن انفعالات معيّنة. وتكمن أهميّتها في عموميتها وقلة عددها؛ كالغضب، والسعادة، والحب، والتفاجؤ، وضحكة مكبوتة، أو ضحكة هادرة، وهكذا دواليك. لقد منحتنا الطبيعة قناع العضلات هذا للقيام بعدة ملايين، لا بل بعدد لامحدود في الواقع، من التعابير الوجهية. لقد درّب عازفو البيانو في الحفلات الموسيقية الرابطة بين الدماغ والجهاز العضلي الإصبعي لدرجة أنهم

صاروا قادرين على القيام بعشر عمليات مختلفة ومستقلة عن بعضها في آن واحد؛ علماً أننا لا نملك عدداً كبيراً من العضلات في أصابعنا. إذًا، ما الذي لا يستطيع الوجه القيام به؟".

وانتقلت بتي إلى صورة كريستو ستانكيك الملتقطة قرب الصراف الآلي.

"حسناً، نحن قادرون على القيام بهذا الأمر مثلاً".

وسار الفيلم إلى الأمام بحركة بطيئة.

"التغييرات غير مرئية تقريباً. فبشدة العضلات بالغة الصغر وإرخائها تكون النتيجة تغييراً في التعبير. هل تتغير ملامح الوجه إلى هذا الحد؟ لا، ولكن أجزاء أدمغتنا التي تميز الوجوه - تليفية الدماغ مغزلية الشكل - شديدة الحساسية لأصغر التغييرات بما أن مهمتها التمييز بين آلاف الوجوه المتماثلة فيزيولوجياً. فنتيجة للتعديلات التدريجية للعضلات الوجهية، ينتهي بنا الأمر وكأننا ننظر إلى شخص مختلف؛ كهذه الحالة مثلاً".

وجُمِدَ الفيلم عندما وصل إلى الصورة الأخيرة.

"مرحباً، هنا الأرض تنادي المريخ".

عرف هاري صوت ماغنوس سكار. وضحك أحدهم، فاحمرّت بتي

خجلاً.

"آسف"، قال سكار وهو ينظر حوله كاتباً ضحكته التي تُظهر رضاه عن نفسه. "ما زلنا مع ستانكيك هذا. قصص الخيال العلمي مسلية، أما الأشخاص الذين يشدون عضلاتهم تارةً ويُرخونها طوراً ولا يعود بالإمكان تمييزهم، فهذا يدعى برأيي أمراً تافهاً بعيد التصديق".

كان هاري على وشك مقاطعته، ولكنه بدّل رأيه وراقب بتي باهتمام.

فقبل عامين، كان تعليق مماثل يسحقها على الفور.

"وفقاً لمعلوماتي، لم يسألك أحدٌ عن رأيك"، قالت بتي، وكان خدّها لا

يزالان يكتسيان لوناً أحمر برّاقاً. "ولكن، بما أنك تشعر على هذا النحو، دعني أعطيك مثلاً أنا على ثقة تامة بأنك ستفهمه".

"آه!". هتف سكار رافعاً يديه دفاعاً عن نفسه وتابع: "لم أقصد أن

يكون الأمر شخصياً يالون".

"عندما يموت الأشخاص، يظهر عليهم شيء ما يُدعى تخشُّب الجثة".

وواصلت بتي كلامها من دون توقف، ولكن كان باستطاعة هاري رؤية منخريها وهما يتسعان ويتقلصان. "العضلات في الجسد وفي الوجه تتجمد أيضاً. الأمر مماثل للعضلات المشدودة. وما هو رد الفعل المعهود عندما

يتوجب على أقرب الأنساب التعرف إلى الجثة؟".

في الصمت الذي تلا ذلك، كان كل ما يمكن سماعه هو مهمة مروحة آلة العرض. وابتسم هاري.

"لا يعرفونهم"، قال صوت مرتفع وواضح. لم يسمع هاري غونار هاغن وهو يدخل الغرفة. "لا تُعتبر عملية تمييز الجنود في الحرب أمراً غير عادي. بالطبع، يكونون في بذلاتهم النظامية، ولكن يتعيّن على رفاقهم في السلاح التحقق من الصفائح المعدنية المتدلية من سلاسل معلقة حول أعناقهم أحياناً للتأكد من هويّاتهم".

"شكراً لك"، قالت بتي. "هل يساعد ذلك المادة الرمادية ياسكار؟".
فهز سكار كتفيه، وسمع هاري أحدهم يُطلق ضحكة عالية، فيما أوقفت بتي عمل آلة العرض.

"إنّ طواعية الوجه أو قابلية العضلات للتحرك أمر شخصي جداً، ويمكن تحقيقها إلى حدّ ما بواسطة التمرين، كما يمكن اعتبارها أمراً جينياً. فبعض الأشخاص لا يستطيعون التفريق بين الجهتين اليسرى واليمنى في وجوههم؛ وباستطاعة آخرين، بواسطة التمرين، تشغيل كل عضلاتهم؛ كلّ على حدة، كعازف البيانو في الحفلات الموسيقية مثلاً. ويُدعى ذلك طواعية فائقة أو وجه الممثل الإيمائي. تُشير بعض الحالات إلى وجود عنصر جيني قوي. وتُكتسب المهارة في الصّغر أو في سنّ الطفولة، وأولئك الذين يتمتعون بدرجة قصوى من الطواعية الفائقة يعانون في معظم الأحيان من اختلالات في الشخصية، أو يكونون قد تعرضوا لصدمات نفسية مروّعة في أثناء نشأتهم".

"إذاً، ما تقولينه هو أننا نتعامل مع رجل مجنون هنا؟". قال غونار هاغن.

"ميدان خبرتي هو الوجوه وليس علم النفس"، قالت بتي. "ولكن، لا يمكن استثناء هذه الحالة بأي حال. هاري؟".
"شكراً لك يا بتي". ووقف هاري. "إذاً، تعرفون الآن ما نواجهه يارجال. هل هناك أية أسئلة؟ أجل، لي تفضّل".

"كيف سنتمكن من إلقاء القبض على مخلوق مماثل؟".
فتبادل هاري وبتي نظرات سريعة، فيما سعل هاغن.
"لا أملك أي فكرة"، قال هاري. "كل ما أعرفه هو أن هذا الأمر لن ينتهي إلا إن أنهى مهمته، أو أنهينا مهمتنا".

عندما عاد هاري إلى مكتبه، كانت هناك رسالة نصية من راكيل بانتظاره، فاتصل بها في الحال لتجنّب إطالة التفكير.

"كيف تجري الأمور؟". سألت.

"لقد وصلتُ إلى المحكمة العليا"، قال هاري. إنها عبارة كان والد رايكل يستخدمها؛ دُعايةٌ سرت بين الجنود النرويجيين العائدين من الجبهة الشرقية بعد الحرب، والذين خضعوا للمحاكمة. ضحكت رايكل، فسمع ذلك التماوج اللطيف الذي كان مستعداً ذات مرة للتضحية بكل شيء من أجل سماعه كل يوم. لا يزال لضحكتها تأثير في نفسه.

"هل أنت بمفردك؟". سألت.

"لا، هالفورسن جالس هنا يُصغي كالمعتاد".

رفع هالفورسن نظره عن إفادات شهود إغرتورغ ولوى قسما

وجهه.

"أوليغ بحاجة إلى شخص ما للتحدث إليه"، قالت رايكل.

"آه!".

"عذراً، كم أنا خرقاء! إنه لا يحتاج إلى أي شخص وإمّا إليك

تحديداً؟".

"هو يحتاج إلي!".

"تصحيح آخر. قال إنه يريد أن يتحدث إليك".

"هل طلب منك الاتصال بي؟".

"لا، لا، ما كان ليفعل ذلك مطلقاً".

"لا". وابتسم هاري لدى تفكيره في ذلك.

"إذاً... هل سيكون لديك وقت فارغ من أجله ذات مساء؟ هل تعتقد

أنه بإمكانك التحدّث إليه؟".

"بالطبع".

"عظيم. باستطاعتك القدوم لتناول الطعام معنا".

"معنا؟".

"أوليغ وأنا".

"حسناً".

"أعرف أنك التقيت ماثياس...".

"أجل"، قال هاري بسرعة. "يبدو شخصاً لطيفاً".

"أجل".

وساد الصمت لفترة قبل أن تسأله: "هل ما زلتَ هنا؟".

"أنا هنا"، قال هاري. "انظري، لدينا قضية جريمة قتل بين أيدينا

والأمور تتسارع. هل يمكنني التفكير في العرض والاتصال بك في وقت لاحق

اليوم؟".

وكانت هناك فترة صمت أخرى.

"راكيل؟".

"أجل، سيكون ذلك جيداً. كيف تجري الأمور؟".

كان السؤال في غير محله، لدرجة أن هاري تساءل للحظة عما إذا كانت تسخر منه.

"الأيام تمرّ"، قال هاري.

"ألم يحدث أي جديد في حياتك منذ افتراقنا في المرة الأخيرة؟".

وتنهّد هاري. "عليّ إنهاء المكالمة ياراكيل. سأتصل بك. بلّغي أوليغ

سلامي، اتفقنا؟".

"اتفقنا".

وأعاد هاري السّماعَة إلى مكانها.

"حسناً". قال هالفورسن.

"إنها وجبة طعام. للأمر علاقة بأوليغ. ما الذي كان روبرت يفعله في

زغرب؟".

كان هالفورسن على وشك قول شيء ما عندما قُرع الباب بهدوء.

استدارا كلاهما، ووجدوا سكار يقف عند مدخل الباب.

"اتصلت شرطة زغرب للتوّ، أبلغهما. "أصدرت بطاقة الاعتماد بالاستناد

إلى جواز سفر مزوّر".

"حسناً"، همهم هاري مُسنداً ظهره إلى الكرسي، وواضعاً يديه وراء

رأسه. "ما الذي كان روبرت يفعله في زغرب ياسكار؟".

"أنت تعرف ما الذي أفكر فيه".

"ألم تذكر أن فتاةً سألت عن روبرت في فرينتكس في كيركفين

ياسكار؟".

"بلى. هذا ما قالتها مديرة المتجر...".

"اتصل بفرينتكس يا هالفورسن".

سيطر الصمت على المكتب فيما كان هالفورسن يقلّب الصفحات

الصفراء ويطلب الرقم. ثم شرع هاري بالنّقر على الطاولة بأصابعه، متسائلاً

عن كيفية التعبير عن الأمر: كان مسروراً بسكار. تنحنح مرةً واحدة، وبعد

ذلك مرّر له هالفورسن الهاتف.

أصغت إليه المديرة رو، وتكلّمت، وتصرّفت. إنها امرأة فعّالة. كان

باستطاعة هاري تأكيد الأمر بعد دقيقتين عندما أنهى الاتصال وسعل مرة

أخرى.

"أحد فتيانها الاثني عشر صربي، وقد تذكّر الفتاة. يعتقد أن اسمها صوفيا، ولكنه ليس واثقاً من ذلك. ولكنه متأكد من أنها من فوكوفار".

á á á

وجد هاري جون مستلقياً على السرير في شقة روبرت، وهناك كتاب مفتوح وموضوع فوق معدته. كان يبدو قلقاً، وبدا كما لو أنه لم يَنم. فأشعل هاري سيجارة، وجلس على كرسي المطبخ وسأل جون عما كان روبرت يفعله في زَغرب برأيه.

"لا فكرة لديّ. لم يقل لي شيئاً. ربما للأمر علاقة بالبرنامج السريّ الذي أقرضته المال لأجله".

"حسناً. هل تعرف أي شيء عن صديقة شابة له تُدعى صوفيا؟".
"صوفيا ميهولديك؟! أنت تمزح".

"أخشى أنني لا أمزح. هل يعني ذلك أنك تعرف من تكون؟".
"تعيش صوفيا في أحد مبانينا في بوابة جاكوب ألاز. كانت عائلتها من بين اللاجئين الكرواتيين في فوكوفار الذين اصطحبهم المدير إلى هناك. ولكن صوفيا... في الخامسة عشرة من عمرها!".

"ربما كانت مُغرمة بروبوت. شابة صغيرة في السنّ، حسنة المظهر. ليس الأمر غير عادي كما تعلم".

كان جون على وشك التعليق على كلام هاري، ولكنه صمت.
"قلت إن روبرت كان يحب الشابات الصغيرات في السنّ"، قال هاري.
فأمعن جون النظر إلى الأرضية. "باستطاعتي إعطاؤك عنوان العائلة لتسألها".

"حسناً". وألقى هاري نظرة سريعة على ساعته. "هل أنت بحاجة إلى أي شيء؟".

نظر جون حوله. "يُفترض بي الذهاب إلى شقتي لإحضار بعض الملابس ومستحضرات النظافة".

"حسناً، سأقوم باصطحابك. التقط معطفك وقبّعتك. الطقس يزداد برودة في الخارج".

لقد احتاجا إلى عشرين دقيقة للوصول إلى الشقة، مروراً بإستاد بيسلت القديم المتداعي المتوقّع هدمه، وبمطعم شرودر الذي يقف خارجه رجل يرتدي معطفاً صوفياً سميكاً ويعتمر قبّعة، وعرفه هاري. ركن هاري سيارته بشكل غير قانوني أمام مدخل غوتربورغاتا 4، ودخلا وانتظرا أمام

المصعد. عرف هاري من الرقم الأحمر فوق الباب أن المصعد في الطابق الثالث حيث شقة جون. وقبل أن يتمكن من الضغط على الزر، سمعا المصعد يتحرك، وعرفا أنه يتجه نحو الأسفل. ففرك هاري راحتي يديه بفخذه.

"أنت لا تحب المصاعد"، قال جون.
فنظر إليه هاري متفاجئاً. "هل الأمر جلي؟".
ابتسم جون. "والدي لا يحب المصاعد أيضاً. هيا، لنصعد السلم".
وشرعا بذلك. وبعد قليل، سمع هاري باب المصعد يُفتح تحتها.
دخلا الشقة، ووقف هاري بجانب الباب فيما توجه جون إلى الحمام وأحضر كيساً.
"غريب"، قال جون ووجهه متجهّم. "يبدو الأمر كما لو أن أحدهم كان هنا".

وانسلّ جون إلى غرفة النوم وعاد مع حقيبة وقال:
"رائحة الشقة غريبة".
فألقي هاري نظرة في أرجاء المكان. كانت هناك كأسان على المِغسلة، ولكن لا علامات مرئية تشير إلى احتوائهما على حليب أو أي مشروب آخر. ولا آثار لثلج ذائب على الأرض، بل كانت هناك كِسر قليلة فقط من خشب فاتح اللون أمام الطاولة لا بد من أن يكون مصدرها أحد الأدراج. وبدت الناحية الأمامية لأحد الأدراج مشقوقة.
"لنواصل تحركنا"، قال هاري.
"ما سبب وجود مكنستي الكهربائية هناك؟" سأل جون مشيراً إليها.
"هل استخدمها فريقك؟".

كان هاري يعرف جيداً إجراءات الأس أو سي، وأيّ منها لا يقتضي استخدام مكنسة كهربائية في مسرح الجريمة.
"هل يملك أي شخص آخر مفتاحاً لهذه الشقة؟" سأل هاري.
فتردد جون. "ثيا، صديقتي. ولكنها ما كانت لتستخدم المكنسة الكهربائية هنا بملء إرادتها".

تفحص هاري كِسر الخشب أمام الطاولة، وهي أول ما تبتلعه المكنسة الكهربائية، ومن ثم توجه إلى الآلة. لقد فصلت الأداة المُلحقة بها عن القضيب البلاستيكي الموصل بطرف الخرطوم، فشعر بارتعاشات باردة تمتد إلى الأسفل عبر عموده الفقري. رفع الخرطوم وحدّق تحته، ومرّر إصبعه على الحافة السوداء المستديرة، ثم نظر إلى طرف إصبعه.

"ما هذا؟" سأل جون.

"دماء"، قال هاري. "تحقق من أن الباب مُقفل".

كان هاري يعرف ما سيحدثه مُسبقاً. كان واقفاً عند عتبة ما يكرهه، وما لم يتمكن من البقاء بعيداً عنه قط. رفع الغطاء البلاستيكي الموجود وسط الآلة، وأرعى كيس الغبار الأصفر وأخرجه.

"ماذا تفعل؟" سأل جون.

كان الكيس مليئاً جداً لدرجة الانتفاخ. أمسك هاري الكيس الورقي السميك والطريّ ومزّقه، فانشقّ الكيس واندفعت سحابة من الغبار الأسود وملأت الغرفة، وارتفعت بانعدام وزن في اتجاه السقف، فيما قام جون وهاري بتفحص المحتويات على الأرض الخشبية.

"الرحمة"، همس جون.

18 - الخميس، 18 كانون الأول/ديسمبر. أنبوب

النفائات

"يا الله!"، تأوّه جون متمسكاً بأحد الكراسي. "ماذا حدث هنا؟ إنها... إنها...".

"أجل"، قال هاري، وبصق بجانب المكنسة الكهربائية مركزاً على مواصلة التنفس. "إنها عين".

لقد بدت مُقلّة العين كقنديل بحر مضرّج بالدماء. كان الغبار عالقاً على الصفحة البيضاء. وعلى الناحية الخلفية المغطاة بالدماء، تمكن هاري من رؤية أسفل العضلات والمشبك الأكثر سماكة الأشبه بدودة: العصب البصري. "ما يدفعني إلى التساؤل عن كيفية مرورها عبر المِصفاة لتصل إلى داخل الكيس. هذا إذا امتصّتها المكنسة الكهربائية".

"لقد أزلت المِصفاة"، قال جون بصوت مرتعش. "هكذا تمتصّ بشكل أفضل".

أخرج هاري قلماً من جيب سترته واستخدمه لتقليب العين بحرص شديد. لقد بدا التماسك طرياً، ولكن هناك وسط صلب. وغير مكانه حيث يسلّط الضوء المنبثق من المصباح في السقف على البؤبؤ الكبير الأسود ذي الأطراف المبهمة بسبب غياب عضلات العين. كانت الفُرحية الفاتحة وفيروزية اللون تقريباً المحيطة بالبؤبؤ تلمع كقلب مرمّر غير برّاق. وسمع هاري أنفاس جون السريعة وراءه.

"فُرحية زرقاء فاتحة على نحو غير عادي"، قال هاري. "هل هي لشخص تعرفه؟".

"لا... لا أعرف".

"اسمع يا جون"، قال هاري من دون أن يلتفت إليه. "لا أعرف مدى قدرتك على الكذب، ولكنك لستّ بارعاً في ذلك. لا يمكنني إرغامك على تزويدي بتفاصيل غير لائقة عن شقيقك، ولكن مع هذه...". وأشار هاري إلى مُقلّة العين المملّخة بالدماء. "... باستطاعتي إرغامك على إخباري لمن تعود".

واستدار. كان جون جالساً على أحد كراسي المطبخ مطأطئ الرأس.

"أنا... هي...". كان صوته أجشّ بسبب الانفعال.

"هي إذاً"، ساعده هاري.

وأوماً جون برأسه. "تدعى رانهيلد غيلستراب. لا يملك أحد عينيّ

مماثلتين لعيّنها".

"وكيف انتهى الأمر بعينها هنا؟".

"لا فكرة لديّ. كانت... كنا... نلتقي هنا. لديها مفتاح. ماذا فعلتُ يا هاري؟ لماذا حدث هذا الأمر؟".

"لا أعرف يا جون. ولكن، لديّ عملٌ أقوم به هنا، وعلينا إيجاد مكان لك في بادئ الأمر".

"باستطاعتي العودة إلى بوابة غوربيتز".

"لا!" صاح هاري. "هل لديك مفاتيح شقة ثيا؟".

فأوماً جون برأسه.

"حسناً، اذهب إلى هناك. أبقِ الباب مُقْفَلاً ولا تفتح لأي شخص باستثنائي".

توجّه جون إلى الباب الأمامي، ومن ثم توقف. "هاري؟".

"أجل؟".

"هل يستدعي الأمر الكشف عن علاقتي برانهيلد؟ لقد توقفتُ عن لقائها عندما ارتبطتُ بثيا".

"إذاً، لا مشكلة في ذلك".

"أنت لا تفهم"، قال جون. "كانت رانهيلد غيلستراب متزوجة".

أحنى هاري رأسه وقال: "لا يمكنني كتمان ذلك يا جون".

نظر جون إلى هاري والدهشة في عينيّه، ثم هز رأسه ببطء من جانب إلى آخر.

"ما الأمر؟".

"لا أصدق أنني قلت ذلك للتوّ"، قال جون. "رانهيلد ميتة، وكل ما أفكر فيه هو النجاة بجدي".

وترقرقت عينا جون بالدموع. وللحظة من الزمن، لم يشعر هاري إلا بالتعاطف معه. ليس ذاك التعاطف الذي يشعر به حيال الضحية أو أقرب الأنسباء، بل التعاطف الذي يشعر به حيال الشخص الذي يرى إنسانيته المثيرة للشفقة في لحظة مُدمية للقلب.

كانت هناك أوقات أسف فيها سفير هاسفولد على تخليّه عن حياته كبخّار والعمل كناطور للمجمّع السكني الجديد في غوتربورغاتا 4، ولا سيما في أيام البرد القارس كهذا اليوم عندما اتصلوا به للاحتجاج على انسداد أنبوب النفايات مرة أخرى. كان ذلك يحدث مرة واحدة في الشهر عادةً،

والسبب واضح: محيط الفتحات في كل طابق مماثل لمحيط الأنبوب. المجمعات السكنية القديمة أفضل. فعندما ظهرت أنابيب النفايات للمرة الأولى في الثلاثينيات، كان المهندسون المعماريون يملكون الحس الكافي لجعل قطر الفتحات أضيق كي لا يدسّ الناس فيها أشياء يمكن أن تعلق في أسفل الأنبوب. وفي هذه الأيام، كل ما يهتمون به هو التصميم والإضاءة. فتح هاسفولد باب فتحة أنبوب النفايات في الطابق الثاني، ومدّ رأسه نحو الداخل، وأضاء مصباحه الكهربائي، فانعكس الضوء على أكياس بيضاء، واعتبر أن المشكلة تكمن كالعادة بين الطابق الأرضي والطابق الأول حيث يضيق الأنبوب.

فتح قفل باب فتحة أنبوب النفايات في الطابق السفلي وأشعل النور. كان البرد قارساً جداً لدرجة أن عدستي نظارته صارتا ضبابيتين، فارتجف وأمسك القضيب الحديدي البالغ طوله ثلاثة أمتار تقريباً، والذي يحتفظ به على امتداد الجدار لهذا الغرض بالتحديد، ويضع أيضاً كيساً من النايلون في طرفه كي لا يثقب الأكياس عندما يدفعه داخل أنبوب النفايات في اتجاه الأعلى. كانت هناك قطرات تتساقط من الفتحة قطرةً قطرةً على الأكياس المتجمعة في حاوية النفايات. قواعد المبنى تنصّ بشكل واضح على استخدام الأنبوب لرمي أشياء جافة موضوعة داخل أكياس مُحكّمة الإغلاق، ولكن أياً من الأشخاص المقيمين في المبنى لا يُبدي أي اهتمام بهذا النوع من الأمور. لقد تحطمت قشور البيض وعلب الحليب الكرتونية تحت قدميه في الحاوية عندما توجه إلى الفتحة المستديرة في السقف. حدّق إلى الفجوة، ولكن السواد هو كل ما تمكّن من رؤيته. دفع القضيب الحديدي في اتجاه الأعلى، وانتظر إصابة مجموعة الأكياس الطرية، ولكن القضيب اصطدم بدلاً من ذلك بشيء صلب. دفع بقوة أكبر، من دون أن يتزحزح ذلك الشيء؛ هناك شيء ما مثبت جيداً.

التقط المصباح الكهربائي المدلّي من حزامه، وسلّط الضوء داخل الأنبوب، فسقطت قطرة على عدسة نظارته، فشتم وخلع نظارته ومسح العدستين بمِعطفه الأزرق، واضعاً المصباح تحت ذراعه. ثم تنحّى جانباً، ونظر شزراً في اتجاه الأعلى، فتنبّه إلى أمر ما. وجه المصباح نحو الأعلى، وبدأت مخيلته تعمل بشكل إضافي، وتباطأ خفقان قلبه فيما كان يحدّق غير مصدّق، أعاد وضع نظارته، وتوقف قلبه عن الخفقان.

انزلق القضيب الحديدي من يده واحتك بالجدار، ثم اصطدم بالأرض مُحدثاً رنيناً. ووجد سفير هاسفولد نفسه جالساً داخل حاوية النفايات. لا

بد من أن يكون المصباح الكهربائي قد انزلق إلى الأسفل بين الأكياس في مكان ما. وسقطت نقطة أخرى على الكيس بين فخذيه، فانتفض وتراجع إلى الوراء كما لو أنها حمض مُحْرِق، ثم وقف على قدميه وركض إلى الخارج بأقصى سرعة.

كان عليه الحصول على هواء منعش. لقد سبق له أن رأى أموراً غريبة في البحر، ولكنه لم يرَ أمراً مماثلاً من قبل. إنه أمر... غير طبيعي. لا بد من أنه يشعر بالغثيان. فتح الباب الأمامي، وسار مترنحاً على الرصيف من دون أن يلاحظ الرجلين طويلي القامة الواقفين هناك، أو يشعر بالهواء البارد. مُصاباً بالدوار ولاهثاً، اتكأ على الجدار وأخرج هاتفه المحمول، وحدّق إليه، عاجزاً عن تدبّر أمره. لقد بدّلوا أرقام الحالات الطائرة منذ بضع سنوات، مما جعل تذكّرها أكثر سهولة، ولكن الأرقام القديمة هي التي خطرت بباله بالطبع. نظر إلى الرجلين، كان أحدهما يتحدث عبر هاتفه المحمول، فيما كان الآخر من المقيمين في المجمع.

"آسف، ولكن هل تعرف كيفية الاتصال بالشرطة؟" سأل هاسفولد، وكان باستطاعته سماع صوته يصبح أجشّ كما لو أنه خارج من نوبة صراخ طويلة.

ألقي المقيم نظرة سريعة على الرجل بجانبه الذي أمعن النظر إلى الناطور للحظات قبل أن يقول: "تمهّل، قد لا نكون بحاجة إلى إيفان وكلاب الشرطة بالرغم من كل شيء". وأنزل الرجل هاتفه المحمول والتفت نحو سفير هاسفولد. "أنا المفتش هول، من شرطة أوصلو. دعني أحزر...".

في شقة بجانب فيستكانتتورغيت، كان تور بيورغن ينظر إلى الباحة في الأسفل من نافذة غرفة نومه فيما الهدوء يسود في الخارج كما في الداخل: لا أطفال يركضون صارخين أو يلعبون بالثلج. لا بد من أن يكون الطقس بارداً والظلام حالكاً جداً. بأي حال، مرت سنوات عدة على رؤيته أطفالاً يلعبون في الخارج. من مكان تواجهه في غرفة الاستقبال، تمكن من سماع مذياع الأخبار على التلفاز يحذّر من درجات حرارة منخفضة قياسية، ويعلن عن قيام وزير الخدمات الاجتماعية بتطبيق إجراءات خاصة لإخراج المشرّدين من الشوارع وتشجيع المسنّين الذين يعيشون بمفردهم على تشغيل أجهزة التدفئة في شققهم. كما تحدّث المذيع عن بحث الشرطة عن مواطن كرواتي يدعى كريستو ستانكيك، وعن المكافأة التي ستعطى لمن يقدم للشرطة أي معلومات تؤدي إلى اعتقاله. لم يذكر المذيع أي مبلغ، ولكن بيورغن افترض أنه أكثر من كافٍ للحصول على تذكرة عودة بالطائرة إلى كايب تاون وعلى

طعام ومنزل لمدة ثلاثة أسابيع.

لقد أخبر المدير أنه يشعر بضداع، وعاد إلى المنزل باكراً. كان كريستو- أو مايك، وهو اسمه كما قال له- ينتظره على مقعد في فيستكانتتورغيت كما اتفقاً. لقد استمتع كريستو كما يبدو ببيتزا غرانديوزا الجاهزة والتهمها من دون أن يلاحظ المليغرامات الخمسة عشر من الستيسوليد على صورة حبة موضوعة داخلها.

أمعن بيورغن النظر إلى كريستو النائم على بطنه على السرير. وبالرغم من سدادة الفم الكروية، كان تنفس كريستو منتظماً وعميقاً. لم يُظهر أي دلالات على الاستيقاظ في أثناء قيام تور بإجراءاته الصغيرة. كان تور قد اشترى العقارات المهدئة من مُدمن مخدرات مسعور في الشارع خارج بيسكيت تماماً لقاء خمسة عشر كروناً للحبة الواحدة. ولم تكلف الأدوات الأخرى الكثير: قيود اليدين، وقيود الكاحلين، وسدادة الفم الكروية، والتي اشتراها من موقع على الإنترنت بسعر 599 كروناً فقط.

كان اللحاف السميك على الأرض، فيما جسد كريستو ممدد على الملاءة البيضاء، ويده مكبلتان بسرير تور النحاسي الأصفر من الأعلى، وقدماه مكبلتان بالسرير في الطرف المقابل.

نزل هاري مع بتي ومساعدتيها على السلم في اتجاه الطابق السفلي حيث فتح الناطور قفل الباب المؤدي إلى غرفة النفايات. كان أحد المساعدين جديداً؛ فتاة لم يحفظ هاري اسمها أكثر من ثلاث ثوانٍ.

"هناك فوق"، قال هاري. فخطا الثلاثة الآخرون، المرتدون ما يبدو أشبه ببذلات بيضاء لهواة تربية النحل، إلى الأمام بحذر للوقوف تحت فتحة أنبوب النفايات، واختفت أشعة مصابيحهم الأمامية داخل الظلام. تفرّس هاري بالمساعدة الجديدة، وانتظر ظهور رد فعل على وجهها. وعندما حدث ذلك، تذكر هاري المرجان الذي ينكمش على الفور عندما تلمسه أصابع الغطاسين. أومأت بتي برأسها على نحو غير ملحوظ كما يومئ سَمكريّ بهدوء لدى ملاحظته ضرراً كبيراً تسبّب به الجليد.

"إنه اقتلاع لحدقة العين من دون اللجوء إلى عملية شق"، قالت ذلك، وتردد صوتها داخل الأنبوب. "هل سمعت ذلك يامارغريت؟".

كانت المساعدة تتنفس بصعوبة في أثناء بحثها عن قلم ودفتر مدونات في بذلة مربّي النحل.

"أستمحك عُذراً"، قال هاري.

"أزيلت مُقلة العين اليسرى. مارغريت؟".

"دونت ذلك"، قالت المساعدة مدونةً.

"رأس المرأة مدلى قبل سواه. إنه عالق في الأنبوب كما أفترض. هناك تقاطر قليل للدماء من تجويف العين، ويمكنني أن أرى في الداخل بعض النقاط البيضاء التي لا بد أن تكون الجمجمة الداخلية كما تبدو من خلال النسيج هناك. دماء حمراء قانية أصبحت على هذا النحو منذ تخثرها. سيتفحص الأخصائي في علم الأمراض درجة الحرارة والصلابة عندما يأتي. هل أتكلم بسرعة كبيرة؟".

"لا، لا بأس"، قالت مارغريت.

"عثرنا على آثار دماء بجانب فتحة الأنبوب في الطابق الثالث، وهو الطابق نفسه حيث عُثر على العين، لذلك أفترض أنه تم دفع الجثة إلى هنا. إنها فتحة ضيقة، وقد خلعت الكتف اليمنى كما يبدو لي الأمر من هنا. ربما حدث ذلك عندما دُفعت الضحية إلى الداخل، أو لدى سقوطها. تصعب معرفة ذلك من هذه الزاوية، ولكنني أعتقد أن باستطاعتي رؤية كدمات على العنق، مما يوحي بأنها خُنقت. سيتفحص الأخصائي في علم الأمراض الكتف، وسيحدد سبب الوفاة. وباستثناء ذلك، لا يوجد الكثير مما يمكننا القيام به هنا. مسرح الجريمة برمته لك ياغيلبرغ".

تنحّت بتي جانباً، فيما التقطت المساعد عدة صور لأنبوب النفايات.

"ما نوع المادة البيضاء المائلة إلى الصفرة داخل تجويف العين؟" سأل.

"دُهْن"، قالت بتي. "أفرغ الحاوية وابتحث عن أشياء ربما تكون تابعة للضحية أو للقاتل. بعد ذلك، ستحصل على بعض المساعدة من رجال الشرطة في الخارج لسحبها. مارغريت، تعالي معي".

عادتا إلى الممر، فتوجّهت مارغريت نحو باب المصعد وضغطت على الزر.

"سنصعد السلم"، قالت بتي بنبرة هادئة، فنظرت إليها مارغريت بدهشة، ومن ثم تبعها زميلان أكبر سنّاً.

"سيصل إلى هنا قريباً ثلاثة زملاء إضافيين"، قالت بتي مجيبة عن سؤال هاري غير الملفوظ. وفي حين كانت ساقا هاري الطويلتان تصعدان السلم درجتين درجتين، واصلت المرأة الصغيرة الصعود بسهولة. "هل هناك أي شهود؟".

"ليس حتى الآن"، قال هاري، "ولكننا نقوم بالجولات. يقوم ثلاثة عناصر بقرع أبواب كل الشقق في المجمع السكني. وبعد ذلك، سينتقلون إلى المجمعات السكنية المجاورة".

"هل حصلوا على صورة لستانكيك؟".
رمقها هاري بنظرة سريعة للتحقق مما إذا كانت تريد بسؤالها
السخرية، ولكن من الصعب معرفة ذلك.
"ما انطباعك الأول؟" سأل هاري.
"إنه رجل"، قالت بتي.
"لأن من ارتكب جريمة القتل هذه يجب أن يكون قوياً ليدفعها عبر
فتحة أنبوب النفايات، أليس كذلك؟".
"ربما".
"هل هناك أي شيء آخر؟".
"هاري، هل هناك أي شكوك حول هوية الجثة؟" وتنهّدت.
"أجل يابتي. في المبدأ، لن تزول شكوكنا حتى نتأكد".
والتفت هاري نحو مارغريت التي كانت منقطعة الأنفاس بسبب
لحاقها بهما. "وما هو انطباعك الأول؟".
"ماذا؟".

وانعطفوا داخل الممر في الطابق الثالث. كان هناك رجل بدين يرتدي
بذلة تويد تحت معطف تويد مفتوح يقف أمام الباب المؤدّي إلى شقة
جون كارلسن. من الواضح أنه كان بانتظارهم.
"كنت أتساءل عن شعورك عندما دخلت المبنى"، قال هاري، "ونظرت
إلى داخل الأنبوب".

"تتساءل عن شعوري!". سألت مارغريت بابتسامة تُظهر ارتباكها.
"أجل، بَمَ شعرت؟". صاح ستال أون، ماداً يده فصافحه هاري من
دون تردد. "تعالوا وتعلّموا أيها الزملاء. قبل دخول ساحة أي جريمة، أفرغوا
عقولكم من كل الأفكار، واغدوا أطفالاً حديثي الولادة لا يجيدون أي لغة،
وانفتحوا على أول انطباع يتولّد لديكم، وعلى أول ثوانٍ حيوية تمثّل
فرصتكم الكبيرة والوحيدة لاكتشاف ما حدث من دون وجود أي دليل.
يبدو الأمر غريباً، أليس كذلك؟ بذلة أنيقة يابتي. ومن هي زميلتك
الأخاذة؟".

"إنها مارغريت سفندسن".
"ستال أون"، قال الرجل وهو يمسك يد مارغريت التي تلبس قفازاً
مقبلاً إيّاها. "يا الله! مذاقك كالمطاط يا عزيزتي".
"أون عالم نفس"، قالت بتي. "وهو يساعدنا في معظم الأحيان".
"يحاول مساعدتكم في معظم الأحيان"، قال أون. "علم النفس -

وأسف لقولي هذا- علم لا يزال في ملابس طفل صغير، ولا يُفترض منحه قدراً كبيراً من الأهمية حتى انقضاء فترة زمنية تتراوح بين خمسين عاماً ومئة عام. ما هو جوابك عن سؤال المفتش هول ياعزيزتي؟".

نظرت مارغرت إلى بتي طلباً للمساعدة.

"لا... لا أعرف"، قالت. "كانت العين منقّرة قليلاً بالطبع".

وفتح هاري قفل الباب.

"تعلم أنني لا أتحمل منظر الدم"، حدّر أون.

"اعتبرها عيناً زجاجية"، قال هاري وهو يفتح الباب ويتنحى جانباً.

"سيروا على القطعة البلاستيكية ولا تلمسوا أي شيء".

مشى أون بحذر على القطعة البلاستيكية السوداء الممتدة على طول الأرضية. وجثم بجانب العين التي كانت لا تزال مُلقاة وسط كومة الغبار بجانب المكنسة الكهربائية، ولكن باتت عليها الآن غشاوة رمادية.

"من الواضح أن هذه الحالة تدعى اقتلاع حدقة العين من دون اللجوء إلى عملية شق"، قال هاري.

فرغ أون أحد حاجبيه. "هل نُفذت العملية بوضع مكنسة كهربائية

على العين؟".

"لا يمكنك امتصاص عين إلى خارج الرأس باستعمال مكنسة كهربائية

فقط"، قال هاري. "لا بد من أن يكون المرتكب قد امتصّها إلى الخارج بما يكفي لإدخال أصابعه داخل المحجر. العضلات والأعصاب البصرية عناصر متينة".

"ما الذي لا تعرفه يا هاري".

"اعتقلتُ ذات مرة امرأة أغرقت طفلها في المغطس. وعندما كانت قيد

الاحتجاز، اقتلعت إحدى عينيها. لقد أطلعني الطبيب على التقنية".

وسمعوا مارغريت تشهق وراءهم.

"من غير الضروري أن يكون اقتلاع العين مميتاً"، قال هاري. "تعتقد

بتي أن المرأة ربما خُنقت. ما الفكرة الأولى التي تتبادر إلى ذهنك؟".

"لا يمكننا التغاضي عن أن هذا العمل قد ارتكبه شخص في حالة من

عدم التوازن العاطفي أو المنطقي"، قال أون. "يوحى اقتلاع حدقة العين

من دون اللجوء إلى عملية شق بوجود غضب لا يمكن التحكم به. ربما

تكون هناك أسباب فعلية بالطبع ليختار المرتكب التخلص من الجثة في

أنبوب نفايات...".

"هذا أمر بعيد الاحتمال"، قال هاري. "إذا كان يقصد عدم العثور

على الجثة لفترة من الزمن، فقد كان يجدر به تركها في الشقة الفارغة".
"في هذه الحالة، يميل هذا النوع من الأمور إلى حد ما إلى أن
يكون عملاً رمزياً مقصوداً".

"هممم. أتقصد اقتلاع العين ومعاملة بقية الجسم كما لو أنه
قمامة؟".

"أجل".

ونظر هاري إلى بتي. "لا يبدو أن من قام بهذا قاتل محترف".

هز أون كتفيه. "ربما كان قاتلاً محترفاً غاضباً".

"بصورة عامة، يملك المحترفون طريقةً يعتمدون عليها. وطريقة كريستو
ستانكيك هي حتى الآن إطلاق النار على ضحاياه".

"ربما يكون لديه مخزون أوسع من الطرق"، قالت بتي، "أو إن
الضحية قد فاجأته ربما في أثناء وجوده في الشقة".

"وربما لم يشأ إطلاق النار كي لا يثير انتباه الجيران"، قالت ماغريت.

فنظرت إليها الوجوه الثلاثة الأخرى.

أطلقت ابتسامة سريعة خائفة. "أعني... ربما كان بحاجة إلى الوقت

والسلام والهدوء. ربما كان يبحث عن شيء ما".

فلاحظ هاري أن بتي بدأت تتنفس فجأةً من أنفها بصعوبة،

وأصبحت أكثر شحوباً من العادة.

"كيف يبدو ذلك؟" سأل مخاطباً أون.

"من وجهة نظر علم النفس"، قال أون. "هناك مجموعة كبيرة من

الأسئلة والإجابات على صورة فرضيات".

في الخارج، سأل هاري بتي عن سبب تنفّسها بصعوبة.

"أشعر بالغثيان"، قالت.

"آه! يُرْفَضُ إذنك بالشعور بالغثيان الآن بالذات. هل هذا مفهوم؟".

فأجابته بابتسامة غامضة.

استيقظ، وفتح عينيه ورأى السقف الأبيض فوقه. كان يشعر بألم في

جسده ورأسه، وكان مسمراً في مكانه، وفي فمه شيء ما. وعندما حاول

التحرك، شعر بأن يديه وقدميه مقيدتين. رفع رأسه، ورأى في المرأة الموجودة

في آخر السرير، وعلى ضوء الشمعات المحترقة، أن فمه قد سُدَّ بِكُرَّةٍ

سوداء، فيما قيّدت يداه وقدماه بأغلال معدنية. أراد الصياح، ولكنه كان

يعلم أن الكرة ستمنع أي محاولة يقوم بها بشكل فعّال.

وسمع صوتاً في غرفة الجلوس.

"مرحباً، بوليتي؟"

بوليتي ؟ بوليتزاي ؟ شرطة؟

تخبط على السرير، جاذباً ذراعيه نحو الأسفل، وأثاً من شدة الألم بسبب ضغط الأغلال على معصميه. أدار يديه كي تتمكن أصابعه من الإمساك بالسلسلة بين الأغلال. كان والده قد علمه أن مواد البناء تُصنع على الدوام لتحمل الضغط في اتجاه واحد، وأن فنّ ليّ الفولاذ يحدد المكان الذي يتّصف بمقاومة أقل وكيفية ليّيه. والسلسلة الموجودة بين أغلال اليدين مصنوعة للحؤول دون فصلها عن بعضها.

لقد سمع الرجل يتحدث بإيجاز عبر هاتف غرفة الجلوس، وساد الهدوء بعد ذلك.

ضغط على المكان الذي تلتقي فيه الحلقة الأخيرة في السلسلة مع أحد القيدين المثبتين إلى عمود السرير المعدني، ولكنه قام بحركة برمّ بدلاً من الشد. حاول برمها أكثر فأكثر، فلم يتزحزح العمود. ثم حاول مجدداً، ولكن يديه انزلقتا.

"مرحباً". صدر الصوت من غرفة الجلوس.

أخذ نفساً عميقاً وأغمض عينيه، فتذكر والده بساعديه الضخمين وقميصه قصير الكمين، وهو يقف أمام صف القضبان الفولاذية في موقع البناء ويهمس له: أبعد كل الشك. لا مكان إلا لقوة الإرادة. فلا قوة إرادة للفولاذ، ولهذا السبب يخسر على الدوام .

نقر تور بيورغن بأصابعه بنفاد صبر على مرآة الروكوكو المزوّدة بزخرفاتٍ رمادية. كان مالك متجر التحف الأثرية قد قال له إن الروكوكو يُستخدم في غالب الأحيان بهدف الانتقاص من قدر الشكل وليبدو متنافراً. كان مقسّم الهاتف في مقر قيادة الشرطة قد حاول إيصاله بفريق مكافحة الجريمة، ولكن أحداً لم يُجب، وها هم الآن يحاولون إيصاله برجال الشرطة الذين يرتدون بذلات نظامية.

سمع أصواتاً صادرة من غرفة النوم؛ صلصلة السلاسل على السرير. ربما لم يكن الستيسوليد المهديّ فعّالاً جدّاً بالرغم من كل شيء.

"الشرطي المناوب". لقد أجفل الصوت الجهير تور.

"حسناً، معك... الأمر مرتبط بالمكافأة الموضوعية لأجل... ذلك الشخص

الذي أطلق النار على رجل من اتحاد الرعاية الاجتماعية".

"من يتكلم؟ ومن أين تتصل؟"

"تور، من أوسلو".

"هل يمكنك أن تكون أكثر تحديداً رجاءً؟".

فابتلع تور لعبه بصعوبة. كان قد مارس حقه - لأسباب عدة وجيهة - بعدم الكشف عن رقم هاتفه في أثناء الاتصال، ويعلم أن عبارة رقم مجهول تومض على شاشة العرض التي يملكها الشرطي المناوب. "باستطاعتي مساعدتك". كان صوت تور قد انتقل إلى جهاز لتطابق الأصوات.

"بادئ ذي بدء، أحتاج إلى معرفة...".

"أنا أحتجزه هنا مقيداً بالسريير".

"هل تقول إنك قيّدت شخصاً ما؟".

"إنه قاتل، أليس كذلك؟ إنه خطير. رأيتَه يحمل المسدس في المطعم. يدعى كريستو ستانكيك. رأيت الاسم في الصحيفة".
وساد الهدوء الجانب الآخر للحظات، ثم عاد الصوت بعد ذلك، ولكنه كان أقل هدوءاً. "اهدأ الآن. قل لي من أنت وأين أنت، وسنأتي على الفور".

"وماذا عن المكافأة؟".

"إذا أدّى ذلك إلى اعتقال الشخص الصحيح، فأنا سأؤكد أنك ساعدتنا".

"وهل سيتم تسليمي المكافأة على الفور؟".

"أجل".

فكر تور بكايب تاون، وأخذ نفساً عميقاً استعداداً للإجابة، ثم نظر إلى مرآة الروكوكو التي كلّفته اثني عشر ألف كرون. في تلك اللحظة، أدرك تور ثلاثة أمور: صدر صوت من ورائه، ولم يحصل على أغلال ذات جودة عالية، ومن المحتمل أنه لن يحتفل بذكرى ميلاده مجدداً.
"ألو"، قال الصوت عبر الهاتف.

كان تور بيورغن يرغب في الإجابة، ولكن حبلاً رفيعاً سدّ مجرى الهواء الأساسي لديه، ومنع صدور صوته.

19 - الخميس، 18 كانون الأول/ديسمبر. الحاوية

كان هناك أربعة أشخاص في السيارة المنطلقة عبر الظلام بين أكوام الثلج العالية.

"أوستغارد من هنا إلى اليسار"، قال جون من حيث يجلس على المقعد الخلفي، وقد وضع ذراعه حول ثيا المرؤعة.

غادر هالفورسن الطريق الرئيس، وراقب هاري بيوت المزارع المتفرقة المضأة، وهي تومض كمنارات في أعلى التلال أو بين كتل الأشجار.

عندما قال هاري إن شقة روبرت لم تعد مخبأً آمناً، اقترح جون أوستغارد، وأصرّ على انضمام ثيا إليه.

انحرف هالفورسن نحو الطريق الممتدة بين بيت المزرعة الأبيض والهري الأحمر.

"سيتوجب علينا قرع باب الجار لنطلب منه إزالة الثلج بواسطة جرّافته"، قال جون في أثناء تقدّمهم ببطء على الثلج المتساقط حديثاً في اتجاه بيت المزرعة.

"لن تقوم بأي عمل"، قال هاري. "يجب ألا يعرف أحد بوجودك هنا. ولا حتى الشرطة".

سار جون نحو جدار المنزل بجانب الدّرجات، وعدّ خمسة ألواح خشبية، ثم دسّ يده في الثلج تحت أحد الألواح.

"هنا"، قال مُخرِجاً المفتاح.

كان الطقس في الداخل أكثر برودة مما هو عليه في الخارج، وبدت الجدران الخشبية كما لو أنها متجمّدة داخل كتل جليدية؛ جاعلةً أصواتهم جشّاء. ضربوا أقدامهم بالأرض، نافضين الثلج عن أحذيتهم، ودخلوا مطبخاً واسعاً يحتوي على طاولة متينة، وجهاز طهو صغير، وخزانة طويلة للسّلع، ومِدْفأة على الحطب من طراز جوتول موجودة في الزاوية.

"سأشعل النار". كان نفس جون جليدياً، ففرك يديه لتدفئتهما. "ربما يكون هناك بعض الحطب داخل الخزانة، ولكننا سنكون بحاجة إلى المزيد منه. الحطب موجود في الخارج".

"باستطاعتي إحضار الحطب لك"، قال هالفورسن.

"سيتوجب عليك إبعاد الثلج من طريقك كي تمرّ. هناك رَفشان في الرّواق".

"سأنضم إليك"، تمتت ثيا.

كان الثلج قد توقف عن التساقط، وبدأت الرؤية تتوضح. وقف هاري بجانب النافذة وهو يدخن ويراقب هالفورسن وثيا اللذين أخذوا يجرفان الثلج الخفيف المتساقط حديثاً تحت ضوء القمر الأبيض، والمدفأة تفرقع، فيما جون يحدّق إلى ألسنة اللهب.

"كيف تقبلت صديقتك مسألة رانهيلد غيلستراب؟" سأل هاري.
"لقد سامحتني"، قال. "فكما قلتُ، حدث ذلك قبل علاقتي معها".
راقب هاري سيجارته وهي تتوهج. "أما زلتَ لا تملك أي فكرة عما كانت تقوم به في شقتك؟".

فهز جون رأسه.
"لا أعرف إذا كنت قد لاحظتَ ذلك أم لا"، قال هاري، "ولكن الأمر بدا لي كما لو أحدهم قد فتح دُرجك عُنوةً. ما الذي كنتَ تحتفظ به هناك؟".

هز جون كتفيه. "أشياء شخصية. معظمها رسائل".
"أهي رسائل حب من رانهيلد مثلاً؟".
فاحمرّ وجه جون خجلاً. "لا... أذكر. لقد رميتُ معظمها، ولكن ربما كنت لا أزال أحتفظ بالرسالتين الغريبتين. ولكنني أبقى الدُرج مُقفلاً على الدوام".

"كي لا تعثر عليهما ثيا عندما تكون بمفردها في الشقة، أليس كذلك؟".
فأوماً جون برأسه قليلاً.
خرج هاري إلى الدرجات المُشرفة على ساحة المزرعة، وتناول بضع مجّات أخيرة من سيجارته، ثم رماها فوق الثلج، وأخرج هاتفه المحمول. فأجاب غونار هاغن عند الرنة الثالثة.

"نقلتُ جون كارلسن"، قال هاري.
"كُن محدّداً".
"لا ضرورة لذلك".
"عفواً؟".

"إنه في مأمن الآن أكثر مما كان عليه سابقاً. سيبقى هالفورسن هنا الليلة".

"أين ياهول؟".
"هنا".

مُصغياً إلى الصمت الذي ساد في الطرف الآخر، فكّر هاري في ما سيحدث. بعد ذلك، خرج صوت هاغن مرتفعاً وواضحاً.

"هول، لقد طرح عليك قائدك للتوّ سؤالاً محدّداً. ويُعتبر رفضك الإجابة عنه تمرّداً. هل أنا واضح؟".

غالباً ما كان هاري يتمنى التصرف بشكل مختلف، وامتلاك قدر إضافي من الرغبة في التواصل الاجتماعي التي يملكها معظم الناس، ولكنه لم يكن كذلك قطّ.

"ما أهمية معرفتك بالمكان ياهاغن؟".

وارتجف صوت هاغن من شدّة الغضب. "سأجيبك عندما يكون باستطاعتك طرح أسئلة عليّ يا هول. هل فهمت؟".

انتظر هاري، وانتظر. وعندما سمع هاغن يأخذ نفساً عميقاً قال: "مزرعة سكانسن".

"ماذا قلت؟".

"تقع شرق سترومين. حقل التدريب التابع للشرطة في غابة لورين".

"أفهم"، قال هاغن أخيراً.

أنهى هاري الاتصال، وطلب رقماً آخر فيما كان يراقب ثيا المضاءة بنور القمر، والتي كانت تحدّق في اتجاه الحمام الخارجي. كانت قد توقفت عن جرف الثلج وجسدها متجمّد في وقفة غريبة.

"هل سكار موجود؟".

"هاري، هل من جديد؟".

"لا. هل هناك أيّ معلومات؟".

"لا شيء جدّي. ولكنّ الناس يتصلون. فقد عرفوا بوجود مكافأة. إنها فكرة سيّئة إذا طلبت رأيي. قدر كبير من الأعمال الإضافية لنا".

"ماذا يقولون؟".

"أنت تقصد ما الذي لا يقولونه؟ إنهم يصفون وجوهاً وجدوها متماثلة. والاتصال الأكثر غرابة هو من شخص تحدّث إلى الشرطي المناوب، مدّعياً قيامه بتقييد ستانكيك إلى سريره في المنزل، وسأل عما إذا كان بإمكانه الحصول على المكافأة".

انتظر هاري اختفاء دويّ ضحكة سكار. "كيف تثبتوا من صحة عدم قيامه بتقييده؟".

"لم يكونوا بحاجة إلى ذلك، فقد أنهى الاتصال. كان مُربكاً كما يبدو. ادّعى أنه رأى ستانكيك من قبل وهو يحمل مسدساً في المطعم. ما الذي تعتزمون القيام به؟".

"نحن... ماذا قلت؟".

"سألتُ ما الذي...".

"لا، ما قلته عن رؤية ستانكيك مع مسدس".

"ها ها، يمتلك الناس مخيِّلة خصبة، أليس كذلك؟".

"صَلني بالشرطي المناوب الذي تحدثت إليه".

"حسناً...".

"الآن ياسكار".

وتمَّ وصل هاري بالشرطي المناوب، فتحدّث إليه، وطلب منه البقاء على الخط.

"هالفورسن!". ودوّت صيحة هاري في أنحاء الساحة.

"أجل، ماذا هناك؟". وظهر هالفورسن تحت ضوء القمر أمام الهُري.

"ما اسم ذاك النادل الذي رأى شخصاً في الحمّام يحمل مسدساً

مغطى بالصابون؟".

"كيف يُفترض بي تذكّر ذلك؟".

"لا أبالي كيف، تذكّر الاسم فحسب".

في سكون الليل، ترددت الأصدا بين جدران المنزل والهُري.

"تور، ربما".

"ضربة موفّقة. تور هو الاسم الذي قاله للشرطي. رجل صالح. والآن،

اسم العائلة رجاء".

"إِحم... بيورغ؟ لا. بيورانغ؟ لا...".

"هيا، ياليف ياشن!".

"بيورغن. هذا هو. بيورغن".

"ارم الرفش. لديك الإذن بالقيادة كالمجنون".

وقفت سيارة شرطة تنتظرهما مع انقضاء عشرين دقيقة على مرور

هالفورسن وهاري بفستكانتتورغيت وانعطافهما إلى داخل بوابة شيفز متجهين

إلى عنوان تور بيورغن الذي زوّد رئيسُ النُدل في بيسكيت الشرطيّ المسؤول

به.

توقف هالفورسن بجانب سيارة الشرطة وأنزل النافذة.

"الطابق الثاني"، قالت الشرطة التي تجلس على مقعد السائق مُشيرَةً

إلى النافذة المُضاءة في الواجهة المبنية بآجر رمادي.

انحنى هاري نحو هالفورسن. "سنصعد أنا وهالفورسن. ليبقِ أحدكما

هنا على اتصال بالمركز، وليرافقنا الآخر إلى الفناء الخلفي ويراقب سلّم

المطبخ. هل لديك مسدس يمكنكني اقتراضه؟".

"أجل"، قالت المرأة.
وانحنى زميلها إلى الأمام. "أنت هاري هول، أليس كذلك؟".
"صحيح أيها الشرطي".
"قال شخص ما في المركز إنك لا تملك رخصة لحمل السلاح".
"لم أكن أملك رخصة أيها الشرطي".
"آه!".

ابتسم هاري وقال: "أفطرتُ في النوم في أثناء اختبار إطلاق النار الأول في الخريف. ولكن سيسرّك أن تعرف أنني حللتُ في المرتبة الثالثة في الاختبار الثاني. اتفقنا؟".

وتبادل الشرطيّان نظرات سريعة.
"اتفقنا"، تمتم الرجل.

انتفض هاري، وفتح باب السيارة، فأصدر المقعد الجلدي الذي يجلس عليه صوتاً. "حسناً، لنتحقق من هذه المعلومة".

للمرة الثانية في غضون يومين، كان هاري يحمل أم بيبي 5 بين يديه فيما كان يضغط على زرّ الهاتف الداخلي لشخص يدعى سِجْرستد، وشرح لامرأة عصبية المزاج أنهم من الشرطة وأن باستطاعتها الذهاب إلى النافذة ورؤية سيارة الشرطة قبل أن تفتح الباب. فقامت بما اقترح عليها القيام به، فيما دخلت الشرطة الباحة الخلفية واتخذت موقعها هناك، في حين صعد هالفورسن وهاري الدَّرَج.

كان اسم تور بيورغن مكتوباً بالأسود على لوحة نحاسية معلقة فوق جرس الباب. ففكّر هاري في بيارني مولر الذي كان قد علّمه عندما ترافقا للمرة الأولى في مهمة مشتركة الطريقة الأكثر بساطة والأكثر فعالية لاكتشاف ما إذا كان هناك أحد في المنزل. وضع أذنه على زجاج الباب، فلم يسمع أي صوت في الداخل.

"محشوّ وزرّ الأمان مُغلق"، همس هاري.

كان هالفورسن قد أخرج مسدس الخدمة ووقف بمحاذاة الجدار إلى يسار الباب.

رنّ هاري الجرس، ثم أصغى قاطعاً أنفاسه.
ورنّ مجدداً.

"هل نقتحم أم لا؟"، همس هاري، "هذا هو السؤال".

"في هذه الحالة، كان يُفترض بنا الاتصال بالمدعي العام أولاً للحصول على مذكرة بحث...".

وصمت هالفورسن حين حطّم هاري الزجاج بواسطة الأم بيبي 5، ومدّ يده إلى الداخل وفتح الباب.

انسلاً إلى داخل الرّدهة، وأشار هاري إلى الأبواب التي يُفترض بهالفورسن التحقق منها، فيما دخل غرفة الجلوس. إنها فارغة. ولكنه لاحظ في الحال أن المرأة المعلّقة فوق طاولة الهاتف قد تلقت ضربة بشيء حادّ. كانت هناك قطعة مستديرة من الزجاج في الوسط على الأرض، وتخرج من الإطار الزّخرفي المذهّب خطوط سوداء كما لو أنها شمس سوداء. ركز هاري على الباب المفتوح جزئياً في آخر الغرفة.

"لا أحد في المطبخ أو الحمام"، همس هالفورسن وراءه.
"حسناً. استعدّ".

وتوجّه هاري نحو الباب. كان باستطاعته الشعور به الآن. فلو كان هناك أحد ما، فإنهما سيعثران عليه في الداخل. وانفجر صوت عادم في الخارج، وزعقت فرامل ترام بعيداً. لاحظ هاري أنه احدودب بشكل تلقائي ليجعل نفسه هدفاً أصغر حجماً.

فتح الباب بواسطة فوهة المسدس ودخل، واتخذ جانب الجدار كي لا يظهر خياله الظلي، وبقي بمحاذاته واضعاً إصبعه على الزّناد، وانتظر تعود عينيّه على الظلام.

ورأى في الضوء الذي تسلل من المدخل سريراً كبيراً مع درابزين نحاسي. كانت هناك ساقان عاريتان ناتئتان من تحت اللحاف السميك. مشى هاري نحو السرير بخطوات واسعة، وأمسك بطرف اللحاف وسحبه.
"آه!" هتف هالفورسن. كان واقفاً عند مدخل الباب، فأنزل مسدسه ببطء فيما كان يحدّق إلى السرير مذهولاً.

قيّم السياج، ثم شرع بالركض، وبعد ذلك قفز مستخدماً الحركات اللولبية في طريقه إلى الأعلى؛ الحركات التي علّمه بوبو إيّاها. واصطدم المسدس الموجود في جيبه بمعدته فيما كان يتأرجح فوق السياج. وحين أصبح في الجانب الآخر، رأى تحت ضوء مصباح إنارة الشارع على الإسفلت المغطّى بالجليد، مزقاً كبيراً في سترته الزرقاء يخرج منه قماش أبيض.

وحمله صوت ما على الابتعاد من الضوء إلى داخل ظلال الحاويات الموضوعة فوق بعضها في منطقة الميناء الضخمة. أصغى وراقب. كان الهواء يصفّر عبر النوافذ المحطّمة لكوخ خشبي مظلم ومهجور.

لم يكن يعرف السبب، ولكنه شعر بأنه مراقب. لا، لم يكن مراقباً،

بل تمّ اكتشافه والإمساك به. هناك من يعرف أنه هنا، ولكنه لم يره ربما. دققت عيناه النظر إلى السياج المضاء، بحثاً عن أجهزة إنذار محتملة. لا شيء.

سار على امتداد صقّين من الحاويات قبل أن يعثر على إحداها مفتوحة. فدخل الحاوية، وغرق في الظلمة التي لا يمكن اختراقها، وعلم على الفور بوجود خَطب ما؛ سيتجمّد حتى الموت إذا نام هنا. لقد سمع صوت حفيف عندما داس على أوراق صحف. كان عليه الحصول على الدفاء.

في الخارج، انتابه مجدداً ذاك الشعور بأنه مراقب. توجه إلى الكوخ، وأمسك بأحد الألواح الخشبية بإحكام وسحبه. اقتلع اللوح الخشبي من مكانه محدثاً دويّاً. واعتقد أنه ملح شيئاً ما، فاستدار، ولكن كل ما تمكن من رؤيته هو ومضات أضواء خافتة صادرة من الفنادق الجذّابة المنتشرة حول محطة قطارات أوصلو المركزية، والظلام في الممر المؤدي إلى مكان إقامته لهذه الليلة. وبعد بذله جهداً لاقتلاع لوحين خشبيين إضافيين، عاد إلى الحاوية. كانت هناك آثار مخالب حيث جُرف الثلج. مخالب كبيرة؛ لا بد أنه كلب حراسة. هل تواجد أحد ما هنا من قبل؟ حطّم قطعاً كبيرة من الألواح الخشبية ووضعاها على الجدار الفولاذي داخل مدخل الحاوية، وترك الباب مفتوحاً جزئياً أملاً في خروج بعض الدخان. كانت علبة عيدان الثّقاب التي اصطحبها معه من غرفة النُزل في الجيب نفسه حيث يضع مسدسه. فأشعل صحيفة تحت قطع الخشب، ووضع يديه فوق السنة اللهب الصغيرة.

فكّر في عينيّ النادل المذعورتين وهما تنظران إلى ماسورة المسدس فيما كان يبحث عن فكة في جيبه. هذا كل ما لديه - كان قد شرح - وكان المبلغ كافياً للحصول على شطيرة وتذكرة لقطار الأنفاق، ولكن ليس على مكان للاختباء فيه، والشعور بالدفاء، والنوم. ولكن النادل كان غيباً بما يكفي بعد ذلك ليقول له إنه أبلغ رجال الشرطة، وإنهم في طريقهم إليه. لقد قام بما يتوجب عليه القيام به.

أضاءت السنة اللهب الثلج في الخارج. ولاحظ المزيد من آثار المخالب خارج الباب. غريب كيف أنه لم يرها عندما قصد الحاوية للمرة الأولى. أصغى إلى صوت تنفّسه، وإلى تردد صدى الصندوق الحديدي الذي يجلس عليه، كما لو أن هناك صندوقين في الداخل، بينما كان يتبع الآثار بعينيه. وتسمّر في مكانه. لقد تقاطعت آثار قدميه مع آثار مخالب الحيوان، ورأى

داخل آثار حذائه آثارٍ مخالب.

دفع الباب بقوة، فانتشرت ألسنة اللهب مع انغلاق الباب بصوت مكتوم. وحدها أطراف الصحيفة المشتعلة كانت تتوهج في الظلام الدامس. وخفق قلبه بقوة. هناك شيء ما في الخارج يطارده؛ باستطاعته اشتامه ومعرفة رائحته. وحبس أنفاسه. حينئذٍ أدرك الأمر: ما يطارده غير موجود في الخارج، وما يسمعه ليس صدى تنفّسه، بل إنه صوت كائن حي موجود في الداخل. وفيما كان يمدّ يده لإخراج مسدسه من جيبه، وجد نفسه يفكر في مدى غرابة عدم قيامه بالزنجرة وإحداث أي صوت حتى الآن. وسمع صوت كشط خفيف على الأرض الحديدية عندما انقضّ الكلب عليه. وكل ما تمكن من القيام به هو رفع ذراعه قبل أن يُطبق الفكّان على يده، ويتسبب الألم بانفجار عقله إلى وابل من الكسّر.

تفحص هاري السرير بعناية، وافترض أنه تور بيورغن. اقترب هالفورسن منه ووقف بجانبه: "يا الله!" همس. "ماذا يجري هنا؟".

"هل هذا هو النادل الذي تحدثت إليه في بيسكيت؟" سأله هاري، وهو يُلقي نظرة على أرجاء الغرفة. "أعتقد ذلك. ما هذه الثياب التي يرتديها!؟". انحنى هاري، والتقط شيئاً ما كان إلى جانب كوب ماء نصف ممتلئ وموضوع على طاولة السرير. إنها حبة، فتفحصها. وأنّ هالفورسن. "الأمر مثير للغثيان".

"إنّه نوع من الاضطراب في الشخصية"، قال هاري. "ما رأيك؟" سأل هالفورسن. "أهي حبوب للانتحار؟". "من الأفضل أن تسأله"، قال هاري، والتقط كوب الماء، وأفرغ محتوياته فوق وجه الرجل المستلقي على السرير، فيما حدّق إليه هالفورسن فاغراً فمه.

"لو لم تكن مسترسلاً بالدهشة لسمعتّه يتنفس"، قال هاري. "إنه ستيسوليد. وهو ليس أسوأ من الفاليوم بكثير".

كان الرجل المستلقي على السرير يلهث طلباً للهواء. ومن ثم، انكمش الوجه وانتابته نوبة سعال.

جلس هاري على حافة السرير، وانتظر إلى أن تمكّن الرجل من النجاح في التركيز عليه.

"نحن شرطيان يابيوورغن. نعتذر عن اقتحامنا منزلك على هذا النحو، ولكن هناك ما يدفعنا للاعتقاد بأن لديك شيئاً ما نريده، ولم تعد تملكه كما يبدو".

طرفت العينان أمامه مرتين. "ما الذي تتحدث عنه؟" قال صوت أجش. "كيف دخلتما؟".

"عبر الباب"، قال هاري. "كان لديك زائر آخر في وقت مبكر من هذا المساء".

فهز الرجل رأسه.

"هذا ما قتلته للشرطة"، قال هاري.

"لم يكن هنا أحد. وأنا لم أتصل بالشرطة. رقمي غير مسجل في دليل الهاتف، ولا يمكنك اقتفاء أثره".

"بلى، يمكننا. وأنا لم أقل شيئاً عن اتصالك. قلت على الهاتف إنك قيّدت شخصاً ما إلى السرير بالسلاسل، ويمكنني رؤية أجزاء معدنية من درابزين السرير على الملاءة هنا. يبدو أن ضربة قويّة قد سُدت أيضاً إلى المرأة في الخارج. هل فرّ يابيوورغن؟".

فحدّق الرجل إلى هاري وهالفورسن ببله.

"هل هدّدك؟". كان هاري يتكلم برتابة وبالصوت المنخفض نفسه. "هل قال إنه سيعود إذا قلت أي كلمة لنا؟ هل هذا ما حدث؟ هل أنت خائف؟".

فتح الرجل فمه ثم أغلقه.

"هذا ما يقولونه عادة"، قال هاري. "ولكن، هل تعرف؟ لو قصد ذلك فعلاً لكنت ميتاً الآن".

وحدّق الرجل إلى هاري.

"هل تعرف إلى أين ذهب يابيوورغن؟ هل أخذ معه أي شيء؟ هل أخذ مالاً أو ملابس؟".

وساد الصمت.

"هيا. الأمر هام. إنه يطارد شخصاً هنا في أوصلو ويريد قتله".

"لا أملك أي فكرة عما تتحدث عنه"، همس تور بيورغن من دون أن يُبعد نظره عن هاري. "هلاً غادرتما الآن، رجاءً".

"بالطبع. ولكن ينبغي لي الإشارة إلى أنك تجاوزت في تلقّي تهمة توفير ملاذ لقاتل فارّ. وقد تعتبر المحكمة هذا الأمر - في أسوأ الحالات - شراكة في الجريمة".

"استناداً إلى أي دليل؟ حسناً، ربما اتصلت. كان هدي المزاح. أردتُ المزاح قليلاً. ما السوء في ذلك؟".

نهض هاري عن السرير وقال: "كما تشاء. سنذهب الآن. احزم القليل من ملابسك. سأرسل رجلين لاصطحابك يا بيورغن".
"اصطحابي!".

"لاعتقالك". وأوماً هاري لهاالفورسن بأن عليهما المغادرة.
"اعتقالي!" كان صوت بيورغن أجش. "لماذا؟ أنتم لا تملكون أي دليل ضدي".

فأظهر له هاري ما يحمله بين إبهامه وسبّابته وقال: "الستيرويد مخدّر يتم الحصول عليه بموجب وصفة طبيّة كالأمفيتامين يا بيورغن. لذلك، أخشى أنه سيتوجب عليّ اعتقالك بسبب امتلاكك إيّاه ما لم تُبرز لي الوصفة الطبيّة. وسيُحكّم عليك بالسجن لمدة عامين".

"أنت مُمازحني". وجلس بيورغن على السرير، وتلقّف اللحاف السميك عن الأرض. في تلك اللحظة فقط، انتبه إلى الثياب التي يرتديها.
توجّه هاري نحو الباب وهو يقول: "أوافقك الرأي تماماً يا بيورغن. برأيي الشخصي، إن القوانين النرويجية أكثر قسوة في ما يتعلق بالمخدّرات الخفيفة. ولكن، كان بإمكانني غضّ الطّرف لو كانت الظروف مختلفة. عُمّت مساءً".

"انتظر!".

وتوقف هاري، وانتظر.

"أ- أ- شقاؤه..." تأتأ بيورغن.

"أشقاء؟!".

"قال إنه سيرسل أشقاءه في إثري إذا حدث له أي شيء في أوسلو. إذا اعتُقل أو قُتل، فسيطاردونني. قال إن أشقاءه يحبون استخدام الحمض".
"لا أشقاء لديه"، قال هاري.

فرفع بيورغن رأسه، ونظر إلى الشرطي وسأله بدهشة صادقة: "أليس لديه أشقاء؟".

فhez هاري رأسه.

فرك بيورغن يديه. "لقد... لقد تناولتُ تلك الحبوب لأنني كنت مكدّر المزاج. يتمّ تناولها لهذا الغرض. أليس كذلك؟".

"أين ذهب؟".

"لم يقل".

"هل أخذ أي مال؟".

"بعض الفكة التي كنت أحملها". ومن ثم تنحنح. "و... وجلستُ هنا فحسب، كنت شديد الخوف..." وقاطع نشيج فجائي المدد والجَزْر في كلامه. "أنا خائف جداً".

نظر هاري إلى الرجل الباكي وقال له: "إذا رغبت، يمكنك النوم في مقر قيادة الشرطة الليلة".

"سأبقى هنا"، ونخر بيورغن.

"حسناً. سيمرّ بك أحدنا في الصباح الباكر لتبادل المزيد من أطراف الحديث".

"حسناً. تمهّل! إذا ألقيت القبض عليه...".

"أجل؟".

"لا تزال فرصة الحصول على تلك المكافأة موجودة، أليس كذلك؟".

استعرت النار. كانت ألسنة اللهب تنعكس على قطعة زجاج مثلثة الشكل استخرجها من النافذة المحطّمة في الكوخ. كان قد جمع المزيد من الحطب، وبدأ يشعر بالدفء. ستكون الحرارة أسوأ في الليل، ولكنه حيّ. لقد قطع أجزاء مستطيلة من قميصه بواسطة قطعة الزجاج، ولقّها حول أصابعه النازفة. كان فكاً الحيوان قد أطبقا على يده الممسكة بالمسدس، وعلى المسدس أيضاً.

بدا على جدار الحاوية ظل متزّنر أسود مدلّي بين السقف والأرض، وفكاه مفتوحان، وجسده ممدّد ومتجمّد بعد آخر هجوم صامت له. كانت ساقاه مقيّدتين بسلك معدني استخرجه من فجوة في أحد الأخاديد الحديدية في السقف، والدم يتقاطر ببطء من فمه ومن الثُّقب وراء أذنه حيث خرجت الرصاصة، ويسيل على الأرض بانتظام أشبه بانتظام الساعة. لن يعرف أبداً ما إذا كانت عضلاته أو عضة الكلب هي التي ضغطت على إصبعه الموضوع على الزناد، ولكنه لا يزال يشعر بالجدران تتذبذب بعد الطلق الناري السادس منذ وصوله إلى هذه المدينة الملعونة. بقيت لديه الآن طلقة واحدة فقط في المسدس.

إن طلقة واحدة تكفي، ولكن كيف سيعثر على جون كارلسن الآن؟ كان بحاجة إلى شخص ما يقوده في الاتجاه الصحيح. فتبادر الشرطي إلى ذهنه. هاري هول. لم يكن اسمه يبدو مألوفاً. ربما لن يكون من الصعب العثور عليه.

القسم الثالث: العقاب

20 - الخميس، 18 كانون الأول/ديسمبر.

قاعة اجتماعات اتحاد الرعاية الاجتماعية

كانت لوحة النيون خارج فيكا أ تريوم تشير إلى حرارة تبلغ ثمانية عشرة درجة تحت الصفر، فيما تشير الساعة داخلها إلى التاسعة مساءً، وذلك في أثناء وقوف هاري وهالفورسون في المصعد الزجاجي مراقبين النباتات الاستوائية تحتها التي راحت تصغر أكثر فأكثر مع ارتفاعهما نحو الأعلى.

قطّب هالفورسن وجهه وقال: "المصاعد الزجاجية جيدة". فقاطع هاري كلامه وقال: "لا مشكلة مع الارتفاعات". "آه!".

"أريد منك التمهيد للموضوع وطرح الأسئلة. سأنضمّ إليك بعد ذلك. اتفقنا؟".

فأوما هالفورسن برأسه.

كانا قد جلسا في السيارة للتوّ بعد زيارتهما تور بيورغن عندما اتصل بهما غونار هاغن وطلب منهما التوجّه إلى فيكا أ تريوم حيث ينتظرهما ألبرت ومادس غيلستراب - الوالد والابن - للتقدّم بإفادتهما. لقد أشار هاري إلى أن الاتصال بالشرطة للتقدّم بإفادة ليس عملاً طبيعياً، وطلب أن يقوم سكار بالتعاطي مع المسألة.

"ألبرت على معرفة قديمة بالرئيس"، كان هاغن قد شرح. "لقد اتصل ليقول إنهما قررا عدم التقدّم بتقرير لأحد باستثناء الضابط الذي يتّأس التحقيق. تكمن الناحية الإيجابية في عدم وجود مُحام". "حسناً".

"عظيم. أفدّر لك ذلك".

إذاً، لا أوامر هذه المرة.

كان رجل قصير القامة يرتدي سترة زرقاء فضفاضة ينتظرهما خارج المصعد.

"ألبرت غيلستراب"، قال وهو يمدّ يده لمصافحته بطريقة خاطفة ولكن حازمة؛ من دون أن يحرك شفتيه تقريباً. كان لغيلستراب الأب شعراً أبيض ووجه متجعّد، ولكنه في الوقت نفسه يبدو فتياً. أمعنت عيناه اليقظتان النظر إلى هاري فيما كان يرافقه إلى باب يحمل لوحة تشير إلى مقرّ

غيلستراب إينفست.

"أرجو أن تكون مُدرَكًا لتعرّض ابني لضربة قاسية"، قال ألبرت غيلستراب. "كانت الجثة في حالة مُزرية، وأخشى القول إن مادم يمتلك طبيعة حسّاسة بطريقة ما".

لقد استنتج هاري من طريقة تعبير ألبرت غيلستراب عن رأيه أنه رجل عملي يعرف أنه لا يمكن القيام بأي شيء للضحية، أو إن كتته لم تحتل مكانة خاصة في قلبه.

في منطقة الاستقبال الصغيرة التي تحتوي على الأثاث بشكل حصري، صورُ نرويجية ذائعة الصيت ذات مواضيع وطنية - رومانسية سبق لهاري أن رأى نسخاً عنها مرّاتٍ لا تُحصى ولا تُعدّ: رجل مع هرّ في ساحة المزرعة، قصر سوريا ماريا.

كان مادم غيلستراب جالساً وهو يحدّق عبر الجدار الزجاجي عندما دخلوا قاعة الاجتماعات. سعل الوالد واستدار الابن ببطء كما لو أنه قوطع في منتصف حُلْم لم يشأ الخروج منه. وأول شيء صدم هاري هو أن الابن لا يُشبه الوالد. فوجهه ضيق، ولكن ملامح وجهه المستدير وشعره المجعد جعلت مادم غيلستراب يبدو أصغر سنّاً من كونه في العقد الرابع من العمر كما افترض هاري، أم إن نظراته المعبرة وتينك العينين البنيّتين اللتين توحيان بعجز أشبه بعجز الطفل هي التي لفتت انتباههما في النهاية عندما وقف.

"أنا ممتنّ بسبب تمكّنك من القدوم"، همس مادم غيلستراب بصوت أجشّ، ضاغطاً على يد هاري بقوة جعلت هاري يتساءل عما إذا كان الابن قد ظنّ أن رجل الدين هو الذي وصل وليس الشرطة.

"لا أبداً". قال هاري. "كنا نريد التحدث إليكما بأي حال".

سعل ألبرت غيلستراب من دون أن يفتح تقريباً فمه الذي بدا كشيء في وجه خشبي. "مادم يعني أنه ممتنّ لقدومكما نزولاً عند طلبنا. ظننّا أنكما ربما تفضّلان مركز الشرطة".

"وظننّت أنكما ربما تفضّلان لقاءنا في المنزل بسبب تأخّر الوقت"، قال هاري موجّهاً كلامه للابن.

نظر مادم إلى والده بتردد، وأجاب بعد تلقّيه إيماءة خفيفة بالرأس: "لا يمكنني تحمّل وجودي هناك. المكان... فارغ جداً. سأنام في المنزل الليلة".

"معنا"، أضاف الوالد شارحاً، ورمقه بنظرة ظنّ هاري أنه يُفترض بها

التعبير عن تعاطفه، ولكنها بدت ازدراءً.

جلسوا، ودفع الوالد والابن لهاري وهالفورسن ببطاقتيهما. فردّ هالفورسن بدفع بطاقته نحوهما. ونظر غيلستراب الوالد إلى هاري مترقباً. "لم تُطبع بطاقتي بعد"، قال هاري. وهذا أمر صحيح تماماً كما هو الحال على الدوام. "ولكنني وهالفورسن نعمل كفريق، لذلك كل ما يتعيّن عليكما القيام به هو الاتصال به".

وتنحج هالفورسن. "لدينا القليل من الأسئلة".

أراد هالفورسن من أسئلته معرفة تحركات رانهيلد في وقت مبكر من ذلك اليوم، وما كانت تفعله في شقة جون كارلسن، والأعداء المحتملين. وقوبل كل سؤال بهزة رأس.

بحث هاري عن حليب لقهوته، ثم شرع بتناولها. ربما كان هذا الأمر دلالة على تقدّمه في السنّ. فقبل بضعة أسابيع، استمع إلى رائحة البيتلز التي لا تقبل الجدال سرجنت بيبرز لوني كلاب بند وخيّب أمله. لقد باتت قديمة العهد أيضاً.

كان هالفورسن يقرأ الأسئلة عن دفتر مدوّناته، ويدوّن ملاحظاته على عجل من دون إقامة تواصل بصري. لقد طلب من مادس تحديد مكان وجوده بين الساعة التاسعة والعاشر من صباح هذا اليوم؛ وهو وقت الوفاة وفقاً لتقديرات الطبيب.

"كان هنا"، قال ألبرت غيلستراب. "كنا نعمل هنا طوال اليوم، ونحاول إلقاء نظرة شاملة على شؤون المؤسسة". ووجّه كلامه إلى هاري. "كنا نتوقّع منك طرح هذا السؤال. قرأت أن الزوج هو على الدوام الشخص الأول الذي تشتبه فيه الشرطة في أثناء إجرائها تحقيقاتها حول جريمة قتل". "لسبب وجيه"، قال هاري. "من وجهة نظر إحصائية".

"حسناً"، وأوماً ألبرت غيلستراب برأسه. "ولكننا لا نتكلم عن الإحصائيات أيها الشرطي العزيز، بل عن الواقع".

نظر هاري إلى عيني ألبرت غيلستراب الزرقاوين البرّاقتين، فيما ألقى هالفورسن نظرة سريعة في اتجاه هاري كما لو أنه مرّوع من أمر ما. "إذاً، لنتمسك بالواقع"، قال هاري، "وهزّأ رأسيكما على نحوٍ أقلّ وقولا المزيد. مادس؟".

فانتصب رأس مادس غيلستراب كما لو أنه كان نائماً واستيقظ. وانتظر هاري التقاء أنظارهما وقال: "ماذا كنت تعرف عن العلاقة التي تربط جون كارلسن بزوجتك؟".

"توقف!". لقد تحرك فم الدمية الخشبية. "ربما يكون هذا النوع من الوقاحة مقبولاً مع العملاء الذين تتعاطى معهم على أساس يومي، ولكن ليس هنا".

تنهّد هاري، ونظر إلى مادس قائلاً: "إذا كانت هذه رغبتك، فباستطاعة والدك البقاء هنا يامادس. ولكنني سأقوم برميّه خارجاً إذا اضطّرت إلى ذلك".

ضحك ألبرت غيلستراب. إنها ضحكة المنتصر المتمرس الذي اكتشف أخيراً مناوئاً له جديراً بالاحترام. "أخبرني أيها المفتش، هل سأكون مضطراً إلى الاتصال بصديقي الضابط المُشرف وإخباره كيف يُعامل رجلاه شخصاً فقد زوجته للتوّ؟".

كان هاري يهّم بالإجابة، ولكن مادس حال دون ذلك حين رفع يده ببطء ولباقة على نحو غريب وقال: "علينا اكتشاف كفاءاته ياوالدي. علينا مساعدة بعضنا".

وانتظروا، لكن نظرات مادس عادت إلى الجدار الزجاجي ولم يقل أي شيء آخر.

"حسناً"، قال ألبرت بالإنكليزية وبلفظ صحيح. "سنتحدث بشرط واحد: أن نقوم بذلك وجهاً لوجه ياهول. باستطاعة مساعدك الانتظار في الخارج". "نحن لا نعمل على هذا النحو"، قال هاري.

"ونحن نحاول التعاون ياهول، وهذا الطلب ليس موضع نقاش. أما البديل فهو التحدث إلينا عن طريق محامينا. هل فهمت؟".

انتظر هاري ارتفاع وتيرة غضبه. وعندما لم يحدث ذلك، زال كل شك لديه: إنه يكبر في الواقع. فأوماً لهاالفورسن الذي بدا متفاجئاً، ولكنه وقف. وانتظر ألبرت غيلستراب قيام الشرطي بإغلاق الباب وراءه قبل أن يقول:

"أجل، لقد التقينا جون كارلسن. مادس، رانهيلد، وأنا التقينا بوصفه المستشار المالي لاتحاد الرعاية الاجتماعية. لقد قدّمنا له عرضاً كان بإمكانه أن يكون مفيداً جداً له، ولكنه رفضه. إنه شخص يتمتع بأخلاق عالية ونزاهة من دون أي شك. ولكن، بالطبع، ربما كان يتودّد إلى رانهيلد بأي حال؛ فهو ليس أول من يتودّد إليها. أنا مُدرك أن العلاقات الغرامية خارج الزواج لم تُعد أخباراً تُنشر في الصفحات الأولى. وما يجعل إلماعاتك مستحيلة هو رانهيلد نفسها. صدّقني، عرفتُ المرأة منذ مدة طويلة. وهي ليست عضواً محبوباً جداً في العائلة فحسب، بل تتمتع بأخلاق حميدة أيضاً".

"وإذا قلتُ لك إنها كانت تملك مفاتيح شقة كارلسن؟".
"لم أعد أريد سماع المزيد عن القضية!" قال ألبرت بغضب.
ألقي هاري نظرة على الجدار الزجاجي، ورأى انعكاس وجهه مادمس
غيلستراب في أثناء قيام والده بمتابعة كلامه.

"لنتطرق مباشرةً إلى سبب رغبتني في إجراء اللقاء معك وجهاً لوجه
يا هول. أنت تتأسس التحقيق، وفكرنا في أن نعرض عليك مكافأة إذا ألقيت
القبض على المذنب بمقتل رانهيلد. لأكون محدداً، أعرض عليك مئتي ألف
كرون، وبتكتم تام".

"أستميحك عُذراً؟" قال هاري.

"حسناً"، قال غيلستراب. "يمكن مناقشة المبلغ. إن الأمر الحيوي لنا هو
إيلاء الشرطة الأولوية لهذه القضية".
"أخبرني، هل تحاول رشوتي؟".

وارتسمت على وجه ألبرت غيلستراب ابتسامة لاذعة. "إنه أمر مفاجئ
يا هول. فكر في الأمر جيداً. لن نعترض إن أقدمت على منح المال لأرامل
رجال الشرطة".

لم يُجب هاري، وضرب ألبرت غيلستراب الطاولة بيده بقوة.
"أعتقد أن اللقاء قد انتهى. لنُبقي القنوات مفتوحة أيها المفتش".
تثاءب هالفورسن عندما وصل المصعد الزجاجي إلى الطابق الأرضي
برفق وهدوء.

"لماذا لم ترم الوالد خارجاً على الفور؟" سأل.

"لأنه مثير للاهتمام"، قال هاري.

"ماذا قال عندما كنت في الخارج؟".

"إن رانهيلد ودود ولا يمكن أن تكون قد أقامت علاقة مع جون
كارلسن".

"هل يصدّقان ذلك؟".

فهز هاري كتفيه.

"هل تحدّثا عن أي أمر آخر؟".

وتردد هاري. "لا". وحدّق إلى المساحة الخضراء التي تتوسطها نافورة
في صحراء الرخام.

"ما الذي تفكر فيه؟" سأل هالفورسن.

"لست متأكداً. ولكنني أظنّ أنني رأيتُ مادمس غيلستراب يتسم".

"آه!".

"رأيتُ انعكاس صورته على الزجاج. هل لاحظتَ أن ألبرت غيلستراب يبدو كذميمة خشبية؟ من النوع الذي يستخدمه المتكلمون من بطونهم".
هز هالفورسن رأسه.

عبرا مونكدامسفين سيرا على الأقدام في اتجاه قاعة أوصلو للحفلات الموسيقية حيث يندفع التجار المثلقلون بالسُّلع على امتداد الأرصفة.
"من المؤسف كيف أن البرد يجعل الأبخرة الخارجة من المحركات تعانق الأرض. كل المدينة تختنق"، قال هاري مرتجفاً.

"إنها أفضل من رائحة عطر ما بعد الحلاقة الكريهة والمثيرة للاشمئزاز في غرفة الاجتماعات"، قال هالفورسن.

عند مدخل قاعة الاحتفالات الموسيقية، كان هناك ملصق إعلاني للحفلة الموسيقية التي يقيمها اتحاد الرعاية الاجتماعية . وعلى الرصيف، جلس فتى ماداً يده بكوب ورقي فارغ.
"لقد كذبتَ على بيورغن"، قال هالفورسن.
"آه!".

"حُكم بالسجن لمدة عامين بسبب حبة ستيسوليد واحدة! ومعلوماتك، ربما يكون لستانكيك تسعة أشقاء منتقمين".
هز هاري كتفيه، ونظر إلى ساعته. كان متأخراً جداً على اجتماع أيه .
أيه .

صاح ديفيد إكهوف خاطباً بالمحتشدين، وارتعش لسان اللهب أمامه.
سَرَتْ تمتمة وسط المحتشدين في القاعة الكبيرة البيضاء ذات الأثاث البسيط.

ألقي المدير نظرة على أولئك المجتمعين، وصمت قليلاً لإحداث وِقَع في النفوس قبل أن يُكمل. "وبالرغم من كل ذلك... يجب علينا تقديم يد المساعدة لهم".

وعندما أنهى المدير كلمته، أُعطي حق الكلام للشهادات الشخصية، فتكلم رجل مُسنٌّ عن تجربته، وتلاه آخرون. ثم عُزفت الموسيقى وُقُرت الطبول.

وبعد ذلك، دنا ديفيد إكهوف من مكبر الصوت مجدداً وقال:
"أصدقائي الأعزاء، اسمحوا لي باختتام هذا اللقاء المسائي بإبلاغكم أن مكتب رئيس الوزراء قد أكد اليوم أن رئيس الوزراء سيحضر الحفلة الموسيقية السنوية في قاعة أوصلو للحفلات الموسيقية".

لقد قوبل النبأ بتصفيق فوري. ووقف المحتشدون وتوجهوا بتمهل نحو

المخرج، فيما كانت الغرفة تضجّ بأحاديث ناشطة. وحدها مارتين إكهوف بدت على عجلة من أمرها. كان هاري جالساً على المقعد الأبعد في الخلف يراقبها وهي تعبر الممشى الأوسط. كانت ترتدي تنورة صوفية، وجوارب طويلة سوداء من ماركة دوك ماتنز على غرارها، وتعتمر قلنسوة بيضاء مُحَاكَة. نظرت إليه مباشرةً من دون أن تبدو عليها أي دلالة على معرفته. ومن ثم أضاء وجهها، فوقف هاري.

"مرحباً"، قالت مُمِيلَةً رأسها ومبتسمة. "هل جئت بدافع العمل؟".
"حسناً، والدك خطيب حقيقي".

ظنّ هاري أنه ملح ريكارد في الحشد وراءها. "اسمعي، لديّ سؤالان. إذا كنتِ تشعرين بالرغبة في السير في البرّد، فباستطاعتي مرافقتك إلى المنزل".

وبدت مارتين مرتابة.

"إذا كان الوجهة التي تقصدينها بالطبع"، أضاف هاري من دون إبطاء.

فألقت مارتين نظرة حَوْلها قبل أن تجيب. "يمكنني السير معك إلى المنزل".

كان الهواء في الخارج رطباً وبارداً وكثيفاً، ويحمل رائحة دهون وعوادم السيارات.

"سأدخل صلب الموضوع مباشرةً"، قال هاري. "أنتِ تعرفين كلاً من روبرت وجون. هل من الممكن أن يكون روبرت قد أراد قتل شقيقه؟".
"ماذا قلت؟".

"فكري قليلاً قبل أن تجيبي عن سؤالِي".

تقدّما خطوات قليلة على الثلج السميك، مروراً بمسرح إدركوبن، وعبرَ الشوارع المُقْفِرَة. وكانت سيارات الأجرة تمرّ بين الحين والآخر وهي تُقلّ ركباً يرتدون ملابس احتفالية.

"كان روبرت متهوراً قليلاً"، قالت مارتين. "ولكن، لا يمكن أن يقتل" وهزّت رأسها بقوة.

"ربما طلب من أحدهم القيام بذلك".

فهزت مارتين كتفَيها وقالت: "لم أكن على علاقة وثيقة بجون وروبرت".

"لِمَ لا؟ لقد نشأتم معاً إذا جاز التعبير".

"أجل، ولكنني لم أكن على علاقة وثيقة بأيّ منهما في الواقع. كنت

أحب العزلة أكثر؛ على غرارك".

"أنا!". صدر الرّد المتفاجئ من هاري.

"باستطاعة ذئب وحيد تمييز مثيله، كما تعلم".

ألقي هاري نظرة سريعة على الفتاة التي تسير إلى جانبه، والتقت عيناه عينيها الممازحتين.

"لا بد أنك كنتَ من الفتيان الذين يفعلون ما يحلو لهم. كنتَ مشوّقاً وبعيداً عن المتناول".

فابتسم هاري وهز رأسه. مرّا بحانب براميل الزيت أمام واجهة البليتز المَهْمَلَة ولكن الملوّنة، فأشار بإصبعه.

"هل تذكرين عندما احتلّوا العقار هنا عام 1982، وكانت هناك

تعاقبات تافهة مع كيوت، وألر فارسته، وكل الفرّق الموسيقية الأخرى؟".

ضحكت مارتين. "لا. كنت قد بدأتُ بارتياح المدرسة حينذاك. ولم يكن

البليتز المكان الذي نتردد إليه".

فأطلق هاري ابتسامة عريضة. "لا، حسناً، كنت أذهب إلى هناك من

حين لآخر، في بادئ الأمر على الأقل، عندما كنت أظن أنه مكان للأشخاص

الذين يشبهونني؛ الدخلاء. ولكنني لم أنسجم هناك. لقد وجدتُ التماثل والفكر، على حد سواء، في البليتز".

ودسّ هاري يديه عميقاً في جيبيّه. "ما أردتُ قوله هو إنك سرعان

ما ستصبحين وحيدة إذا أردتِ استخدام عقلك للعثور على أجوبة".

"وما هو الجواب الذي وجده عقلك الوحيد حتى الآن إذًا؟" ووضعت

مارتين يدها تحت ذراعه.

"يبدو لي أن لجون وروبرت عدداً من العلاقات الغرامية السريّة. ما

المميّز إلى هذا الحد في ثيا التي يضعان أعينهما عليها؟".

"هل كان روبرت مهتماً بثيا؟! لم يكن ذلك انطباعي".

"هذا ما قاله جون".

"حسناً، كما قلتُ، لم أكن على علاقة وثيقة بهما. ولكنني أتذكّر أن

ثيا كانت تتمتع بالشعبية في أوساط الفتيان في فصول الصيف التي كنا

نقضيها في أوستغارد. تبدأ المنافسة باكراً كما تعلم".

"المنافسة!".

"أجل، إذ يجب على الفتيان الذين يريدون أن يصلوا إلى مراتب

عالية في ال اتحاد العثور على فتاة تنتمي إلى الاتحاد أيضاً والزواج منها".

"هل هذا ما يحصل فعلاً؟!" سأل هاري متفاجئاً.

"ألم تكن تعلم؟ إذا تزوجت فتاة من الخارج فستفقد عملك على الفور. كل سلسلة القيادة مرتكزة على الأعضاء المتزوجين الذين يقيمون ويعملون معاً؛ أي لديهم مهنة مشتركة."
"يبدو الأمر حازماً".

"اتحادنا شبيه بمنظمة عسكرية"، قالت مارتين ذلك من دون أي سخيرية.

ثم ابتسمت وتابعت: "يمكنني الاستنتاج أنك لا تعرف الكثير عن اتحاد الرعاية الاجتماعية".

"هذا يعني أن أمك عضو في الاتحاد أيضاً. أهذا ما ينبغي على القيم على الممتلكات فعله أيضاً؟".

فأومأت مارتين برأسها. "بالرغم من ذلك، نحن كبقية المجتمع. رجال أغبياء واثقون من أنفسهم، يحكمون نساء ذكيات يخفن من المرتفعات".
"إذاً، كان الفتيان يتنافسون كل صيف للفوز بقلب ثيا".
"لمدة من الزمن. ولكن ثيا امتنعت عن الذهاب إلى أوستغارد فجأة، فحُلت المسألة".

"لماذا فعلت ذلك؟".

هزت مارتين كتفها. "ربما لم تكن تريد الذهاب، أو إن والديها لم يشاء أن تذهب. يكون هناك عدد كبير من الفتيان في النهار والليل في تلك السن... كما تعلم".

فأوماً هاري برأسه، ولكنه لم يكن يعرف ذلك؛ إذ لم يسبق له أن زار مكاناً مشابهاً. وسارا إلى ستنسبرغاتا.

"وُلدتُ هنا"، قالت مارتين مشيرةً إلى الجدار الذي كان يلتف حول ريكشوسبيتاليت قبل أن يُهدم قبل مدة طويلة من قيام المشروع السكني الجديد في حديقة بيلستريدت العامة.

"لقد احتفظوا بالمبنى الذي يحتوي على جناح الأمومة وحوّله إلى شقق"، قال هاري.

"هل يُقيم أشخاص هناك حقاً؟ فُكر في كل الأمور التي حدثت هناك. حالات إجهاض و...".

أوماً هاري برأسه. "أحياناً، عندما تسيرين هنا في منتصف الليل، تستطيعين سماع صرخات الأطفال القادمين من هناك".

رمقت مارتين هاري بنظرة إعجاب وقالت: "أنت تمزح! هل هناك أشباح؟".

"حسنًا"، قال هاري ملتفتاً إلى بوابة صوفيز، "ربما يكون هناك أشباح لأن العائلات التي لديها أبناء قد انتقلت إلى هناك".
فصربتته مارتين بيدها على كتفه ضاحكةً. "لا مُزاح في ما يتعلّق بالأشباح".

وكفّت مارتين عن الضحك.
"أنا أقيم هنا"، قال هاري وهو يُشير إلى باب أمامي أزرق فاتح اللون.

"ألم تعد لديك أسئلة؟".
"بلى، ولكن باستطاعتها الانتظار حتى الصباح".
أملت رأسها جانباً. "لست مُتعبّة. هل لديك شاي؟".
وتقدّمت سيارة بصعوبة على الثلج، ولكنها توقفت جانباً بمحاذاة الرصيف على بُعد خمسين متراً منهما، وأعمت أبصارهما بضوء أبيض مائل إلى الزُرقة. فنظر إليها هاري بطريقة متأمّلة فيما كان يبحث عن مفاتيحه.
"قهوة فقط. اسمعي، سأُتصل...".

"القهوة جيدة"، قالت مارتين. وتوجّه هاري لوضع المفتاح في القفل، ولكن مارتين كانت تسبقه بخطوة، ففتحت الباب الأمامي الأزرق الفاتح. وراقبه هاري وهو يعود إلى الوراء ويصطدم بالإطار من دون أن يُغلّق.
"إنه البرّد"، تمتم. "المبنى ينكمش".

أغلق هاري الباب وراءهما، ومن ثم صعدا السلم.
"المكان نظيف هنا"، قالت مارتين خالعةً جزمتهما في الرّدهة.
"لا أملك الكثير من الأشياء"، قال هاري من المطبخ.
"ما الذي تحبه أكثر من سواه؟".
وفكّر هاري في الأمر. "الأسطوانات".
"ألا تحبّ "ألبوم" الصور؟".

"لا أحبّ "ألبومات" الصور"، قال هاري.
دخلت مارتين المطبخ، وارتقت على أحد الكراسي. من زاوية عينه، راقبها هاري وهي تتّني ساقّيتها تحتها برشاقة هرّ.
"لا تحبّها! ما الذي تعنيه بذلك؟".

"إنها تدمّر القدرة على النسيان. أتريدين حليياً؟".
وهزت رأسها. "ولكنك تحبّ الأسطوانات؟".
"أجل. إنها تكذب بطريقة أكثر صدقاً".
"ولكن، ألا تدمّر القدرة على النسيان؟".

توقف هاري في منتصف عملية السكب. وكانت مارتين تضحك. "لا أعتقد أنك مفتش سوداويّ مخيب للأمل. أظن أنك رومانسي ياهول".
"لندخل غرفة الجلوس"، قال هاري. "لقد اشتريتُ للتو أسطوانة جديدة عظيمة. في الوقت الحاضر، لا ذكريات مرتبطة بها".

انزلت مارتين على الأريكة بينما كان هاري يُعدّ أسطوانة جيم ستارك في ظهورها الأول، ومن ثم جلس على الكرسي الأخضر وداعب القماش الصوفي الخشن فيما صدحت أولى النغمات التي عزفتها القيثارة. وتنحنح. "ربما كانت لروبرت علاقة بفتاة أصغر منه سنّاً بكثير. ما رأيك بذلك؟".

"ما هو رأيي بالعلاقات بين النساء الأصغر سنّاً والرجال الأكبر سنّاً؟" وضحكت وهي تحمر خجلاً، فيما صار لون وجنتيها أحمر قانياً. "أو ما إذا كنت أعتقد أن روبرت يحب الفتيات تحت السنّ القانونية؟".
"لم أقل ذلك، ولكن ربما تكون مراهقة. حسناً، في ما يتعلق بأوستغارد، هل تذكرين شخصاً يدعى مادس غيلستراب؟ إنه حفيد الأشخاص الذين اشتريتهم منهم أوستغارد".

"آه، أجل. كان هناك لبضعة أيام في صيف ذلك العام عندما اضطلعنا بشؤونه. لم أتحدث إليه. في الواقع، لم يتحدث إليه أحد، أتذكر ذلك بوضوح. لقد بدا شديد الغضب وانطوائياً. ولكنني أظن أنه كان يحب ثيا أيضاً".

"ما الذي يجعلك تعتقدين ذلك؟ فكما قلت لم يتحدث مع أحد طيلة تلك الفترة".

"رأيتته يراقبها. وعندما كنا مع ثيا، حضر فجأةً. ولكنه لم يقل أي كلمة. لقد بدا غريباً جداً كما أعتقد، وخائفاً قليلاً".
"آه!".

"أجل. لقد نام في المنزل المقابل في الأيام التي قضاها هناك، ولكنني استيقظتُ ذات ليلة في الغرفة التي كنا ننام فيها نحن الفتيات، ورأيت وجهاً مضغوطاً على الزجاج. ومن ثم اختفى. أنا واثقة تقريباً من أنه هو. وعندما أخبرتُ الفتيات الأخريات، قلنّ إنني أتخيل أموراً. كنّ مقتنعات بأنني أعاني من مشكلة في البصر".

"ما سبب ذلك؟".

"ألم تلاحظ؟".

"ماذا؟".

"تعالَ واجلس هنا، وسأريك"، قالت مارتين مرتبةً على الأريكة بجانبها. "هل يمكنك رؤية بؤبؤي عيني؟".

انحنى هاري إلى الأمام وشعر بنفسها على وجهه. ومن ثم رأى ذلك. كان البؤبؤان داخل الفُزحيَّتين البنَّيَّتين يبدوان كما لو أنهما مشطوران على صورة ثقب مفتاح.

"الأمر خلقي"، قالت، "ولكن باستطاعتي الإبصار بشكل طبيعي". "إنه أمر مثير للاهتمام". كان وجههما قريبين جداً لدرجة تمكَّنه من اشتمام رائحة بشرتها وشعرها. أخذ نفساً عميقاً، وشعر برعشة كتلك التي ترافق الانزلاق في مغطس ساخن. وبعد قليل، سُمع أزيز قصير وثابت. وتطلَّب الأمر من هاري لحظات قليلة ليدرك أنه صادر من الباب، وليس من الهاتف الداخلي. كان هناك شخص ما يقف خارج الباب على منبسط الدَّرَج.

"لا بد أنه علي"، قال هاري وهو ينهض عن الأريكة. "الجار". في الثواني الست التي استغرقها هاري للنهوض عن الأريكة، ودخول الرِّدهة، وفتح الباب، تبادر إلى ذهنه أن الوقت متأخر جداً ليكون علي هو القادم. فهو يقرع الباب في العادة، بأي حال. وإذا دخل أحدهم المجمع السكني أو خرج منه بعد وصوله برفقة مارتين، فمن المؤكد أن الباب قد تُرك مفتوحاً.

ولم يدرك إلا عند الثانية السابعة أنه لم يكن يُفترض به فتح الباب. نظر إلى الشخص الواقف هناك، وعرف ما الذي ينتظره. "الآن، أنت سعيد كما أفترض"، قالت أستريد بصوت مُدغم قليلاً. فلم يُجب هاري.

"أنا قادمة للتو من سهرة. هل ستقوم بدعوتي للدخول يا هاري؟" وابتسمت، فيما طقطق كعباها العاليان على الأرض وهي تخطو جانبياً لاستعادة توازنها.

"الوقت غير مناسب"، قال هاري. أمعنت النظر إلى وجهه، ومن ثم حدقت إلى داخل الشقة من فوق كتفه. "لديك سيدة هناك، أليس كذلك؟ لهذا السبب ألغيت موعد اللقاء اليوم؟".

"يمكننا إجراء حديث في وقت آخر يا أستريد. أنت ثملة". "ناقشنا الخطوة الثالثة في لقاء اليوم. ولكنني لا أستطيع الالتزام بها يا هاري". ووجهت له ضربة خفيفة بحقيبتها.

"لا وجود لخطوة ثالثة يا أستريد. على الجميع الاهتمام بأنفسهم".
تسمّرت في مكانها، ونظرت إليه فيما الدموع تترقق في عينيها. "دعني
أدخل ياهاري"، همست.
"لن يساعدك ذلك يا أستريد". ووضع يده على كتفها. "سأتصل بسيارة
أجرة لتُقلّك إلى المنزل".
أبعدت يده عنها بقوة مُذهلة وصرخت: "المنزل! لن أذهب إلى
المنزل أيها اللعين".

واستدارت وشرعت بنزول السلم مترنحة.

"أستريد...".

"اغرب عن وجهي! تبا لك".

راقبها هاري حتى اختفت عن الأنظار، وسمع جدالها مع الباب،
ولعنائها، ومفصلات الباب، ومن ثم ساد السكون.
عندما عاد أدراجه، كانت مارتين وراءه تماماً في الردهة ترتدي معطفها.
"أنا..." استهلّ كلامه.

"تأخر الوقت". وأطلقت ابتسامة خاطفة. "أنا مُتعبّة قليلاً بأي حال".
كانت الساعة الثالثة صباحاً وهاري لا يزال جالساً على الكرسي، فيما
توم ويتس يغني لأليس بصوت منخفض.

"يا لهذا الطقس الحالم. تلوّحين بعصاك المعوجة فوق بركة جليدية".
كان عقله يعمل باستمرار، ولم يكن قد ملأ قارورته ضيقة العنق بعد
إفراغها في حلق الكلب في منطقة الحاويات، ولكن باستطاعته الاتصال
بأويستن. فهو يقود سيارة الأجرة الخاصة به كل ليلة تقريباً، ويحتفظ على
الدوام بقنينة شراب تحت المقعد.
"لا فائدة".

لن يُحرّره الشراب، ولكنه سيشعره بالارتياح بشكل مؤقت. والآن، ها
هو مستعدّ لدفع الكثير لقاء تحرّره هذا.
رفع سماعة الهاتف وطلب رقماً، فأجيب على اتصاله عند الرنة الثانية.
"كيف تجري الأمور يا هالفورسن؟".

"الطقس بارد. جون وثيا نائمان. أنا جالس في الغرفة أراقب الطريق.
يجب أن أحصل على قيلولَة غداً".
"حسناً".

"علينا أن نعود إلى شقة ثيا غداً لإحضار المزيد من الأنسولين. إنها
مصابة بداء السكري".

"حسنًا، ولكن اصطحب جون معك. فأنا لا أريد أن يُترك بمفرده".
"باستطاعتي إحضار أحدهم".
"لا!" قال هاري بحدة. "لا أريد إشراك أحد في الوقت الحاضر".
"حسنًا".

وتنهَّد هاري. "اسمع، أعرف أن مجالسة الأطفال لا تدرج في إطار عملك. عليك أن تقول لي إن كان هناك أي شيء باستطاعتي تقديمه في المقابل".

"حسنًا...".

"هيا".

"وعدتُ بتي بالخروج معها ذات مساء لتجربَ لوتفيسك . لم يسبق لها أن قصدت المكان من قَبْل، المسكينة".

"إنه وعد".

"شكرًا".

"هالفورسن؟".

"أجل؟".

"أنت...". وأخذ هاري نفسًا عميقًا. "... حسنًا".

"شكرًا أيها الرئيس".

أنهى هاري الاتصال، فيما كان ويتس يغني للزلاجات على البركة الجليدية التي أراحت أليس.

21 - الجمعة، 19 كانون الأول/ديسمبر. زغرب

جلس على قطعة كرتونية صغيرة على الرصيف، قرب حديقة سوفينبرغ العامة مرتجفاً من البرد. كانت ساعة الذروة، وكان الناس يمرون قربهِ بسرعة، فيما يُلقى عدد قليل منهم القليل من الكروونات في الكوب الورقي الذي يضعه أمامه. كانت رائتاه تؤلمانه بسبب استلقائه على ظهره طوال الليل متنقساً الدخان. رفع عينيه ونظر إلى غوتربورغاتا. هذا كل ما باستطاعته القيام به الآن.

فكر في النهر المتدفق بجانب فوكوفار؛ صبوراً لا يوقفه شيء. وتذكر أنه كان عليه أن يكون صبوراً، وأن ينتظر قدوم الدبابة، وإخراج التتّين رأسه من الكهف. كما يجب عليه انتظار عودة جون كارلسن إلى المنزل الآن. ونظر إلى ركبتيه توقفتا أمامه مباشرةً. حدّق إلى رجل ذي لحية حمراء يحمل كوباً ورقياً بيده. وقالت اللحية شيئاً ما بصوت مرتفع وغازب. "عفواً؟"

أجاب الرجل بالإنكليزية، وقال شيئاً ما له علاقة بالمكان. كان باستطاعته الشعور بالمسدس في جيبه. طلقة واحدة. ولكنه أخرج بدلاً من ذلك قطعة الزجاج الكبيرة والحادة التي كان يحتفظ بها في جيبه الآخر. حدّق إليه المتسوّل بغضب ولكنه انصرف على عجل. لقد صرف من ذهنه فكرة إمكانية عدم قدوم كارلسن. عليه القدوم. وفي غضون ذلك، عليه أن يكون مثل ذاك النهر؛ صبوراً ولا يوقفه شيء. "ادخل"، قالت المرأة البدينة السعيدة الموجودة في الشقة المخصصة لاتحاد الرعاية الاجتماعية في بوابة جاكوب آلز. لقد لفظت حرف اللام، واضحةً طرف لسانها على أسنانها كما هو الحال في معظم الأحيان عندما يتعلّم البالغون اللغة النرويجية في مرحلة متأخرة من حياتهم. "آمل أننا لا نسبب لك الإزعاج"، قال هاري عندما دخل مع بتي لون الردهة. كانت الأرضية مغطاة بأحذية كبيرة وصغيرة.

هزت المرأة رأسها عندما شرعا بخلع حذاءيهما.

"الطقس بارد"، قالت. "هل أنتما جائعان؟".

"تناولتُ الفطور للتوّ، شكراً لك"، قالت بتي.

فهز هاري رأسه بابتسامة ودود.

رافقتهما إلى غرفة جلوس، حيث كان يجلس حول الطاولة من افترض

هاري أنهم أفراد عائلة ميهولدجك: رجلان، فتى بسنّ أوليغ، فتاة صغيرة، وفتاة مراهقة اعتبر هاري أنها لا بد أن تكون صوفيا. كانت تُخفي عينيها وراء ستار من الشعر الأسود وهي تحمل طفلاً في حضنها. "زدافرو"، قال الرجل الأكبر سنًا. كان نحيلًا، ولديه شعر كُتّ يميل إلى اللون الرمادي، وعينان سوداوان شَبههما هاري بعيني منبوذ غضبتين وخائفتين.

"هذا زوجي"، قالت المرأة. "إنه يفهم النرويجية ولكنه لا يُجيد التكلم بها كثيرًا. وهذا العم جوزيب. إنّه يزورنا. وهؤلاء أبنائي". "الأربعة كلهم؟" سألت بتي. "أجل"، وضحكت. "كان الأخير هدية من الله".

"إنه ظريف حقًا"، قالت بتي وهي تبتسم للطفل الذي ابتسم لها في المقابل بحبور. وكما توقع هاري، لم تتمكن من مقاومة إغراء قرص وجنتيه الحمراءوين. لقد أمهل بتي وهالفرسون عامين كحد أقصى قبل أن يُنجبا طفلاً مماثلًا.

قال الرجل شيئًا ما وأجابته زوجته، ومن ثم التفتت نحو هاري. "يريد مني أن أقول لك إنكم لا تحبون أن يعمل أحد في النرويج ما لم يكن نرويجيًا. لقد حاول العثور على عمل ولم يُفلح في ذلك". التقت عينا هاري بعيني الرجل، وأوماً له برأسه من دون أن يتلقى منه أي إجابة.

"تفضلاً، اجلسا هنا"، قالت الزوجة مشيرةً إلى كرسيين شاغرين. جلسا، ولاحظ هاري أن بتي قد أخرجت دفتر مدوناتها قبل أن يبدأ بالكلام.

"جئنا إلى هنا لنسأل عن...".

"روبرت كارلسن"، قالت الزوجة وهي تلقي نظرة على زوجها الذي أوماً موافقًا.

"صحيح. ما الذي يمكنكم أن تخبرنا عنه؟".

"ليس الكثير. في الواقع، لقد التقيناه فحسب".

"التقيتماه فحسب". والتقت نظرة الزوجة الخاطفة بنظرة صوفيا الجالسة وقد دسّت أنفها في شعر الطفل المتغصن. "طلب جون من روبرت أن يساعدنا عندما انتقلنا من الشقة الصغيرة في المجمع السكني إليه هذا الصيف. جون شخص صالح. لقد اهتمّ بنا عندما زارنا، وساعدنا للحصول على شقة أكبر، كما تعلم". وضحكت للطفل. "ولكن روبرت كان يتنقل في

أرجاء المكان، متبادلاً أطراف الحديث مع صوفيا. و... حسناً، إنها في الخامسة عشرة من عمرها".

لاحظ هاري تبدُّل لون وجه الفتاة الشابة وقال: "حسناً، نرغب أيضاً في التحدث إلى صوفيا".

"تفضّل"، قالت الوالدة.

"بمفردنا"، قال هاري.

نظر الوالد والوالدة إلى بعضهما، ودام ذلك ثانيتين فقط، ولكن هاري تمكّن من استنتاج أمر ما. ربما كان الوالد ذات مرة من يتخذ القرارات، ولكن في الواقع الجديد، وفي البلد الجديد حيث أصبحت أكثر تكيُّفاً، أصبحت الزوجة هي من يتخذ القرارات. وأومأت لهاري.

"اجلسوا في المطبخ. لن نزعجكم".

"شكراً لك"، قالت بتي.

"لا حاجة إلى الشكر"، أجابت الزوجة برزانة. "نريد منك إلقاء القبض على الرجل الذي ارتكب هذه الجريمة. هل تعرفان أي شيء عنه؟".
"نعتقد أنه قاتل مأجور، وأنه يعيش في زغرب"، قال هاري. "على الأقل، لقد اتصل بفندق هناك من أوسلو".

"أي فندق؟".

مُجفلاً، نظر هاري إلى الوالد الذي تكلم بالنزويجية.

"فندق هوتيل إنترناشونال"، وراقب الوالد وهو يتبادل النظرات مع العمّ. "هل تعرف أي شيء؟".

فهز الوالد رأسه.

"إذا كنت تعرف شيئاً ما فسأكون ممتناً لك جداً إن أخبرتني عنه"، قال هاري. "الرجل يطارد جون الآن. لقد أمطر شقة جون بالرصاص يوم أمس الأول".

رأى هاري تعابير وجه الوالد وهي تتحوّل إلى تعابير غير مصدّقة، ولكنه لم يَبْح بأي شيء.

تقدّمتهما الوالدة إلى المطبخ مع صوفيا التي راحت تجرّ قدميها على الأرض. كما يفعل معظم المراهين، افترض هاري، وكما سيفعل أوليخ بعد سنوات قليلة.

بعد مغادرة الوالدة، أخرج هاري دفتر مدوّناته، وجلست بتي على كرسيٍّ مواجهٍ لصوفيا.

"مرحباً يا صوفيا. أدعى بتي. هل كان روبرت صديقك؟".

فوجّهت صوفيا نظرها إلى الأسفل وهزت رأسها.
"هل كنت مُغرّمة به؟"
وهزّت رأسها مجدداً.
"هل ألحق بك الأذى؟".

للمرة الأولى منذ وصولهما، أبعدت صوفيا ستارة شعرها الأسود، ونظرت إلى عينيّ بتي مباشرةً. لقد أصاب هاري في ظنّه أنّ وراء التبرّج المُسرّف فتاة جميلة، ورأى كدمة على جبينها لم يتمكن التبرّج من إخفائها.
"لا"، قالت.

"هل طلب منك والدك عدم قول أي شيء يا صوفيا؟ هذا ما يمكنني أن أراه".

"ماذا يمكنك أن تري؟".

"ألحق بك أحدهم الأذى".

"أنت تكذّبين".

"كيف حصلتِ على الكدمة على جبينك؟".

"اصطدمت بالباب".

"الآن، أنت تكذّبين".

ونخرت صوفيا. "تبدّين ذكية وهذا كل شيء، ولكنك لا تعرفين شيئاً. لستِ سوى شرطية متقدّمة في السنّ تفضّل أن تكون في المنزل مع أبنائها". كان الغضب لا يزال ظاهراً، ولكن الصوت بدأ يصبح أجشّ. وقدّر هاري أنها ستقول جملة واحدة بعد أو جملتين.
تنهدت بتي. "عليك الوثوق بنا يا صوفيا. وعليك مساعدتنا. فنحن نحاول اعتقال القاتل".

"هذا ليس خطّي، أليس كذلك؟". وأصبح صوتها أجشّ، وتيقّن هاري أنها لن تتمكن إلا من قول جملة واحدة، ومن ثم بدأت بدّرف الدموع؛ دموع غزيرة. ثم انحنت صوفيا إلى الأمام، وأسدلت الستارة مرة أخرى.
وضعت بتي يدها على كتفها، ولكنها أبعدتها.
"اذهبي!" صاحت.

"هل كنتِ تعرفين أن روبرت قصد زَغرب هذا الخريف؟" سأل هاري.
فرفعت رأسها، ونظرت إلى هاري وتعابير عدم التصديق تظهر على وجهها.

"إذاً، ألم يُخبركِ؟" تابع هاري. "ربما لم يُخبركِ أيضاً أنه مُغرّم بفتاة تدعى ثيا نيلسن".

"لا"، همست دامعةً. "وما همّني إذا كان مُغرماً بها؟".
حاول هاري قراءة رد فعلها حيال المعلومة. ولكن، كان من الصعب
عليه القيام بذلك مع كل مستحضرات التجميل السوداء المختلطة بالدموع
التي تغطي وجهها.

"اتّصلت يوماً تسألين عن روبرت. ما الذي كنت تريدينه؟".

"سيجارة!" قالت صوفيا بغضب. "ارحلا!".

فنظر هاري وبتي إلى بعضهما، ووقفوا.

"فكّري قليلاً"، قالت بتي، "ومن ثم اتصلي بي على هذا الرقم".

وتركت بطاقتها على الطاولة.

كانت الوالدة تنتظرهما في الرّدهة.

"آسفة"، قالت بتي. "أخشى أن تكون مكدّرة قليلاً. ربما كان بإمكانك

التحدث إليها قليلاً".

وخرجا من المنزل الذي يقع في بوابة جاكوب آلز، وتوجّها إلى بوابة

سومز حيث كانت بتي قد عثرت على موقف سيارة واحد.

"أوبروستيت!".

فاستدارا. لقد صدر الصوت من ظلال المدخل المقبّب حيث رأيا توهج

سيجارتين. ومن ثم، سقطت السيجارتان المتوهجتان على الأرض، وخرج رجلان

للقائهما. إنهما والد صوفيا والعم جوزيب. وقفا أمامهما.

"فندق هوتيل إنترناشونال، أليس كذلك؟" قال الوالد.

فأوماً هاري برأسه.

ألقي الوالد نظرة سريعة على بتي من زاوية عينه.

"سأذهب وأحضر السيارة"، قالت بتي بسرعة. لم يكفّ هاري مطلقاً

عن الشعور بالدهشة من كيفية تمكّن فتاة قضت معظم حياتها القصيرة

بمفردها مع صور الفيديو وأدلة الخبراء الجنائيين من تطوير ذكاء اجتماعي

يفوق ذكاءه.

"عملتُ في العام الأول... كما تعلم... في شركة نقل، ولكن ذلك العمل

كان يؤذي الظهر. كنت في فوكوفار مهندساً كهربائياً، هل تلاحظ الفارق؟

أقصد قبل الحرب. هنا تسوّلت كل شيء".

فأوماً هاري برأسه، وانتظر.

وقال العم جوزيب شيئاً ما.

"دا، ١٥". تمتم الوالد، ومن ثم التفت إلى هاري. "عندما استولى

الجيش اليوغوسلافي على فوكوفار عام 1991، كان هناك فتى فجر اثنتي

عشرة دبابه بواسطة... ألغام أرضية. أطلقنا عليه اسم المنقذ الصغير ".
"مالي سبايتلي" ، كّر العم باحترام.
"المنقذ الصغير"، قال الوالد. "كان هذا... اسمه كما قالوا على جهاز
اللاسلكي".

"أهو لقبه؟".

"أجل. بعد استسلام فوكوفار، حاول الصرب العثور عليه، ولكنهم لم
يستطيعوا. قال البعض إنه مات، ولم يصدّق آخرون ذلك. لقد قالوا إنه لم
يكن... موجوداً البتّة؟".

"ما علاقة ذلك بفندق هوتيل إنترناشونال؟".

"بعد الحرب، لم يعد سكان فوكوفار يملكون منازل، فقد تحوّل كل
شيء إلى ركام. لذلك، جاء بعضهم إلى هنا، ولكن معظمهم توجهوا إلى
زغرب. فالرئيس تودجمان...".

"تودجمان" ، كّر العم.

"... ومعاونوه أعطوهم غرفاً في فندق كبير قديم حيث يكون
بإمكانهم رؤيتهم؛ أقصد مراقبتهم. أجل، كانوا يتناولون الحساء ولا عمل
لديهم. لا يحب تودجمان سكان سلافونيا. لقد سُفك دم صربي كثير، ومات
الصرب الذين كانوا في فوكوفار، وسرت شائعات تقول إن مالي سبايتلي قد
عاد".

"مالي سبايتلي" ، ضحك العم جوزيب.

"قالوا إن باستطاعة الكرواتيين تلقّي المساعدة في فندق هوتيل
إنترناشونال".

"كيف؟".

فهز الوالد كتفّيه. "لا أعرف. إنها شائعات".
"حسناً، هل يعرف أي شخص آخر بهذا الأمر... المساعد وفندق هوتيل
إنترناشونال على سبيل المثال؟".

"ماذا؟".

"أي شخص في اتحاد الرعاية الاجتماعية مثلاً؟".
"أجل. ديفيد إكهوف يعرف كل شيء، والآخرين يعرفون. قال كلمات...
بعد وجبة الطعام في حفلة في أوستغارد هذا الصيف".
"أهي خُطبة؟".

"أجل. تكلم عن مالي سبايتلي ، وقال إن بعض الأشخاص لا يزالون
في حالة حرب. لا تنتهي الحرب أبداً بالنسبة إليهم أيضاً".

"هل قال المدير ذلك حقاً؟". طرحت بتي السؤال فيما كانت تقود السيارة داخل نفق إيبسن المضاء، وأبطأت سرعتها، واصطفّت وراء خط السير غير المتحرك.

"وفقاً لميهولدجك، لقد قال ذلك"، أشار هاري. "وأفترض أن الجميع كانوا موجودين، وروبرت أيضاً".

"هل تعتقد أنه أعطى روبرت فكرة استخدام قاتل مأجور؟". كانت بتي تنقر على عجلة القيادة بنفاد صبر.

"حسناً، يمكننا على الأقل التأكد من أن روبرت قد زار زغرب. وبما أنه يعرف أن جون يقابل ثيا، فلديه دافع إذاً". وفرك هاري ذقنه. "اسمعي، هل يمكنك التأكد من أن يتم اصطحاب صوفيا إلى الطبيب للقيام بفحص شامل؟ إذا لم أكن مُخطئاً، فهناك أكثر من كدمة واحدة. أما أنا فسأحاول اللحاق برحلة الطيران الصباحية المتجهة إلى زغرب".

فرمقته بتي بنظرة غضب حادة وسريعة. "إذا كنت تريد السفر إلى الخارج فيجب أن يكون سبب ذلك مساعدة الشرطة الوطنية، أو لقضاء إجازة. تنصّ تعليماتنا بوضوح...".

"الحالة الأخيرة"، قال هاري. "إجازة قصيرة".

تنهّدت بتي وهي تشعر باليأس. "أمل أن تمنح هالفورسن أيضاً إجازة قصيرة بمناسبة الكرسمس. كنا نخطط لزيارة والدّيه في ستاينكجر. أين تخطط للاحتفال هذه السنة؟".

ورنّ هاتف هاري المحمول في تلك اللحظة، فأجابها فيما كان يبحث في جيب معطفه: "في العام الماضي، كنت مع والدي وشقيقتي. وفي العام السابق مع راكيل أوليغ. ولكنني هذا العام لم أحظ بالكثير من الوقت للتفكير".

كان يفكر في راكيل عندما أيقن أنه لا بد من أن يكون قد ضغط على زرّ الإجابة في جيبه، وسمع صوت ضحكة.

"باستطاعتك الانضمام إليّ هنا"، قالت. "لدينا بيت مفتوح للزوّار، ونحن بحاجة على الدوام إلى مساعدين متطوّعين".

لقد احتاج إلى ثانيتين ليدرك أنها ليست راكيل.

"كنت أتصل لأقول لك إنني آسفة بشأن يوم أمس"، قالت مارتين. "لم أقصد الهرب بتلك الطريقة. لقد أخذتُ على حين غرّة قليلاً. هل حصلتُ على الأجوبة التي كنت تريدها؟".

"آه! أهذه أنت؟". قال هاري بصوت اعتبره صوتاً مُحايداً، ولكنه لاحظ

ردّ فعل بتي الذي حدث بسرعة البرق، والذكاء الاجتماعي المتفوق. "هل يمكنني الاتصال بك لاحقاً؟".

"بالطبع".

"شكراً".

"لا، البتّة". كانت نبرتها جدّية، ولكن هاري سمع ضحكتها المكبوتة. "أمر واحد صغير".

"ماذا؟".

"ماذا تفعل يوم الاثنين في الثاني والعشرين من الشهر الحالي".
"لا أعرف"، قال هاري.

"لدينا تذكرة إضافية للحفلة الموسيقية في قاعة الحفلات".
"لقد فهمت".

"لا يبدو أنه سيُغْمى عليك من فرط الحماسة".

"آسف. الجوّ محموم هنا ولا يمكنني التركيز الآن".

"والفنانون عاديّون جداً ومُملّون".

"لم أقل ذلك".

"لا، أنا قلت ذلك. وعندما قلتُ إن لدينا تذكرة إضافية، فقد عنيتُ في الواقع أن لديّ تذكرة إضافية".

"لقد فهمت".

"إنها فرصة لتزاني مرتدية فستاناً. وأنا أبدو جميلة فيه. ما ينقصني هو رجل طويل أكبر منّي سنّاً. فكّر في الأمر".

وضحك هاري. "شكراً. أعدك بأنني سألبّي الدعوة".

"لا شكر على واجب".

لم تتفوّه بتي بأي كلمة بعد إنهائه الاتصال، ولم تعلق على ابتسامته العريضة التي لم تبرح تفكيرها، بل ذكرت فقط أن جرّافات الثلج ستكون منهمكة وفقاً لتوقّعات الطقس. كان هاري يتساءل من حين لآخر عما إذا كان هالفورسن يقدر ما سيقوم به لأجله وهو تمكينه من قضاء إجازته مع بتي.

لم يظهر جون كارلسن بعد. ونهض بمشقة عن الرصيف المحاذي لحديقة سوفيينبرغ العامة. لقد بدا الأمر كما لو أن البرد يخرج من باطن الأرض وينتشر في جسده. وبدأ الدم يتحرك في ساقيه عندما سار، ورحّب بالألم. لم يعدّ الساعات التي قضاها جالساً متربّعاً وكوب الورق أمامه؛ مراقباً الداخلين إلى المبنى في غوتربورغاتا والخارجين منه، ولكن ضوء النهار بدأ

يخبو. فوضع يده في جيبه.

إن إيرادات اليوم تكفيه للحصول على قهوة، والقليل من الطعام، كما أمل، مع علبة سجائر.

وتوجّه مُسرِعاً نحو تقاطع الطرق والمقهى الذي كان قد أحضر منه الكوب الورقي ورأى هاتفاً على الجدار، ولكنه صرف الفكرة من ذهنه. توقف أمام المقهى، وأعاد القلنسوة الزرقاء التي يعتمرها إلى الوراء، ورأى انعكاس صورته على الزجاج. لا عَجَبَ إن ظنَّ الناس أنه شخص مسكين مُعَوِّز. كانت لحيته قد نمت بسرعة، وهناك خطوط شديدة القتامة على وجهه بسبب النار التي أشعلها في الحاوية.

لقد رأى على الزجاج تبدّل الأضواء إلى اللون الأحمر وتوقّف سيارة بجانبه. فألقى نظرة سريعة إلى من يوجد داخلها في أثناء إمساكه بباب المقهى، ثمّ تسمّر في مكانه. إنه التنين، الدبّابة الصربية، جون كارلسن يجلس على مقعد الركاب على بُعد مترين منه.

دخل المقهى، وأسرع إلى النافذة مراقباً السيارة. لقد ظنَّ أنه رأى السائق من قبل، ولكنه لم يتذكّر أين. في الثُّنُل. أجل، إنه أحد رجال الشرطة الذين كانوا برفقة هاري هول. وهناك امرأة جالسة في الخلف. وتبدّلت الأضواء، فخرج مُسرِعاً ورأى الدخان الأبيض المنبعث من أنبوب العادم في أثناء زيادة السيارة سرعتها وهي تنطلق على امتداد الطريق بجانب الحديقة العامة. وبعد ذلك، شرع بالركض، ورأى في الأمام السيارة تتعطف إلى غوتربورغاتا. فبحث في جيبه، وتلمّس قطعة الزجاج التي اصطحبها معه بأصابع خَدِرة تقريباً. لم تُطْعِه ساقاه اللتان كانتا أشبه بعضوين صناعيين، وخشي من انكسارهما إذا قام بأي خطوة خاطئة.

مرّت الحديقة العامة بأشجارها، ودارُ الحضانة، وشواهدُ القبور أمام ناظره كشاشة متحرّكة. وعثرت يده على المسدس. لا بد من أن يكون قد جرح نفسه بقطعة الزجاج لأنّ المِقْبِضُ بدا ديقاً.

ركن هالفورسن السيارة خارج غوتربورغاتا4، وخرج وجون من السيارة لتمديد سيقانهما، في حين دخلت ثيا لإحضار الأنسولين.

تحقق هالفورسن من الطريق المُقْفِرة من الأعلى إلى الأسفل. لم يكن جون يشعر بالارتياح أيضاً فيما كان يسير في الأرجاء وسط البرْد. وكان باستطاعة هالفورسن أن يرى عبر نافذة السيارة القِراب الموضوع بين المقعدين الأماميين وفيه مسدس الخدمة؛ لقد خلعه بسبب نكزه ضلوعه في أثناء القيادة. إذا حدث أي شيء، فسيكون بإمكانه الوصول إليه في غضون

ثانيتين. وشغل هاتفه المحمول، ووجد أنه تلقى رسالة. فنقر بإصبعه على الهاتف، وكرر صوت مألوف أن لديه رسالة. من ثم، صدر صوت ضعيف، وشرع صوت غير مألوف بالكلام. فأصغى هالفورسن باندهاش متزايد، ولاحظ أن جون قد سمع الصوت واقترب. وتحول اندهاش هالفورسن إلى عدم تصديق.

بعد استماعه إلى الرسالة، نظر جون إليه وعلى شفّيته سؤال، ولكن هالفورسن لم يقل شيئاً بل طلب رقماً بسرعة.
"ما كان ذلك؟" سأل جون.

"إنه اعتراف"، قال هالفورسن بغضب.
"وماذا تفعل الآن؟".

"أنقل الخبر إلى هاري".

رفع هالفورسن نظره إلى الأعلى، ورأى وجه جون الذي شوّهت تعابيره، فغدت عيناه كبيرتين وسوداوين، وبدتا كما لو أنهما تحدّقان من خلاله، وراءه.

"هل هناك خطب ما؟" سأل.

عبر هاري الجمارك، ودخل مبنى الوصول المتواضع بليزو : وضع بطاقة فيزا في صراف آلي أمده بألف كرون من دون أي اعتراض. وضع نصف المبلغ في مغلف بني قبل خروجه ودخوله سيارة تاكسي من طراز مرسيدس تحمل لوحة زرقاء.

"فندق هوتيل إنترناشونال".

عشق السائق السيارة وانطلق من دون التفوّه بأي كلمة.

لقد تساقط المطر من غطاء منخفض من السحب يمتدّ فوق الحقول البنية ذات الرقع الرمادية على امتداد الطريق السريع المتجه شمالاً- غرباً نحو زغرب عبر المنظر الطبيعي المتماوج.

وبعد ربع ساعة، تمكن من رؤية بداية زغرب: مجمعات سكنية إسمنتية، وأبراج دور عبادة ترسم خطأً كفاً في الأفق. مرّا بنهر هادي ومظلم اعتبر هاري أنه لا بد من أن يكون سافا. ودخلا المدينة على امتداد جادة واسعة بدت غير متناسبة في الحجم مع المستوى المنخفض لحركة المرور. مرّا بجانب محطة القطارات وحديقة عامة شاسعة، مترامية الأطراف، ومقفرة، تحتوي على بناء زجاجي مزخرف عريض. كانت الأشجار العارية تنشر أصابعها الشتوية السوداء.

"فندق هوتيل إنترناشونال"، قال سائق سيارة الأجرة، متوقفاً أمام مبنى ضخم مؤثر من الآجر الرمادي مماثل للطراز الذي تعتمده الدول الشيوعية لقاداتها المتنقلين.

دفع هاري للسائق أجرته. كان بواب الفندق الذي يرتدي زيّاً مماثلاً للأميرال قد فتح باب السيارة ووقف على أهبة الاستعداد حاملاً مظلة وقد ارتسمت على شفثيه ابتسامة عريضة. "أهلاً وسهلاً ياسيدي. من هنا، ياسيدي".

وضع هاري قدميه على الرصيف مع خروج نزيلين من الفندق ومرورهما عبر الأبواب الدوّارة ودخولهما سيارة مرسيدس توقفت للتوّ. وتلألأت ثُرياً من الكريستال وراء الأبواب الدوّارة. لم يتحرك هاري. "أهم لاجئون؟".

"عفواً، ياسيدي؟".

"لاجئون"، كرر هاري، "من فوكوفار".

شعر هاري بقطرات مطر تتساقط على رأسه بينما كانت المظلة والابتسامة العريضة في مكان آخر، وأشارت سبابة البوّاب إلى باب في مكان بعيد قليلاً من واجهة الفندق.

إن أول شيء صدم هاري عندما دخل الردهة الواسعة ذات السقف المقبّب والخالية من أي أثاث هو رائحة أشبه برائحة مستشفى، وأربعون أو خمسون شخصاً أشبه بمرضى جالسين أو واقفين بجانب طاولتين طويلتين موضوعتين في الوسط. ربما كان هناك أمر ما في شأن ملابسهم - بذلات تمرين سيئة المظهر، كنزات صوفية بالية، وأحذية ممزّقة - يوحي بعدم مبالاتهم بالمظهر، أو ربما كان لذلك علاقة بالرووس المنحنية فوق طاسات الحساء والنظرات المحرومة من النوم التي لم تلاحظ وجوده.

جال هاري بنظره في أنحاء القاعة، وتوقف عند المنضدة التي تبدو أشبه بكُشك للنقائق الساخنة لم تكن تخدم الزبائن في ذلك الوقت، وهناك نادل واحد فقط يقوم بثلاثة أعمال في وقت واحد: فقد كان ينظف كوباً زجاجياً، ويعلق بصوت مرتفع مع الرجال الجالسين إلى الطاولة الأقرب إليه على مباراة في كرة القدم تُعرض على التلفاز المدلّي من السقف، ويراقب كل حركة يقوم بها هاري.

انتاب هاري شعور بأنه في المكان الصحيح، وتوجّه نحو المنضدة. فمرّر النادل يده على الكرسيّ الزيتي المظهر ذي الظهر المرتدّ إلى الوراء.

"د؟".

حاول هاري تجاهل القناني المصفوفة على الرف في الناحية الخلفية لكُشك النقانق الساخنة، ولكنه رأى صديقه وزميلته القديمة من ماركة جيم بيم. فتبع النادل نظرتَه المحدّقة، وأشار بحاجِبَيْن مرفوعَيْن إلى القنينة مربعة الشكل ذات المحتوى البنيّ.

هز هاري رأسه، وتنهد. لم يكن هناك أي سبب لتعقيد الأمور. "مالي سباسيتلي". قال ذلك بصوت منخفض بما يسمح للنادل فقط بسماعه وسط ضوضاء التلفاز. "أبحث عن المنقذ الصغير".

أمعن النادل النظر بهاري قبل أن يجيب بالإنكليزية بلكنة ألمانية. "لا أعرف أي منقذين".

"أخبرني صديق من فوكوفار أن باستطاعة مالي سباسيتلي مساعدتي". وأخرج هاري المغلّف البنيّ من جيب سترته ووضعه على المنضدة. فنظر النادل إلى المغلّف من دون أن يلمسه. "أنت شرطي"، قال. فهز هاري رأسه.

"أنت تكذب"، قال النادل. "رأيت ذلك لحظة دخولك". "ما رأيته هو شخص كان منتسباً إلى الشرطة طوال اثني عشر عاماً، ولكنه لم يعد كذلك. لقد خرجتُ من السلك منذ عامين". والتقت عينا هاري عينيّ النادل المدقّقتين، وتساءل عن سبب وجود الرجل في الداخل. فحجم عضلاته وأوشامه توحى بأنه قضى مدة طويلة في السجن. "لا أحد يُقيم هنا ويدعو نفسه منقذاً. أعرف الجميع".

كان النادل على وشك الاستدارة عندما انحنى هاري فوق المنضدة وأمسك الناحية العلوية من ذراعه. نظر النادل إلى يد هاري، وكان باستطاعة هاري الشعور بانتفاخ عضلة الرجل ذات الرأسين، ثم أفلته هاري. "قُتل ابني بطلق ناري على يد تاجر مخدرات واقفٍ خارج مدرسته لأنه قال له إنه سيبلغ عنه كبير المدرّسين إذا واصل القيام بذلك". فلم يُجب النادل.

"كان في الحادية عشرة من عمره عندما مات"، قال هاري. "لا أملك أي فكرة عن سبب إخبارك إيّاي بهذا الأمر ياسيد". "كي تفهم سبب جلوسي هنا وانتظاري قدوم أحدهم لمساعدتي". أوماً النادل برأسه ببطء. وجاء الجواب بسرعة البرق. "ما اسم ابنك؟". "أوليغ"، قال هاري.

وقفوا وجهاً لوجه. وكان باستطاعة هاري الشعور بهائفه المحمول وهو يهتّر في جيّبه، ولكنه تركه يرنّ.

وضع النادل يده على المِغْلَف ودفعه في اتجاه هاري. "ليس ضرورياً.
ما اسمك وأين تُقيم؟".
"جئت من المطار مباشرةً".

"اكتب اسمك على فوطة المائدة هذه، واذهب إلى فندق بلقان
هوتيل بجانب محطة القطارات، فوق الجسر وإلى الأمام مباشرةً. انتظر في
غرفتك، وسيقوم أحدهم بالاتصال بك".
كان هاري على وشك قول شيء ما، ولكن النادل استدار نحو التلفاز
وواصل تعليقاته.

عندما خرج، وجد هاري أنه أغفل اتصالاً من هالفورسن.

تأوه. "تبّاً!".

لقد بدا له الثلج في غوتربورغاتا كشراب أحمر مثلج ومنكّه.
كان مربكاً. فكل شيء حدث بسرعة كبيرة. إن الطلقة الأخيرة التي
أطلقها على جون كارلسن الفارّ قد اصطدمت بالجانب الخارجي للشقة
بصوت مكتوم. لقد فرّ جون كارلسن عبر الباب وذهب. جثم، وسمع قطعة
الزجاج المملّخة بالدماء وهي تمزّق قماش جيب سترته. كان الشرطي مُلقىً
على الثلج ووجهه إلى الأسفل، فيما الثلج يمتص الدم المتدفق من الجروح
الطويلة في عنقه.

المسدس، فكّر، وأمسك كتف الرجل وأداره. إنه بحاجة إلى سلاح.
بحث على عَجَل في جيوب معطفه. كان الدم يستمر بالتدفق أحمر سميكاً.
لم يتسنّ له الوقت للشعور بالمذاق الحَمْضي للصفراء قبل امتلاء فمه.
فاستدار، وتطايرت محتويات معدته مُحدثةً رذاذاً على الجليد الأزرق. مسح
محيط فمه، وتحسّس جيوب السروال فعثر على محفظة. ثم تلمّس نطاق
خصر السروال. حبّاً بالله أيها الشرطي، لا بد من وجود مسدس معك إذا
كان عليك حماية شخص ما!

انعطفت سيارة عند الزاوية وتوجهت نحوهما. فأخذ المحفظة، ووقف،
وعبر الطريق وهمّ بالسير. وتوقفت السيارة. لا يجب عليه أن يركض. وشرع
بالركض.

لقد انزلق على الرصيف عند متجر الزاوية وسقط على وركه، ولكنه
وقف بسرعة من دون الشعور بأي ألم. وتوجّه إلى الحديقة العامة بالطريقة
نفسها التي توجه إليها فيها في المرة الأخيرة. إنه كابوس مع تتابعٍ لا نهاية

له من الأحداث التي لا معنى لها. هل جُنَّ؟ أم إن هذه الأمور تحدث في الواقع؟ كان الهواء البارد والصَّفراء يلسعان حَلَقَه. وعندما بلغ ماركفيين، سمع أول صفارة إنذار تابعة للشرطة. لقد عرفوا، وشعر بالخوف.

22 - الجمعة، 19 كانون الأول/ديسمبر. النماذج

المصغرة

كان مركز الشرطة مُضاءً في ظلّمة بعد الظهر، وجون كارلسن جالساً في غرفة الاستجواب رقم 2 وقد وضع رأسه بين يديه. والشرطية توريل لي في الجانب الآخر من الطاولة المستديرة الصغيرة في الغرفة الضيّقة، وبينهما ميكروفونان ونسخة عن إفادة الشاهد الرئيس. عبر النافذة، كان باستطاعة جون رؤية ثيا تنتظر عودتها إلى الغرفة المجاورة.

"إذًا، لقد هاجمك، أليس كذلك؟" قالت الشرطية في أثناء قراءتها الإفادة.

"جاء الرجل ذو السترة الزرقاء راکضاً نحونا وهو يحمل مسدساً".
"وبعد ذلك؟".

"حدث الأمر بسرعة كبيرة. لقد شعرت بخوف شديد لدرجة أنني لا أذكر سوى أمور قليلة. ربما تعرضت لارتجاج".

"فهمتُ"، قالت توريل لي بتعابير وجه تشير إلى عكس ما تقوله. وألقت نظرة سريعة على الضوء الأحمر الذي أعلمها أن الآلة لا تزال تسجّل.

"ولكن، هل ركض هالفورسن إلى السيارة؟".

"أجل، كان مسدسه هناك. أتذكّر أنه وضعه بين المقعدين الأماميين قبل انطلاقنا من أوستغارد".
"وماذا فعلت؟".

"كنت مُربكاً. فكرت في بادئ الأمر بالاختباء في السيارة، ولكنني بدّلت رأيي بعد ذلك وركضت نحو الباب الأمامي للمبنى المجاور".

"وهل أطلق الرجل المسلح النار عليك؟".

"سمعت دُويًا، بأي حال".

"تابع".

"تمكنت من الدخول، وعندما نظرتُ إلى الخارج كان قد هاجم هالفورسن".

"الذي لم يدخل السيارة".

"لا. كان يشكو من صعوبة في فتح الباب بسبب البرد".

"وهاجم الرجل هالفورسن بسكين، وليس بمسدس؟".

"هذا ما بدا لي من المكان الذي كنت أقف فيه. لقد قفز على هالفورسن من الخلف، وطعنه عدة مرات".
"كم مرة؟".

"أربع مرات أو خمساً. لا أعرف... لا...".
"وماذا حصل بعد ذلك؟".

"بعد ذلك، ركضتُ إلى الطابق السفلي واتصلتُ بكم على رقم الطوارئ".

"ولكن الرجل المسلح لم يتبعك؟".

"لا أعرف. كان الباب مُقفلاً، أليس كذلك".

"ولكن، كان باستطاعته تحطيم الزجاج. أعني، كان قد طعن شرطياً".
"أجل، أنت مُحقة. لا أعرف".

نظرت توريل لي إلى الإفادة. "عُثر على قيء بجانب هالفورسن. نفترض أنه يعود للرجل المسلح. ولكن، هل يمكنك تأكيد ذلك؟".
فhez جون رأسه. "بقيتُ على سلم الطابق السفلي حتى قدومكم. ربما كان ينبغي لي تقديم المساعدة... ولكنني...".
"أجل؟".

"كنت خائفاً".

"ربما قمتَ بالعمل الصائب". مجدداً، قالت تعابيرُ وجهها أمراً مختلفاً عما ينطق به لسانها.

"ماذا يقول الأطباء؟... هل س...؟".

"سيبقى في غيبوبة حتى تتحسن حالته. ولكنهم لا يعرفون بعد ما إذا كان بالإمكان إنقاذ حياته. لتتابع".

"الأمر أشبه بكابوس دوري"، همس جون. "يستمر بالحدوث مراراً وتكراراً".

"رجاءً، لا تجعلني أكرر نفسي. عليك أن تتكلم قرب الميكروفون"،
قالت توريل لي بنغمة واحدة.

وقف هاري عند نافذة غرفة الفندق ملقياً نظرة عامة على المدينة حيث الهوائيات المشوّهة والتالفة لأجهزة التلفاز تومئ للسماء الصفراء - البنية بطريقة غريبة. كان الصوت الصادر من التلفاز مكتوماً بسبب السجاد والستائر السمكية والداكنة، وماكس فون سيدوو يلعب دور نات هامسن، وعلى الطاولة الصغيرة المنخفضة كتيّب للفندق تحمل صفحته الأولى صورة

لتمثال جوسيب جيلافيتش في ميدان جيلافيتش، وفي أعلى جيلافيتش أربع قنانٍ بالغة الصَّغر. جوني واكر، سميرنوف، جاغرميستر، وغوردون، إضافةً إلى قنَّيتي أوزوسكو. لم تكن أي من القناني مفتوحة. ليس بعد. كان سكار قد اتصل به منذ ساعة وأخبره بما حدث في غوتربورغاتا. أراد أن يكون واعياً لإجراء هذا الاتصال.

أجابت بتي عند الرثة الرابعة.

"إنه حيّ"، قالت قبل أن يتمكن هاري من طرح السؤال. "لقد وضعوه على جهاز تنفّس اصطناعي وهو في غيبوبة".
"ماذا يقول الأطباء؟".

"لا يعرفون يا هاري. كان يمكن أن يموت على الفور لأن ستانكيك حاول قطع شريانه الرئيس كما يبدو، ولكنه تمكن من وضع يده في الوسط. لديه جرح عميق على قفا يده، وينزف من شرايين أصغر حجماً على جانبي عنقه. بعد ذلك، طعنه ستانكيك عدة مرات في الصدر فوق القلب. يقول الأطباء إن السكين ربما يكون قد بلغ الناحية العلوية من القلب".

باستثناء رعشة في الصوت تكاد لا تكون ملحوظة تقريباً، بدا الأمر كما لو أنها تتكلم عن ضحية لا تربطها بها أي علاقة. كان هاري يعلم أنها الطريقة الوحيدة التي يمكنها اعتمادها للتحديث عن الأمر في الوقت الحاضر. وفي السكون، كان ماكس فون سيدوو يزأر بغضب، بينما يبحث هاري عن كلمات مواساة.

"لقد تحدثتُ إلى توريل لي"، قال. "نقلت إليّ إفادة كارلسن. هل لديك ما تضيفينه؟".

"عثرنا على الرصاصة أمام المبنى إلى يمين الباب. ويقوم خبراء علم المقذوفات بالتحقق من الأمر الآن، ولكنني على ثقة تامة بأنها ستتطابق مع الرصاصات في إغرتورغت، وشقة جون، وخارج النُّزل. إنه ستانكيك".
"ما الذي يجعلك متأكدة إلى هذه الدرجة؟".

"توقف ثنائيّ كانا في سيارة تمرّ بالمكان عندما رأيا هالفورسن ملقى على الرصيف، وقالوا إنهما رأيا شخصاً يشبه متسوِّلاً يعبر الشارع أمامهما. قالت الفتاة إنه انزلق على الرصيف. لقد تحققنا من المكان، وعثر زميلي بيورن هولم على عملة نقدية أجنبية مدفونة عميقاً في الثلج، اعتقدنا في بادئ الأمر أنها هناك منذ أيام. لم يكن مصدرها معروفاً أيضاً، ولكنها تحمل نقش ريوبليكا هرفاتسكا وهي من فئة خمسة كرونات. وهكذا،

تحقق من الأمر".

"شكراً، أعرف الجواب"، قال هاري. "إذاً، إنه ستانكيك".

"أخذنا عينات من القيء الموجود على الجليد للتأكد أكثر. ويقوم الأخصائيون في علم الأمراض بمطابقة الذي أن أيه مع نتيجة الذي أن أيه العائدة للشعر الذي عثرنا عليه على الوسادة في غرفة النُّزُل. وسنحصل على النتائج غداً، كما آمل".

"إذاً، نعلم أن لدينا دي أن أيه على الأقل".

"حسناً، إن الأمر غريب بما يكفي، ولكن بركة من القيء ليست المكان المثالي للحصول على دي أن أيه. فالخلايا السطحية التابعة للأغشية المخاطية تتبعثر عندما يكون هناك قدرٌ كبير من القيء. وتحت السماء المفتوحة...".

"... تكون معرضة للتلوّث بسبب مصادر دي أن أيه أخرى لا تُحصى ولا تُعدّ. أعرف كل ذلك، ولكنّ لدينا على الأقل شيئاً ما نستند إليه. ماذا تفعلين الآن؟".

فتنهدت بتي. "تلقيتُ رسالة نصّية من المعهد البيطري غريبة نوعاً ما، وعليّ الاتصال بهم لأكتشف ما الذي يقصدونه".
"المعهد البيطري!".

"أجل، لقد عثرنا على قطع لحم مهضومة جزئياً في القيء، لذلك أرسلناها لتخضع لتحليل الذي أن أيه. كان هدفنا التحقق من خلال مقارنتها مع أرشيف اللحوم الذي تستخدمه الكلية العليا للزراعة في آس لتعقب اللحوم إلى مكان مصدرها وإلى المنتج. فإذا كانت تملك أي مزايا، يمكننا ربطها ربما بمنزل ما في أوصلو. إنها طلقة في الظلام، ولكن إذا كان ستانكيك قد عثر على مكان للإقامة فيه في الساعات الأربع والعشرين الماضية، فلا بد أنه يتحرك رُوَيْدًا رُوَيْدًا. وإذا كان يتناول الطعام في مكان ما قريب من مسكنه المحتمل، فإنه سيذهب إلى هناك".

"حسناً، لِمَ لا؟ ما محتوى الرسالة النصّية؟".

"في هذه الحالة يجب أن يكون مطعماً صينياً. الأمر غامض قليلاً".

"حسناً، اتصلي بي مجدداً عندما تعرفين المزيد. و...".

"أجل؟".

كان باستطاعة هاري إدراك أن ما سيقوله قد يبدو مثيراً للسخرية: هالفورسن مسألة عسيرة؛ وسيكون كل شيء بخير.

"لا شيء".

بعد إنهاء بتي المكاملة، وجّه هاري كلامه إلى الطاولة والقناني. إيني، ميني... ووقع الاختيار على قنينة جوني واكر، فحمل هاري النموذج المصغّر بيده، وفتح الغطاء- أو لمزيد من التحديد- أداره باليد الأخرى. لقد شعر بالرغبة في أن يكون غوليفر المحتجّز على أرض أجنبية مع قنانٍ صغيرة جداً. تنشق الرائحة المألوفة والعذبة من الفتحة الضيقة. إنها مجرد جرعة فحسب، ولكن جسده كان منبّهاً من احتمال وقوع هجوم سُمّي، فأصبح في حالة تامة من التيقّظ. لقد خاف هاري من أول نوبة تقيؤٍ محتمّة، ولكنه كان يعلم أن هذا الأمر لن يردعه. على التلفاز، قال نوت هامسن إنه يشعر بالتعب ولم يعد بإمكانه الكتابة.

استنشق هاري الهواء كما لو أنه يستعد لغطسة طويلة وعميقة. ورنّ الهاتف.

تردد هاري. ثم توقف الهاتف عن الرنين بعد رنة واحدة. ولكن الهاتف رنّ مجدداً فيما كان يرفع القنينة، وما لبث أن توقف عن الرنين.

لقد أدرك أنهم يتصلون به من قاعة الاستقبال. وضع القنينة على الطاولة قرب السرير وانتظر. وعندما انطلقت الرنة الثالثة، التقط السماعة.

"سيد هانسن؟"

"أجل."

"هناك شخص ما ينتظرك في قاعة الاستقبال."

حدّق هاري إلى السيد المرتدي سترة حمراء على اللصاقة. "قل له إنني في طريقي إليه."
"أجل، ياسيدي."

ورفع هاري القنينة بثلاث أصابع، ومن ثم انحنى إلى الورا وأفرغ محتوياتها في حلقه. وبعد ثلاث ثوانٍ، انحنى فوق مِغسلة الحمام وتقيأ غداء الخطوط الجوية.

á á á

أشارت موظفة الاستقبال إلى جناح بجانب البيانو حيث تجلس امرأة صغيرة الحجم، رمادية الشعر، تضع لفاعاً فوق كتفها، وتجلس منتصبَةً على كرسيها. لقد راقبت هاري بعينين بئيتين هادئتين في أثناء توجّهه إليها. توقفت أمام الطاولة التي يوجد عليها راديو صغير يعمل بالبطارية. كانت أصوات متحمّسة تعلّق على حدث رياضي ربما يكون مباراة في كرة القدم،

وامتزج الصوت مع خليط من موسيقى موزاك الكلاسيكية الخفيفة التي كان عازف البيانو خلفها يرتجلها في أثناء انزلاق أصابعه على المفاتيح.

"دكتور زيفاغو" ، قالت بالإنكليزية، وأومأت برأسها في اتجاه عازف البيانو. "إنها جميلة، أليس كذلك، ياسيد هانسن؟".

كان لفظها ولكنها صحيحة. وابتسمت راضيةً عن نفسها، كما لو أنها قالت شيئاً مضحكاً، وأشارت بنقرة يد رزينة ولكن ثابتة إلى أنه يُفترض به الجلوس.

"هل تحبين الموسيقى؟" سأل هاري.

"ألا يحبها الجميع؟ اعتدتُ تعليم الموسيقى". وانحنت إلى الأمام، ورفعت صوت الراديو.

"هل أنتِ خائفة من أن نكون مراقبين؟".

أسندت ظهرها على الكرسي. "ماذا تريد، ياهانسن؟".

كرر هاري قصة ابنه والرجل خارج المدرسة، بينما كانت الصفراء تحرق حلقه، ومجموعة كلاب الصيد تنهش معدته وتنبح طلباً للمزيد. "كيف عثرت عليّ؟" سألت.

"زودني شخص ما من فوكوفار بالمعلومات".

"من أين تأتي؟".

فابتلع هاري لعبه. كان لسانه يبدو جافاً ومتورماً. "كوبنهاغن".

نظرت إليه بتمعن، وانتظر هاري. لقد شعر بقطرة عرق تسيل بين لوحَي كتفيه، فيما قطرة أخرى تتشكل على شفته العلوية. تبّاً لذلك. إنه بحاجة إلى دوائه، الآن.

"لا أصدقك"، قالت أخيراً.

"حسناً"، قال هاري، واقفاً. "عليّ الذهاب".

"انتظري!". كان صوت المرأة صغيرة الحجم ثابتاً، فأومأت له بالجلوس

مجدداً. "هذا لا يعني أنني لا أملك عينين في رأسي"، قالت.

وجلس هاري.

"أستطيع رؤية الكره"، قالت، "والحزن. وباستطاعتي اشتمام رائحة الشراب. أصدق قصة ابنك المتوفى". وأطلقت ابتسامة وجيزة. "ما الذي تريد أن يتم إنجازه؟".

حاول هاري استجماع قواه. "كم تكلف العملية؟ وما مدى سرعة

إنجاز المهمة؟".

"يعتمد ذلك على بعض الأمور، ولكنك لن تجد عملاء أكثر احترافية

وعقلانية منا. نبدأ بمبلغ خمسة آلاف يورو إضافةً إلى النفقات".

"اتفقنا. هل يناسبك الأسبوع القادم؟"

"ربما تكون... مهلة قصيرة نوعاً ما".

لقد ترددت المرأة لجزء من الثانية فقط، ولكن ذلك كان كافياً له ليعرف. وهي تدرك الآن أنه يعرف ما تعرفه. كانت الأصوات الصادرة من الراديو تزعق من فرط الحماسة، فيما الحشد في الخلفية يهتف. لقد سجّل أحدهم هدفاً.

"ألسيت واثقة من عودة عميلك في الوقت المحدد؟" سأل هاري.

فنظرت إليه طويلاً وبصرامة. "ما زلتَ شرطياً، أليس كذلك؟".

أوماً هاري برأسه. "أنا مفتش في أوصلو".

وانكمشت البشرة حول عينيها.

"ولكنني لا أشكل خطراً عليك"، قال هاري. "فكروايا ليست في نطاق

نفوذي، ولا أحد يعرف أنني هنا، ولا حتى الشرطة الكرواتية أو رؤسائي".

"إذاً، ماذا تريد؟".

"عقد صفقة".

"في أي شأن؟" وانحنت على الطاولة وأخفضت صوت الراديو.

"عميلك لقاء هديني".

"ماذا تعني".

"مقايضة. رجلك لقاء جون كارلسن. إذا تخلى عن مطاردة كارلسن

فسندعه وشأنه".

ورفعت حاجبها. "كلّكم تحمون رجلاً واحداً من عميل ياسيد هانسن؟

وأنت خائف؟".

"نحن خائفون من حمّام دم. سبق لعميلك أن أزهاق روح شخصين،

وطعن أحد زملائي".

"هل...؟" وتوقفت. "لا يمكن أن يكون هذا صحيحاً".

"سيكون هناك المزيد من الجثث إذا لم تتصلي به وتطلبني منه

العودة، وإحداها ستكون جثته".

أغمضت عينيها، وجلست على هذا النحو لبعض الوقت، ومن ثم

تنهّدت. "إذا كان قد قتل أحدَ زملائك فإنك ستلاحقه طلباً للثأر. كيف

يمكنني الوثوق بأنك ستفي بما التزمتَ به في الصفقة؟".

"أدعى هاري هول". ووضع جواز سفره على الطاولة. "إذا تسرّب خبر

وجودي هنا بدون إذن السلطات الكرواتية فستكون هناك مشكلة

دبلوماسية، وسأصبح بلا عمل".

أخرجت نظارتها. "إذاً، أنت تقدّم نفسك رهينة؟ هل تظنّ أن ذلك يبدو معقولاً، ياسيد..." ووضعت النظارة على أنفها وقرأت جواز السفر: "هاري هول".

"هذا ما التزمّت الإيفاء به في الصفقة".

فأومأت برأسها. "أفهم. وهل تعرف ماذا؟". وخلعت نظارتها. "ربما أكون رغبةً في عقد صفقة، ولكن ما الفائدة من ذلك إذا لم يكن باستطاعتي الاتصال به ليعود؟".

"ماذا تعنين؟".

"لا أعرف مكانه".

أمعن هاري النظر إليها، ورأى الألم في عينيها، وسمع الرعشة في صوتها.

"حسناً"، قال هاري، "سيكون عليك التفاوض بما لديك. أعطني اسم الشخص الذي وقّع عقد الجريمة".
"لا".

"إذا مات الشرطي..." قال هاري، مُخرجاً الصورة الفوتوغرافية من جيبه، وواضعاً إيّاها على الطاولة بينهما، "فستكون الفرص المتوافرة أن يُقتل عميلك. سيكون من الجيد أيضاً جعل الأمور تبدو كما لو أن الشرطي أرغم على إطلاق النار دفاعاً عن النفس. هكذا تجري الأمور، ما لم أحلّ دون حدوث ذلك. هل تفهمين؟ هل هذا هو الشخص؟".

"التهديدات لا تنفع معي ياسيد هول".

"سأعود إلى أوسلو في الصباح الباكر من يوم غد. سأدوّن رقم هاتفني على ظهر الصورة. اتصلي بي إذا بدّلت رأيك".
فتناولت الصورة ووضعتها في حقيبتها.

وتكلم هاري بهمس سريع. "إنه ابنك، أليس كذلك؟".

فتسمّرت في مكانها. "ما الذي يحملك على الظنّ بأنه ابني؟".

"لديّ عينان في رأسي أيضاً، ويمكنني رؤية الألم كذلك".

جلست مُحدّودة الظهر. "وماذا عنك ياهول؟". ورفعت عينيها ونظرت إلى وجهه. "هل هذا الشرطي شخص لا تعرفه؟ بما أنك قادر على التغاضي عن الثأر بهذه السهولة؟".

كان فم هاري جافاً جداً لدرجة مواجهته صعوبة في ابتلاع لعابه.
"أجل"، قال. "لا أعرفه".

وظنّ هاري أنه يسمع صياح ديك فيما كان يراقبها من النافذة وهي تسير في الجانب المعاكس للطريق حتى استدارت يساراً وتوارت عن الأنظار. في غرفته، تقيّاً مرة أخرى، ثم احتسى القليل من الشراب، وتقيّاً. نظر إلى نفسه في المرآة، واستقل المصعد متجهاً إلى مقهى الفندق.

23 - ليلة الجمعة، 19 كانون الأول/ديسمبر. الكلاب

جلس في الحاوية المظلمة مُحاولاً التفكير. فمحافظة الشرطي تحتوي على 2,800 كرون نرويجي، وإذا كان يتذكّر سعر الصرف جيداً فهذا يعني أن لديه ما يكفي من المال لشراء طعام، وسترة جديدة، وتذكرة طائرة إلى كوبنهاغن.

وتبقى مشكلة الذخيرة.

فالطلقة التي استعملها في غوتربورغاتا كانت السابعة والأخيرة. لقد قصد بلاتا واستعلم عن المكان حيث يمكنه شراء طلقات من عيار تسعة مليمترات، ولكنه تلقى نظرات خالية من أي تعبير. وإذا واصل طرح السؤال على وجوه عشوائية، فمن الممكن أن يصادف شرطياً متخفياً.

وضرب اللاما مينيماكس الخاص به بالأرض.

وابتسم له رجل من بطاقة الهوية. إنه هالفورسن. لا بدّ أنهم يُقيمون طَوْقاً حمائياً حول جون كارلسن الآن، وتبقى هناك إمكانية واحدة: حصان طروادة، وهو يعرف من يكون الحصان. إنه هاري هول، وقد أكدت له امرأة الاستعلامات أنه لا وجود إلا لهاري هول واحد في أوسلو، وأنه يُقيم في بوابة صوفيز5. تحقق من ساعته، وتسمّر في مكانه.

سمع وَقَعَ خُطى في الخارج.

فقفز والتقط قطعة الزجاج بإحدى يديه، والمسدس باليد الأخرى، ووقف بجانب الفُتحة.

فُتح الباب، ورأى صورة ظليّة إزاء أضواء المدينة. وبعد ذلك، دخل الشخص وجلس على الأرض متربّع الساقين.

فحبس نفسه.

لم يحدث شيء.

بعد ذلك، سمع هسيس عود ثقاب، وأُضيئت الزاوية ووجه الدخيل. كان يحمل ملعقة شاي باليد التي يحمل فيها عود الثُّقَاب. ومزّق كيساً من النايلون بيده الأخرى وأسنانه. لقد عرف الفتى الذي يرتدي سترة جينز زرقاء فاتحة.

وعندما زفر ارتياحاً، توقّفت فجأةً حركات الفتى السريعة والفعالة.

"مرحباً؟" وحدّق الفتى في الظُّلْمَة بصعوبة فيما كان يضع الكيس في

جيبه.

تنحج وتقدّم إلى الدائرة الخارجية لضوء عود الثُّقَاب. "هل تتذكرني؟".

فحدّق إليه الفتى مذعوراً.

"تحدثتُ إليك خارج محطة القطارات، وأعطيتك مالاً. تدعى كريستوفر، أليس كذلك؟".

فحملق إليه كريستوفر ببلاهة. "هل هذا أنت؟ أنت الأجنبي الذي أعطاني خمسمئة كرون؟ ياالله! حسناً، اتفقنا، لقد عرفتُ صوتك، آه!". وأوقع كريستوفر عود الثّقاب على الأرض. لقد بدا صوته أكثر قُرباً في الظلام الدامس: "هل يمكنني مشاطرتكُ هذا المكان الليلة أيها الزميل؟".

"يمكنك الحصول عليه بأكمله. كنت أهمّ بالخروج". وأضيء عود ثِقاب آخر فارتعش. "من الأفضل لك البقاء هنا. يكون المكان أكثر دفئاً بوجود شخصين. أنا أعني ذلك يارجل". كان يحمل مِلعقة ويملأها بالسائل الموجود في قنينة صغيرة. "ما هذا؟".

"ماء وحمض الأسكوربيك". وفتح كريستوفر الحقيبة وسكب المسحوق في المِلعقة من دون تلويث أي ذرّة، ونقل عود الثّقاب بمهارة إلى اليد الأخرى.

"أنت جيد في ذلك ياكريستوفر". وراقب مُدمن المخدرات وهو يشعل عود ثِقاب آخر ويحمله.

"يدعوني ذا اليد الثابتة في بلاتا". "يمكنني رؤية السبب. اسمع، عليّ المغادرة. لِنستبدل السُّترات وربما تنجو من البرد".

في بادئ الأمر، نظر كريستوفر إلى سترته الجينز الرقيقة ومن ثم إلى سترة الرجل الزرقاء. "واو. هل تعني ذلك؟". "أجل، بالطبع".

"تبّاً، هذا لطف منك. انتظر حتى أتناول هذه الجرعة. هل يمكنك الإمساك بعود الثّقاب؟". وتناول العود.

ذاب المسحوق في الماء وأصبح سائلاً بئياً شفافاً، فوضع كريستوفر قطعة قطن طَبّي في المِلعقة.

"للتخلص من الرواسب"، أجاب قبل أن يطرح عليه السؤال، ومن ثم سحب السائل إلى داخل المِحقنة من خلال قطعة القطن الطَبّي، ووضع رأس الإبرة على ذراعه. "هل يمكنك أن ترى مدى روعة بشرتي؟ يكاد لا يُرى أي أثر، هل يمكنك رؤية ذلك؟ رائع، أوردة سميكة. يقولون إنها أرض

عذراء تماماً. ولكن في غضون عامين، ستصبح بشرة صفراء مع جراح ملتتهبة كجراحهم. ولن أعود ذا اليد الثابتة أيضاً. أعرف ذلك، ولكنني أواصل القيام بالأمر. هل أنا مجنون أم ماذا؟".

فيما كان كريستوفر يتكلم، هزّ المحقنة. كان قد أحكم ربط الحزام الجلدي حول الناحية العليا من ذراعه، وأدخل الإبرة في الوريد الذي يتلوّى كثعبان أزرق تحت جلده. انزلق المعدن داخل البشرة، فأطبقت رموشه جزئياً وفتّح فمه قليلاً، وتراجع رأسه إلى الوراء، فوقع نظره على جثة الكلب.

لقد راقب كريستوفر للحظات، وبعد ذلك رمى عود الثقاب المحترق، وفك سحّاب السترة الزرقاء.

عندما تمكنت بتي لون من الاتصال به أخيراً، كانت بالكاد تسمع هاري بسبب تردد صدى أغنية في الخلفية. ولكنها سمعت بما يكفي لتعرف أنه غير واعٍ، ليس بسبب كلامه المُدغم لأنه كان شديد الوضوح. وأخبرته عن هالفورسن.

"انسداد صمام القلب!" صاح هاري.

"إنه نزيف داخلي يملأ المنطقة حول القلب ويمنعه من الخفقان بالشكل المناسب. كان عليهم سحب كمية كبيرة من الدماء. إن وضعه مستقر الآن، ولكنه لا يزال في غيبوبة. ليس علينا سوى الانتظار. سأتصل بك في حال حدوث أي تطورات".

"شكراً. هل هناك أي شيء آخر ينبغي لي معرفته؟".

"أعاد هاغن جون كارلسن وثيا نيلسن إلى أوستغارد مع حاضني أطفال. وتحديثٌ إلى والدة صوفيا ميهولدجك. لقد وعدت باصطحاب صوفيا إلى الطبيب اليوم".

"حسناً، ماذا عن تقرير المعهد البيطري في شأن قطع اللحم الصغيرة التي وُجِدَت في القيء؟".

"قالوا إنهم اقترحوا مطاعم صينية لأن الصين هي البلد الوحيد في العالم حيث يتم تناول هذا النوع من اللحوم".

"أي نوع من اللحوم؟".

"الكلاب".

"الكلاب؟! تمهلي".

واختفت الموسيقى، وسمعت مكانها ضجيج حركة المرور. وعاد صوت

هاري مجدداً. "ولكنهم لا يقدمون لحم كلاب في النزويج حباً بالله".
"لا، إنه طبق خاص. لقد تمكن المعهد البيطري من تحديد السلالة،
لذلك سأجري اتصالاً بنادي كينيل النزويجي غداً. لديهم قائمة بكل سلالات
الكلاب ومالكيها".

"لا أفهم بعد كيف سيساعدنا هذا الأمر. لا بد من وجود مئات
الآلاف من الكلاب في النزويج".

"أربعمئة ألف. كلب واحد على الأقل لكل أسرة. لقد تحققت من
ذلك. تكمن المشكلة في أن هذه السلالة نادرة. هل سمعت يوماً بالمتزير
الأسود؟".

"رجاءً، كرري ذلك".

فكرت ما قالتها، وكل ما سمعته لاحقاً هو ضجيج حركة المرور في
زغرب حتى صاح هاري: "بالطبع! يبدو ذلك منطقياً. رجل يبحث عن ملجأ.
لماذا لم أفكر في هذا الأمر من قبل؟".

"فيم تفكر؟".

"أعرف المكان الذي يختبئ فيه ستانكيك".

"ماذا؟".

"عليك الاتصال بهانغ وحمله على الموافقة على عملية مسلحة من
قبل فريق دلتا".

"أين؟ ما الذي تتكلم عنه؟".

"منطقة الحاويات. ستانكيك مختبئ في إحدى الحاويات".

"كيف تعرف ذلك؟".

"بسبب عدم وجود العديد من الأماكن اللعينة في أوصلو حيث يمكنك
تناول لحم المتزير الأسود. احرصي على قيام فريقَي دلتا وفالكيد بتطويق
منطقة الحاويات ريثما أصل على متن أول طائرة غداً. ولكن لا اعتقالات
قبل وصولي إلى هناك. هل هذا واضح؟".

بعد أن أنهت بتي المكاملة، وقف هاري في الشارع ينظر إلى الفندق
حيث تعزف الموسيقى التشكيلية بقوة.

لقد بات المنقذ الصغير في متناول يده الآن. وكل ما يحتاج إليه هو
رأس صافٍ ويد ثابتة. فكر هاري في هالفورسن وفي قلب غارق بالدم.
باستطاعته التوجه إلى الغرفة مباشرةً حيث لا مزيد من الشراب، وإقفال
الباب ورمي المفتاح من النافذة؛ أو يمكنه الدخول وإنهاء مشروبه. ارتعد
هاري، وأخذ نفساً عميقاً، وأوقف هاتفه المحمول عن العمل، ومن ثم

دخل المقهى.

كان الموظفون في مقر قيادة اتحاد الرعاية الاجتماعية قد أطفأوا الأنوار منذ مدة وغادروا إلى منازلهم، ولكن الضوء في مكتب مارتين كان لا يزال مُضاءً. فطلبت رقم هاري هول فيما كانت تطرح الأسئلة عينها على نفسها: هل ما يجعل الأمر أكثر إثارةً هو كونه أكبر سنًا؟ أم بسبب وجود كمٍّ كبيرٍ من العواطف المكبوتة لديه؟ أم لأنه يبدو على درجة كبيرة من العجز. كان ينبغي لها أن تشعر بالخوف بعد أن رأت هاري وهو يزجر المرأة قرب باب بيته، ولكنها لم تخف لسبب أو لآخر؛ لقد أصبحت عازمة أكثر من أي وقت مضى على... أجل، ما الذي تريده في الواقع؟ وأنت مارتين عندما أعلن الصوت أن المشترك قد أقفل هاتفه، أو إنه في منطقة لا تحظى بتغطية كافية. فاتصلت بالاستعلامات، وحصلت على رقم خطه الأرضي في بوابة صوفيز، واتصلت. قفز قلبها عندما سمعت صوته، ولكنه لم يكن سوى مُجيب آلي. كان لديها العُذر المثالي للمرور به في طريقها من المكتب إلى المنزل، ولكنه غير موجود! وتركت رسالة أخرى تقول له فيها إنه يتعين عليها إعطاؤه التذكرة لأجل الحفلة الموسيقية مُسبقاً لأنها ستكون مُنهمكة في تقديم يد المساعدة في قاعة الحفلات بدءاً من الصباح. أعادت السماعة إلى مكانها. وفي تلك اللحظة، أدركت أن هناك شخصاً ما يقف عند مدخل الباب ويراقبها.

"ريكارد! لا تفعل هذا مجدداً، لقد أخفتني".

"آسف. كنت في طريقي إلى المنزل، ودسستُ رأسي للتحقق مما إذا كنتُ الأخير. هل أُقَلِّك إلى المنزل؟".
"شكراً لك، ولكن...".

"ارتدي سترتك. هيا، وعندها لن يكون عليك القلق في شأن جهاز الإنذار". وأطلق ريكارد ضحكته المتقطعة. لقد تسببت مارتين بإطلاق جهاز الإنذار الجديد مرتين في الأسبوع السابق عندما كانت المغادرة الأخيرة، وكان عليهم دفع المال لشركة الأمن للقدوم.
"حسناً"، قالت. "شكراً لك".

"لا شكر على واجب... ونخر ريكارد.

كان قلبه يخفق بقوة. باستطاعته شمّ رائحة هاري هول الآن. فتح الباب بحذر شديد، وتلمّس المفتاح الكهربائي على الجدار. كان يحمل

المسدس بيده الأخرى، مصوباً إيَّاه على السرير الذي لم يتمكن من رؤيته جيداً في الظلام. أخذ نفساً عميقاً ثم أضاء النور الذي غمر غرفة النوم. كانت الغرفة فارغة. سرير أساسي فقط مرتّب وشاغر، على غرار بقية الشقة. لقد سبق له أن بحث في الغرف الأخرى، وها هو الآن في غرفة النوم، وباستطاعته الشعور بنبضه يهدأ. هاري هول غير موجود في المنزل.

وضع المسدس في جيب سترة الجينز القذرة، وشعر بانسحاق القرص المزيل للرائحة الذي كان قد أخذه من الحمام في محطة قطارات أوسلو المركزية القريبة من الهاتف العام الذي استخدمه للعثور على عنوان هول في بوابة صوفيز.

كان دخول المبنى أسهل مما تصوّر. فبعد أن رنّ جرس الباب الرئيس مرتين من دون تلقي أي جواب، كان على وشك التخلي عن الأمر. ولكنه دفع الباب ووجد أنه غير مُغلق. لا بد أن البرّد هو السبب. في الطابق الثاني، وجد اسم هول مدوّنًا على شريط لاصق، فوضع قلنسوته على اللوح الزجاجي فوق القفل، وضربه بمسدسه فتحطّم.

كانت غرفة الجلوس قائمة قبالة الباحة الخلفية، فجازف بإضاءة النور، ونظر حوله. غرفة بسيطة ومرتبّة.

ولكن حسان طروادة هذا، الرجل الذي يستطيع أن يقوده إلى جون كارلسن، لم يكن موجوداً. ولكنه أمل أن يكون لديه سلاح وذخيرة. فشرع بالبحث في الأماكن التي من الطبيعي أن يحتفظ فيها شرطي بمسدسه، كالأدراج والخزائن وتحت الوسادة. وعندما لم يعثر على شيء، أجرى بحثاً منهجياً في كل الغرف من دون تحقيق أي نجاح. وشرع بعد ذلك ببحث عشوائي بعد أن فقد الأمل بالعثور على أي شيء. ووجد تحت رسالة موضوعة على طاولة الهاتف بطاقة هوية تابعة للشرطة عليها صورة فوتوغرافية لهاري هول، فوضعها في جيبه، وأزاح الكتب والأسطوانات التي لاحظ أنها موضوعة على الرفوف وفقاً للترتيب الأبجدي. كانت هناك كدسة أوراق على الطاولة الصغيرة المنخفضة، فقلّبها وتوقف عند صورة فوتوغرافية لشخص رآه بأشكال مختلفة. إنه رجل ميت يرتدي بذلة. إنه روبرت كارلسن. ورأى اسم ستانكيك. وفي الناحية العلوية لإحدى الاستمارات، وجد اسم هاري؛ فمرّر نظره نزولاً وتوقف عند إشارة بجانب عبارة مألوفة: سميث إند ويسن عيار 38. لقد دوّن الموقع اسمه بكتابة منمّقة مهيبة. رخصة سلاح! استمارة طلب!

وتخلى عن الأمر، فهاري هول لا يحمل مسدساً إذًا.

دخل الحَمَّام الضيق ولكن النظيف، وفتح الصنبور. لقد جعلته المياه الساخنة يرتجف، وحوّل السُخام الموجود على وجهه حوض الاستحمام إلى لون أسود. بعد ذلك، فتح صنبور المياه الباردة، وذاب الدم المتخثر على يديه، وأصبح الحوض أحمر. فجفّف نفسه وفتح الخزانة فوق الحوض، وعثر على لفافة شاش قام بلفها حول يده وحول الجرح الذي تسببت به قطعة الزجاج.

كان هناك شيء مفقود.

رأى شعراً قصيراً وجليظاً بجانب الصنبور كما لو أنه من مخلّفات الحلاقة، ولكن لم تكن هناك آلة حلاقة، أو رغوة حلاقة، أو فرشاة أسنان، أو معجون أسنان، أو حقيبة. هل هول مسافر لإجراء تحقيق حول جريمة قتل؟ أم إنه يُقيم مع صديقة؟

في المطبخ، فتح الثلجة التي كانت تحتوي على علبة حليب ينقضي تاريخ صلاحيتها بعد ستة أيام، ومرطبان مربّى، وجبن أبيض، وثلاث صفائح تحتوي على يَخنة، بالإضافة إلى شرائح خبز من حبوب الجاودار موضوعة في غلاف من النايلون. تناول الحليب، والخبز، وصفحتي يَخنة، وأشعل جهاز الطبخ. كانت هناك صحيفة بتاريخ اليوم مُلقاةً بجانب مِحمصَة الخبز الكهربائية. حليب طازج، صحيفة بإصدارها الأخير. وبدأ يميل إلى تصديق نظرية السفر.

كان قد تناول كوباً من الخزانة المعلّقة على الجدار ويهمّ بسكب بعض الحليب عندما حمله صوت على إفلات العلبة الكرتونية، فسقطت على الأرض. الهاتف.

راقب الحليب المُراق على البلاطات الحمراء، مُصغياً إلى الرنين المُلحّ. وتلت ثلاثٌ تكات ميكانيكية خمسَ إشارات صوتية، ثم ملاً صوت امرأة الغرفة. جاءت الكلمات سريعة، وبدت النبوة مبتهجة. وضحكت، ومن ثم أنهت الاتصال. كان هناك أمر ما في شأن ذلك الصوت.

وضع صفحتي اليَخنة المفتوحتين في المِقلّة الساخنة كما كانوا يفعلون في أثناء الحصار، ليس لأنهم ما كانوا يملكون أطباقاً، بل لكي يعلم الجميع أن لديهم حصصاً متساوية. ومن ثم دخل الرّدهة. كان المُجيب الصوتي الأسود الصغير يومض بلون أحمر، مُظهراً الرقم 2. فضغط على زر تشغيل الشريط.

"راكيل"، قال صوت امرأة. لقد بدت صاحبه أكبر سنّاً من صاحبة

الصوت الذي سمعه قبل ذلك. وبعد جملتين، شرع فتى بالكلام بطريقة منفعة. وبعد ذلك، ظهرت الرسالة الأخيرة مجدداً، وأدرك على نحو مؤكّد أنه لم يكن يتخيّل سماع الصوت من قبل. إنها فتاة الحافلة البيضاء. بعد انتهاء الرسالتين، وقف متأملاً صورتين فوتوغرافيتين ملونتين ومعلقتين على الجدار تحت المرأة، يظهر في إحدهما هول مع امرأة داكنة الشعر وفتى جالسين على مزلجتي ثلج، وكانوا جميعاً ينظرون نحو الكاميرا. والصورة الثانية باهتة وقديمة، وفيها فتاة صغيرة وفتى بثياب السباحة، وبدا الأمر كما لو أن أعراض دوون تظهر على الفتاة؛ إنه هاري هول. جلس في المطبخ يتناول الطعام على مهل، ويصغي إلى الأصوات الصادرة من بيت السلم. وبعد أن تناول الطعام، ذهب إلى غرفة النوم. كانت باردة، فجلس على السرير ومرّر يده على البياضات الناعمة، واشتم رائحة الوسادة. ثم نهض وفتح خزانة الملابس، فعثر على سروالين وعلى كنزة بيضاء مطوية تحمل رسماً مع كلمة فرلست في الأسفل وعبارة جوك إند فالينتينز في الأعلى. كانت تفوح من الملابس رائحة صابون. فخلع ملابسه وارتابها، واستلقى على السرير، وأغمض عينيه، ووضع المسدس تحت الوسادة. بالرغم من إرهاقه التام، استسلم للنوم، عالماً أنه سيستيقظ إذا فتح أحدهم الباب الأمامي.

"توقعوا غير المتوقع".

إنه شعار سيفرت فالكيد، قائد دلتا، وهي وحدة قوات الشرطة الخاصة. كان سيفرت فالكيد يقف على حيد وراء الحاوية، وهو يحمل بيده جهاز لاسلكي، ويسمع هسيس سيارات الأجرة والشاحنات الضخمة المنطلقة على الطريق السريع في رحلة العودة للاحتفال بالكرسمس. كان كبير المفتشين غونار هاغن بجانبه، وياقة سترته الخضراء الواقية من الرصاص مقلوبة إلى الأعلى، وعناصر وحدة فالكيد متوارين عن الأنظار في الظلمة الباردة المقيّدة بالجليد. تحقق من ساعته؛ إنها الخامسة إلا ثلاث دقائق. لقد مضت خمس عشرة دقيقة على إشارة كلاب الدورية الألزاسية إلى وجود شخص داخل حاوية حمراء. ولكن فالكيد لم يحب الوضع، عِلاً أن المهمة تبدو سهلة بما يكفي. لم تكن السهولة ما يكرهه. حتى الآن، حدث كل شيء بشكل منتظم. فقد استغرق إعداد خمسة جنود من النخبة وتجهيزهم خمساً وأربعين دقيقة منذ أن تلقى اتصال هاغن. ففريق دلتا يتكوّن من سبعين شخصاً، وهم رجال على قدر عالٍ

من التدريب، ويبلغ معدل أعمارهم واحداً وثلاثين عاماً، توضع تفاصيل مهامهم وفقاً للحاجة، وتشمل دائرة نشاطهم ما يدعى أعمالاً صعبة مسلحة ، وهي الفئة التي تدرج فيها هذه المهمة. وبالإضافة إلى رجال دلتا الخمسة، هناك شخص من أف أس كيه، فورسفاريتس سيسيالكوماندو ، القوات الخاصة العسكرية. وهنا بدأت توجساته. فالرجل رام ماهر اختاره غونار هاغن شخصياً. وهو يدعو نفسه آرون، ولكن فالكيد يعلم أن أحداً من المنتسبين للأف أس كيه لا يُعرف باسمه الحقيقي. في الواقع، تعتمد القوة السريّة التامة منذ تأسيسها عام 1981، ولم تتمكن وسائل الإعلام من الحصول على تفاصيل محدّدة حول الوحدة الضاربة هذه إلا في أثناء عملية الحرية المستديمة، وهي أقرب - وفقاً لفالكيد - إلى جمعية سرّية منها إلى أي شيء آخر.

"لأنني أثق بآرون"، كان هذا شرح هاغن الوجيز لفالكيد. "هل تتذكر الطلق الناري من البندقية في تورب عام 1994؟".

يتذكر فالكيد جيداً مأساة الرهائن في مطار تورب؛ لقد كان هناك. ولم يتم إطلاع أحد بعد ذلك على هوية الشخص الذي أطلق النار ووضع حداً لعملية الاختطاف. كانت الرصاصة قد اخترقت إبط سترة واقية للرصاص مُدلاةً أمام نافذة السيارة، فيما انفجر رأس سارق المصرف كيقطينة على المقعد الخلفي لسيارة فولفو جديدة استعادها تاجر السيارات، وغسلها وأعاد بيعها. لم يكن ذلك ما يزعجه، ولا حَمَل آرون بندقية لم يسبق لفالكيد أن رأى مثيلاً لها من قبل. ولم تكن أحرف MAR المنقوشة على الخرطوشة تعني شيئاً له. في تلك اللحظة، كان آرون مستلقياً في مكان ما من محيط منطقة الحاويات مع مهداف ليزر ونظارة واقية للرؤية الليلية، وأبلغ أنه يرى الحاوية بوضوح. لم يُزعجه أيضاً تأفف آرون عندما طلب منه تزويده بأخر المستجدات عبر جهاز اللاسلكي. فما لم يكن فالكيد يحبه في الوضع هو وجود آرون هناك. فهم ليسوا بحاجة إلى أيّ رام.

وتردد فالكيد للحظات، ومن ثم رفع جهاز اللاسلكي إلى مستوى فمه. "أومض الضوء إذا كنت مستعداً يا آتل".

وتحرك ضوء بجانب الحاوية صعوداً ونزولاً.

"الجميع في مواقعهم"، قال فالكيد. "نحن مستعدون للدخول".

فأوماً هاغن برأسه. "جيد. قبل المباشرة بعملية الاقتحام، أودّ التأكد فقط من أنك تشاطرنى الرأي يا فالكيد؛ وهو أنه من الأفضل القيام بالاعتقال الآن وعدم انتظار هول".

هز فالكيد كتفّيه. سيبزغ الفجر بعد ست ساعات، وحينها سيخرج ستانكيك، وسيتمكنون من إلقاء القبض عليه بواسطة الكلاب على أرض مفتوحة. لقد قالوا إن غونار هاغن قد هُيئَ لتولي منصب ضابط مُشرف عندما يحين الوقت.

"يبدو الأمر حكيمًا بما يكفي، أجل".
"جيد، سيّرد في تقريره أنه كان قرارًا مشتركًا. فرمًا أصرّ أحدهم على أنني قدّمتُ موعد الاعتقال لأستأثر بالمدّ".
"لا أعتقد أن أحدًا سيرتاب في شأنك".
"جيد".

وضغط فالكيد على زرّ تبادل الحديث في جهاز اللاسلكي. "كونوا مستعدّين في غضون دقيقتين".
كانت أنفاس هاغن وفالكيد قد اندمجت في سحابة واحدة قبل أن تختفي مجددًا.

"فالكيد...!" صدر صوت من جهاز اللاسلكي. إنه آتل. وهمس، "خرج رجل من باب الحاوية للتو".
"ليستعدّ الجميع"، قال فالكيد بصوت حازم وهادئ. توقّعوا غير المتوقّع. "هل تابع سيره؟".

"لا. إنه يقف بدون حراك. إنه... يبدو...".
وتردد صدى طلق ناري واحد في ظلّمة خليج أوسلو البحري الصخري الطويل. ومن ثم ساد السكون مجددًا.
"ما كان ذلك بالله عليكم؟" سأل هاغن.
إنه غير المتوقّع ، قال فالكيد لنفسه.

24 - السبت، 20 كانون الأول/ديسمبر. الوعد

إنه الصباح الباكر من يوم السبت، وكان لا يزال نائماً في شقة هاري، وعلى سريريه، ومرتدياً ثيابه، ويحلم بكوابيسه، وبعودة الأشباح كالعادة. سمع صوتاً خافتاً جداً؛ مجرد خدش خارج الباب الأمامي. كان أكثر من كافٍ، فاستيقظ، ووضع يده تحت الوسادة، ووقف على قدميه بسرعة. لقد أحرقت الأرضية الباردة قدميه العاريين في أثناء انسلاله إلى الردهة. لقد تمكن من رؤية الصورة الظلية لشخص ما عبر الزجاج المتماوج. كان قد أطفأ كل الأنوار، وأدرك أن أحداً لا يستطيع رؤيته من الخارج. وبدا الشخص منحنيّاً إلى الأمام ويحرك شيئاً ما باضطراب. ألا يستطيع إدخال المفتاح في القفل؟ هل هاري هول ثمل؟ ربما لم يكن مسافراً بالرغم من كل شيء.

وقف بجانب الباب، ومدّ يده إلى المقبض المعدني البارد، وحبس أنفاسه، وشعر بالاحتكاك المريح للممشط براحة يده الأخرى. وبدا له أن الشخص الذي يقف في الخارج يحبس أنفاسه.

لقد أمل ألا يعني ذلك حدوث متاعب غير ضرورية، كما أمل ألا يكون هول واعياً بما يكفي ليدرك ألا خيار أمامه: عليه اصطحابه إلى جون كارلسن، أو اصطحاب كارلسن إلى الشقة إذا ثبت أن الحالة الأولى غير ملائمة.

رافعاً مسدسه كي يرى على الفور، فتح الباب بسرعة. فلهث الشخص في الخارج وتراجع خطوتين إلى الوراء.

كان هناك شيء معلق على مقبض الباب الخارجي؛ باقة زهور ملفوفة بورقة وسلوفان مع مغلف كبير ملصق بالورقة. لقد عرفها في الحال بالرغم من تعابير وجهها المدعورة. "ادخلي"، زمجر.

فترددت مارتين إكهوف حتى رفع مسدسه مجدداً. لوّح لها بالمسدس لتدخل غرفة الجلوس، وتبعها، وطلب منها بتهديب الجلوس على الكرسي، في حين جلس على الأريكة. أشاحت بنظرها عن المسدس ونظرت إليه. "آسف بشأن الملابس"، قال. "أين هاري؟" "ماذا تريد؟" سألت بالإنكليزية. لقد تفاجأ لدى سماعه صوتها، فقد كان هادئاً ودافئاً تقريباً.

"الاتصال بهاري هول"، قال. "أين هو؟".

"لا أعرف. ماذا تريد منه؟".

"دعيني أطرح الأسئلة. إذا لم تُطلعيني على مكانه فسيتوجب عليّ إطلاق النار عليك. هل تفهمين؟".

"لا أعرف. إذاً، يجب عليك إطلاق النار عليّ إذا اعتقدت أن ذلك سيساعدك".

بحث عمّا يُشير إلى الخوف في عينيها من دون أن ينجح في ذلك. هناك خَطْب ما فيها؛ ربما كانت رموشها هي السبب.

"ماذا تفعلين هنا؟" سأل.

"أحضرتُ لهاري تذكرة للحفلة الموسيقية".

"وأزهاراً!".

"إنها رغبة عابرة فحسب".

أمسك الحقيبة التي وضعتها على الطاولة، ونقّب فيها حتى عثر على محفظة جيب وبطاقة مصرف. مارتين إكهوف؛ مولودة عام 1977؛ العنوان: سورغنفریغاتا، أوسلو. "أنت ستانكيك"، قالت. "أنت الرجل الذي كان على متن الحافلة البيضاء، أليس كذلك؟".

نظر إليها مرة أخرى، فلم تُشح بنظراتها بعيداً عنه، ومن ثم أومأت ببطء.

"أنت هنا لأنك تريد من هاري أن يصطحبك إلى جون كارلسن. والآن، لا تعرف ماذا يجب أن تفعل، أليس كذلك؟".

"اصمّتي"، قال من دون أن يتمكن من التحدث بالنبرة التي يريدونها لأنها مُحِقّة: كل شيء يتداعى. وجلسا في الغرفة المظلمة من دون أن يتحدثا، مع تسرّب أضواء الفجر.

في النهاية، وضعت حداً للصمت.

"باستطاعتي اصطحابك إلى حيث يختبئ جون كارلسن".

"ماذا؟! قال مذهولاً.

"أعرف مكانه".

"أين؟".

"إنّه في مزرعة".

"كيف تعرفين ذلك؟".

"لأن اتحاد الرعاية الاجتماعية يملك المزرعة، ولديّ قائمة بأولئك الذين يستخدمونها. لقد اتصلت بي الشرطة للتحقق مما إذا كان بإمكانهم

استخدامها في الأيام القليلة القادمة".

"فهمتُ. ولكن، لماذا ستصطحبيني إلى هناك؟".

"لأن هاري لن يُطلعك على مكانه"، أفادت ببساطة. "وحيثُ، ستطلق النار عليه".

راقبها، وأدرك أنها تعني ما تقوله، فأوماً برأسه ببطء. "كم عددهم في المزرعة؟".

"جون، وصديقتَه، وشرطي".

شرطي واحد. وبدأت خطة تتشكل في عقله.

"كم تبعد؟".

"ما بين ثلاثة أرباع الساعة وساعة واحدة في وقت الذُروة، ولكننا في نهاية الأسبوع"، قالت. "سيارتي في الخارج".

"لماذا تساعدينني؟".

"لقد أخبرتُك. أريد الانتهاء من الأمر فحسب".

"أنت مُدركة أنني سأطلق النار على رأسك إذا كنت تخدعيني؟".
فأومات برأسها.

"لنذهب الآن"، قال.

عند الساعة السابعة وأربع عشرة دقيقة، علم هاري أنه حيّ. لقد عرف ذلك بسبب الألم الذي كان يشعر به في كل نسيج عَصَبِي لديه، ولأن كلاب الصيد تريد المزيد. فتح عيناً واحدة ونظر حوله. كانت الملابس مبعثرة في أرجاء غرفة الفندق، ولكنه بمفرده على الأقل. مدّ يده إلى الكأس الموجودة على الطاولة قرب السرير. إنها فارغة. ومرّر إصبعه على قعر الكأس ولعقها. إنه حُلُو المذاق.

جرّ نفسه إلى خارج السرير، وأخذ الكأس إلى الحمام، وتجنّب النظر إلى المرأة وملاً الكأس ماءً، ثم شرب ببطء. فاحتجّت كلاب الصيد، ولكنه لم يستسلم. وشرب كأساً أخرى. الطائرة. وركز على رسغِه. أين ساعته؟ وكم الساعة الآن؟ كان عليه الخروج والعودة إلى الوطن. كأس واحدة أولاً... وعثر على سرواله، وارتداه. لقد بدت أصابعه خَدِرة ومنتفخة. والحقيقية، هناك. حقيبة الحمام. وحذاؤه. ولكن، أين هاتفه المحمول؟ لقد ضاع. طلب الرقم 9 للتحدث إلى مكتب الاستقبال، وسمع الطابِعة تتجشأ فاتورة من وراء موظفة الاستقبال التي أجابت عن سؤال هاري أربع مرات من دون أن يلاحظ ذلك.

تأتأ هاري شيئاً ما بالإنكليزية.

"أسفة، ياسيدي"، أجابت موظفة الاستقبال. "المقهى لا يفتح حتى الساعة الثالثة. هل تريد المغادرة الآن؟".

أوما هاري برأسه، وبحث عن تذكرة الطائرة في جيبي السترة الموضوعة عند قوائم السرير.
"سيدي؟".

"أجل"، قال هاري، ثم ترك الهاتف من يده، وانحنى إلى الورا على السرير ليكمل البحث في جيبي سرواله، ولكنه عثر على قطعة نقود معدنية فقط من فئة عشرين كروناً. حينئذٍ تذكر ما حدث لساعته. فعندما كان المقهى يُقفل أبوابه وحن وقت دَفَع ما يتوجّب عليه، تبين له أن المال النقدي ينقصه، فوضع قطعة نقود معدنية نرويجية من فئة عشرين كروناً فوق الأوراق النقدية وغادر. ولكنه سمع صوتاً غاضباً قبل أن يبتعد، وشعر بألم لاسع في مؤخر رأسه؛ لقد نظر إلى قطعة النقود المعدنية وهي ترتد على الأرض وتغزل بين قدميه مُحدثه صوت رنين. لذلك، عاد أدراجه، وقدم للنادل ساعة معصمه كدفعة أخيرة فقبلها مهمهماً.

كان هاري يعلم أن جيبي سترته الداخلية ممرقان؛ لقد تلمس السترة وعثر على التذكرة داخل البطانة، فأخرجها رويداً رويداً، وعرف وقت المغادرة. في تلك اللحظة، قُرع الباب قرعةً واحدة في بادئ الأمر، ومن ثم قرعة أخرى أقوى.

لم يكن باستطاعة هاري تذكر الكثير مما حدث بعد إقفال المقهى، لذلك لا سبب يدعو للاعتقاد بوجود أمر سارٍ في انتظاره إذا كان القرع على علاقة بذلك. من جهة ثانية، ربما يكون أحدهم قد عثر على هاتفه المحمول. توجه إلى الباب مترنحاً، وفتحه قليلاً.

"صباح الخير"، قالت المرأة التي كانت تقف في الخارج. "أو ربما لا؟".

فحاول هاري إطلاق ابتسامة، واتفأ على إطار الباب. "ماذا تريدان؟".

لقد بدت أشبه بمدرسة للغة الإنكليزية بشعرها المنفوش.

"عقد صفقة"، قالت.

"آه! لماذا الآن وليس أمس؟".

"لأنني أردت أن أعرف ما الذي ستفعله بعد لقائنا، وما إذا كنت ستلتقي أحداً من الشرطة الكرواتية مثلاً".

"والآن أصبحت تعلمين أنني لم أفعل".

"كنت تحتسي الشراب في المقهى حتى إقفاله أبوابه. ومن ثم صعدت

إلى غرفتك مترنحاً".

"هل لديك جواسيس أيضاً؟".

"هيا ياهول. هناك طائرة عليك اللحاق بها".

كانت هناك سيارة تنتظرهما في الخارج، ووراء المقود جلس النادل الذي يحمل أوشام سجن.

"إلى دار عبادة سانت ستيفنز، يافريد"، قالت المرأة. "أسرع، سنتطلق رحلته الجوية بعد ساعة ونصف".

"تعرفين الكثير عني"، قال هاري. "ولا أعرف شيئاً عنك".

"يمكنك أن تدعوني ماريا"، قالت.

لقد تلاشى برج دار عبادة سانت ستيفنز الكبيرة في ضباب الصباح الذي يغطي زغرب.

اقتادت ماريا هاري إلى صحن دار عبادة أوسط، كبير، ومُقفر تقريباً. لقد مرّا بجانب كراسي اعتراف ومجموعة منوعة من رجال الدين. وصدر من مكبرات صوتٍ مخبأة غناءً مسجلاً أشبه بنشيد ديني يؤديه كورس بصوت منخفضٍ مُثقل بالأصدااء لتحفيز التأمل كما يُفترض، ولكنه ذكّر هاري بموسيقى الموزاك. اصطحبته إلى ممرٍ جانبي، ودخلا باباً يؤدي إلى غرفة صغيرة تحتوي على مقعدين. وانساب ضوء الصباح، أحمر وأزرق، عبر النوافذ الزجاجية الملونة. كانت هناك شمعتان مضاءتان في إحدى الزوايا.

"اركع"، قالت.

"لماذا؟".

"افعل ما أطلبه منك فحسب".

وركع هاري بتردد، ووضع مرفقيه على المتكأ الخشبي المائل، الأسود بفعل العرق والشحم والدموع. كانت وضعة مريحة على نحو غريب.

"أقسم إنك ستفي بما التزمت به في الصفقة".

فتردد هاري، ومن ثم أحنى رأسه.

"أقسم..." استهلّت.

"أقسم..."

"على القيام بكل ما في وسعي لإنقاذ من يدعى مالي سباسيتلي".

وكرر هاري.

جلست منتصبه. "هنا التقيتُ وسيط الزبون". قالت. "وهنا رتبّ للمهمة. ولكن لنذهب. فهذا ليس المكان المناسب للتفاوض على المصائر البشرية".

أقلّهما فريد إلى حديقة الملك توميسلاف العامة المفتوحة والكبيرة،

وانتظر في السيارة بينما كان هاري وماريا يبحثان عن مقعد. رنّ جرس ترام في الجانب الآخر لمبنى المعارض القديم المزخرف. "لم أره"، قالت. "ولكنني أظنّ أنه شاب". "تظنّين!".

"اتصل ب فندق هوتيل إنترناشونال للمرة الأولى في تشرين الأول/أكتوبر. فإذا كانت هناك أي اتصالات تتعلق باللجئين، يقوم فريد بتحويلها. لقد حوّل الاتصال إليّ، وقال الرجل إنه يتصل من قبل شخص مجهول الهوية يريد تنفيذ مهمة ما في أوصلو. أذكّر وجود حركة مرور كثيفة في الخلفية". "هاتف عام".

"كما أفترض. قلتُ له إنني لا أقوم أبداً بأي أعمال عبر الهاتف، وليس لصالح أشخاص مجهولي الهوية، فأنهاى الاتصال. وبعد يومين، اتصل مجدداً، وطلب مني الذهاب إلى دار عبادة سانت ستيفنز بعد ثلاثة أيام. لقد حدّد لي وقت ظهوري وعلى أي كرسيّ يجب أن أجلس". وخطّ غراب على غصن أمام المقعد، وأمال رأسه إلى الأعلى ونظر إليهما بكآبة.

"كان هناك العديد من السيّاح في دار العبادة في ذلك اليوم. وجلست على الكرسي في الوقت المحدّد، ووجدت مغلفاً مُحكم الإغلاق على الكرسي، ففتحتّه، وعثرت داخله على تعليمات مفصّلة عن مكان وتاريخ الإجهاز على جون كارلسن، ودفعة مُسبّقة بالدولار تفوق أُجرتنا العادية، ومبلغ نهائيّ مُقترح. لقد أبلغتُ أيضاً أن الوسيط الذي كنتُ قد تحدثت إليه عبر الهاتف سيتصل بي لسماع جوابي وللاتفاق على تفاصيل الترتيبات المالية إذا وافقت. وسيكون الوسيط صلة الوصل الوحيدة، ولكن لم يتم تزويده بتفاصيل المهمة لأسباب أمنية. لم يكن يُسمَح لي بالكشف عن أي شيء في ظل أي ظروف. فأخذت المغلف، وخرجتُ من دار العبادة، وعدتُ إلى الفندق. وبعد نصف ساعة، اتصل الوسيط".

"أهو الشخص نفسه الذي اتصل بك من أوصلو؟". "لم يعرّف بنفسه، ولكن، نظراً إلى كوني مدرّسة سابقة، أميل إلى ملاحظة كيفية تكلم الناس بالإنكليزية. ويمكنني القول إنه الشخص نفسه؛ إذ إنّ لديه لكنة خاصة جداً". "وما الذي تحدثتما عنه؟".

"قلت له إننا نرفض المهمة لأسباب ثلاثة. أولاً، لأننا لا نعيد عن

مبدأ معرفة سبب رغبة الزبون في إتمام المهمة. ثانياً، لأننا لا نسمح أبداً
للآخرين بتحديد الزمان أو المكان لأسباب أمنية. وثالثاً، لأننا لا نعمل مع
زبائن مجهولي الهوية".

"ماذا قال؟".

"قال إنه مسؤول عن الدفعة المالية، لذلك يتعين عليّ التغاضي عن
هويته. وسأل عن المبلغ الإضافي الذي يتوجب عليه دفعه كي أتجاهل
الاعتراضات الأخرى. فأجبتُ أنه أكثر مما يمكنه دفعه. وهكذا، قال لي المبلغ
الذي يستطيع دفعه. و...".

وراقبها هاري وهي تبحث عن الكلمات الإنكليزية المناسبة.

"... لم أكن مستعدة لمبلغ ضخم كذاك الذي عرضه".

"ماذا قال؟".

"عرض عليّ مئتي ألف دولار، أي ضعف أجرنا القياسي بخمس عشرة

مرة".

فأوماً هاري برأسه ببطء. "إذاً، لم يعدّ الدافع بالأهمية التي كنتِ

تولينه إيّاها، أليس كذلك؟".

"ليس عليك أن تفهم هذا الأمر ياهول. ولكن، كان لدينا مخطط

خاص بنا. فعندما نجمع مالاً كافياً كان من المقرر أن نتوقف عمّا نقوم

به، وأن نعود إلى فوكوفار، ونبدأ حياة جديدة. كنت أعرف أن هذا العرض

سيكون تذكرتنا للخروج من هذه الحياة، وأنّ هذه المهمة ستكون مهمتنا

الأخيرة".

"إذاً، كان عليكم التخلي عن مبدأ القتل الأخلاقي؟". سأل هاري باحثاً

عن سجائره.

"هل تُجري تحقيقات في جرائم أخلاقية ياهول؟".

"أجل ولا. عليك أن تعيشي".

وأطلقت ابتسامة. "إذاً، لا يوجد فرق كبير بينك وبينني، أليس كذلك؟".

"أشك في ذلك".

"آها. إذا لم أكن مُخطئة، فأنت تأمل - على غراري - في أن تعقد

صفقات فقط مع أولئك الذين يستحقون اهتمامك. أليس هذا صحيحاً؟".

"إنه أمر بديهي".

"ولكن الأمر ليس مماثلاً تماماً، أليس كذلك؟ لقد اكتشفت أن الدُّب

ليس أسود وأبيض كما ظننت عندما قررت أن تصبح شرطياً لتخلص البشر

من الشر. في المبدأ، هناك القليل من الشر والكثير من الضعف البشري.

وهناك العديد من القصص المحزنة التي يمكنك الإقرار بها في أعماقك. ولكن، كما قلت، على المرء أن يعيش. لذلك، نبدأ بالكذب على أولئك المحيطين بنا وعلى أنفسنا".

لم يتمكن هاري من العثور على ولّاعته. وإذا لم يُشعل السيجارة قريباً فسينفجر. لم يشأ التفكير في بيرغر هولن، ليس الآن. وسمع صوت قضم جاف عندما عض المرشحة: "ما اسمه؟ أقصد، ما اسم الوسيط؟". "تسأل كما لو أنك تعرفه"، قالت.

"روبرت كارلسن"، قال هاري فاركاً وجهه بقوة براحة يده. "وسلمك مغلفاً مع تعليمات تتعلق بتاريخ 12 تشرين الأول/أكتوبر". فرفعت أحد حاجبيها مستغربة.

"عثرنا على تذكرة طائرته". كان هاري يشعر ببرد شديد، والهواء يعصف به كما لو أنه مجرد شبح. "وعندما عاد، حلّ عن غير قصد مكان الشخص الذي ساعد على إصدار حكم الإعدام بحقه. باستطاعتك قتل نفسك وأنت تضحكين، أليس كذلك؟". فلم تُجب.

"ما لا أفهمه"، قال هاري، "هو سبب عدم قيام ابنك بإجهاض المهمة عندما شاهد على التلفاز أو قرأ في الصحيفة أنه قتل في الواقع الشخص الذي سلّمه المال".

"لا يُخبره أحد عن هوية الزبون وعن الجريمة التي ارتكبتها الضحية"، قالت. "فمن الأفضل عدم القيام بذلك". "كي لا يتمكن من الكشف عن أي شيء إذا أُلقي القبض عليه، أليس كذلك؟".

"كي لا يفكر، وكي يستطيع القيام بمهمته والاعتماد عليّ في إصدار الحكم الصحيح".

"أنقصدين الحكم الأخلاقي والمالي؟".

فهزت كتفَيها. "في هذه الحالة، بالطبع، قد يكون من المفيد له أن يعرف الاسم. تكمن المشكلة في أن ابني لم يتصل بي منذ حدوث عملية القتل. ولا أعرف السبب".

"لم يجروء"، قال هاري.

فأغمضت عينيها، ورأى هاري عضلات وجهها الضيق تتحرك.

"أردت مني أن أسحب العميل لأني بما التزمتُ به في الصفقة"، قالت.

"والآن، أنت تعرف أن الأمر غير ممكن. ولكنني أطلعتك على اسم الشخص

الذي منحنا العقد. هل ما زلت تريد الإيفاء بما التزمتَ به في الصفقة يا هاري؟ هل ستنقذ ابني؟".

لم يُجب هاري. وطار الغراب عن الغصن، وسقطت قطرات ماء على الحصى أمامهما.

"هل تعتقدين أن ابنك سيكف عن الملاحقة إذا عرف أن الدقة لا تميل لصالحه؟" سأل هاري.

فأطلقت ابتسامة ساخرة، ومن ثم هزت رأسها بكآبة.
"لِمَ لا؟".

"لأنه لا يخاف وعنيد. إنه يشبه والده".

أمعن هاري النظر إلى وجه المرأة النحيلة، واستنتج أنه غير واثق من العناد. "أبلغني فريد تحيّي. سأستقل سيارة أجرة إلى المطار."
"لقد أقسمت أنك ستنقذ ابني".

"أجل"، قال هاري ووقف.

بقيت جالسة، ورفعت نظرها إليه. "هل أنت من الأشخاص الذين يفون بوعودهم؟".
"ليس دائماً".

وشدّ سترته حوله بإحكام.

"أخبرني إذاً يا هاري، بِمَ تلتزم؟".

"ألتزم بما يلي"، قال مستديراً للنظر شزراً نحو الجادة العريضة، ومتأملاً حركة مرور يوم الأحد. "يستطيع الناس أن يفوا بوعودهم حتى لو نكثوا بوعدهم الأخير. وأنا أثق بالبدايات الجديدة. ربما لم أقل هذا... ولوّح لسيارة تنطلق بسرعة معتدلة وتحمل لوحة زرقاء. "ولكنني أقوم بهذه المهنة لهذا السبب".

في سيارة الأجرة، أدرك هاري أنه لا يملك سيولة نقدية. وقد قيل له إن هناك صرافات آلية في مطار بليزو تقبل بطاقات فيزا. جلس هاري مقلّباً قطعة النقود المعدنية من فئة عشرين كروناً بين أصابعه. كانت هناك فكرتان تتزاحمان في رأسه؛ قطعة النقود المعدنية الغازلة على أرض المقهى، والكأس الأولى التي سيحتسيها على متن الطائرة.

á á á

كان ضوء النهار قد انبلج في الخارج عندما استيقظ جون على صوت سيارة تتعطف إلى داخل أوستغارد، فاستلقى متأملاً السقف. كانت ليلة طويلة وباردة، ولم ينم كثيراً.

"من هذا؟". سألت ثيا التي كانت قد استسلمت للنوم بسرعة قبل لحظات. وكان باستطاعته سماع القلق البادي في صوتها. "ربما يكون شرطياً بديلاً"، قال جون. وأطفئ المحرك، ثم فُتح بابان وأُغلقا. هناك شخصان إذًا، ولكن لا أصوات. شرطة صامتة. ومن غرفة الجلوس الذي اتخذها الشرطي مقرًا له، سمعا قرعاً على الباب الأمامي. مرة واحدة. مرتان.

"ألن يفتح؟" همست ثيا.

"هسّ"، قال جون. "ربما يكون في الخارج. أو ربما قصد المرحاض الخارجي".

وقُرع الباب للمرة الثالثة بصوت أعلى.

"سأذهب"، قال جون.

"انتظر!" قالت.

"علينا إدخالهما"، قال جون زاحفًا فوق السرير ومرتدياً ملابسه.

فتح باب غرفة الجلوس. كانت هناك في المنفضة على الطاولة الصغيرة سيجارة ينبعث منها الدخان، وعلى الأريكة بطانية مطروحة جانباً. قُرع الباب مرة أخرى، فحدّق جون إلى خارج النافذة من دون أن يتمكن من رؤية السيارة. غريب. ووقف أمام الباب.

"من الطارق؟" صاح وهو غير واثقٍ مما يتعيّن عليه القيام به.

"الشرطة"، قال صوت من الخارج.

ربما يكون جون مُخطئًا، ولكنه التقط لكنة غير عادية كما اعتقد.

قفز عندما قُرع الباب مرة أخرى، وبسط يداً مرتجفة في اتجاه

مقبض الباب، ومن ثم أخذ نفساً عميقاً وفتح الباب بقوة.

كان الأمر أشبه بالاصطدام بجدار ماء مع اندفاع هواء جليدي إلى

الداخل، وجعله نور شمس الصباح المنخفضة الحادّ والمُعمي للبصر يحدّق

شزراً إلى الشخصين الواقفين على الدّرجات.

"هل أنت البديل؟" سأل جون.

"لا"، قال صوت امرأة تمكّن من معرفته. "انتهى الأمر الآن".

"انتهى الأمر!؟" سأل جون متفاجئاً وحاجباً عينيه بيده. "آه! هذه

أنت، أليس كذلك؟".

"أجل، يمكنك توضيب أمتعتك. سنُقلّك إلى المنزل"، قالت.

"لماذا؟".

فأطلعت على السبب.

"جون!" صاحت ثيا من غرفة النوم.
"لحظة فقط"، قال جون، وترك الباب مفتوحاً في أثناء دخوله لرؤية
ثيا.

"من هي؟" سألت ثيا.
"إنها الشرطة التي قامت باستجوابي"، قال جون. "توريل لي، وهي
برفقة شخص يدعى لي كما أعتقد. قالوا إن ستانكيك قد مات. لقد أُطلقت
عليه النار ليلة أمس".

عاد الشرطي الذي كان برفقتها ليلة أمس من الحمام، ووضب
حاجياته وغادر. وبعد عشر دقائق، حمل جون حقيبته على كتفه، وأغلق
الباب، وأدار المفتاح في القفل، وتوجّه نحو جدار المنزل، ماشياً على آثار
قدميه الواضحة فوق الثلج العميق، وعدّ خمسة ألواح ثم علّق المفتاح
بالعقيفة في الداخل. ومن ثم ركض وراء الآخرين في اتجاه سيارة الغولف
الحمراء. ودخل السيارة بصعوبة، وجلس بجانب ثيا على المقعد الخلفي.
وبعد استقرارهما، وضع ذراعه حولها وضغط، وانحنى بعد ذلك إلى الأمام
بين المقعدين الأماميين.

"ما الذي حدث في منطقة الحاويات في الليلة الماضية؟"
فألقت توريل لي، السائقة، نظرة سريعة على أولا لي بجانبها.
"يقولون إن ستانكيك حاول الوصول إلى سلاحه"، قال أولا لي. "أقصد،
هذا ما اعتقد الرامي من القوات الخاصة أنه رآه".

"ألم يحاول ستانكيك الوصول إلى سلاحه؟"
"يعتمد ذلك على ما تعنيه بالسلاح"، قال أولا، مُلقياً نظرة سريعة
على توريل لي التي لم تتكبد عناء عدم إبداء أي تأثر على وجهها. "عندما
قلبوه على ظهره، كان سحاب سرواله مفتوحاً يبدو أنه كان يتبول".
وتنحنت توريل لي التي بُحّ صوتها فجأةً.

"ليست هذه المعلومات للنشر"، سارع أولا لي إلى القول. "ولكنكما
تفهمان الوضع، أليس كذلك؟".

"أتعني أنكم أطلقتتم النار عليه بكل بساطة؟" هتفت ثيا غير مصدّقة.
"لم نُطلق النار عليه"، قالت توريل لي. "الرامي هو من قام بذلك".
"اعتقدوا أن ستانكيك قد سمع شيئاً ما وأدار رأسه"، قال أولا، "لأن
الرصاصة دخلت من وراء أذنه وخرجت من المكان الذي كان الأنف
موجوداً فيه".

ونظرت ثيا إلى جون.

"يا لهذه الذخيرة الحربية!"، فكّر أولاً مَلِيًّا. "حسنًا، ستتحقق من ذلك بنفسك قريباً يا كارلسن. إذا تمكنت من معرفة الرجل، فذلك يُعتبر أعجوبة".
"لن يكون الأمر سهلاً بأي حال"، قال جون.
"أجل، لقد سمعنا بذلك"، قال أولاً هازاً رأسه. "وجه الممثل الإيمائي وكل تلك الأمور هُراء إذا أردت رأيي. ولكن ذلك ليس للنشر، اتفقنا؟".
وتابعوا طريقهم بهدوء لفترة وجيزة.
"ما الذي يؤكد لكم أنه هو؟" سألت ثيا. "إذا كان وجهه مشوّهاً، أعني".

"لقد عرفوا السترة"، قال أولاً.

"أهذا كل شيء؟".

وتبادل أولاً وتوريل النظرات.

"لا"، قالت توريل. "كان هناك دم جافّ على الناحية الداخلية للسترة وعلى قطعة الزجاج التي عثروا عليها في الجيب. وهم يطابقون الدم الآن مع دم هالفورسن".

"انتهى الأمر يا ثيا"، قال جون، مقرباً إياها منه. فوضعت رأسها على كتفه، وشمّ عبير شعرها. سيستسلم لنوم عميق قريباً، ولمدة طويلة. وعلى المقعد الأمامي، رأى يد توريل لي على أعلى عَجَلَة القيادة. وعندما انعطفت إلى اليمين لتسلك الطريق الريفي الضيق، التقوا سيارة كهربائية بيضاء صغيرة، فعرف جون أنها كتلك التي منحها العائلة الملكية لاتحاد الرعاية الاجتماعية.

25 - السبت، 20 كانون الأول/ديسمبر. الصّفح

كانت الخطوط البيانية والأرقام المندرجة على الشاشة، وإشارات السونار الصوتية المنتظمة للإي سي جي، توحى بمراقبة خيالية. كان هالفورسن يضع قناعاً يغطي الفم والأنف، وما بدا أنها خوذة على رأسه تسجّل التغيّرات الحاصلة في نشاطه الدماغي، كما شرح الطبيب. كانت جفونه قائمة اللون بسبب شبكة من الأوعية الدموية الدقيقة. لقد صُدم هاري حين رآه لأنه لم يسبق له أن رأى أمراً كهذا من قَبْل. لم يسبق له أن رأى هالفورسن مغمض العينين؛ فقد كانت عيناه مفتوحتين على الدوام. وصرف الباب وراءه. إنها بتي. "أخيراً"، قالت.

"قَدِّمْتُ من المطار مباشرةً"، همس هاري. "يبدو كما لو أنه قبطان طائرة نفاثة نائم".

وعندما رأى ابتسامة بتي المتكلّفة فهم عدم ملاءمة العبارة المجازية للوضع. لو لم يكن دماغه خَدِراً على هذا النحو لاختار عبارة مجازية مختلفة، أو لترك فمه مُطَبَّقاً. ويعود سبب ذلك إلى أن الطائرة المنطلقة من زَغْرَب إلى أوْسَلو بقيت في الأجواء الدولية لمدة ساعة ونصف، وكانت المضيّفة قد قدّمت الشراب لكل من كان على متن الطائرة قبل أن تلاحظ الضوء مضاءً فوق مقعد هاري.

خرجا وعثرا على منطقة للجلوس في آخر الممر. "هل هناك أي جديد؟" سأل هاري.

مرّرت بتي يدها على وجهها. "اتصل بي الطبيب الذي عاين صوفيا ميهولدجك في وقت متأخر من ليلة أمس. لم يتمكن من العثور على أي شيء باستثناء الكدمة على جبينها والتي يمكن للباب التسبب بها برأيه؛ تماماً كما شرحت صوفيا. قال إن قسمه المهني بالتزام الصمت بالغ الأهمية بالنسبة إليه، ولكن زوجته أقنعتة بالتكلم لأن الأمر مرتبط بالتحقيق الذي يُجرى حول قضية خطيرة. كان قد أخذ عيّنة من دماء صوفيا، ولكنها لم تُظهر أي شيء غير مألوف إلى أن طلب التحقق من هرمون إيتش سي جي في عيّنة الدم؛ دفعته فِطْرته لاتخاذ هذا القرار. لا يترك مستوى هذا الهرمون الموجود في الدم أي مجال للشك كما يقول".

وعضّت بتي شفتها السفلية.

"فِطْرَة مثيرة للاهتمام"، قال هاري. "ولكنني لا أملك أي فكرة عن

ماهيّة هرمون إيتش سي جي".

"كانت صوفيا حاملاً ياهاري".

حاول هاري الصغير، ولكن فمه كان جافاً. "يُستحسن بك المرور بها والدردشة معها".

"أجل، لأننا أصبحنا صديقتين مقربتين في المرة الأخيرة"، قالت بتي ببرودة.

"لا حاجة إلى مصادقتها. يجب عليك فقط أن تعرفي إن كانت قد تعرّضت للاعتداء عليها".

"اعتداء!" .

"لنقل إنّ لديّ شعوراً فطرياً".

وتنهّدت. "حسناً. ولكن، لم يعد الأمر مستعجلاً، أليس كذلك؟".
"ماذا تعنين؟".

"بعد ما حدث في الليلة الماضية".

"وما الذي حدث في الليلة الماضية؟".

فحدّقت إليه بتي فاغرة فمها. "ألا تعلم؟".
وهز هاري رأسه.

"تركتُ أربع رسائل على هاتفك على الأقل".

"فقدتُ هاتفني يوم أمس. هيا، أخبريني".

ورأى بتي تبتلع لعابها بصعوبة.

"آه، تَبّاً"، قال. "لا تقولي لي إنّ ما أفكر فيه قد حدث".

"لقد أطلقوا النار على ستانكيك ليلة أمس. مات على الفور".

أغمض هاري عينيه، وسمع صوت بتي وكأنه صادر من بعيد. "قام ستانكيك بحركة مفاجئة، ووَجَّهت إليه تحذيرات وفقاً للتقرير".

تقرير ! فكّر هاري في سرّه. في هذا الوقت المبكّر !

"السلاح الوحيد الذي عثروا عليه معه هو قطعة زجاج في جيب

السترة. كان هناك دم عليها، ووعد الأخصائي في علم الأمراض بإنهاء عملية التحقق من الدم هذا الصباح. لا بد من أن يكون قد خبأ مسدسه إلى أن يكون بحاجة إليه مجدداً. إذ سيكون المسدس دليلاً مادياً إذا ضُبط معه. لم يكن يحمل أي أوراق أيضاً".

"هل عثروا على أي شيء آخر؟". جاء سؤال هاري كما لو أنه صادر

من آلة؛ لأن عقله كان مشتتاً، وفي دار عبادة سانت ستيفنز بالتحديد.

لقد أقسمت!

"كانت هناك معدات مُدمن مخدرات في إحدى الزوايا. مُحقنة، ومِلْعقة، وما شابه. والأكثر إثارة للاهتمام هو الكلب المدلّي من السقف. متزّنر أسود كما قال لي حارس الميناء. لقد انتزعت منه قِطع كبيرة".
"يُسعدني سماع ذلك"، تمتم هاري.
"ماذا!؟".

"لا شيء".
"يشرح ذلك - كما أوحيت - سبب وجود قِطع اللحم في القيء في غوتربورغاتا".

"هل شارك أحد في العملية غير دلتا؟".
"ليس وفقاً للتقرير".
"من وضع التقرير؟".
"الضابط المسؤول عن الإغارة بالطبع، سيفرت فالكيد".
"بالطبع".
"لقد انتهى كل شيء الآن بأي حال".
"لا، لم ينتهِ!".

"لست بحاجة إلى الصياح يا هاري".
"لم ينتهِ. حيثما يكن الأمير يكن الملك".
"ماذا يجري لك؟! واحمرّت وجنتا بتي خَجَلًا. "مات قاتل مأجور، وأنت تتصرف كما لو أنه... زميل".
هالفورسن ، فكر هاري في سرّه. كانت على وشك أن تقول هالفورسن.
وأغمض عينيّه، ورأى الضوء الأحمر المرتعش داخل جفونه.
"عثرتُ على رئيسة ستانكيك"، قال، "وأكدتُ أن الجريمة قد وقعت
بطلب من روبرت كارلسن".

فحدقت إليه بتي فاغرة فمها.
"ولكن الأمر لم ينتهِ عند هذا الحد"، قال هاري. "كان روبرت وسيطًا.
هناك من يختبئ وراءه".
"مَن؟".

"لا أعرف. كل ما أعرفه هو أنه شخص باستطاعته دفع مئتي ألف
دولار".

"وهل أخبرتك رئيسة ستانكيك بكل ذلك بهذه البساطة؟".
فهز هاري رأسه. "لقد عقدنا صفقة".
"أي نوع من الصفقات؟".

"لا تريدن أن تعرفي".

طرفت بتي عينيها مرتين متتاليتين بسرعة، ومن ثم أومأت برأسها. وراقب هاري امرأة مُسنّة تسير بثقل وهي تستند إلى عُكازين، وتساءل عما إذا كانت والدة ستانكيك وفريد يتابعان الصحف النرويجية على شبكة الإنترنت، وعمّا إذا كانا قد علما بموت ستانكيك.

"والدا هالفورسن يتناولان الطعام في المطعم. سأنزل إليهما الآن. هلاً انضممت إليّ يا هاري".

"ماذا؟ آسف. تناولتُ الطعام على متن الطائرة".

"سيقدّران ذلك كثيراً. قالوا إنه تكلم عنك بشغف، كشقيق صغير".

فهز هاري رأسه. "ربما في وقت لاحق".

وعندما ذهبت، عاد هاري إلى غرفة هالفورسن، وجلس بجانب السرير على حافة الكرسي ناظراً إلى الوجه الشاحب على الوسادة. كان يضع في حقيبته قنينة شراب غير مفتوحة مُعفاة من الرسوم.

"نحن في مواجهة بقيّة العالم"، همس.

وطقطق هاري أصابعه فوق جبين هالفورسن، فاصطدمت إصبعه الوسطى بقوة بجبين هالفورسن ولكن جفونه لم تتحرك.

"يا شن"، همس هاري، وسمع صوته يغدو أجشّ. ارتطمت سترته بالسرير، فتلمّس ناحيتها الداخلية. كان هناك شيء ما داخل البطانة. إنه الهاتف المحمول المفقود.

كان قد غادر عندما عادت بتي برفقة الوالدين.

كان جون مستلقياً على الأريكة ورأسه في حضن بتي التي تشاهد فيلماً سينمائياً قديماً على التلفاز. وفي أثناء تحديقه بالسقف، تمكن من سماع صوت بيت ديفيس المميّز يخترق أفكاره: إنه يعرف هذا السقف أكثر من سقفه. ولو حدّق بتمعّن أكثر، لرأى شيئاً مألوفاً في النهاية؛ شيئاً مختلفاً عن الوجه المهشّم الذي أروه إيّاه في الطابق الأرضي البارد في ريكشوسبيتاليت. كان قد هز رأسه عندما سأله عما إذا كان الميت هو الرجل الذي رآه عند مدخل باب شقته، والذي هاجم الشرطي بواسطة سكين في وقت لاحق.

"ولكن ذلك لا يعني أنه ليس هو"، كان جون قد أجاب، فأومأوا برؤوسهم، ودوّنوا ملاحظاتهم، واصطحبوه إلى الخارج.

"هل أنت واثق من أن الشرطة لن تسمح لك بالنوم في شقتك؟"

سألت ثيا. "سيصري قَدَر كبير من الشائعات إذا بقيت هنا الليلة".
"إنه مسرح جريمة"، قال جون. "سابقاً مُغلقاً حتى الانتهاء من
التحقيق".

"مُغلقاً"، قالت. "يبدو الأمر كما لو أنها رسالة".
وركضت بيت ديفيس في اتجاه المرأة الأصغر سنًا، ورفعت آلات
الكمّان حجم الصوت ومستوى الدراما.
"ما الذي تفكر فيه؟" سألت ثيا.

لم يُجب جون، ولم يقل لها إنه يفكر في اللحظة التي كذب فيها
عليها عندما قال إن كل شيء قد انتهى. لن ينتهي كل شيء حتى يقوم
بما يتعيّن عليه القيام به. وما يتعيّن عليه القيام به هو إمساك الثور من
قرنيه، وصَدّ العدو، والتصرف كجندي شجاع. هو يعلم الآن. كان واقفًا في
مكان قريب جداً من هالفورسن عندما أدرج رسالة مادس غيلستراب على
الشاشة، وقال إنه سمع الاعتراف.

رنّ جرس الباب، فوقف كما لو أنها مقاطعةٌ مرحّب بها. إنه ريكارد.
"هل أتسبب بأي إزعاج؟" سأل.
"لا"، قال جون. "كنت أهمّ بالخروج".

ارتدى جون معطفه في صمت مضاعف ثلاث مرات. وبعد أن أغلق
الباب وراءه، وقف لثوانٍ قليلة وهو يُصغي إلى الأصوات في الداخل. كانا
يهمسان. لماذا يهمسان؟ لقد بدا ريكارد غاضباً.

استقلّ الترام متجهاً إلى المدينة، وانطلق من هناك على متن قطار
هولمِنكولين الذي يكون مليئاً عادةً بمتزلّجين في الأرياف حيث الثلج يغمر
الحقول، ولكن لا بد من أن يكون الطقس بارداً في معظم أوقات اليوم.
نزل في المحطة الأخيرة وراقب أوصلو من بعيد.

كان منزل مادس ورانهيلد يقع على تلة، ولم يسبق لجون أن زاره
قطّ. وكانت البوابة ضيقة تماماً؛ على غرار الطريق الخاص المؤدي إلى
المنزل، حيث تُخفي كتلة من الأشجار معظم المنزل. كان المنزل نفسه
منخفضاً ومبنيّاً بطريقة لا تمكّنكم من ملاحظة مدى ضخامته حتى تصبّحوا
في الداخل وتتنقّلوا في أرجائه. على الأقل، هذا ما قالته رانهيلد.

رنّ جون الجرس، وسمع بعد ثوانٍ قليلة صوت متكلّم لم يتمكن من
رؤيته. "حسناً، لم أتوقّع ذلك قطّ. جون كارلسن!".

نظر جون إلى الكاميرا فوق الباب.
"أنا في غرفة الجلوس". وبدا صوت مادس غيلستراب وكأنه يضحك في

سرّه. "أفترض أنك تعرف الطريق".
فُتح الباب أوتوماتيكياً، ودخل جون كارلسن زدهة بحجم شفته.
"مرحباً".

فأجابه صدى قصير أجش.

شرع بالسير في ممر افترض أنه يؤدي إلى غرفة جلوس. كانت هناك لوحاتٌ زيتية ذات ألوان نابضة بالحياة، غير موضوعة في أطر، ومعلّقة على الجدران. كما كانت هناك رائحةٌ مميزةٌ تزداد قوة كلما تقدّم. مرّ بمطبخ يحتوي على مساحة للطهو قائمة في الوسط، بالإضافة إلى طاولة طعام مُحاطة باثني عشر كرسيّاً. كان حوض الجلي مليئاً بأطباق وكؤوس وقناني مشروبات فارغة. واشتم رائحة طعام غير مُستساغة مثيرة للغثيان. واصل جون السير. كانت الملابس مبعثرة على امتداد الممر. ألقى نظرة متفحّصة عبر باب الحمام، وشمّ رائحة قبيّة.

انعطف عند إحدى الزوايا، وطالعه منظر عام لأوسلو والخليج البحري الصخري الطويل الذي رآه عندما كان يرافق والده في نزهاتٍ سيراً على الأقدام في نوردماركا.

كانت هناك شاشة عرض مثبتة وسط الغرفة، تتوالى على قماشتها البيضاء بسكون صور فيديو زفاف أعدّه أحد الهواة كما يبدو: يرافق الوالد العروس التي تومئ للضيوف على الجانبين، وتبتسم لهم. لم يكن يسمع سوى همهمة مروحة آلة العرض. ورأى أمام الشاشة الناحية الخلفية لكرسيّ أسود عالي الظهر ذي ذراعين وقنيتين فارغتين - وأخرى فارغة حتى نصفها - على الأرض.

أعلن جون عن وصوله بسعال منخفض، واقترب.
وتوقف فجأةً.

لقد رأى رجلاً يجلس على الكرسي، وقدّر أن يكون مادس غيلستراب. كان يرتدي قميصاً أبيض نظيفاً وسروالاً أسود، ولكنه غير حليق الذّقن، ووجهه منتفخ، وعيناه مبيضتان، وفي حضنه بندقية ذات ماسورة مزدوجة تحمل نقوشاً متشابكة لحيوانات، فيما هو يسدّد على جون.

"هل تصطاد يا كارلسن؟" سأل غيلستراب بهدوء وبصوت أجش.

فهز جون رأسه، عاجزاً عن رفع نظره عن البندقية.

"في عائلتنا نصيد كل شيء"، قال غيلستراب، "سواء أكانت طرائد صغيرة أم كبيرة. أعتقد أنه باستطاعتك القول إنه شعار عائلتنا. لقد اصطاد والدي كل ما يدبّ على أربع قوائم. وهو يسافر كل شتاء إلى بلد توجد

فيه حيوانات لم يسبق له أن اصطادها من قَبْل. في العام الماضي، سافر إلى الباراغواي حيث يوجد فهد نادر يعيش في الغابات، كما قيل. لستُ بارعاً في الصيد على غرار والدي. يقول إنني لا أملك قسوة القلب الضرورية. لقد اعتاد القول إنها الوحيدة التي تمكنتُ من اصطادها". وأدار غيلستراب رأسه بسرعة في اتجاه الشاشة. "علماً أنني أرتاب في أنه على علم بأنها هي التي قامت باصطيادي".

وضع غيلستراب البندقية على الطاولة الصغيرة المنخفضة بجانبه وفتح راحة يده. "تفضّل بالجلوس. نحن على وشك توقيع عقد مع مديرِك ديفيد إكهوف هذا الأسبوع. نقل الممتلكات الموجودة في بوابة جاكوب آلز بادئ ذي بدئ. سيشكرِك والدي لأنك أوصيتَ بالبيع".

"أخشى أنه لا وجود لشيء تشكرني عليه"، قال جون من حيث كان جالساً على الأريكة السوداء. كان الجلد ناعماً وبارداً كالثلج. "إنه تخمين م هني بَحْت".

"آه! أجل. تفضّل بإخباري".

فقال جون. "إنها فوائد امتلاك أموال على صورة ممتلكات". "ولكن، قد يلجأ بائعون آخرون إلى تعويم الممتلكات في السوق المفتوحة، أليس كذلك؟".

"كان بوَدْنَا القيام بذلك أيضاً. ولكنكم عرضتم صفقة قاسية وأوضحتم أنكم لن تسمحوا بمزاد علني في عرض يشمل رزمة الممتلكات برمتها". "ومع ذلك، إن توصيتك هي التي أمالت كفة الميزان". "اعتبرت عرضكم جيداً".

فابتسم مادس غيلستراب وقال: "ربما تكون قد واجهتَ بعض المتاعب". فهز جون كتفَيه. "كان بإمكاننا الحصول على القليل من الأموال الإضافية لو قمنا بتجزئة الرزمة. ولكننا بهذه الطريقة جئنا أنفسنا عملية طويلة وشاقة لبيع الممتلكات. وقد شدد مجلس الإدارة على ثقته بكم في ما يتعلّق بالإيجارات. فبالرغم من كل شيء، هناك عدد من السكان علينا أخذهم بعين الاعتبار. فقد صعب علينا التفكير في ما يمكن لشارين غير مستقيمين أن يفعلوه بهم".

"إن بَند تجميد الإيجارات والسماح للمقيمين الحاليين بالبقاء سارٍ لمدة ثمانية عشر شهراً".

"الثقة أكثر أهمية من البنود".

وانحنى غيلستراب إلى الأمام. "صحيح يا كارلسن. هل تعرف أنني كنت

أعلم بما يدور بينك وبين رانهيلد طوال تلك المدة؟ فكما تعلم، كانت وجنتها تحمران دائماً بعد العلاقة. كما حصل ذلك أيضاً كلما ذكر اسمك في المكتب". أسند مادس غيلستراب ظهره إلى الكرسي وهو يضحك ضحكة قصيرة من الأنف، ومرر يده فوق البندقية على الطاولة. "لديّ خرطوشتان في هذه البندقية يا كارلسن. هل رأيت يوماً ما يمكن لهذه الخرطوشات أن تفعله؟ لست بحاجة إلى التصويب جيداً، بل اضغط على الزناد فقط و- بانخ- ستلتصق الأشلاء بذلك الجدار. مُذهل، أليس كذلك؟".

"قَدِمْتُ إلى هنا لأقول لك إنني لا أريدك عدواً لي".
"لا تريدني عدواً لك!". وضحك مادس غيلستراب. "طالما كنتم أعدائي. هل تذكر ذلك الصيف عندما اشتريتم أوستغارد ودُعيت من قِبَل المدير نفسه، إكهوف؟ لقد شعرتُم بالأسف عليّ. كنت الفتى الفقير الذي حرمتُموه من ذكريات الطفولة. أنتم حساسون حيال أمور مماثلة. يا الله! كم كرهتكم جميعاً!". وضحك غيلستراب. "كنت أقف وأشاهدكم وأنتم تلعبون وتستمتعون كما لو أن المكان لكم. ولا سيما شقيقك روبرت. كان لديه أسلوب مع الفتيات، إذ يدغدغ مشاعرهنّ ويصطحبهنّ إلى الهُري و...". وبدل غيلستراب وضعة قدمه، فاصطدمت بالقنينة التي سقطت مُحدثةً صوتاً قوياً، وأريق الشراب على الأرض الخشبية. "لم تكن تراني. لم يكن أيّ منكم يراني. كان الأمر كما لو أنني غير موجود. كنتم مأخوذين ببعضكم. لذلك، قلت لنفسي، حسناً، اتفقنا، إذاً يجب ألا أكون مرثياً. سأظهر لكم ما يستطيع الأشخاص غير المرثيين القيام به".
"أل هذا السبب قمتَ بذلك؟".

"أنا!؟". وضحك مادس. "ولكنني بريء يا جون كارلسن، أليس كذلك؟ نحن المتمتعين بامتيازات نكون أبرياء على الدوام. لا بد من أنك تعرف ذلك بالتأكيد. لدينا على الدوام ضمير مرتاح لأننا نستطيع شراءه من الآخرين؛ من أولئك الذين يُستخدمون لخدمتنا، وللقيام بالأعمال القذرة نيابةً عنّا؛ إنه قانون الطبيعة".

فأوماً جون برأسه. "لماذا اتصلتَ بالشرطي واعترفت؟".
فهز غيلستراب كتفيه. "في الواقع فكرتُ في الاتصال بالآخر، هاري هول. ولكن الأخرق لم يكن يملك بطاقة عمل، لذلك اتصلتُ بمن أملك رقم هاتفه، هالفرسون لا أعرف اسم عائلته. لا أتذكر لأنني كنت ثملاً".
"هل أخبرتَ أحداً آخر بذلك؟" سأل جون.
فهز غيلستراب رأسه، والتقط القنينة عن الأرض وتناول جرعة.

"والدي".

"الوالد!" قال جون. "آه، أجل بالطبع".

"بالطبع". قهقهه مادس. "هل تحب والدك يا جون كارلسن؟".
"أجل، كثيراً".

"ألا توافقني الرأي في أن حُبَّ الوالد لعنة؟". فلم يُجب جون وتابع مادس كلامه: "كان الوالد هنا بعد اتصالي بالشرطي مباشرةً، وعندما أخبرته، هل تعرف ماذا فعل؟ أحضر عصا المزلجة وضربني. لا يزال قادراً على الضرب بقوة، الوغد. الكره يمنحك القوة كما تعلم. قال إنني إذا بُحْتُ بأي كلمة لأحد، وإذا شوّهتُ اسم العائلة، فسيقتلني. تلك كانت كلماته بالتحديد. وهل تعرف؟". وترقرقت عينا مادس بالدموع ونال النشيج من صوته. "لا أزال أحبه، وأعتقد أن ذلك ما يحمله على كرهى بهذه القوة. في الواقع، إنني ابنه الوحيد وضعيف جداً لدرجة أنني لا أستطيع مبادلته الكره".

تردّد في الغرفة صدى رميه القنينة على الأرض بقوة.

عقد جون ذراعيه أمام صدره. "اسمعي. الشرطي الذي سمع اعترافك في غيبوبة. وإذا وعدتني أنك لن تلاحقني أبداً أو تلاحق من يهيموني فأنا أعدك بألا أكشف أبداً ما أعرفه عنك".

لم يكن مادس غيلستراب يُصغي إلى جون كما يبدو، بل انتقلت نظرته المحدّقة إلى الشاشة حيث كان الزوجان السعيديان يقفان مُديرين ظهرَيهما. "انظر، الآن هي تقول نعم. أُعيدُ تشغيل هذا المشهد مراراً وتكراراً لأنني لا أفهمه. لقد أقسمتُ، أليس كذلك؟ لقد... وهز رأسه. "ظننتُ أن ذلك سيجعلها تحبني مجدداً. إذا تمكنت من تنفيذ هذه... الجريمة، حينئذٍ ربما ستراني على حقيقتي. يجب على المجرم أن يكون شجاعاً وقوياً؛ رجلاً، أليس هذا صحيحاً؟ وليس... ونخر بأنفه وبصق الكلمات: "ابناً محطّم الشخصية".

نهض جون وقال: "عليّ الذهاب".

فأوماً غيلستراب برأسه. "لديّ شيء يخصّك. لِنَدْعُه... وعَضَّ شففته العلوية فيما كان يفكر. "هدية وداع من رانهيلد".

على متن القطار المتوجّه إلى هولمِنكولين، جلس جون محدّقاً إلى الحقيبة السوداء التي أعطاه مادس غيلستراب إيّاها.

á á á

كان الطقس رطباً وبارداً لدرجة أن أولئك الذين غامروا بالخروج

للتنزّه كانوا يسيرون محدودبي القامة ومطأطي الرؤوس، ومقمّطين بقبّعات ولفاعات. ولكن بتي لون لم تكن تشعر بالبرّد عندما وقفت في الخارج ورنت جرس باب عائلة ميهولدجك. فهي لم تشعر بشيء منذ أن تلقت آخر رسالة من المستشفى.

"قلبه ليس المشكلة الكبرى الآن"، كان الطبيب قد قال. "فالأعضاء الأخرى تعاني من مشاكل أيضاً، ولا سيّما الكلّيتين".

كانت فرو ميهولدجك تنتظر عند مدخل الباب فوق الدرّجات، ورافقت بتي إلى داخل المطبخ حيث كانت ابنتها صوفيا جالسة وهي تحرك شعرها باضطراب. بعد ذلك، ملأت المغلاة ووضعت ثلاثة أكواب على الطاولة. "قد يكون من الأفضل لو تحدّثتُ إلى صوفيا على انفراد"، قالت بتي. "إنها تريدني أن أكون حاضرة"، قالت فرو ميهولدجك. "أتريدين كوباً من القهوة؟".

"لا شكراً. عليّ العودة إلى ريكشوسبيتاليت. لن يدوم الأمر طويلاً".
"حسناً"، قالت فرو ميهولدجك، مُفرّغة المغلاة.
جلست بتي في مواجهة صوفيا، وحاولت النظر إلى عينيها اللتين كانتا تتفحصان أطراف شعرها.

"هل أنت واثقة من أنه لا يُفترض بنا القيام بذلك بمفردنا يا صوفيا؟".
"لماذا يُفترض بنا القيام بذلك؟". قالت بنبرة معاكسة للنبرة التي استخدمها المراهقون المتضايقون بفعالية مُذهلة لتحقيق غايتهم: الإزعاج.
"إنه أمر شخصي يا صوفيا".
"إنها والدتي!".

"حسناً"، قالت بتي. "هل أجهضت سابقاً؟".
فانكمشت صوفيا خوفاً، وقطّبت وجهها تعبيراً عن الغضب والألم في آن واحد. "ما الذي تتحدثين عنه؟". قالت بغضب من دون إخفاء الدهشة في صوتها.

"من كان الوالد؟". سألت بتي.
واصلت صوفيا تمليس شعرها، وانخفض فك فرو ميهولدجك.
"هل تمّت علاقتكما بمحض إرادتك؟" تابعت بتي، "أم اغتصبك؟".
"كيف تجرؤين على قول هذا لابنتي؟". هتفت الوالدة. "إنها لا تزال طفلة، وتجرؤين على التحدث إليها كما لو أنها...".
"كانت ابنتك حاملاً يافرو ميهولدجك. أحتاج إلى معرفة ما إذا كان لهذا الأمر أي علاقة بقضية القتل التي نعمل عليها".

سيطرت الوالدة على فكّها السفلي كما يبدو، وأُطبقَ فمها. فانحنت
بتي نحو صوفيا.

"هل كان روبرت كارلسن ياصوفيا؟ هل هو الوالد؟".
كان باستطاعتها رؤية شفة الفتاة السفلية وهي ترتعش.
نهضت الوالدة عن كرسيّها. "ما هذا الذي تقوله ياصوفيا؟ قولي لي
إن الأمر غير صحيح".
وضعت صوفيا وجهها على الطاولة وغطت رأسها بذراعيها.
"صوفيا!" صاحت الوالدة.

"أجل"، همست صوفيا كاتبتهً نشيجها. "كان هو. كان روبرت كارلسن.
لم أكن أعتقد... لم أكن أملك أي فكرة... أنه سيتصرف على هذا النحو".
وقفت بتي. كانت صوفيا تنتحب، فيما الوالدة تنظر إليها كما لو أنها
تعرضت لضربة من شخص ما. وكل ما شعرت به بتي هو الخدر. "الرجل
الذي قتل روبرت تمّ القبض عليه ليلة أمس"، قالت. "أطلقت القوات
الخاصة النار عليه في منطقة الحاويات. لقد تُوّفي".
وراقبتهما لمعرفة ردود فعلهما، ولكنها لم تر أي شيء.
"سأغادر الآن".

لم يسمعها أحد، وتوجهت إلى الباب من دون مرافقة.

á á á

كان واقفاً بجانب النافذة محدّقاً إلى الريف المكتسي باللون الأبيض
المتماوج. لقد بدا كبحر من الحليب المتجمّد، وعلى قمم بعض الموجات
منازل وأهراءات حمراء، فيما الشمس معلّقة فوق الحيد.
"لن يعودوا"، قال. "لقد ذهبوا. أو ربما لم يكونوا هنا قطّ؟ ربما كنت
تكذابين؟".

"كانوا هنا"، قالت مارتين مُخرجةً الكسرولة من الفرن. "كان المكان
دافئاً عندما وصلنا، ورأيت آثار الأقدام على الثلج بنفسك. لا بد أن أمراً
ما قد حدث. اجلس، الطعام جاهز".

وضع المسدس بجانب الطبق وتناول اليخنة. لاحظ أن هذه اليخنة
مماثلة لتلك التي تناولها في شقة هاري هول. كان هناك راديو ترانزستور
أزرق قديم على عتبة النافذة يُصدر موسيقى بوب مفهومة تُقاطعها دردشة
غير مفهومة باللغة النرويجية. إنه لحن سمعه ذات مرة في فيلم سينمائي،
وكانت والدته تعزفه على البيانو من حين لآخر أمام النافذة الوحيدة في
المنزل والمُطلّة على منظر للدانوب، كما اعتاد والده مَمَازَحَتَهَا. وعندما

تثيرها الممازحة، كان يضع حداً لذلك، متسائلاً عن كيفية تمكّن امرأة بمثل جمالها وذكائها من الزواج برجل مثله.

"هل هاري عشيقك؟" سأل.

فهزت مارتين رأسها.

"لماذا كنتِ تحملين له تذكرة للحفلة الموسيقية إذا؟"

لم تُجِب.

فابتسم. "أعتقد أنك مُغرّمة به."

رفعت شوكتها ووجهتها نحوه كما لو أنها تريد التشديد على أمر ما،

ولكنها بدّلت رأيها.

"ماذا عنك؟ هل لديك فتاة في الوطن؟"

فهز رأسه فيما كان يشرب الماء من كوب.

"لِمَ لا؟ هل يشغلك العمل تماماً؟"

لا بد أنه متوتر، فكّر في سرّه، لهذا السبب انفجر ضاحكاً بطريقة

هستيرية. وضحكت معه.

ضحك بصوت أعلى، وواصل الضحك بعد توقفها عن الكلام بوقت

طويل.

وسكبت لكليهما المزيد من اليخنة.

"بما أنك تحببته كثيراً، يمكنك الحصول على هذه أيضاً"، قال وهو

يرمي نحوها صورة فوتوغرافية. إنها الصورة التي كانت على المرأة المعلّقة

على الجدار، والتي يظهر فيها هاري والمرأة داكنة الشعر والفتى. فالتقطتها

وأمعنت النظر إليها.

"يبدو سعيداً"، قالت.

"ربما كان يقضي وقتاً ممتعاً، في تلك اللحظات".

"أجل".

وتسرّبت ظلّمة مائلة إلى الرمادي عبر النافذة وسيطرت على الغرفة.

"ربما سيقضي أوقاتاً ممتعة مجدداً"، قالت بعذوبة.

"هل تعتقدين أن هذا ممكن؟"

"أنقصد أن يحظى بأوقات ممتعة مجدداً؟ بالطبع".

تأمل الراديو وراءها ثم سألتها: "لماذا تساعديني؟"

"قلْتُ لك، أليس كذلك؟ ما كان هاري ليساعدك..."

"لا أصدّقك. لا بد من وجود سبب آخر".

فهزت كتفها.

"هل يمكنك أن تقولي لي ما المكتوب هنا؟". سألها فاتحاً الاستمارة التي كان قد عثر عليها بين كومة الأوراق على الطاولة الصغيرة المنخفضة في منزل هاري، ومررها لها.

فقرأتها في أثناء قيامه بتفحص صورة هاري الفوتوغرافية الموجودة على بطاقة الهوية، والتي أخذها من شقته. كان الشرطي يحدّق فوق عدسة آلة التصوير، وحزر أن هاري ينظر إلى المصوّر بدلاً من آلة التصوير، واعتقد أن هذا الأمر ربما يُفیده بشيء ما عن الرجل الظاهر في الصورة.

"إنها استمارة طلب رسمي لشيء ما يُدعى سميث إند ويسن عيار 38"، قالت مارتين. "يُطلب منه إظهار هذه الاستمارة موقّعة، والحصول على المسدس من المتاجر في مقر قيادة الشرطة".

وأوماً برأسه ببطء. "وهل هي موقّعة؟".

"أجل. من قبل... دَعني أرى... كبير المفتشين غونار هاغن".

"بكلمات أخرى، لم يحصل هاري على مسدسه. وهذا يعني أنه لا

يشكل خطورة. إنه أعزل في الوقت الحاضر".

فطرفت مارتين عينيها مرتين متتاليتين وبسرعة.

"ما الذي يجول في خاطرك؟".

26 - السبت، 20 كانون الأول/ديسمبر. الخدعة

أُضِيَّتْ أنوار الشارع في غوتربورغاتا.
"حسنًا"، قال هاري لبتي. "إذًا، هنا ركن هالفورسن سيارته؟".
"أجل".

"لقد خرجا، وهاجمهما ستانكيك الذي أطلق النار أولاً على جون الذي هرب إلى داخل الشقق. ومن ثم انتقل إلى هالفورسن الذي كان يتوجه إلى سيارته للحصول على المسدس".

"أجل. عُثِرَ على هالفورسن ممدِّداً بجانب السيارة. عثرنا على دماء على جَيْبِي مِعْطَفِ هالفورسن، وجَيْبِي سِرواله ونطاق الخصر. لم تكن دماؤه، لذلك نفترض أنه دم ستانكيك الذي كان يفتِّش ملابسه بالتأكيد، وأخذ محفظته وهاتفه المحمول".

"حسنًا"، قال هاري فاركاً دَقَنه. "لماذا لم يُطلق النار على هالفورسن فحسب؟ لماذا استخدم السكين؟ لم يكن بحاجة إلى التزام الهدوء؛ لقد سبق له أن أيقظ الجيران عندما أطلق النار على جون".
"طرحنا على أنفسنا السؤال نفسه".

"وما سبب طعنه هالفورسن، ومن ثم الفرار؟ إن السبب الوحيد الذي دفعه إلى مواجهة هالفورسن هو إزاحته عن الطريق للانفراد بجون في ما بعد. ولكنه لم يحاول".

"كان مكذِّراً. فقد وصلت سيارة، أليس كذلك؟".
"أجل. ولكننا نتحدث هنا عن رجل طعن شرطياً في وَضَحِ النهار. فلماذا سيخاف من سيارة مازّة؟ ولماذا سيستخدم سكيناً عندما يكون لديه مسدس؟".

"أجل، هذا هو بيت القصيد".
أغمض هاري عينيه للحظات طويلة، فيما ضربت بتي الثلج بقدميها.
"هاري"، قالت. "أريد أن أذهب. علي...".

فتح هاري عينيه ببطء وقال: "لقد نفذت منه الطلقات النارية".
"ماذا؟".

"كان الطلق الناري هو الأخير لدى ستانكيك".
أطلقت بتي تنهيدة مُتْعَبَةً. "كان محترفاً يا هاري. لا تنفذ منك الذخيرة إذا كنت محترفاً، أليس كذلك؟".

"أجل. هذا هو السبب بالتحديد"، قال هاري بحماسة. "إذا كنت قد

خطت لعملية القتل جيداً وتعزمين قتل رجل، فستكونين بحاجة إلى طلق ناري واحد أو طلقين على الأكثر، ولن تصطحبي معك احتياطياً كبيراً من الذخائر. فعندما يتوجب عليك دخول بلد أجنبي تخضع كل الأمتعة الداخلة إليه لفحص بأشعة إكس، سيتعين عليك إيجاد مخبأ لها، أليس كذلك؟".

فلم تُجب بتي.

وتابع هاري. "أطلق ستانكيك طلقه الناري الأخير على جون وأخطأه. لذلك، هاجم هالفورسن بأداة حادة. لماذا؟ حسناً، ليحصل على مسدس الخدمة الخاص به ويطارد جون. لهذا السبب، هناك دم على نطاق خصر هالفورسن. أنت لا تبحثين عن محفظة جيب هناك، بل عن مسدس. ولكنه لم يعثر على شيء لأنه لم يكن يعرف أنه موجود في السيارة. وأقفل جون على نفسه في المنزل، ولم يكن ستانكيك يملك شيئاً سوى سكين. لذلك تخلى عن الأمر وفرّ ناجياً بنفسه".

"نظرية رائعة"، قالت بتي وتثاءبت. "كان باستطاعتنا طرح السؤال على ستانكيك، ولكنه ميت. فلا أهمية للأمر إذًا".

راقب هاري بتي. كانت عيناها صغيرتين وحمراوين بسبب قلة النوم. وقد أظهرت لباقة كافية كي لا تذكر أن رائحة المشروبات الكريهة تفوح منه، أو ربما أظهرت حكمة كافية لمعرفة أنها لا فائدة تُرجى من مواجهته بالموضوع. ولكنه فهم أيضاً أنها لا تثق به في هذه اللحظة.

"ما الذي قالته الشاهدة التي كانت في السيارة؟". سأل هاري. "إن ستانكيك قد انسَلَّ هارباً على الجانب الأيسر للطريق؟".

"أجل، لقد راقبته عبر المرأة. ووقع بعد ذلك عند الزاوية حيث عثرنا على قطعة نقود معدنية كرواثية".

ركز هاري على الزاوية. إنها المكان نفسه الذي وقف فيه المتسوّل الملتحي عندما كان هناك في المرة الأخيرة. ربما رأى شيئاً ما؟ ولكن الحرارة الآن اثنتان وعشرون درجة تحت الصفر، ولا يوجد أحد في الجوار.

"لنقصِد الخبراء الجنائيين"، قال هاري.

عبرا بوابة توفتز متجهين إلى رينغ 2 من دون التفوه بأي كلمة؛ مروراً بمستشفى أوليفال، وحدائق بيضاء، ومنازل مبنية بالآجر وفقاً للأسلوب الإنكليزي في سونسفين عندما وضع هاري حداً للصمت.

"توقفي".

"الآن؟ هنا؟".

"أجل".

فتحققت من مرآتها وامتلثت لطلبه.

"أضيئي أنوار الإنذار"، قال هاري، "ومن ثم ركزي عليّ. هل تتذكرين لعبة الترابط الفكري التي علّمتك إيّاها؟".

"أتعني تلك التي تقضي بالتكلّم قبل أن أفكّر؟".

"أو البّوح بما تفكرين فيه قبل أن تفكري في أنه لا يُفترض بك التفكير فيه. أفرغي ذهنك".

أغمضت بتي عينيها. في الخارج، مرّت عائلة بهما على المزلجات.

"هل أنت مستعدة؟ حسناً. من أرسل روبرت كارلسن إلى زغرب؟".

"والدة صوفيا".

"حسناً"، قال هاري. "كيف تبادرت هذه الفكرة إلى ذهنك؟".

"لا فكرة لديّ"، قالت بتي فاتحةً عينيها. "لا دافع لديها على حدّ

علمي. وهي ليست من ذلك النوع. ربما لأنها كرواوية مثل ستانكيك. لا توجد في عقلي الباطن أفكار معقّدة".

"قد يكون كل ذلك صحيحاً"، قال هاري، "باستثناء الجزء الأخير

المتعلق بعقلك الباطن. حسناً. أسأليني".

"هل يجب أن أسأل... بصوت مرتفع؟".

"أجل".

"لماذا؟".

"قومي بذلك فحسب"، قال مُغمِضاً عينيّه. "أنا مستعد".

"من أرسل روبرت كارلسن إلى زغرب؟".

"نيلسن".

"نيلسن! من هو نيلسن؟".

فتح هاري عينيّه مجدداً.

طرف عينيّه بسبب أضواء السيارات المقتربة، شاعراً بالقليل من

الدُّهول. "أفترض أنه لا بد من أن يكون ريكارد".

"إنها لعبة غريبة"، قالت بتي.

"قودي"، قال هاري.

كان الظلام قد حلّ على أوستغارد، والراديو الموضوع على عتبة النافذة

لا يزال يصدر الأصوات.

"ألا يوجد حقاً من يمكنه معرفتك؟" سألت مارتين.

"هناك القليلون فقط"، قال. "ولكن الأمر قد يتطلب وقتاً ليعرفوا وجهي. ولم يخصص الكثيرون الوقت لذلك".

"إذاً، أنت لا تشكّل عائقاً، بل تكمن المشكلة في الآخرين؟".
"ربما. ولكنني لا أريدهم أن يعرفوني. هناك... أمر أقوم به".
"تلوذ بالفرار".

"لا، بل العكس. أتسلل وأغزو. أجعل نفسي خفياً وأتسلل إلى أماكن أريد أن أكون فيها".

"ولكن، إذا لم يرك أحد، فما جدوى ذلك؟".
نظر إليها مستغرباً. كانت هناك خشخشة في الراديو، ومن ثم شرعت امرأة بالتكلم بالجدية المحايدة التي تعتمد عليها مذيعة أخبار.
"ماذا تقول؟" سأل.

"ستزداد برودة الطقس، وستُقل دور الحضانة، وينبّه المُستون إلى ضرورة البقاء في الداخل وعدم توفير الكهرباء".

"ولكنك رأيتني"، قال، "وعرفتني".
"أنا أراقب الناس"، قالت. "أنا أراهم. إنها موهبتي الوحيدة".
"ألهدا السبب تساعدينني؟" سأل. "ألهدا السبب لم تحاولي الفرار ولو مرة واحدة؟".

فأمعنت النظر إليه. "لا، إنه ليس السبب"، قالت أخيراً.
"ما هو السبب؟".

"لأنني أريد أن يموت جون كارلسن. أريده ميتاً أكثر من كونك ميتاً".
وأجفل. هل فقدت صوابها؟
"أنا ميت!" .

"هذا ما ادّعوه في الأخبار طوال الساعات القليلة الماضية"، قالت،
وأومات برأسها في اتجاه الراديو.

أخذت نفساً، واعتمدت الصوت الرزين والتسلطي لمذيعة أخبار. "الرجل المشتبه بارتكابه جريمة إغرتورغت مات ليلة أمس بعد إطلاق شرطي من القوات الخاصة النار عليه في أثناء الإغارة على منطقة الحاويات. ووفقاً لسيفرت فالكيد، قائد القوات الخاصة، رفض المشتبه به الاستسلام وحاول الوصول إلى مسدسه. وقال رئيس فريق مكافحة الجريمة، كبير المفتشين غونار هاغن، إنه سيتم إيداع القضية بين أيدي أس إي أف أو؛ أي سلطة التحقيق المستقلة التابعة للشرطة كالعادة. وعلق كبير المفتشين هاغن قائلاً إن هذه القضية مثال آخر على تعاطي الشرطة مع جرائم منظمة ووحشية،

وإن النقاش حول ضرورة تسليح الشرطة أم لا لا يُفترض به أن يتناول تطبيق القانون بفعالية فحسب، بل سلامة رجال الشرطة أيضاً".
طرف عينيه مرتين، ثم ثلاث مرات، ومن ثم أدرك الأمر. كريستوفر.
السترة الزرقاء.

"أنا ميت"، قال. "لهذا السبب غادروا قبل أن نصل. فقد ظنوا أن الأمر قد انتهى". ووضع يده على يد مارتين. "لماذا تريدون موت جون كارلسن؟".

فحدّقت إلى الفضاء، وأخذت نفساً عميقاً كما لو أنها تهتمّ بالكلام، ومن ثم زفرت بأنين كما لو أن الكلمات التي عثرت عليها لم تكن الكلمات المناسبة، وحاولت مجدداً، ونجحت في المحاولة الثالثة. "لأن جون كارلسن يعرف. ولهذا السبب أكرهه، أكره نفسي".

نظر هاري إلى الجثة العارية على الطاولة. لم يعد يتأثر تقريباً برؤية الجثث على هذه الحال.

كانت حرارة الغرفة أربعين درجة تقريباً، وكانت الجدران الإسمنتية الملّساء تُردّد صدى قصيراً وخشناً مع إجابة الأخصائية في علم الأمراض عن سؤال هاري.

"لا، لم نكن نفكر في تشريحه. لدينا الكثير من الجثث، والسبب واضح نوعاً ما في هذه الحالة، ألا تعتقد ذلك؟". وأومأت في اتجاه الوجه الذي يحمل ثقباً أسود كبيراً أزال معظم الأنف والشفة العلوية، وأبقى الفم ومجموعة الأسنان العلوية.

"الأمر أشبه بتجويف"، قال هاري. "لا يبدو أنه من فعل أم بيبي 5. متى أحصل على التقرير؟".

"أسأل رئيسك. لقد طلب توجيهه له مباشرة".

"هاغن؟".

"أجل. لذلك، من الأفضل لك أن تطلب منه نسخة إذا كنت مستعجلاً".

وتبادل هاري وبتي نظرات سريعة.

"اسمع"، قالت الأخصائية في علم الأمراض، وتمدّدت زاويتا فمها في ما اعتقد هاري أنها ابتسامة، "نفتقر إلى الموظفين في نهاية هذا الأسبوع، ومنتظري قدر كبير من العمل، لذلك إذا لم تمانعاً؟".

"بالطبع"، قالت بتي.

وتوجّهت الأخصائية في علم الأمراض وبتي نحو الباب، ولكنهما توقفتا لدى سماعهما صوت هاري.

"هل لاحظت أيّ منكما هذا؟".

استدارتا نحو هاري الذي كان منحنيّاً فوق الجثة.

"هناك آثارٍ مُحقنة. هل تحققتِ من دمه بحثاً عن مخدرات؟".

تنهّدت الأخصائية في علم الأمراض وقالت: "وصل في الصباح، وكل ما

تمكّنا من القيام به هو وضعه في الثلاجة".

"متى يمكنك الانتهاء من معاينة الجثة؟".

"هل الأمر مُلحّ؟". سألت، وتابعت بعد أن رأت تردد هاري. "سيكون

إعطائي جواباً صادقاً في غاية الأهمية؛ لأننا إذا منحناه الأولوية فسيتم إرجاء

كل الحالات الأخرى التي تستعجلوننا للنظر فيها. الكرسمس على الأبواب،

ونحن على عَجَلَة من أمرنا".

"حسناً"، قال هاري، "ربما تلقى حقنة مخدّر". وهز كتفّيه. "ولكنه

ميت، وأفترض أن الأمر ليس مُلحّاً. هل أخذتِ ساعته؟".

"ساعته!".

"أجل، كان يضع ساعة سيكو أس كيو 50 عندما كان يسحب مالاً

من الصرّاف الآلي في ذلك اليوم".

"لم يكن يضع ساعة".

"حسناً"، قال هاري ناظراً إلى معصمه العاري. "لا بد من أن يكون

قد أضعها".

"سأنطلق بسرعة إلى وحدة العناية المركّزة"، قالت بتي عندما أصبحا

في الخارج.

"حسناً"، قال هاري، "سأوقف سيارة أجرة. هل يمكنك التأكد من

هوّيته؟".

"ماذا تعني؟".

"كي نكون واثقين مئة بالمئة من أن ستانكيك هو المستلقي هناك".

"بالطبع، إنه الإجراء العادي. إن فئة دم الجثة هي "أيه"، وهي

تتطابق مع الدماء التي عثرنا عليها على جيبي هالفورسن".

"إنها فئة الدم الأكثر شيوعاً في النرويج، يابتي".

"أجل، ولكنهم يتحققون من الذي أن أيه أيضاً. ألسّت مقتنعاً؟".

فهز هاري كتفّيه. "يجب القيام بهذه الأمور. متى؟".

"الثلاثاء في أبكر وقت ممكن، هل أنت موافق؟".

"ثلاثة أيام! لا، لستُ موافقاً".

"هاري...".

ورفع هاري يديه في إيماءة دفاعية. "حسناً، سأذهب. نامي قليلاً، اتفقنا؟".

"صديقاً، تبدو كما لو أنك بحاجة إلى النوم أكثر مني".

وضع هاري يده على كتفها، وشعر بمدى تحولها تحت السترة. "إنها ظروف صعبة يا بتي. ولكنني أريدك أن تحسلي على النتيجة في أقرب وقت ممكن. اتفقنا؟".

عَضَّت بتي شفتها السفلية، وأعطت الانطباع بأنها تَهَمُّ بقول شيء ما، ولكنها أطلقت ابتسامة سريعة ثم أومأت برأسها. في سيارة الأجرة، أخرج هاري هاتفه المحمول واتصل بهاتف هالفورسن المحمول، ولكنه لم يتلقَ أي إجابة كما توقع. أدخل بعد ذلك رقم فندق هوتيل إنترناشونال، وطلب التحدث إلى فريد.

"أنا الشرطي"، قال هاري عندما أصبح النادل على الخط، "كنتُ عندك أمس أسأل عن مالي سبائيتلي".

"حسناً".

"عليّ التحدث إليها".

"لقد بلغتُ أبناء سيئة"، قال فريد. "وداعاً".

جلس هاري يُصغي إلى نغمة الهاتف بعد أن قطع النادل الاتصال، ثم وضع هاتفه المحمول في جيبه الداخلي وحدَّق إلى خارج النافذة الجانبية؛ نحو الشوارع التي لا حياة فيها.

"مطعم شرودر"، أعلن سائق سيارة الأجرة متوقفاً.

جلس هاري إلى طاولته المعتادة محدقاً إلى كأس الشراب نصف الممتلئة. كان هذا المكان الذي يُدعى مطعماً مهياً عادياً وقديماً. في الواقع، كان يمتاز بهالةٍ من الوقار يُضفيها عليه الزبائن ربما، أو الموظفون، أو اللوحات المؤثِّرة التي لا يليق بها المكان والتي تزيّن الجدران المبقّعة بالدخان.

لم يكن هناك العديد من الأشخاص قبل موعد الإقفال. ولكن زبوناً جديداً دخل، وألقى نظرة سريعة على أرجاء الغرفة في أثناء فكّه أزرار المعطف الذي يرتديه فوق سترة تويد وإسراعه إلى طاولة هاري.

"مساء الخير يا صديقي"، قال ستال أون. "يبدو أنها زاويتك المعتادة".

"إنها ليست زاوية"، قال هاري بصوت غير ثابت. "إنها ناحية. الزوايا موجودة في الخارج. فأنت تنعطف عند زاوية، ولكنك لا تجلس في زاوية".
"ماذا عن عبارة طاولة زاوية؟".
"ليست طاولة زاوية، بل طاولة ذات زوايا، كما في عبارة أريكة زاوية".

فأطلق أون ابتسامة سرور. إنه نوع الحديث الذي يجريه. وصلت النادلة وألقت عليه نظرة سريعة ووجيزة ومتشككة عندما طلب كوباً من الشاي.

"إذاً، لا يتم إرسال الأشخاص بطيئي التعلم إلى الزاوية، كما أفترض؟".
قال مقوِّماً ربطة عنقه الحمراء والبيضاء على هيئة فراشة.
وابتسم هاري. "هل تحاول قول شيء ما لي يا عالم النفس؟".
"حسناً، أفترض أنك اتصلت بي لأنك تريدني أن أخبرك أمراً ما".
"كم تطلب ثمناً لقاء إخبارك الناس أنهم يشعرون بالخجل من أنفسهم؟".

"احذر، يا هاري. إن احتساء الشراب لا يجعلك سريع الغضب فحسب، بل مثيراً للغضب أيضاً. لم آتِ إلى هنا كي أحرمك من احترامك لنفسك، ومن مشروباتك. ولكن مشكلتك الحالية موجودة في تلك الكأس".
"أنت مُحق على الدوام"، قال هاري رافعاً كأسه. "ولهذا السبب عليّ أن أنهي هذه الكأس بسرعة".
ووقف أون. "إذا كنت تريد التحدث عن احتسائك الشراب، فباستطاعتنا القيام بذلك في مكتبي كالعادة. انتهت هذه المشورة وادفع ثمن الشاي".

"انتظر"، قال هاري. "انظر". واستدار ووضع ما تبقى من الشراب على الطاولة الفارغة وراءه. "إنها خدعتي. أنا أسيطر على احتسائي الشراب من خلال طلب نصف لتر أرتشفه لمدة ساعة؛ رشفة صغيرة كل دقيقة، على غرار حبة منوم، وأعود بعد ذلك إلى المنزل، وأكون في اليوم التالي مستعداً للعمل. أردت التحدث إليك عن الاعتداء الذي تعرّض له هالفورسن".
فتردد أون، وجلس مجدداً. "إنه حادث مُريع. سمعتُ بالتفاصيل".
"وماذا يمكنك أن تستنتج؟".

"لمحة يا هاري. بالكاد لمحة". وأوماً أون برأسه بلطف للنادلة التي أحضرت له كوب الشاي. "ولكن، كما تعلم، ألمحُ بشكل أفضل من الآخرين عديمي القيمة في مجال عملي. ما أستنتجه هو وجود أوجه شبه بين هذا

الاعتداء ومقتل رانهيلد غيلستراب".

"أخبرني".

"إنهما نتيجة تنفيس عن غضب عميق نابح من القلب. عنف بسبب الإحباط. فكما تعلم، نوبات الغضب نموذجية لدى الشخصيات القائمة على الحد الفاصل بين السوي واللاسوي".

"أجل، باستثناء ذلك، يبدو أن المجرم قادر على السيطرة على غضبه، وإلا لَعَثَرْنَا على المزيد من الإلماعات في مسارح الجرائم".

"وجهة نظر جيدة. ربما يكون مهاجماً يقوده الغضب - أو شخصاً عنيفاً كما كان يُطلب منا أن ندعوهم - ويبدو كل يوم هادئاً ودفاعياً تقريباً. نُشرت مؤخراً مقالة في الأمريكان جورنال أوف سايكولوجي عن أشخاص مماثلين ينتابهم ما يُدعى الغضب النائم. أي ما أدعوه الدكتور جِكيل والسيد هايد. وعندما يستيقظ السيد هايد...". ولوّح أون بسبّابته اليسرى في أثناء تناوله رشفة شاي، "... عندما تنفجر سورة الغضب لا يعود باستطاعته السيطرة عليه".

"يبدو الأمر كما لو أنها ميزة شخصية بالنسبة إلى قاتل مأجور محترف".

"ما الذي تُلمح إليه؟".

"ألمح إلى وجود نقاط ضعف في أسلوب ستانكيك في قتله رانهيلد غيلستراب ومهاجمته هالفورسن. هناك شيء ما... لا يمكن ملاحظته مباشرةً، ومختلف تماماً عن عمليات قتل روبرت كارلسن والآخرين الوارد ذكرهم في تقارير اليوروبول التي أرسلت لنا.

قاتل مأجور غاضب ومختلّ العقل! حسناً، أفترض وجود ربابنة طائرات مختليّ العقول، ومديرين لمحطات توليد الكهرباء بالطاقة النووية مختليّ العقول أيضاً. ليس الجميع هم الأشخاص المناسبين في المكان المناسب كما تعلم".

"سأشرب نخب ذلك".

"في الواقع، لم أكن أفكر فيك. هل تعرف أن لديك بعض المزاياء النرجسية أيها المفتش؟".

فابتسم هاري.

"هل ستطلعني على سبب شعورك بالخجل؟" سأل أون. "هل تظن أن هالفورسن قد طعن بسببك؟".

وتنحى هاري. "حسناً، أنا من أوكلتُ إليه مهمة الاعتناء بجون

كارلسن. وأنا من كان يُفترض بي أن أعلمه أين يحتفظ بالمسدس عندما يكون في مهمة مُجالسةِ أطفال".

فأوماً أون برأسه. "إذاً، الذنب ذنبك كالعادة".

نظر هاري جانباً عبر الغرفة. كانت الأضواء قد بدأت تومض، والزبائن القلائل المتبقون يحتسون الشراب بإذعان، ويضعون لِفاعات، ويعتَمرون قَبَّعات. فوضع هاري ورقة نقدية من فئة مئة كرون على الطاولة، وركل حقيبة موضوعة تحت الكرسي وقال: "إلى المرة القادمة يا ستال. لم أقصد المنزل منذ عودتي من زغرب، وأنا الآن بحاجة إلى بعض النوم".

وتبع هاري أون نحو الباب، ولكنه كان عاجزاً عن منع نفسه من إلقاء نظرة سريعة على الشراب المتبقي في الكأس التي لا تزال على الطاولة وراءهما.

بينما كان هاري يفتح قفل باب شقته، لاحظ الزجاج المحطم، فشم بصوت عالٍ. إنها المرة الثانية التي يتعرض فيها منزله للاقتحام في غضون عام. ولاحظ أن الوقت قد تسنى للدخيل لوضع شريط لاصق على الزجاج كي لا يثير فضول السكان المارين أمام الشقة، ولكنه لم يسمح له بأخذ الستيريو معه أو التلفاز. من السهل فهم السبب؛ لأن أيّاً منهما ليس من طراز هذا العام، أو العام السابق، ولا وجود لسلع أخرى قيّمة يمكن تسويقها.

لاحظ قيام أحدهم بنقل كومة الورق عن الطاولة الصغيرة المنخفضة. وحين دخل الحمام ورأى حالة الفوضى داخل خزانة الأدوية فوق المِغسلة، لم يكن من الصعب عليه الاستنتاج أنه مُدمن مخدرات.

لقد أربكه وجود طبّق على الطاولة وظيفتها اليخنة الفارغتان في كيس القُمامة تحت المِغسلة. هل غمرت الحاجةُ إلى طعام جيد الدخيل سيئ الحظّ؟

عندما دخل السرير، شعر هاري بتحدّي مواجهةِ الألم الوشيك، وأمل أن يكون باستطاعته النوم تحت تأثير الدواء. وعبر الفُتحات بين الستائر، أرخى القمر خطأً أبيض على امتداد الأرض وصولاً إلى سريره. ألقى رأسه على الوسادة، واستدار بانتظار الأشباح. كان باستطاعته سماع الحفيف؛ إنها مسألة وقت ليس إلا. وبالرغم من إدراكه أنه دُهان ارتياحي بسبب الشراب، ظنّ أن باستطاعته شمّ رائحة الموت وسفك الدماء على الملاءة.

27 - الأحد، 21 كانون الأول/ديسمبر. التلميذ

كان أحدهم قد وضع باقة من الزهر خارج غرفة الاجتماعات في المنطقة الحمراء.

ووراء الباب المغلق، كان اجتماع الصباح الأخير لفريق التحقيق يوشك على الانتهاء.

وقف هاري أمام المجموعة المجتمعة؛ متعرقاً في بذلة تويد قائمة اللون وضيقة.

"بما أن القاتل المأجور ستانكيك والوسيط روبرت كارلسن متوقَّيان فسيتمَّ حلُّ فريق التحقيق بصورته الحالية"، قال هاري. "وهذا يعني أنّ معظمكم يستطيعون التطلُّع إلى إجازة الكرسمس هذا العام. ومع ذلك، سأطلب من هاغن أن يكون عدد قليل منكم متوافراً لمزيد من أعمال التحري. هل هناك أي أسئلة قبل اختتام الأمور؟ أجل، ياتوريل؟".

"قلت إن صلة ستانكيك في زغرب أكد شكننا بأن روبرت كارلسن قد تعاقد مع قاتل مأجور للتخلص من جون. من الذي تحدّث إلى الصلة وكيف؟".

"أخشى أنه لا يمكنني الدخول في أي تفاصيل حول ذلك"، قال هاري متجاهلاً عيني بتي البليغتين، وشاعراً بالعرق وهو يسيل على ظهره، ليس بسبب البذلة أو السؤال، بل بسبب كونه غير مُمل.

"حسناً"، تابع. "إن مهمتنا التالية هي اكتشاف الشخص الذي كان روبرت يعمل معه. سأتصل اليوم بالقلائل المحظوظين الذين سيُسمح لهم بالمشاركة في هذه المهمة. هاغن سيعقد مؤتمراً صحافياً في وقت لاحق اليوم وسيهتم بكل ما يجب قوله". ولوّح هاري بيديه. "امضوا إلى أكوام أوراقكم أيها الزملاء".

"هيه!". صاح سكار وسط صوت صريف الكراسي لدى احتكاكها بالأرض. "ألا يُفترض بنا الاحتفال؟".

تلاشى الصوت، ونظرت المجموعة إلى هاري.

"حسناً"، قال هاري بهدوء، "لا أعرف تماماً ما الذي يُفترض بنا الاحتفال به ياسكار. أنحتفل بموت ثلاثة أشخاص؟ أو بأن الرجل الذي يقف وراء روبرت كارلسن لا يزال طليقاً؟ أو بوجود شرطي في غيبوبة؟".

راقبهم هاري، ولم يقم بأي شيء للتخفيف من حدّة الصمت المؤلم الذي تلا ذلك.

وعندما فَرغت الغرفة، توجّه سكار نحو هاري الذي كان يراجع الملاحظات التي دوّنها عند الساعة السادسة من صباح ذلك اليوم. "آسف"، قال سكار. "كان اقتراحاً حقيراً".

"لا بأس"، قال هاري. "لم تقصد الإساءة".

فسعل سكار. "نادراً ما نراك مرتدياً بذلة".

"جنازة روبرت كارلسن عند الساعة الثانية عشرة"، قال هاري من دون أن يرفع نظره. "تبادرت إلى ذهني فكرة معرفة من سيحضر". "صحيح". وتأرجح سكار على عَقْبِيهِ.

كفّ هاري عن تقليب أوراقه وسأله: "هل هناك أي شيء آخر ياسكار؟".

"حسناً، أجل. كنت أفكر في أن عدداً قليلاً من الأشخاص المنتميين إلى فريق مكافحة الجريمة ليست لديهم عائلات يتطلّعون إلى قضاء فترة الكرسمس معها، في حين أنني عازب...". "إذاً؟".

"حسناً، أرغب في التطوع".

"التطوع!".

"أعني أنني أرغب في الاستمرار بالعمل على القضية. إذا كنت تريدني بالطبع"، سارع سكار إلى القول.

تأمّل هاري ماغنوس سكار مليّاً.

"أعرف أنني لا أروق لك"، قال سكار.

"ليس الأمر كما تظن"، قال هاري. "لقد سبق لي أن اتخذت قراراً بشأن الذين سيقون. أولئك هم الذين اعتبرهم الأفضل، ولم أختارهم لأنهم يروقون لي".

فهز سكار كتْفِيهِ. "الأمر مُنصف بما يكفي. سأغادر إذاً". وتوجّه نحو الباب.

"لهذا السبب"، قال هاري واضعاً ملاحظاته في حقيبة الأوراق، "أريد منك البدء بالتحقق من حساب روبرت كارلسن المصرفي، ومعرفة الأموال التي دخلت حسابه وخرجت منه في الأشهر الستة الأخيرة، وملاحظة أي أمر غريب".

توقف سكار، واستدار مذهولاً.

"الأمر نفسه ينطبق على حسابات ألبرت ومادس غيلستراب المصرفية. هل فهمت ياسكار؟".

فأوماً ماغنوس سكار برأسه بحماسة.

"تحقق مع تليثور مما إذا جرت أي محادثات عبر الهاتف بين روبرت وأي من الوالد أو الابن غيلستراب في تلك الفترة. أجل، وبما أن الأمر يبدو كما لو أن ستانكيك قد حصل على هاتف هالفورسن المحمول، تحقق مما إذا جرت أي محادثات باستخدام ذلك الرقم. تحدث إلى المحامي بشأن ولوج الحسابات المصرفية".

"لا حاجة إلى ذلك"، قال سكار. "وفقاً للأنظمة الجديدة، يمكننا ولوجها بشكل دائم".

"حسناً". ورمق هاري سكار بنظرة جدية. "من الجيد أن يكون لدينا شخص في الفريق يقرأ التوجيهات".

وخرج من الباب بخطى واسعة.

á á á

لم يكن روبرت كارلسن عضواً ذا رتبة عالية في اتحاد الرعاية الاجتماعية، ولكن قراراً اتُّخذ بدفنه في مكان مخصَّص للأعضاء المهمين في الاتحاد في مقبرة فِستر لأنه توفي في أثناء الخدمة.

عندما دخل هاري دار العبادة الصغيرة، أدار جون رأسه، وكان جالساً بمفرده على المقعد الأمامي مع ثيا. ولاحظ هاري غياب والدَي روبرت. فأقام وجون اتصالاً بصرياً، وأوماً جون برأسه بسرعة وكآبة. ولكن، كان هناك امتنان بادٍ على تعابير وجهه.

كانت دار العبادة الصغيرة مليئة حتى المقعد الأخير، كما هو متوقَّع، وكان معظم الناس يرتدون الزي الخاص باتحاد الرعاية الاجتماعية. ورأى هاري ريكارد وديفيد إكهوف وإلى جانبهما غونار هاغن. وهناك أيضاً عدد قليل من الصحفيين المستفيدين من مآسي الآخرين. في تلك اللحظة، انزلق رودجر دجنِدم على المقعد بجانبه وسأله عما إذا كان يعرف سبب عدم قدوم رئيس الوزراء كما أُعلن من قبل.

"اسأل مكتب رئيس الوزراء"، أجاب هاري، عالماً أن المكتب قد تلقى في صباح ذلك اليوم بالتحديد اتصالاً هاتفياً متكتِّماً من ذوي المراتب العليا في الشرطة للتحدث عن دور روبرت كارلسن المحتمل في قضية القتل. وبالتالي تذكَّر مكتب رئيس الوزراء أن رئيس الوزراء مرتبط بالتزامات مُلحة أخرى منحها الأولوية.

وكان المدير ديفيد إكهوف قد تلقى أيضاً اتصالاً من مقر قيادة الشرطة أحدث حالة دُعر في مركز اتحاد الرعاية الاجتماعية. أضف إلى ذلك

أن ابنته مارتين المنظمة الرئيسة للإعدادات الجارية للجنازة، قد اتصلت في الصباح الباكر لتقول إنها مريضة جداً ولن تأتي.

ومع ذلك، أعلن المدير بصوت عازم أن الرجل بريء حتى يثبت العكس ويزول أي أثر للشك. علاوةً على ذلك، كان قد أضاف أن الأوان قد فات على إحداث تغيير في التدابير الآن، ويجب مواصلة الاستعدادات، كما أكد له رئيس الوزراء أن حضوره الحفلة الموسيقية أمر نهائي مهما حدث.

"هل هناك أي شيء آخر؟" همس دجندم. "أي جديد في شأن عمليات القتل؟".

"فهمت أنه تم إبلاغ الجميع بالتفاصيل"، قال هاري. "على الصحافة التحدث إلى غونار هاغن أو الناطق باسمه".
"إنهم لا يقولون شيئاً".

"إذاً، يبدو أنهم يعرفون ما يجب عليهم القيام به".
"هيا ياهول، أعرف أن أمراً ما يحدث. الشرطي الذي طعن في غوتربورغاتا، هل هناك أي صلة بينه وبين الرجل المسلح الذي أطلقت النار عليه في الليلة الماضية؟".

فهز هاري رأسه بطريقة يمكن أن تعني "لا" أو "لا تعليق".
توقفت موسيقى الأرغن في تلك اللحظة، واختفت التمتمة، وخطت إلى الأمام الفتاة التي أطلقت أسطوانتها حديثاً وأنشدت بصوت رائع. وللحظة من الزمن، شعر هاري بتوق غامر إلى كأس، ولكنها أطبقت فمها أخيراً، وأحنت رأسها حُزناً أمام عاصفة خيالية من ومضات آلات التصوير. وابتسم مديرها مسروراً.

وحدّث إكهوف المجتمعين عن الشجاعة والتضحية.
لم يكن هاري قادراً على التركيز، فنظر إلى النعش وفكّر في هالفورسن، وفي والدة ستانكيك. وعندما أغمض عينيه فكّر في مارتين.
بعد ذلك، حمل ستّة أعضاء النعش، وتقدّم جون وريكارد أولاً.
لقد انزلق جون على الجليد في أثناء انعطافهم نحو الطريق الحصوية.
ترك هاري الآخرين المتجمّعين حول المدفن، وعبر الجزء المُقفر من المقبرة في اتجاه حديقة فروغز العامة حيث سمع وقع أحذية على الثلج وراءه.

لقد اعتقد في بادئ الأمر أنه صحافي، ولكن عندما سمع التنفس السريع المهتاج، استدار من دون تفكير.

إنه ريكارد الذي توقف فجأةً.

"أين هي؟" وأزّ تنفّسه.

"عمّن تتكلم؟" .

"مارتين".

"سمعتُ أنها مريضة اليوم".

"مريضة، أجل". كان صدر ريكارد يتحرك صعوداً ونزولاً. "ولكنها ليست

في منزلها، ولم تكن في منزلها في الليلة الماضية أيضاً".

"كيف تعرف؟" .

"لا...!". وتردد صدى صرخة ريكارد التي تعبّر عن ألمه، وتلوّت قسّات

وجهه كما لو أنه لم يعد قادراً على السيطرة على غضبه. ولكنه التقط

أنفاسه بعد ذلك، وسيطر على نفسه بعد جهد كبير. "لا تحاول ذلك

معى"، همس. "أعرف. لقد خدعتها ودنّستها. إنها في شقتك، أليس كذلك.

ولكنك لن...".

وتقدّم ريكارد خطوة في اتجاه هاري الذي أبعد يديه عن جيبي

مِعطفه على الفور.

"اسمع"، قال هاري. "لا فكرة لديّ عن مكان مارتين".

"أنت تكذب!". وكوّر ريكارد قبضتي يديه، فأدرك هاري أنه بحاجة إلى

الكلمات المناسبة لتهدئة رّوعه على عَجَل، وراهن على ما سيقوله: "هناك

أمران ينبغي لك التفكير فيهما ملياً في الحال ياريكارد. أنا لست سريعاً

جداً، ولكنني أزن خمسة وتسعين كيلوغراماً، ولكمّ سابقاً باباً أمامياً من

خشب السنديان فاخرته قبضة يدي. والفقرة 127 من قانون العقوبات

تنصّ على السجن لمدة ستة أشهر كعقوبة دُنيا لمن يرتكب أعمال عنف

ضد موظف حكومي. أنت تجازف بزيارة المستشفى و السجن".

فاشتعلت عينا ريكارد غضباً. "أراك لاحقاً ياهاري هول"، قال بلا

مبالاة، واستدار عائداً أدراجه، وراكضاً على الثلج بين المدافن في اتجاه دار

العبادة الصغيرة.

كان امتياز رَحيم في مزاج سيّئ. لقد تشاجر للتوّ مع شقيقه حول

وضع زينة على الجدار وراء آلة تسجيل النقود. فامتياز يعتقد أنه يكفي

بيع السلع الضرورية فقط. ماذا سيقول زبائنهم؟ ولكن شقيقه يعتقد أن

عليهما التفكير في الزبائن الآخرين؛ على سبيل المثال، أولئك الذين يعيشون

في مجمّع الشقق القائم على جانبي غوتربورغاتا. وبالرغم من فوز امتياز في

النقاش المحموم، إلا أن ذلك لم يكن مصدر سرور له.

وعندما سمع رنة الجرس الحادة فوق الباب أطلق تنهيدة عميقة. دخل رجل عريض المنكبين، يرتدي بذلة قائمة اللون، ودنا من آلة تسجيل النقود.

"هاري هول، الشرطة"، قال الرجل، فتساءل امتياز مذعوراً للحظات قليلة عن وجود قانون في النزويج يشترط على كل المتاجر وضع زينة في هذه الفترة.

"منذ أيام قليلة، كان هناك متسول جالس خارج المتجر"، قال الشرطي. "رجل أحمر الشعر، ولديه لحية بهذا الشكل". ومرر إصبعه فوق شفته العلوية نزولاً حتى جانب فمه.

"أجل"، قال امتياز. "أعرفه. يحمل معه قناني فارغة إلى هنا ليحصل على مبلغ التأمين".

"هل تعرف اسمه؟".

"النمر، أو الفهد الصياد".

"عفواً؟".

وضحك امتياز. لقد استعاد مزاجه الجيد. "النمر، تيمناً بكلمة *tigger* ، أي المتسول بلغتكم النزويجية. والفهد الصياد، لأنه يسرق الأشياء الفارغة من... لا نعرف من أين".

فأوماً هاري برأسه.

هز امتياز كتفيه. "إنها دُعاة ابن شقيقي...".

"حسناً. جيد جداً. إذأ...".

"لا، لا أعرف اسمه. ولكنني أعرف أين يمكنك أن تجده".

كان إسبن كاسبرسن جالساً أمام كومة كتب كالعادة، في مكتبة ديشمانسك المركزية في بوابة هنريك إيسبنس عندما شعر بشكل بشري يلوح فوقه، فرفع نظره.

"هول، الشرطة"، قال الرجل وجلس إلى الطاولة الطويلة على الكرسي المقابل. رأى إسبن الفتاة التي تقرأ في آخر الطاولة تنظر إليهما. فالموظفون الجدد عند منضدة الاستقبال يطلبون التحقق من حقييته عندما يغادر، وكان قد طلب منه مرتين المغادرة بسبب رائحته النتنة التي لا تسمح لهم بالتركيز على عملهم. ولكن الشرطة تتحدث إليه للمرة الأولى. حسناً، باستثناء المرات التي كان يتسول فيها في الشارع.

"ماذا تقرأ؟" سأل التحري.

فهز كاسبرسن كتفيهِ. لقد أدرك في الحال عدم جدوى إطلاع الشرطي على مشروعه.

"سورين كيركغارد؟" قال التحري، محدّقاً إلى ما كُتب على الكتاب. "شوبنهاور، نيتشه، فلسفة. أنت مفكر، أليس كذلك؟".

فتنفس إسبن بصوت مسموع. "أحاول العثور على الطريق الصحيح. ويعني ذلك ضمناً التفكير في ما يعنيه أن يكون المرء إنساناً".
"ألا يتطلّب الأمر أن يكون مفكراً؟".

وراقب كاسبرسن الرجل. ربما أساء تقديره.

"كنت أتحدث إلى البقال في غوتربورغاتا"، قال التحري. "وقد أخبرني أنك تجلس هنا كل يوم. وعندما لا تكون جالساً هنا، فأنت تتسوّل في الشارع".

"إنها الحياة التي اخترتها، أجل".

فأخرج التحري دفتر مدوّناته، وعندما سأل إسبن كاسبرسن عن اسمه أخبره به كاملاً، كما أعطاه عنوان عمّته في هاغيغاتا.
"والمهنة؟".

"رجل دين".

لقد راقب كاسبرسن التحري الذي يدوّن الملاحظات من دون همهمة وهو يشعر بالرضى.

فأوماً التحري برأسه. "حسناً يا إسبن، لست مُدمن مخدرات، إذأً لماذا تتسوّل؟".

"لأنّ رسالتي أن أكون مرآة للناس كي يتمكنوا من التفريق بين الأعمال العظيمة والأعمال قليلة الأهمية".

"وما هي الأعمال العظيمة؟".

فتنهّد إسبن شاعراً باليأس؛ كما لو أنه سئم تكرار ما هو جليّ.
"الإحسان، مشاطرة جارك ما تملكه ومساعدته. عليك إعطاء نصف ما تملك لمن لا يملك شيئاً. فالناس يموتون بالآلاف كل يوم لأن الآخرين الذين يعيشون بترف لا يتخلّون عن شيء من خيراتهم الدنيوية. أنا أمنحهم فرصة للتفكير ملياً".

وأوماً التحري برأسه.

فشعر كاسبرسن بالحيرة. "بالمناسبة، كيف عرفت أنني لست مُدمن مخدرات؟".

"لأنني رأيتك قبل أيام قليلة في غوتربورغاتا. كنت تتسوّل، وكنتُ أسير

مع شاب أعطاك قطعة نقود معدنية. ولكنك التقطتها ورميتها له بغضب.
ما كان مُدمن مخدرات ليقوم بذلك قطّ مهما كان المبلغ زهيداً".
"أجل، أتذكر".

"وبعد ذلك، حدث معي الأمر نفسه في زغرب قبل يومين، وشرعتُ
بالتفكير. أعني أن هناك ما حملني على التفكير، ولكنني لم أفكر، حتى
الآن".

"هذا هو السبب الذي دفعني إلى رمي قطعة النقود"، قال كاسبرسن.
"هذا ما صدمني فجأةً"، قال هاري وهو يضع شيئاً ما في كيس من
النايلون على الطاولة. "هل هذا هو السبب؟".

28 - الأحد، 21 كانون الأول/ديسمبر. القبلة

عُقد المؤتمر الصحافي في قاعة المحاضرات في الطابق الرابع. كان غونار هاغن والضابط المُشرف جالسَيْن قرب المنبر، وصدى صوتيهما يتردد في أنحاء القاعة الواسعة الخالية من الأثاث. لقد استُدعي هاري للحضور للتشاور مع هاغن متى دعت الحاجة؛ بشأن تفاصيل مرتبطة بالتحقيق. ولكن أسئلة الصحافيين كانت تتمحور في الغالب حول حادثة إطلاق النار المأساوية في منطقة الحاويات، وكانت إجابات هاغن: لا تعليق ، لا يمكنني التطرق إلى هذا الموضوع حالياً، سيكون علينا مغادرة أس إي أف أو للإجابة عن ذلك .

وردًا على سؤال حول ما إذا كان الرجل المسلح متواطئاً مع أحد، أجاب هاغن: "ليست لدينا معلومات في الوقت الحاضر، ولكن هذا الأمر يخضع لتحقيق مكثف".

عندما انتهى المؤتمر الصحافي، استدعى هاغن هاري. ومع فراغ القاعة من الحضور، ذهب هاغن إلى حافة المسرح، ووقف ناظرًا إلى مفتشه طويل القامة. "أصدرتُ تعليمات واضحة بأنني أريد رؤية كل مفتشيٍّ وهم يحملون أسلحة هذا الأسبوع. لقد تلقيتُ مئي طلباً رسمياً مكتوباً، أين سلاحك إذا؟"

"كنت مشاركاً في التحقيق ولم أولِ الأمر أولوية أيها الرئيس؟" .
"إذاً، فلتمنحه الأولوية الآن". وتردد صدى كلماته في أرجاء القاعة.
أوما هاري برأسه ببطء. "هل هناك أي شيء آخر أيها الرئيس؟" .
في مكتبه، جلس هاري محدقاً إلى كرسيِّ هالفورسن الشاغر. بعد ذلك، اتصل بمكتب جوازات السفر في الطابق الأول، وطلب منهم إرسال قائمة بالجوازات الصادرة باسم عائلة كارلسن. فسأله صوت أنثوي صادر من الأنف عما إذا كان يمزح بسبب وجود عدد كبير من آل كارلسن في النرويج، فزوّدها برقم هوية روبرت الوطنية. وبالاستعانة بمكتب القيد الوطني وجهاز كمبيوتر متوسط الحجم وسريع، سرعان ما ضاقت عملية البحث لتشمل روبرت، وجون، وجوزف، ودورثي.

"لدى الوالدين، جوزف ودورثي، جوازا سفر جُدا منذ أربع سنوات. لم تُصدر جواز سفر لجون. ولنر... الآلة بطيئة قليلاً اليوم... أجل، ها هو. لدى روبرت كارلسن جواز سفر منذ عشر سنوات تنتهي صلاحيته قريباً، لذلك يمكنك أن تطلب منه..." .

"لقد مات".

وطلب هاري رقم سكار الداخلي، ودعاه للانضمام إليه في الحال.
"لا شيء". قال سكار الذي جلس على حافة الطاولة بدلاً من كرسي هالفورسن صدفة، أو تقديراً منه للوضع. "تحققتُ من حسابات غيلستراب المصرفية، ولم أجد في أي مكان صلة بروبرت كارلسن أو بحسابات مصرفية سويسرية. إن العملية غير العادية الوحيدة هي سحب خمسة ملايين كرون نقدًا، بالدولار، من أحد حسابات الشركة. فاتصلتُ بألبرت غيلستراب وسألته، وقال من دون تردد إنها علاوات بمناسبة الكرسيس لربابنة السفن التجارية في ميناء بوينس آيريس، مانيل، وبومباي التي يزورها مادس في كانون الأول/ديسمبر".

"وماذا وجدت في ما يتعلق بحساب روبرت؟".

"أجور واردة ومصاريف قليلة".

"ماذا عن تلقيه اتصالات هاتفية من آل غيلستراب؟".

"لا اتصالات هاتفية مع روبرت كارلسن. ولكننا صادفنا أمراً آخر في أثناء إعدادنا لائحة بفواتير الهاتف. احزر من اتصل بجون كارلسن لفترات طويلة، وبالمناسبة، في منتصف الليل؟".

"رانهيلد غيلستراب"، قال هاري ناظراً إلى وجه سكار المحبب. "هل هناك أي شيء آخر؟".

"لا"، قال سكار، "باستثناء ظهور رقم مألوف. فقد اتصل مادس غيلستراب بهالفورسن يوم تعرّضه للاعتداء؛ كان اتصالاً لم يُجَب عليه".
"فهمت"، قال هاري. "أريد منك التحقق من حساب مصري آخر".
"حساب من؟".

"حساب ديفيد إكهوف".

"المدير! ما الذي يجدر بي البحث عنه؟".

"لا أعرف تماماً. قُم بذلك فحسب".

بعد مغادرة سكار، اتصل هاري بالخبراء الجنائيين. ووعدت الأخصائية في علم الأمراض بإرسال صورة لجثة كريستو ستانكيك عبر الفاكس، وبدون أي إرجاء، لعرضها على عدد من الأشخاص في فندق هوتيل إنترناشونال في زغرب.

فشكرها هاري، وأقفل الخط وطلب رقم الفندق نفسه.

"هناك أيضاً مسألة ما يتعين علينا القيام به في شأن الجثة"، قال عندما تمّ إيصاله بفريد. "لا تعرف السلطات الكرواتية شيئاً عن شخص

يدعى كريستو ستانكيك، ولذلك لم تطلب تسليمه".
بعد عشر ثوانٍ، سمع لغتها الإنكليزية المميّزة.
"أرغب في اقتراح صفقة أخرى"، قال هاري.

á á á

كان لدى كلاوس توركيلدسن في مركز عمليات تلينور التابع لمنطقة
أوسلو هدف واحد في الحياة: أن يُترك بسلام. وبما أنه مُفْرِطٌ في الوزن،
ويتعرّق على الدوام، ويكون كثيباً في غالب الأحيان، فقد تحققت رغبته
إجمالاً. لقد حرص على إبقاء مسافة قصوى بينه وبين الآخرين الذين يُرغم
على الاتصال بهم. لهذا السبب، كثيراً ما كان يجلس بمفرده منعزلاً في غرفة
في قسم العمليات مع عدد كبير من الآلات التي تُصدر حرارة، وعدد من
مراوح التبريد، من دون أن يعرف أحد تقريباً ما تورّط فيه تحديداً؛ كل
ما يعرفونه هو أنه لا غنى عنه. وربما كانت الحاجة إلى البقاء على
مسافة من الآخرين دافعاً له لافتضاح أسرار بطريقة غير لائقة، وللشعور
بالرّضى عن النفس مع شريك يبعد عنه مسافة تتراوح ما بين خمسة أمتار
وخمسين متراً. ولكن رغبة كلاوس توركيلدسن القصوى هي السلام، وكان
أسبوعه مليئاً بالحوادث المزعجة. أولاً، أراد هالفورسن مراقبة خط هاتفه
على صلة بفندق في زغرب. ومن ثم، كان سكار بحاجة إلى قائمة الاتصالات
بين غيلستراب وكارلسن. وأشار كلاهما إلى هاري هول كمرجع لهما، وكان
كلاوس توركيلدسن لا يزال يدين له بقدرٍ معيّن من الامتنان، وهذا هو
السبب الوحيد الذي حال دون إقفاله الخط في وجه هاري هول نفسه
عندما اتصل به.

"هناك ما يدعى خدمة تلقي الشرطة الاتصالات"، قال توركيلدسن
بنبرة ممتعضة. "يُفترض بك الاتصال بهم إذا كنت بحاجة إلى المساعدة".
"أعرف"، قال هاري. لم يكن بحاجة إلى قول المزيد. "اتصلت بمارتين
إكهوف أربع مرات من دون الحصول على إجابة"، قال هول. "لا يعرف
أحد في اتحاد الرعاية الاجتماعية مكان وجودها، وكذلك والدها".
"إنّ الأقرباء هم آخر من يعلم"، قال كلاوس الذي لا يعرف شيئاً
عن هذا النوع من الأمور، ولكنها المعرفة التي يكتسبها المرء إذا كان يتردّد
إلى صالات السينما بانتظام، أو في حالة كلاوس توركيلدسن، يتردّد إلى
صالات السينما بانتظام مُفْرِطاً.

"ربما تكون قد أوقفت هاتفها المحمول عن العمل، ولكنني كنت
أتساءل عما إذا كان باستطاعتك تحديد مكان الهاتف لأجلي، لأعرف إن

كانت في المدينة أم لا، بأي حال".
أطلق توركيلدسن تنهيدة متكلّفة بريئة وبسيطة لأنه يحب أعمال
الشرطة الصغيرة هذه، ولا سيما عندما تتناول تشكيلة متنوّعة من العمليات
المشبوّهة.

"هل يمكنني الحصول على رقمها؟".
بعد خمس عشرة دقيقة، اتصل كلاوس بهاري ليقول له إن بطاقة
أس آي أم الخاصة بها لم تُعد في أوصلو. كانت محطتان رئيستان تقعان
غرب إي 6 قد تلقّتا إشارات من بطاقتها، وزوّده بمعلومات عن مكان
المحطتين الرئيسيتين ومداهما. وعندما شكره هول وأنهى الاتصال، افترض
كلاوس أنه كان مفيداً، وعاود الاطلاع على المعلومات المرتبطة بصالات
السينما لهذا اليوم.

دخل جون شقة روبرت.
كانت رائحة الدخان لا تزال تفوح في المكان وهناك كنزة متسخة
على الأرض أمام خزانة الأواني، كما لو أن روبرت كان هنا وخرج إلى
المتجر لشراء قهوة وسجائر.

وضع جون الحقيبة السوداء التي أعطاها مادس إيّاها بجانب السرير،
وشغّل جهاز التدفئة، ثم خلع ملابسه كلها، ودخل الحمام وظلّ واقفاً تحت
الماء الساخنة فترة طويلة؛ حتى أصبحت بشرته حمراء. وبعد ذلك، جفّف
جسده، وغادر الحمام، وجلس على السرير عارياً، وحدّق إلى الحقيبة.
لم يجرؤ على فتحها لأنه يعلم ما يوجد داخلها، وراء القماش السميك
الناعم. لعنة أبدية. موت. وظن جون أن باستطاعته أن يشمّ رائحة تعفّن
نّتنة، فأغمض عينيه. كان بحاجة إلى التفكير.

ورنّ هاتفه المحمول.
لا بد أن ثيا تتساءل عن مكان وجوده، ولم يكن يشعر بالرغبة في
التحدث إليها الآن. ولكنّ الهاتف واصل الرنين بإصرار كما لو أنه لا مفرّ
له من الإجابة على الاتصال؛ على غرار التعذيب الصيني بالماء، فالتقط
الهاتف أخيراً، وقال بصوت يرتجف غضباً: "ما الأمر؟".

ولكن، لم تكن هناك أي إجابة. قرأ شاشة العرض، ولكنه لم يعرف
الرقم. فأدرك جون أن ثيا ليست المتصلة.

"آلو، جون كارلسن يتكلم"، قال بحذر.
لم تكن هناك أي إجابة أيضاً.

"آلو، من المتصل؟ آلو، أدرك أنّ هناك من يسمعي. من...؟".

وانتشر الدُّعر من أخصم قدميه صعوداً حتى أعلى عموده الفقري.
"آلو؟" وسمع نفسه يقول بالإنكليزية. "من المتصل؟ هل هذا أنت؟
أحتاج إلى التحدث إليك. آلو!" .

وسُمعت تَكَّة ثم قُطع الاتصال.
أمر مثير للسخرية ، قال جون لنفسه. ربما يكون رقماً خاطئاً. لقد
مات ستانكيك، وكذلك روبرت وراهيلد. لقد ماتوا جميعاً، ولا يزال الشرطي
حيّاً فقط، وهو. حدّق إلى الحقيبة، وشعر بالبرّد يزحف إلى داخل أحشائه،
فسحب اللحاف السميك ووضعه عليه.

بعد قيادته السيارة على الطرقات الضيقة وسط المنظر الطبيعي الريفى
المكسوّ بالثلج، رفع هاري نظره ورأى النجوم.
كان قد انتابه شعور غريب بأن أمراً ما سيحدث قريباً فارتجف.
وعندما رأى نيزكاً يرسم قطعاً مكافئاً عبر السماء أمامه، فكر في ما إذا
كانت البشائر موجودة حقاً، ولا بد أن يحمل تلاشي كوكب ما أمام ناظره
معنى.

ورأى ضوءاً منبعثاً من نوافذ الطابق الأرضى لأوستغارد، فانعطف نحو
الطريق الخاص. وحين رأى السيارة الكهربائية، تعزز شعوره بأن أمراً ما على
وشك الحدوث.

سار نحو المنزل مراقباً آثار الأقدام على الثلج. وقف بجانب الباب،
ووضع أُذنه عليه، فلم يسمع أصواتاً منخفضة.
قرع الباب ثلاث قرعات سريعة.

بعد ذلك، سمع وَقَعَ خُطى وصوتها الناعم. "من الطارق؟" .
"هاري"، قال، "هول". لقد أضاف اسم العائلة كما لو أنه لا يريد
إيقاظ شكوك فريق ثالث بأنه ومارتين إكهوف على علاقة شخصية جداً.
وسمع تلمساً للقفل، ومن ثم فُتح الباب.
كانت فكرته الأولى والوحيدة حين رآها أنها جميلة، إذ كانت ترتدي
كنزة قطنية ناعمة وسميكة وبيضاء ومفتوحة عند العُنُق، وعيناها تتألقان.
"أنا سعيدة"، وضحكت.

"يمكنني رؤية ذلك"، ابتسم هاري. "وأنا سعيد أيضاً".
بعد ذلك، وضعت ذراعيها حول عُنقه، وكان باستطاعته الشعور بنبضها
يتسارع.

"كيف عثرت عليّ؟" همست في أُذنه.

"بفضل التكنولوجيا الحديثة".

لقد منحت حرارةً جسدها، وبريقُ عينيها، وترحيبها المبتهج هاري شعوراً بالسعادة؛ بحُلْمٍ ممتع لم يكن يرغب مطلقاً في الاستيقاظ منه في المستقبل. ولكن، كان عليه القيام بذلك.

"هل هناك أحد؟" سأل.

"حسناً، لا...".

"أعتقد أنني سمعتُ صوتاً".

"آه! ذلك الصوت"، قالت مُفْلَتَةً إِيَّاه. "كان صادراً عن الراديو. لقد أطفأته عندما سمعتُ قَرَعَ الباب. لقد خفتُ قليلاً. وبعد ذلك، كنت أنت...". وربّتت على ذراعه. "هاري هول".

"لا أحد يعرف مكانك يامارتين".

"رائع".

"بعضهم يشعرون بالقلق".

"آه!".

"ولا سيما ريكارد".

"آه، انس أمر ريكارد". وأمست مارتين يد هاري واقتادته إلى المطبخ، وتناولت كوب قهوة أزرق من خزانة الأواني، فلاحظ هاري وجود طبقين وكوبين في حوض الجلي.

"لا تبدين لي مريضة إلى هذه الدرجة"، قال.

"كنت بحاجة إلى يوم إجازة فحسب بعد كل ما حدث". وسكبت

القهوة، ثم مرّرت له الكوب. "سوداء، أليس كذلك؟".

فأوماً هاري برأسه. كانت الحرارة مرتفعة، فخلع هاري سترته وكنزته

الصوفية قبل أن يجلس إلى الطاولة.

"ولكن الحفلة الموسيقية ستقام غداً وعليّ العودة"، وتنهدت. "هل أنت

قادم؟".

"حسناً، وُعدتُ بالحصول على تذكرة...".

"قُلْ إنك قادم!". بعد ذلك، عصّت مارتين شفتها السفلية. "آه

ياعزيزي، لقد حجزتُ لنا في الواقع تذكرتين في مقصورة الشخصيات البارزة،

وراء رئيس الوزراء بثلاثة صفوف. ولكن، كان عليّ إعطاء تذكرتك لشخص

آخر".

"لا يهّم".

"كنت ستبقى بمفردك على أيّ حال. إذ يجب عليّ العمل وراء

الكواليس".

"إذًا، الأمر غير مهمّ حقاً".

"لا!" وضحكت. "أريدك أن تكون هناك".

وأمسكت بيده، فنظر هاري إلى يدها الصغيرة التي كانت تضغط على يده الكبيرة وتداعبها. كان هناك سكون تام لدرجة أنه كان باستطاعته سماع دمه يتدفق إلى أذنيه كالشلال.

"رأيتُ نيزكاً وأنا في طريقي إلى هنا"، قال هاري. "أليس هذا غريباً؟ يُفترضُ برؤية كوكب يموت أن تحمل السَّعد".

فأومأت مارتين برأسها بصمت، ومن ثم وقفت من دون أن تُفُلت يد هاري، ودارت حول الطاولة، وجلست في حضنه ووضعت يدها حول عنقه. "مارتين... استهَلّ كلامه.

"هسّ". ومررت سبابتها على شفتيه.

وانحنت إلى الأمام من دون أن ترفع إصبعها، ووضعت شفتيها على شفتيه برفق.

فأغمض هاري عينيه وانتظر، شاعراً بقلبه يخفق بقوة وبشكل ممتع، علماً أنه كان جالساً بلا حراك. لقد خطر بباله أنه ينتظر قلبها ليخفق بانسجام مع قلبه، ولكنه كان واثقاً من هذا الأمر فقط: سيتوجب عليه الانتظار. ضغطت يدها على عنقه أكثر فأكثر، ومن ثم أطلقت العنان لمشاعرها.

"أبقى عينيك مُغمضتين"، همست في أذنه، فانحنى إلى الورا. مرّت الثواني، وبعد ذلك سمعها تهمس: "الآن يمكنك فتحهما".

امتلل هاري، وجلس يراقبها. كانت تعابير وجهها مزيجاً من القلق والترقب.

"أنت جميلة جداً"، قال بصوت غريب ومشوّش.

فارتسمت على وجهها ابتسامة ظافرة.

"وأنت قبيح"، قالت. "رائع وقبيح".

وعندما وضع يده على كتفها، شعر برعشة لإرادية لعضلاتها؛ توترت تمكنت من إخفائه. كانت خائفة.

"انتظري يامارتين". همس هاري، فتسمّرت في مكانها.

سألها: "هل تريدين هذا الأمر حقاً؟ هل تعرفين ما تُقحمين نفسك فيه؟".

كان باستطاعته الشعور بارتباكها: "لا، وأنت؟".

"لا. إذًا، ربما لا يُفترض بنا...".

جلست ناظرةً إليه بعينين حزينتين ويائستين. "ولكن... يمكنني الشعور بأنك...".

"أجل"، قال هاري مُداعباً شعرها. "أنا أريدك. أردتك منذ اللحظة الأولى التي رأيتك فيها".

"أنقصد هذا حقاً؟" سألته وهي تمسك بيده، وتضعها على وجنتها الساخنة المتوهجة احمراراً.

فابتسم هاري. "في المرة الثانية على أيّ حال".

"في المرة الثانية؟!".

"حسناً، في المرة الثالثة إذًا. كل الموسيقى الجيدة تتطلب القليل من الوقت".

"وهل أنا موسيقى جيدة؟".

"أنا أكذب. في المرة الأولى. ولكن ذلك لا يعني أنني شخص سهل

الافتناع، اتفقنا؟".

فابتسمت مارتين، وبعد ذلك شرعت تضحك، وضحك هاري أيضاً. ثم انحنت إلى الأمام وألقت جبينها على صدره. كانت تنشج وتضحك، وتضرب رأسها بكتفه، وحينئذٍ شعر هاري بدموعها تسيل على صدره وأدرك أنها تبكي.

استيقظ جون بسبب شعوره بالبرد وبدأ يفكر. كانت شقة روبرت المظلمة هي سبب شعوره الغريب، ولا وجود لسبب آخر. ولكن دماغه عاد إلى الورا، وعلم أن ما افترض أنه الأجزاء الأخيرة لكابوس ما لم يكن كذلك. كان قد سمع مفتاحاً يوضع في القفل، وفُتح الباب. والآن، هناك شخص ما في الغرفة يتنفس.

استدار وهو يشعر أنه سبق له أن عاش هذه التجربة من قبل، وأن كل ما رآه في الكابوس يتكرر.

كان هناك شكل بشري يقف قرب السرير.

لهث جون طلباً للهواء بعد أن شعر بخوف شديد. كان على ثقة

تامة بأن هذا الشخص يتمنى له الموت.

"ستيغلا سام"، قال الشكل البشري.

لم يكن جون يفهم عدداً كبيراً من الكلمات الكروائية، ولكن تلك

التي تعلمها من السكان القادمين من فوكوفار كانت كافية ليتمكن من فهم ما قاله الصوت. "لقد أتيت".

"هل كنت وحيداً على الدوام يا هاري؟".
"أعتقد ذلك".

"لماذا؟".

فهز هاري كتفيه. "لم أكن يوماً شخصاً اجتماعياً".
"هل هذا كل شيء؟".

نفخ هاري حلقة دخان في اتجاه السقف، وكان باستطاعته الشعور
بمارتين وهي تشمّ كنزته الصوفية. كانا في غرفة النوم، هو فوق اللحاف
وهي تحته.

"يقول بيارني مولر، رئيسي السابق، إن الأشخاص المماثلين لي يختارون
دائماً المقاومة القصوى. وهذا الأمر موجود في ما يدعوه طبيعتنا الملعونة .
لهذا السبب، ينتهي بنا الأمر بمفردنا. لا أعرف. أحب أن أكون بمفردتي. ربما
أصبحت تدريجياً أحب فكرة أنني وحيد أيضاً. ماذا عنك؟".
"أريدك أن تتكلم".
"لماذا؟".

"لا أعرف. أحب الاستماع إليك. كيف يمكن للمرء أن يحب فكرة أنه
وحيد؟!".

أخذ هاري نفساً عميقاً، واحتفظ بالدخان في رئتيه قليلاً، ثم أطلقه
في زفرة واحدة طويلة.

"أعتقد أنه يتعيّن عليك العثور على أمر ما تحبّينه في شخصك كي
تتمكني من مواصلة الحياة. يقول بعض الناس إن الوحدة أمر غير اجتماعي
وأناي. ولكنك في هذه الحالة ستكونين مستقلة، ولن تجرّي الآخرين معك
إلى الهاوية؛ إذا كنتِ تجرّين نفسك إلى الهاوية. يخشى العديد من الناس
الوحدة، ولكنها تُشعّرنني بأني حر، وقوي، ومنيع".
"كونك وحيداً يُشعرك بأنك قوي!".

"أجل. كما قال الطبيب ستوكمان: الرجل الأقوى في العالم هو الذي
يبقى بمفرده تقريباً".

"ساسكيند أولاً والآن إيبسن؟".

فأطلق هاري ابتسامة عريضة. "إنها عبارة اعتاد والدي اقتباسها". وتنهّد
وتابع، "قبل وفاة والدتي".

"قلت إنها تجعلك منيعاً. ألم تُعد منيعاً؟".

شعر هاري بالرماد يسقط من سيجارته على صدره، فتركه حيث هو.

"التقيتُ راكميل و... حسناً، أوليغ. لقد تعلّقاً بي، وفتح ذلك عينيّ على واقع إمكانية وجود أشخاص آخرين في حياتي، أصدقاء يهتمّون لأمرِي، وأنا بحاجة إليهم". ونفخ هاري على سيجارته فتوهّجت. "والأسوأ من ذلك أنهم ربما يكونون بحاجة إليّ".

"إذاً، ألم تعدّ حرّاً؟".

"لا، لا، لم أعد حرّاً".

وحدّقا إلى بعضهما وسط الظلام.

"إنهما يروقان لك، أليس كذلك؟".

"أجل". وضمّهما هاري إليه. "أجل، هما يروقان لي".

وبعد استرسالها في النوم، انسلّ هاري خارج السرير، وغطاها باللحاف جيّداً. ثم تحقق من الوقت؛ إنها الثانية بالتحديد. فدخل الرّدهة، وانتعل جزمته، وفتح الباب على الليل المرصّع بالنجوم، ومن ثم توجّه إلى الحمّام الخارجي، ممعناً النظر إلى آثار الأقدام، ومحاولاً تذكّر ما إذا كانت قد أثلجت منذ صباح السبت.

لم يكن الحمّام مُضاءً، لذلك أشعل عود ثقاب، ووضع نفسه في الوُجهة الصحيحة. وعندما كان عود الثقاب على وشك الانطفاء، رأى حرفين منقوشين على الجدار تحت صورة مضمحلّة للأميرة غريس دو موناكو. وفي الظلام، فكّر هاري في جلوس أحدهم هنا وهو ينقش بدأب الحرفين البسيطين: أر + أم.

بعد خروجه من الحمّام، لاحظ حركة سريعة عند زاوية الهُري فتوقف. كانت هناك مجموعة من آثار الأقدام في ذلك الاتجاه.

تردد هاري. ها هو الشعور بأن أمراً ما على وشك أن يحدث ينتابه مجدداً، لا بل إنه سيحدث في الحال. إنّه أمر محتوم لا يستطيع تفاديهِ. مدّ يده إلى داخل الحمّام وأمسك بالرّفش الذي كان قد رآه مُسنّداً هناك، وشرع بتتبّع الآثار في اتجاه الهُري.

توقف عند الزاوية، وأمسك الرّفش بإحكام. كان نفسه يهدر في أُذنيه، ثم توقف عن التنفّس. الآن. سيحدث الأمر الآن. اندفع هاري وراء الزاوية رافعاً الرّفش عالياً.

أمامه، وسط الحقل الأبيض الناصع الساطع على نحو خلّاب تحت ضوء القمر لدرجة إعشاء بصره، رأى ثعلباً يركض في اتجاه الغابة. أسند هاري ظهره إلى باب الهُري، واستنشق الهواء مِلء رتتيهِ.

قُرع الباب، فعاد إلى الورا فطرياً.
هل رآه؟ لا يجب أن يدخل الشخص الموجود في الطرف الآخر من
الباب.

لعن إهماله. كان بوبو سيوبّخه لو كان موجوداً بسبب عدم تنبّهه
بطريقة محترفة.

كان الباب مُقفلاً، ولكن باستطاعته البحث في الأرجاء عن شيء ما
يمكنه استخدامه إذا تمكنوا من الدخول.

سكين. سكين مارتين لتقطيع الخبز التي كان يستخدمها. إنها في
المطبخ.

وقُرع الباب مرة أخرى.

عندئذٍ، استلّ مسدسه. صحيح أنه فارغ ولكنه كافٍ لإخافة رجل
حساس. ولكن المشكلة تكمن في عدم تأكده مما إذا كان هذا الشخص
حساساً أم لا.

كان القادم قد جاء بواسطة سيارةٍ ركنها خارج شقة مارتين في
سورغنفریغاتا. لم يره إلا عندما مرّ أمام النافذة صدفةً وأمعن النظر إلى
السيارات المركونة بجانب الرصيف. حينئذٍ، رأى الصورة الظلية الساكنة.
عندها، تحرك جانباً، وانحنى إلى الأمام ليرى بشكل أفضل، ولكنه أدرك أن
الأوان قد فات. فقد تَمَّت رؤيته. ابتعد عن النافذة، وانتظر لمدة نصف
ساعة، ومن ثم أنزل الستائر وأطفأ الأنوار في شقة مارتين. كانت قد قالت
له إن باستطاعته تركها مُضاءة، وإن كل أجهزة التدفئة تحتوي على أجهزة
ضابطة لدرجة الحرارة، وبما أن 90 بالمئة من طاقة المصباح تصدر حرارة،
فإن الكهرباء التي تدخرونها من خلال إطفاء المصابيح تُعادل تلك التي
تستهكلها أجهزة التدفئة التي تعوّض خسارة الحرارة.

"فيزياء بسيطة"، كانت قد شرحت. ليتهما شرحت له بدلاً من ذلك
من يكون هذا الشخص. أهو خاطب مجنون؟ أم عاشق غيور؟ لم يكن من
الشرطة بأي حال. وأجفل مرة أخرى حين سمع هتافاً يائساً ومستاء برّد
دمه.

"مار- تين! مار- تين!". ومن ثم بضع كلمات مرتعشة باللغة النرويجية،
وبعد ذلك نشيجاً: "مارتين...".

لم يكن يملك أي فكرة عن كيفية عبور الرجل الباب الأمامي، ولكنه
سمع أحد الأبواب الأخرى تُفتح، وصدر صوت. ومن بين الكلمات الغريبة
التي قيلت فهم كلمة واحدة: بوليتي .

بعد ذلك، أُغلق باب الجيران بقوة.

سمع الشخص الذي يقف في الخارج يئنّ يائساً، وما لبث أن سمع وَّقع خطى مبتعدة؛ فتنهَّد ارتياحاً.

إنه يوم طويل. كانت مارتين قد أقلته إلى محطة القطارات في الصباح، واستقلَّ القطار المحلي إلى المدينة. وأول أمر قام به هو الذهاب إلى وكالة السفر في أوصلو سنترال حيث اشترى تذكرة على متن آخر رحلة جوية إلى كوبنهاغن في مساء اليوم التالي. لم يكن رد فعلهم قد ظهر بعد على الكنية الزوجية التي اعتمدها: هالفورسن. لقد دفع من المال الذي كان موجوداً في محفظة هالفورسن، وشكرهم وغادر. سيتصل من كوبنهاغن بزغرب ويطلب من فريد التوجه إليه مع جواز سفر جديد. وإذا كان محظوظاً، سيعود عشية الكرسمس.

كان قد قصد ثلاثة مصفّفي شعر هزّوا رؤوسهم وقالوا له إن لا مكان شاغر لديهم لتحديد موعد له قبل الاحتفالات. وأوماً الرابع برأسه لمراهقة تمضغ اللبان وتجلس في الزاوية، وتبدو ضائعة؛ وحزر أنها مبتدئة. وبعد عدة محاولات لشرح ما يريده، أراها الصورة الفوتوغرافية التي تأملتها مطوّلاً، وتوقفت عن العَلْكَ، ونظرت إليه بعينين مُثقلتين بالمسكرة، وسألته: "هل أنت واثق يارجل؟".

بعد ذلك، استقلَّ سيارة أجرة إلى العنوان في سورغنفریغاتا، وفتح قفل الباب الرئيس وباب المنزل بالمفاتيح التي أعطته إيّاها مارتين، وشرع بالانتظار. لقد رنَّ الهاتف عدة مرات، ولولا ذلك لَنِعِم بالهدوء. ولكنه بدا غيباً بما يكفي للتوجه إلى نافذة غرفة مُضاءة. ثم عاد إلى غرفة الجلوس.

في تلك اللحظة، سمع دويّاً، وارتعش الهواء، واهتزَّ المصباح المتدلي من السقف.

"مار- تين!" .

وسمع الشخص يركض بأقصى سرعة، ويصطدم بالباب بقوة. لقد نادى باسمها مرتين، وتلا ذلك اصطدامه بالباب مرتين، وسمع بعد ذلك وقع أقدام تنزل السلم ركضاً.

فقصد نافذة غرفة الجلوس، وراقب الرجل وهو يخرج راکضاً بأقصى سرعة. وعندما توقف الرجل لفتح قفل باب سيارته، سطع عليه مصباح الإنارة في الشارع، فعرفه.

إنه الشاب الذي قدّم له المساعدة في النُّزل. نيكلاس، ريكارد... أو ما

شابه. انطلقت السيارة هادراً، ثم اختفت بسرعة في ظلمة ليل الشتاء. بعد ساعة، استسلم للنوم، حاملاً بالمنظر الطبيعية التي رآها ذات يوم، ولم يستيقظ إلا عندما سمع جرياً بخطوات خفيفة، وصوتَ صحف تسقط على الدرجات في بيت السلم.

استيقظ هاري عند الساعة الثامنة، وفتح عينيه، وشمّ اللحاف الصوفي الذي يغطي وجهه جزئياً. لقد ذكّرتَه الرائحة بشيء ما. بعد ذلك، رماه بعيداً عن وجهه. كان نومه عميقاً وخالياً من الأحلام، وكان في مزاج غير عادي: فقد كان مبتهجاً، وسعيداً، ولم يجد كلمات أخرى تعبّر عن حالته.

دخل المطبخ، ووضع القهوة على النار، ثم غسل وجهه، وهمهم بكلمات أغنية جيم ستارك مورنينغ سونغ؛ فوق الجسر المنخفض إلى الشرق، كانت السماء تحمرّ كعذراء شابّة، ويشحّب آخر نجم ويتلاشى. كان هناك عالم جديد محير، غير ملوّث، أبيض وتفاؤلي، يتمورّ في اتجاه الأفق خارج نافذة المطبخ.

قطعّ بعض شرائح الخبز، وعثر على بعض الجبن، وسكب ماءً في كوب، وقهوةً ينبعث منها البخار في فنجان نظيف، ووضعها كلها على صينية وحملها إلى غرفة النوم.

كان شعرها الأسود غير المرتّب منسكباً فوق اللحاف السميك. لم تُحدث أي صوت عندما وضع الصينية على الطاولة قرب السرير، وجلس على حافة السرير وانتظر.

انتشرت رائحة القهوة الزكية في الغرفة ببطء.

لقد أصبح تنفّسها غير منتظم، وطرفت عينها ورأتها، ففركت وجهها، وتمددت بحركات مُحرجة مبالغ فيها. لقد بدا الأمر كما لو أن شخصاً ما يحرك مفتاحاً كهربائياً لتخفيف وهج الإنارة، وازداد النور المُشعّ من عينها قوة حتى بلغت البسمة شفّيتها.

"صباح الخير"، قال.

"صباح الخير".

"الفتور".

"حسناً". واتسعت بسمتها. "ألا تريد تناول أي شيء؟".

"سأنتظر. سأكتفي بإحدى السجائر إذا كنت لا تمنعين". وأخرج علبة

السجائر.

"أنت تدخّن كثيراً"، قالت.

"أدخّن على الدوام منذ إدماني على الشراب. فالنيكوتين يكبح التّوق

إلى الشراب".

وتذوّقت القهوة. "أليست هذه مفارقة؟".

"ماذا؟".

"أنت الذي كنت تخشى فقدان حرّيتك تصبح مدمناً على الشراب".
"صحيح". وفتح النافذة، وأشعل سيجارة، ثم استلقى بجانبها على

السريّر.

"أهدأ ما يُخيفك في شأني؟". سألت مستكناً إلى دفتّه. "أقصد، أيخيفك
أن أحرمك حرّيتك؟ أهدأ السبب... لا تريد... علاقة معي؟".

"لا يامارتين". وتناول هاري مجّة من السيجارة، ثم قطّب جبينه ونظر
إليها غير موافق وقال: "بل لأنك خائفة".

وشعر بتصلّبها.

"هل أنا خائفة؟" سألت بصوت متفاجئ.

"أجل. ولو كنت مكانك لخفت أيضاً. لم أتمكن قطّ من فهم كيفية
تمكّن النساء من مشاطرة الرجال السقف نفسه والسريّر بشجاعة". وأطفاً
سيجارته في المنفضة الموجودة على الطاولة قرب السريّر. "لا يجد الرجال
أبداً الجرأة للقيام بذلك".

"ما الذي يحملك على الظن بأنني خائفة؟".

"باستطاعتي الشعور بذلك. أنتِ تأخذين المبادرة، وتريدين تولّي زمام
الأمر، ولكن السبب يعود في الغالب إلى خوفك مما قد يحدث إذا
سمحت لي بذلك. لا بأس، ولكنني لا أريد منك القيام بالأمر إذا كنت
خائفة".

"ولكن، لا يعود لك اتخاذ قرار ما إذا كنت أريد ذلك أم لا!". قالت
بحدّة، وتابعت: "حتى لو كنت خائفة".

فنظر إليها هاري، وألقت ذراعَيْها حول عنقه من دون سابق إنذار،
وخبّأت وجهها.

"لا بد أنك تفكر في أنني غريبة الأطوار تماماً"، قالت.

"لا البتة"، قال هاري.

وضمّته بقوة، وضغطت.

"ماذا لو كنت أشعر بالخوف باستمرار؟" همست. "ماذا لو...؟" وصمتت.
وانتظر هاري.

"حدث شيء"، قالت. "لا أعرف ما هو".

وانتظر.

"بل أعرف ما هو"، قالت. "لقد تعرّضتُ للاغتصاب هنا، في هذه المزرعة، منذ عدة سنوات، وتحطمتُ نوعاً ما".
ومزّق نعيب غراب في الغابة حجاب الصمت.
"هل تريدان...؟".

"لا، لا أريد التحدث عن الأمر. لا يوجد الكثير لتتحدث عنه بأي حال. حدث ذلك منذ مدة طويلة، وأنا سليمة مُعافاة الآن. أنا..." وصمتت مجدداً قبل أن تتابع: "... خائفة قليلاً".
"هل أبلغتِ عن الأمر؟".

"لا، لم أكن مستعدة لذلك".

"أعرف أن الأمر قاس. ولكن، كان يُفترض بك القيام بذلك".

وابتسمت. "أجل، سمعتُ أنه يُفترض بي القيام بذلك".

"أنا لا أمزح يامارتين".

"آسفة ياأبي".

فهز هاري كتفّيه. "أعرف تماماً أن الجريمة تستحق العقاب، وأعرف أيضاً أنها تكرر نفسها".

"لأنها موجودة في الجينات. أليس كذلك؟".

"لا أعرف".

"هل قرأتِ البحث الذي أجري عن الأطفال مؤخراً؟ إنه يُظهر أن الأطفال الذين يكون أهلهم مُجرمين وينشأون في عائلة عادية مع أطفال آخرين، من دون أن يعلموا حقيقة أهلهم، لديهم فرصة أكبر من سائر الأطفال ليصبحوا مجرمين. إذًا، لا بد من وجود جينة إجرام".

"أجل، لقد قرأتِ عن ذلك"، قال هاري. "قد تكون الجينات المسؤولة عن السلوك وراثية. ولكنني أفضل الاعتقاد أن كلاً منا شائن بطريقته الخاصة".

"أعتقد أننا مخلوقات مبرمجة للقيام بعادات معيّنة؟". ولوت إصبعها ودغدغت هاري تحت دَقنه.

"أعتقد أننا وضعنا كل شيء في خانة كبيرة واحدة؛ الخوف والإثارة والجشع وما شابه. والعقل بارع، وهو لا يُخطئ أبداً تقريباً؛ لهذا السبب يتوصّل إلى الإجابات نفسها في كل مرة".

دفعت مارتين نفسها إلى الأعلى على مرفق واحد وحدّقت إلى هاري.

"والمبادئ الأخلاقية والخيار الحر؟".

"إنها ضمن الخانة الكبيرة أيضاً".

"إذًا، أعتقد أن المجرم يستعيد على الدوام...".
"لا، وإلا لما تمكنتُ من القيام بعملِي".
مررتُ إصبعها على جبينه. "إذًا، أمن الممكن أن يتغيّر الناس؟".
"أمل بأي حال أن يتعلّم الناس".
وضعت جبينها على جبينه. "وماذا يمكنني أن أتعلّم؟".
"يمكنك أن تتعلمي... ألا تكوني وحيدة. يمكنك أن تتعلمي... ألا تخافي.
ويمكنك...".

"أن تتعلمي التقبيل؟".
"أجل، ولكن ليس إذا كنتِ فتاةً مستيقظةً للتوّ وعلى شفّتيك طبقة
بيضاء مثيرة للاشمئزاز...".
اصطدمت يدها بخده بما يشبه الصفحة، ورنت ضحكتها كمكعبات ثلج
في كأس، ثمّ تبادلا القبلات. علم أنه لن يتمكن هذه المرة من التوقف،
ولم يكن راغباً في ذلك.
"إنه يرنّ"، قالت.
"ماذا؟".

"الهاتف في جيب سروالك يتذبذب". وشرعت بالضحك.
"آسف". وسحب هاري الهاتف الساكن من جيبه، وانحنى فوقها
ووضعه على الطاولة قرب السرير. حاول تجاهل الشاشة الوامضة ولكن
الأوان كان قد فات. فقد رأى رقم هاتف بتي.
"تبّاً، وزفر. "لحظة فقط".

جلس على السرير، وأمعن النظر إلى وجه مارتين فيما كان يُصغي إلى
بتي. إن وجهها كصفحة مرآة. لقد بدا الأمر كما لو أنهما يلعبان لعبة
إيمائية. فقد كان باستطاعته رؤية خوفه وألمه وإذعانه منعكسة على وجهها.
"ماذا هناك؟". سألت بعد أن أنهى المكالمة.
"لقد مات".

"من؟".
"هالفورسن. مات ليلاً؛ عند الساعة الثانية وتسع دقائق، عندما كنت
بجانب الهُري".

القسم الرابع: الرحمة

29 - الاثنين، 22 كانون الأول/ديسمبر. الأمر

كان أقصر يوم في العام، ولكنّه بدا بالنسبة إلى المفتش هاري هول طويلاً بشكل مستحيل قبل أن يبدأ.

فبعد أن بلغه نبأ وفاة هالفورسن، خرج في بادئ الأمر للقيام بنزهة سيراً على الأقدام، وكّد في السير على الثلج حتى وصل إلى الغابة، حيث جلس يراقب طلوع النهار. وأمل أن يجمّد البرّد، أو يخفّف، أو على الأقل يخدّر أحاسيسه.

عاد بعد ذلك. كانت مارتين تراقبه بعينين متسائلتين من دون أن تقول أي شيء. تناول منها كوب قهوة، وقبّلها على خدّها، ثم دخل السيارة. لقد بدت مارتين في المرآة أكثر صِغَرًا في أثناء وقوفها على الدرجة الأخيرة وقد عقدت ذراعيها أمام صدرها.

قاد هاري إلى منزله، واستحمّ، ثم بدّل ملابسه وقلّب الأوراق الموضوعّة على الطاولة الصغيرة المنخفضة ثلاث مرات قبل أن يستسلم مشوشاً. لقد تحقق من ساعته للمرة العشرين منذ الأوّل من أمس، ولم يكن يرى سوى معصمه العاري. فأحضر ساعة مولر من الدُرج في طاولة السرير. كانت لا تزال تعمل وتفي بالغرض في الوقت الحاضر. قاد سيارته إلى مقر قيادة الشرطة، وركن في المرأب بجانب السيارة التابعة لهاغن. في أثناء صعوده السلم إلى الطابق السادس، كان باستطاعته سماع أصوات ووقع خطى وضحكات يتردد صداها في الأجواء. ولكن، عندما أقفل باب قسم مكافحة الجريمة وراءه، بدا الأمر كما لو أنه تم تخفيض الصوت. في الممر، التقى شرطياً قام بمراقبته، وهز رأسه بصمت، وتابع سيره. "مرحباً يا هاري".

فاستدار. إنها توريل لي. لم يتذكّر أنها استخدمت اسمه الأوّل من قبل.

"كيف حالك؟" سألت.

كان هاري يهّم بالإجابة، ففتح فمه، ولكنه أدرك فجأةً أنه لا يستطيع الكلام.

"فكرنا في أننا ربما نجتمع بعد تلقي التعليمات للقيام بزيارة مُجاملة". قالت توريل لي بلطف ولباقة كما لو أنها تجنّب الشعور بالإحراج. فأوماً هاري برأسه بامتنان صامت.

"هل يمكنك الاتصال ببتي؟".

"بالطبع".

وقف هاري أمام باب مكتبه؛ كان يخاف هذه اللحظة. ودخل بعد ذلك.

كان هناك شخص منحني الظهر يتمايل صعوداً ونزولاً على كرسي هالفورسن كما لو أنه ينتظر.

"صباح الخير يا هاري". قال غونار هاغن.

علّق هاري سترته على المشجَب من دون أن يجيب.

"آسف"، قال هاغن. "يعجز لساني عن التعبير".

"ماذا تريد؟". وجلس هاري.

"التعبير عن أسفي لما حصل. سأقوم بالأمر نفسه في أثناء الاجتماع الصباحي، ولكن ما أريد القيام به أولاً هو الجلوس معك وجهاً لوجه. كان جاك زميلك الأكثر قرباً منك، أليس كذلك؟".

"هالفورسن".

"أستميحك عُذراً؟".

ووضع هاري رأسه بين يديه. "كنا ندعوه هالفورسن".

فأوماً هاغن برأسه. "هالفورسن. هناك أمر إضافي واحد يا هاري...".

"ظننتُ أن الطلب الرسمي موجود في المنزل"، قال هاري. "ولكنه

اختفى".

"آه...". وبدّل هاغن طريقة جلوسه. كان يبدو غير مرتاح على الكرسي. "لم أكن أفكر في المسدس. في ما يتعلق بتخفيضات نفقات السفر، طلبت من قسم المحاسبة تزويدي بكل الإيصالات للموافقة عليها. لقد اتضح لي أنك سافرت إلى زغرب، ولا أتذكر أنني أذنتُ لك بالسفر إلى الخارج. وإذا قامت الشرطة النزويجية بأي تحقيقات هناك، فسيعتبر ذلك خرقاً صارخاً للتعليمات".

قال هاري في سرّه ووجهه لا يزال مدسوساً بين يديه: ها قد عثروا أخيراً على ذاك الخطأ الفاحش الذي ينتظرونه؛ السبب الشكلي لركل المفتش وإعادته إلى المكان الذي ينتمي إليه بين المدنيين غير المتمدين. حاول هاري التعبير عن مشاعره، ولكن الارتياح هو الأمر الوحيد الذي كان مُدرِكاً له. "ستجد تقريرتي على طاولتك غداً أيها الرئيس".

"لا فكرة لديّ عما تتحدث عنه"، قال هاغن. "أفترض أن أي تحقيق

لم يُجرَ في زغرب. إذ سيكون ذلك مُحرجاً للغاية لكل أصحاب الشأن".

رفع هاري نظره.

"وكما أقرأ الأمر"، قال هاغن، "لقد قمتَ برحلة دراسية إلى زَغرب".
"رحلة دراسية أيها الرئيس!؟".

"أجل، رحلة دراسية غير محدّدة. وإليك موافقتي الخطية على طلبك الشفهي للقيام برحلة دراسية إلى زَغرب". وانزلت ورقة أيه 4 مطبوعة على الطاولة أمام هاري. "وهكذا، يُفترض بهذا الأمر أن يكون من الماضي". ثمّ وقف هاغن وتوجه إلى الجدار حيث علّقت صورة فوتوغرافية لإيلين غيلتن.
"هالفورسن هو الشريك الثاني الذي تفقده، أليس كذلك؟".

فطأطأ هاري رأسه، وساد الهدوء الغرفة الضيّقة الخالية من النوافذ.
بعد ذلك، سعل هاغن. "لقد رأيت العظمة الصغيرة المحفورة على طاولتي، أليس كذلك؟ لقد اشتريتها في ناغازاكي. إنها نسخة لإصبع صغيرة تعود ليوشيتو ياسودا، وهو قائد كتيبة ياباني ذائع الصيت". واستدار نحو هاري. "في العادة، يحرق اليابانيون جثث موتاهم، ولكن كان عليهم دفنهم في بورما بسبب كثرة عددهم؛ إذ يتطلب إحراق كل جثة ساعتين تقريباً. لذلك، لجأوا عوضاً عن ذلك إلى بتر إصبع صغيرة وإحراقها، وإرسال الرماد إلى العائلة في الوطن. وبعد معركة حاسمة خاضها بيغو في ربيع العام 1943، أُرغم اليابانيون على الانسحاب والاختباء في الغابة. لقد توّسل قائد الكتيبة إلى ضابطه الأعلى لشنّ هجوم في مساء ذلك اليوم نفسه ليتمكنوا من استعادة جثث موتاهم، ورُفض طلبه - لأن أعداد المنتصرين كانت كبيرة جداً- ووقف في ذلك المساء يبكي أمام رجاله تحت ضوء نار المعسكر، وأبلغهم قرار الضابط الأمر. ولدى رؤيته اليأس على وجوه رجاله، جفّف دموعه، وسحب حربة بندقيته، وبسط يده على جذع شجرة، وقطع إصبعه الصغيرة ورمها في النار، فهتف رجاله ابتهاجاً. وبلغ مسمعي الضابط الأمر ما حدث، وفي اليوم التالي هاجم اليابانيون بكل قوتهم".

توجّه هاغن نحو طاولة هالفورسن، والتقط مِبراة قلم رصاص وتأملها.
"ارتكبتُ عدداً من الأخطاء في أيامي الأولى هنا كرئيس. وربما كان أحدها سبباً غير مباشر لوفاة هالفورسن. ما أحاول قوله...". ووضع المِبراة مكانها، وأخذ نفساً عميقاً وتابع: "هو أنني أتمنى لو كان باستطاعتي القيام بما قام به يوشيتو ياسودا كي تدبّ الحماسة فيكم جميعاً، ولكنني لا أعرف السبيل لتحقيق ذلك".

دُهِل هاري، ولذلك أبقى فمه مُطبّقاً.
"دعني أختصر الأمر بما يلي يا هاري: أريد منك العثور على الشخص أو الأشخاص الذين يقفون وراء جرائم القتل هذه. هذا كل شيء".

وتجنّب الرّجلان النظر إلى عيون بعضهما، فيما صقّ هاغن بيديه ليضع حداً للصمت. "ولكنك ستُسديني صنيعاً إذا حملتّ سلاحاً ياهاري. كما تعلم، ليراك الآخرون... أقلّه حتى السنة الجديدة، وبعد ذلك سأُلغي الأمر." "حسناً".

"شكراً لك. سأكتب لك طلباً رسمياً جديداً". فأوماً هاري برأسه، فيما سار هاغن نحو الباب. "كيف انتهى الأمر؟". سأل هاري. "أقصد، في ما يتعلق بذاك الهجوم الياباني المضاد؟".

"آه، ذاك". واستدار هاغن مبتسماً ابتسامة عريضة مضطربة. "لقد سُحق".

يعمل كيل آتل أورو منذ تسعة عشر عاماً في المخازن الموجودة تحت مقر قيادة الشرطة. وكان جالساً هذا الصباح هناك وقسيمة المراهنات على مباريات كرة القدم أمامه، متسائلاً عما إذا كان يملك الجرأة للمراهنة على فوز فولهام ضد ساوثمبتن في مباراة تُجرى على أرض الخصم في اليوم التالي للكرسمس. لقد أراد إعطاء القسيمة لأوشوغ عندما يذهب لتناول الغداء، ولذلك كان على عَجَلَة من أمره. ولهذا السبب، أطلق الشتائم عندما سمع أحدهم يرنّ الجرس المعدني.

نهض وأنّ. لقد شارك أورو في ما مضى في الأشواط الأولى لمباريات كرة القدم لصالح سكيّد، وحظي بمهنة طويلة وخالية من الإصابات؛ ولذلك يشعر بمראה أبدية بسبب ما بدا له أنه جهد غير مؤدّب بذله في مباراة لصالح فريق الشرطة، وانتهى به بجرّ ساقه اليسرى وراهه بعد عشر سنوات. كان هناك رجل ذو شعر أشقر قصير يقف أمام المنضدة.

تناول أورو الطلب الرسمي المكتوب الذي مرّره له، ونظر شزراً إلى الحروف التي اعتبر أنها تزداد صِغْراً. فعندما أخبر زوجته في الأسبوع السابق أنه يرغب في شراء تلفاز أكبر حجماً في الكرسمس، اقترحت عليه زيارة طبيب العيون.

"هاري هول، سميث إند ويسن عيار 38، أجل"، أنّ أورو، وهو يعرج متجهاً نحو مستودع الأسلحة حيث عثر على مسدس خدمة يوحى بأن المالك السابق كان لطيفاً. لقد فاجأه تسلّمه السريع للسلاح العائد للشرطي. تناول قراب المسدس وعلب الذخائر الثلاث المعيارية، وعاد إلى المنضدة. "وقّع هنا"، قال مشيراً إلى الطلب. "هل يمكنني رؤية بطاقة الهوية؟".

كان الرجل قد وضع بطاقة الهوية الخاصة به على المنضدة، وأخذ القلم الذي مرّره له أورو ووقع. حدّق أورو إلى بطاقة هوية هاري هول والخريشات، وتساءل عما إذا كان باستطاعة ساوثبتن صدّ لويس ساها. "تذكّر إطلاق النار على الأشرار"، قال أورو من دون أن يتلقى أي إجابة.

عارجاً في اتجاه قسيمة المراهنات على مباريات كرة القدم، فكّر ملياً في أن تجهّم الشرطي ربما لا يكون مفاجئاً. فبطاقة الهوية تقول إنه في فريق مكافحة الجريمة. أليس هذا الفريق هو نفسه الفريق الذي كان الشرطي المتوتّر يعمل فيه؟

á á á

ركن هاري السيارة بجانب مركز هني- أونستاد الفني في هوفيكودن، وسار قرب المبنى الجميل المنخفض المبنيّ بالأجر وسلك المنحدر في اتجاه الخليج البحري الصخري الطويل. كان باستطاعته رؤية شكل بشري أسود وحيد على الجليد الممتد حتى سنارويا.

تحقق بواسطة إحدى قدميه من لوح جليدي محاذٍ للشاطئ، فانكسر اللوح مُحدثاً صوت طقطقة مرتفعاً. نادى هاري باسم ديفيد إكهوف، ولكن الشكل البشري على الجليد لم يتحرك.

شتم، وبعد إدراكه أن وزن المدير لا يمكن أن يقلّ عن خمسة وتسعين كيلوغراماً، وقف بشكل متوازن على أحد ألواح الجليد المدفوعة نحو الشاطئ، ووضع قدميه بحذر على الجليد الغدّار المموّه بالثلج، ثم شق طريقه فوق الجليد بخطى قصيرة وسريعة. كان المكان أبعد مما بدا له من حيث كان يقف على اليابسة. وعندما دنا هاري من ديفيد إكهوف كثيراً، تأكد من أن الشكل البشري الذي يرتدي معطفاً من جلد الذئب، ويجلس على كرسيّ قابل للطيّ، منحنيّاً فوق فجوة في الجليد ويحمل أداة صيد شبيهة بالصنارة، هو في الواقع مدير اتحاد الرعاية الاجتماعية. كما أدرك سبب عدم تمكّنه من سماعه.

"هل أنت واثق من أن هذا الجليد آمن يا إكهوف؟".

فاستدار ديفيد إكهوف ونظر إلى جزمة هاري أولاً.

"الجليد في خليج أوسلو البحري الصخري لا يكون آمناً أبداً في كانون الأول/ديسمبر". قال بنفس متجمّد منبثق من فمه. "ولهذا السبب لا يجب أن تصطاد بمفردك. ولكنني أستخدم هذه دائماً". وأوماً في اتجاه المزليجتين.

"فهما توزعان الوزن".

أوماً هاري برأسه ببطء. لقد بدا له كما لو أن الجليد يقطق تحت قدميه. "قيل لي إنني سأجرك هنا".

"إنه المكان الوحيد الذي يسمح لك بسماع نفسك"، وأمسك إكهوف أداة الصيد.

كانت هناك علبة طعم وسكين على صحيفة بجانب الفجوة في الجليد، وتشير الصفحة الأمامية إلى طقس معتدل بدءاً من يوم غدٍ فصاعداً. لم يجد أي خبر عن وفاة هالفورسن. لا بد أن الصحيفة قد صدرت باكراً. "هل لديك الكثير للتفكير فيه؟". سأل هاري.

"هممم. يجب عليّ وزوجتي استضافة رئيس الوزراء في الحفلة الموسيقية هذا المساء. ومن ثم، يجب توقيع عقد غيلستراب هذا الأسبوع. أجل، هناك القليل من الأمور".

"أردت طرح سؤال واحد فقط"، قال هاري وهو يركّز على المحافظة على توازنه. "وما هو؟".

"طلبت من سكار، أحد رجالي، التحقق من وجود مبالغ مالية متنقلة بين حسابك المصرفي وحساب روبرت كارلسن المصرفي. لم يجد شيئاً، بل اكتشف أن شخصاً آخر يحمل اسم عائلة كارلسن قد قام بتحويل مبالغ مالية إلى حسابك بشكل منتظم. إنه جوزف كارلسن".

فحدّق ديفيد إكهوف إلى دائرة المياه السوداء من دون أن يرفّ له جفن.

"سؤالي هو"، قال هاري مركزاً على إكهوف، "لماذا كنت تتلقى ثمانية آلاف كرون من والد روبرت وجون كارلسن كل فصل طوال السنوات الاثنتي عشرة الماضية".

فانتفض إكهوف كما لو أنه أمسك بسمكة كبيرة.

"حسناً؟" قال هاري.

"هل الأمر مهم؟".

"أظن ذلك يا إكهوف".

"في هذه الحالة، سيبقى ما سأقوله سرّاً بيننا نحن الاثنين".

"لا يمكنني أن أعدك بذلك".

"إذاً، لا يمكنني أن أخبرك".

"إذاً، سيتعيّن عليّ اصطحابك إلى المركز والطلب منك التقدم بإفادة

هناك".

رفع المدير نظره، وتفحص هاري بعناية لتقييم قوة خصمه المحتمل، ومن ثم قال: "أظن أن غونار هاغن سيوافق على ذلك؟ أقصد، على جري إلى هناك؟".

"لنكتشف ذلك".

كان إكهوف يهّم بقول شيء ما، ولكنه صمت كما لو أنه تحقق من تصميم هاري الذي كان يفكر ملياً في أن المرء لا يصبح زعيم مجموعة بمقدرته بل بقدرته على قراءة الأوضاع بشكل صحيح.

"حسناً"، قال المدير. "ولكنها قصة طويلة".

"لديّ متسع من الوقت"، كذب هاري شاعراً بالبرد يمتدّ من الجليد حتى أخمص قدميه.

"كان جوزف كارلسن، والد جون وروبرت، أفضل صديق لي". وثبت إكهوف نظره على مكان محدد في سنارويا. "لقد درسنا معاً، وعملنا معاً، وكنا طموحين وواعدين، كما يقولون. ولكن الأهم من ذلك أننا تشاطرنا تصوراً واحداً؛ وهو أن يكون اتحاد الرعاية الاجتماعية قوياً، وأن يساعد المحتاجين. هل تفهم؟".

فأوما هاري برأسه.

"لقد تدرّجنا في المراتب معاً أيضاً"، تابع إكهوف. "وبعد مدة من الزمن، وجدنا نفسينا نتنافس على الوظيفة التي أشغلها الآن. لم أكن حينها أعتقد أن المنصب بحدّ ذاته مهماً، بل إنّ ما كان يدفعنا هو التصور. ولكن، عندما تم اختياري، حدث شيء ما لجوزف. لقد بدا الأمر كما لو أنه تحطم. من يعلم؟ ربّما كان ردّ فعلي سيكون مماثلاً. بأي حال، أسند إلى جوزف منصب القيم الأعلى على الممتلكات، وهو منصب على درجة عالية من الأهمية. وبالرغم من ذلك، بقيت عائلتنا على تواصل كما في السابق، ولكن ليس...". وبحث إكهوف عن الكلمات: "... بالدرجة عينها في ائتمان أحدها الآخر على أسراره. كان هناك أمر ما يضايق جوزف، أمر بغيض. وفي خريف العام 1991، اكتشفتُ ورئيس المحاسبة فرانك نيلسن - والد ريكارد وثيا - الأمر. كان جوزف يختلس".

"ماذا حدث؟".

"كانت خبرتنا - إذا جاز القول - قليلة في ذلك النوع من الأمور. لذا، احتفظت ونيلسن بالسّر حتى عرفنا ما الذي يتعيّن علينا القيام به. لقد خيّب سلوك جوزف أملنا بالطبع، ولكن في الوقت نفسه كان باستطاعتي

رؤية سيناريو السبب والنتيجة الذي كنت جزءاً منه. كان باستطاعتي التعاطي مع الوضع عندما تم اختياري، في حين أنه رُفض... كان اتحاد الرعاية الاجتماعية آنذاك يعاني من قلة المنتسبين إليه، ولم يكن يتمتع بالانتشار الواسع الذي يتمتع به اليوم. لم نكن حينها قادرين ببساطة على تحمّل إثارة فضيحة. كنت قد ورثت من والدَيّ منزلاً صيفياً في سورلاندت نادراً ما كنا نشغله، لذلك بعته على عَجَل، وحصلت على مبلغ كافٍ لتغطية النقص قبل أن يتم اكتشافه".

"أنت!" قال هاري. "أنت تسرّرت على اختلاس جوزف كارلسن باستعمال مالك الخاص؟".

فهز إكهوف كتفّيه. "لم يكن هناك حل آخر".
"ليس أمراً عادياً في ميدان الأعمال أن يقوم المدير...".
"ولكنه ليس عملاً عادياً ياهول. فقد كان أمراً شخصياً".
أوماً هاري برأسه ببطء، وفكّر في الإصبع الصغيرة على طاولة هاغن.
"إذاً، تخلى جوزف عن وظيفته وسافر إلى الخارج مع زوجته. ولم يعلم أحد بما جرى؟".

"عرضت عليه وظيفة"، قال إكهوف. "ولكنه لم يتمكن من قبولها بالطبع. فمن شأن ذلك طرح كل أنواع الأسئلة. إنهما يُقيمان الآن في تايلاند حسبما أعتقد، في مكان غير بعيد عن بانكوك".
"إذاً، قصة الفلاح الصيني وعضة الثعبان مختلقة؟".

فابتسم إكهوف وهز رأسه. "لا. لقد تركت تلك القصة أثراً عميقاً في نفسه، وظلّ يشكّ في صحّة قراره. وهذا ما نفعله جميعنا على أي حال".
"وأنت أيضاً أيها المدير!؟".

"وأنا أيضاً. فإذا كنت عاجزاً عن الشك، فلن تتمكن من تمييز الصواب من الخطأ. ينطبق الأمر نفسه على الشجاعة أيضاً أيها المفتش. إذا كنت عاجزاً عن الشعور بالخوف فلن تستطيع أن تكون شجاعاً".
"وماذا بشأن المال؟".

"يصرّ جوزف على إعادة المال إليّ. لن يجني أبداً مالاً كافياً حيث هو موجود ليعيد لي المال كله بالتأكيد. ولكنني أعتقد أن هذا الأمر يُجديه نفعاً، فلماذا سأحول دون ذلك؟".

أوماً هاري برأسه ببطء. "هل عرف روبرت وجون بهذا الأمر؟".
"لا أعرف"، قال إكهوف. "لم أذكر هذا الأمر قطّ. فالأمر الوحيد الذي كنت حريصاً عليه هو ألا يكون تهوّر والدهما سبباً في الحكم عليهما؛ ولا

سيما جون. فقد أصبح أحد مواردنا المهنية الأكثر أهمية. حُذِ عملية بيع الممتلكات هذه على سبيل المثال، في جاكوب آلز بادئ ذي بدء، وفي أماكن أخرى أيضاً مع مرور الوقت. قد يشتري غيلستراب أوستغارد أيضاً. فإذا تمّت عملية البيع هذه بعد عشر سنوات، فسيتوجّب علينا توظيف كل أنواع المستشارين لتحقيق ذلك. ولكن، بوجود أشخاص مثل جون، تكون المهارات موجودة لدينا".

"هل تعني أن جون هو من وجّه مسار عملية البيع؟".
"لا، البتة. فقد تمّت الموافقة عليها على مستوى مجلس الإدارة. ولكن، بدون عمله التمهيدي الشاق واستنتاجاته المُقنعة فأنا لا أعتقد حقاً أننا كنا سنجد الجرأة للقيام بذلك. جون هو رجل المستقبل بالنسبة إلينا، لا بل إنه رجل الحاضر أيضاً. وأفضل دليل على ذلك هو عدم وقوف ما ارتكبه والده في طريق قيامه وثياً بالجلوس في مقصورة الشخصيات البارزة الليلة؛ قرب رئيس الوزراء". وقطّب إكهوف جبينه. "بالمناسبة، حاولتُ الاتصال بجون اليوم، ولكنه لا يجيب على هاتفه. ألم تتحدث إليه صدفة؟".
"لا. افترض أن جون لم يكن موجوداً...".
"عفواً؟".

"افترض أن جون قد قُتل - كما كان الرجل المسلّح يعتزم - فمن الذي كان سيحلّ مكانه؟".
رفع ديفيد إكهوف حاجبيه كليهما وليس حاجباً واحداً وسأله:
"الليلة؟".

"كنت أفكر في المنصب أكثر من تفكيري في الحفلة".
"آه، فهمتُ. حسناً، أنا لا أكشف سرّاً إذا قلت إنه ريكارد نيلسن".
وضحك. "كان الناس يتمتمون في شأن أوجه الشبه بين جون وريكارد وبين جوزف وبينني طوال تلك السنين".
"أهي المنافسة نفسها؟".

"أينما تجد مركزاً مهماً تجد منافسة. وفي اتحاد الرعاية الاجتماعية أيضاً. علينا أن نأمل أن ينجم عن كل اختبارات المقدرة حلولاً للأشخاص المناسبين في الأماكن التي تخدمهم وتخدم القضية المشتركة على النحو الأفضل. حسناً، حسناً". وسحب القائد صئارة صيد السمك. "أمل أن تكون قد حصلت على أجوبتك ياهاري. باستطاعة فرانك نيلسن أن يؤكد لك قصة جوزف إذا رغبت، ولكنني آمل أن تكون قد فهمت سبب عدم رغبتني في إفشاء السر".

"لديّ سؤال واحد أخير بما أننا نتطرق إلى أسرار اتحاد الرعاية الاجتماعية".

"هيا إذًا". قال ديفيد، وقد نفذ صبره وشرع بتوضيب عدّة الصيد في كيس.

"هل تعرف شيئاً عن حادثة اغتصاب حدثت في أوستغارد منذ اثني عشر عاماً؟".

كان هاري يفترض أن قدرة وجهه كوجه إكهوف على التعبير عن دهشته محدودة. وبما أن هذه الحدود تمّ تخطيها كما يبدو، اعتبر أن سؤاله جديد بالنسبة إلى المدير بالتأكيد.

"معلوماتك خاطئة بالتأكيد أيها المفتش. وإذا لم تكن كذلك، فهي مروّعة. من هم المتورطون في ذلك؟".

أمل هاري ألاّ يفضح وجهه أي شيء. "السريّة المهنية تمنعني من الكشف عن هوية الأشخاص".

حكّ إكهوف دقّنه. "بالطبع. ولكن... ألم يمرّ الزمن على هذه الجريمة؟".
"يعتمد الأمر على كيفية نظرك إلى الأمر"، قال هاري ممعناً النظر إلى الشاطئ. "هلاً عدنا".

"ربما من الأفضل أن يعود كل منا بمفرده. إن الوزن...".

ابتلع هاري لعبه بصعوبة وأوماً برأسه.

لدى وصوله إلى الشاطئ من دون تبلُّل، استدار هاري. كانت سرعة الرياح قد ازدادت، والثلج ينجرف على الجليد كستار دُخاني. لقد بدا إكهوف كما لو أنه يسير فوق السحب.

في مرأب موقف السيارات، كانت نوافذ سيارة هاري قد اكتست بطبقة رقيقة من الجليد الأبيض. فدخلها، وأدار المحرك، وشغّل جهاز التدفئة، ووضعها على الحرارة القصوى، فتدفّق الهواء الساخن على الزجاج البارد. وفيما كان ينتظر انقشاع الرؤية عبر زجاج السيارة الأمامي، تذكّر أمراً ما قاله له سكار. كان مادس غيلستراب قد اتصل بهالفورسن. أخرج بطاقة العمل التي كان لا يزال يحتفظ بها في جيبه، وطلب الرقم. لا جواب. وفيما كان يُعيد الهاتف إلى جيبه رنّ، ووجد أنه رقم فندق هوتيل إنترناشونال.

"كيف حالك؟" قالت المرأة بلغتها الإنكليزية المميّزة.

"لا بأس"، قال هاري. "هل تلقيت...؟".

"أجل".

أخذ هاري نفساً عميقاً وقال: "هل كان هو؟".
"أجل"، وتنهدت. "كان هو".
"هل أنت واثقة تماماً؟ أعني، ليس من السهل معرفة شخص ما من مجرد...".

"هاري؟".

"أجل؟".

"أنا على ثقة تامة".

كان هاري يظن أن هذه المدرسة تجيد التشديد والتنغيم لدرجة أنها
تعني ما تقوله. كانت على ثقة تامة.

"شكراً لك". قال وأنهى المكالمة آملاً من كل قلبه أن تكون مُحِقَّة
لأن كل شيء سيبدأ الآن.

وهذا ما حدث.

فبينما كان هاري يشغّل مسّاحتي زجاج السيارة الأمامي، اللتين راحتا
تدفعان قطع الجليد الذائب إلى كلا الجانبين، رنّ هاتفه المحمول مجدداً.

"هاري هول".

"فرو ميهولدجك تتكلم، والدة صوفيا. قلتَ إن باستطاعتي الاتصال بك
على هذا الرقم إذا...".

"أجل، ماذا هناك؟".

"حدث أمر ما لصوفيا".

30 - الاثنين، 22 كانون الأول/ديسمبر. الصمت

إنه اليوم الأقصر في العام.

كان هذا الخبر على الصفحة الأمامية لصحيفة أفْتبوستن المُلقاة على الطاولة أمام هاري في غرفة الانتظار في عيادة الطبيب في ستورغاتا. تحقق من الساعة المعلقة على الجدار، ومن ثمّ تذكّر أنه يضع ساعة في معصمه. "سيراك الآن ياسيد هول"، نادى صوت امرأة من الكوّة. فقد كان قد شرح أنه يريد التحدث إلى الطبيب الذي قابل صوفيا ميهولدجك ووالدها قبل ساعات قليلة.

"الباب الثالث إلى اليمين في الممر"، نادى المرأة.

فوقف هاري على قدميه، وترك غرفة الانتظار وراءه، وصفاً من الأشخاص المتعبين.

الباب الثالث إلى اليمين. بالطبع، ربما تكون الصدفة قد أرسلت صوفيا إلى الباب الثاني إلى اليسار، أو الباب الثالث إلى اليسار. ولكن لا، إنه الباب الثالث إلى اليمين.

"مرحباً، عرفتُ أنك تريد مقابلي"، وابتسم ماثياس لوند - هِلْغِسِين، ووقف ليمدّ يده. "ما الذي يمكنني مساعدتك به هذه المرة؟".
"الأمر مرتبط بمريضة رأيتها هذا الصباح. صوفيا ميهولدجك".
"حقاً؟! تفضّل بالجلوس يا هاري".

لم يسمح هاري لنفسه بالانزعاج من النبذة الودية التي تحدّث بها الرجل الآخر، ولكنها دعوةٌ تردد بقبولها؛ ليس لأنه يشعر باعتداد كبير بالنفس، بل لأن الأمر سيكون مُحرجاً لكليهما.

"اتصلت بي والدة صوفيا لتقول لي إنها استيقظت هذا الصباح على صوت بكاء صوفيا في غرفتها"، قال هاري. "وحين دخلت، وجدت ابنتها مصابة بالكدمات وتنزف. قالت صوفيا إنها كانت مع أصدقائها في الخارج، فانزلت على الجليد في طريق عودتها إلى المنزل. عندها، أيقظت الوالدة الوالد الذي أحضرها إلى هنا".

"ربما يكون هذا صحيحاً". قال ماثياس الذي كان قد انحنى إلى الأمام على مرفقيه كما لو أنه يُعبّر عن مدى اهتمامه بالأمر.

"ولكن الوالدة تُصرّ على أنها تكذب"، تابع هاري. "فقد تحققت من السرير بعد مغادرة صوفيا ووالدها، ولم تكن هناك دماء على الوسادة فحسب، بل على الملاءة أيضاً كما قالت".

"حسنًا". لم يكن الصوت الذي أصدره ماثياس تأييداً أو إنكاراً، ولكنه صوت عرف هاري أنه أمر واقع في وحدة العلاج التابعة لقسم علم النفس. ويُرَاد من رفع نغمة الصوت لدى لفظ المقطع الأخير من الكلمة تشجيع المرضى على الاستمرار. لقد ارتفعت نغمة صوت ماثياس.

"صوفيا تُقفل على نفسها في غرفتها الآن"، قال هاري. "وهي تبكي وترفض قول أي كلمة. لقد اتصلت والدتها بصديقاتها، ولكنَّ أيًّا منهنَّ لم ترها أمس".

"فهمت". وقرص ماثياس قسبة أنفه. "والآن تطلب مني أن أتجاهل قسمي بالمحافظة على أسرار مرضاي لأجلك؟".
"لا"، قال هاري.
"لا!".

"ليس لأجلي بل لأجلهم. من أجل صوفيا ووالديها، والأخريات اللواتي اغتصبهنَّ ربما أو سيغتصبهنَّ".

"إنها كلمات قوية". وابتسم ماثياس، ولكن ابتسامته تلاشت في مواجهة الصمت. وسعل. "أنا على ثقة بأنك تعي أنه يتعيَّن عليَّ التفكير في هذا الأمر أولاً يا هاري".

"هل اغتُصبت ليلة أمس أم لا؟".

فتنهَّد ماثياس. "هاري، إن الائتمان على أسرار المريض هو...".

"أعرف أي نوع من الائتمان على الأسرار هو"، قاطعه هاري. "فأنا مؤتمن على أسرار الأشخاص أيضاً. وعندما أطلب منك استثناءً في هذه القضية، فهذا لا يعني أنني أستخف بائتمانك على أسرار المرضى، بل أفعل ذلك لأنه يجب عليَّ تقييم الطبيعة الوحشية لهذه الجريمة، ولأنفادي خطر تكرارها المحتمل. إذا كنت تثق بي وتعتمد على تقييمي فسأكون ممتناً لك، وإلا فسيتوجب عليك بذل قصارى جهدك لمحاولة متابعة حياتك في ظل هذا الأمر".

لقد تساءل هاري عن عدد المرات التي ألقى فيها هذه الخُطبة في ظروف مماثلة.

طرف ماثياس عينيه، وظهرت على وجهه أمارات الخيبة.

"يكفي أن تومئ برأسك أو تهزه"، قال هاري.

فأوماً ماثياس لوند-هليغسين برأسه.

لقد نجحت الخدعة مرة أخرى.

"شكراً لك"، قال هاري ونهض. "هل تسير الأمور على ما يُرام بينكم،

أنت وراكيل وأوليغ؟".

أوماً ماثياس لوند- هِلْغِسِين برأسه مجدداً وهو يبتسم ابتسامة شاحبة. انحنى هاري إلى الأمام ووضع يده على كتف الطبيب وقال: "يوماً سعيداً". إن آخر شيء رآه هاري في أثناء خروجه من الباب هو ماثياس لوند- هِلْغِسِين الذي جلس على الكرسي مترهلاً الكتفين، وهو ينظر إلى الأمام كما لو أن أحدهم قد وجّه له صفة.

á á á

تسرّب ضوء النهار الأخير من بين سُحُبٍ برتقالية فوق الأشجار وسطوح المنازل غرب المقبرة الكبرى في النرويج. مرّ هاري بجانب النصب التذكاري الحجري للموتى الذين قضوا في الحرب في يوغوسلافيا، وقطعة الأرض الخاصة بحزب العمال في النرويج، وضريحَي رئيسي الوزراء إينار غيرهاردسون وتريغفه براتلي، وصولاً إلى قطعة الأرض الخاصة باتحاد الرعاية الاجتماعية. وكما توقّع، عثر على صوفيا بجانب أحد القبور. كانت تجلس على الثلج منتصبه، ومنتدّرة بستره بوفاً كبيرة.

"مرحباً"، قال هاري، وجلس بجانبها.

أشعل سيجارة وزفر الدخان في النسيم الجليدي الذي حمل الدخان بعيداً.

"قالت والدتك إنك قد غادرتِ للتوّ"، قال هاري. "وأخذتِ الأزهار التي اشتراها لك والدك معك. لذا، لم يكن تخمين مكان وجودك صعباً".
لم تُجِب صوفيا.

"كان روبرت صديقاً صالحاً لك أليس كذلك؟ كان شخصاً يمكنك الاعتماد عليه، والتحدث إليه، وليس مختصّباً".

"روبرت هو من قام بذلك"، همست بفتور.

"أزهارك على مدفن روبرت يا صوفيا. أعتقد أن شخصاً آخر هو من قام باغتصابك. وقام بذلك مجدداً في الليلة الماضية. وربما قام بذلك عدة مرات في السابق".

"دعني بسلام!". صاحت وناضلت للوقوف على قدميها فوق الثلج.

فحمل هاري سيجارته بإحدى يديه، وأمسك ذراعها بالأخرى وسحبها

بقوة.

"لقد مات روبرت يا صوفيا ولن يتمكن من حمايتك. أنت حيّة. هل تسمعينني؟ أنت حيّة. وإذا كنت تريدين مواصلة العيش، يُستحسن بنا إلقاء القبض على الفاعل الآن، وإلا فسيواصل اعتداءاته. لم تكوني الأولى ولن

تكوني الأخيرة. انظري إليّ. انظري إليّ!" .
أجفلت صوفيا من صرخته الفجائية، وأذعنت.
"أعرف أنك خائفة يا صوفيا. ولكنني أعدك بأنني سأنال منه مهما حدث. أقسم".
رأى هاري شيئاً ما يتحرك في عينيها. وإذا كان مُحِقّاً، فقد لاح بصيص أمل. وانتظر. وبعد ذلك، تنهّدت وقالت شيئاً ما غير مسموع.
"ماذا قلت؟". سأل هاري منحنياً إلى الأمام.
"من سيصدّقني؟" همست. "من سيصدّقني الآن... بعد وفاة روبرت؟".
وضع هاري يداً حريصة على كتفيها وقال: "حاولي، ومن ثم سنرى".
كانت السحابة البرتقالية قد بدأت بالتحوّل إلى لون أحمر.
"لقد هدّد بتدمير كل شيء يخصّنا إذا لم أنقذ ما يطلبه مني. وسيحرص على رمينا خارج الشقة، وحينها سيتوجّب علينا العودة. ولكن، لا شيء لدينا للعودة لأجله. ولو قمّت بإخبارهم، فمن كان سيصدّقني؟ من؟".
وصمتت.
"باستثناء روبرت"، قال هاري وانتظر.

عثر هاري على العنوان على بطاقة عمل مادس غيلستراب. لقد أراد الاتصال به، وسؤاله قبل كل شيء آخر عن سبب اتصاله بهالفورسن. استناداً إلى العنوان الذي رآه، سيتوجب عليه المرور بجانب راكيل وأوليغ اللذين يُقيمان أيضاً على حيد هولمنكولين.
وفي أثناء مروره قرب الطريق المؤدية إلى منزلهما لم يبطئ، وإنما اكتفى بإلقاء نظرة سريعة. فعندما مرّ بجانب منزلهما في المرة الأخيرة، رأى سيارة جيب شيروكي خارج المرأب، وافترض أنها سيارة الطبيب. والآن، هناك سيارة راكيل فقط، ونافذة غرفة أوليغ مُضاءة.
عبر هاري المنعطفات الحادّة بين المنازل الأكثر تكلفة في أوصلو حتى استقامت الطريق، ثم صعد تلة، ومرّ بجانب المسلّة الوطنية البيضاء، وحاجز هولمنكولين للتزلّج. كانت المدينة تمتدّ في الأسفل، بالإضافة إلى الخليج البحري الصخري الطويل وطبقة رقيقة من الضباب الجليدي بين الجزر المكسوّة بالثلج. لقد انقضى اليوم القصير الذي يتكوّن في الواقع من مجرد شروق الشمس ومغيبها برفّة عين، وكانت الأنوار قد أُضيئت وبدت كالشموع.
كان يملك كل أجزاء الأحجية تقريباً.
بعد أن رنّ جرس منزل غيلستراب أربع مرات من دون جدوى،

تخلّى هاري عن ذلك. وفي طريق عودته إلى سيارته، هروا رجل نحوه من منزل مجاور، وسأله عما إذا كان صديقاً لعائلة غيلستراب. حسناً، لم يشأ التدخل في حياتهم الخاصة، ولكنهم سمعوا دويّاً عالياً صادراً من داخل المنزل هذا الصباح، وكان مادس غيلستراب قد فقد زوجته، أليس كذلك؟ ربما كان ينبغي لهم الاتصال بالشرطة؟ عندها، عاد هاري إلى المنزل، وحطم النافذة الموجودة بجانب الباب الأمامي، فانطلق جهاز الإنذار. وبينما كان جهاز الإنذار يُطلق نغمته مراراً وتكراراً، شق هاري طريقه إلى غرفة الجلوس، وتحقق من ساعته لأجل التقرير، وطرح الدقيقتين اللتين أضافهما مولر. إنها الثالثة وسبع وثلاثون دقيقة من بعد الظهر. كان مادس غيلستراب عارياً، والجهة الخلفية من رأسه مفقودة. كان مستلقياً على جانبه على الأرض الخشبية أمام شاشة مُضاء، وماسورة البندقية تخرج من فمه. كانت البندقية ذات ماسورة طويلة، ولا بد أن مادس غيلستراب قد استخدم إصبع قدمه الكبيرة للضغط على الزناد، كما بدا لهاري. وهذا الأمر لا يتطلب تنسيقاً حركياً كبيراً فقط، بل رغبة قوية في الموت أيضاً.

بعد ذلك، توقف جهاز الإنذار، وتمكن هاري من سماع أزيز آلة العرض التي تُظهر صورة مكبرة جامدة ومرتعشة لعروس وعريس يعبران ممر دار العبادة. كان الوجهان، والابتسامة الشاحبة، والفتان الأبيض كلها ملطخة بالدماء التي جفت على القماش على هيئة شبكة. وتحت قنينة شراب فارغة وضعت رسالة الانتحار. كانت وجيزة. سامحني ياوالدي. مادس.

31 - الاثنين، 22 كانون الأول/ديسمبر. الحفلة

نظر إلى نفسه في المرآة. عندما يخرج برفقة والدته ذات يوم- في العام التالي ربما- من المنزل الصغير، فهل سيُحيي أحد الجيران هذا الوجه بابتسامة و زدرافو ؟ بالطريقة نفسها التي تُحيي فيها وجوه مألوفة ومأمونة، ووجوه طيبة.

"تبدو مثالية". قالت المرآة وراءه.

وأدرك أنها تعني البذلة التي كان يستعرضها أمام المرآة، والتي استأجرها من محلّ لتأجير الملابس.
"كم المبلغ؟" سأل.

دفع لها ما طلبته من مال، ووعد بإعادة البذلة قبل الساعة الثانية عشرة من اليوم التالي.

خرج بعد ذلك إلى الظلّمة الرمادية. كان قد عثر على مقهى حيث يمكنه تناول القهوة، وحيث الطعام غير مرتفع الثمن كثيراً. فالمسألة الآن مسألة انتظار، ونظر إلى ساعته.

لقد بدأت أطول ليلة، وحوّل العَسَقُ المنازلَ والحقول إلى لون رمادي في أثناء توجّه هاري من هولْمِنكولِن، ولكن الظلام كان قد اجتاح الحدائق العامة قبل وقت طويل من بلوغه غرونلانْد.

كان قد اتصل برجال الشرطة ذوي البذلات النظامية من منزل مادس غيلستراب، وطلب منهم إرسال سيارة دورية. وغادر بعد ذلك من دون أن يلمس أي شيء.

ركن سيارته في المرأب كيه 3 في مقر قيادة الشرطة، ثم صعد إلى مكتبه حيث اتصل بتوركيلدسن.

"فُقد هاتف هالفورسن المحمول، وأريد أن أعرف ما إذا كان مادس غيلستراب قد ترك رسالة عليه".

"وماذا لو فعل؟".

"أريد أن أسمع الرسالة".

"إنه تنصّت على الهاتف، وأنا لا أجروّ على القيام بذلك"، تنهّد توركيلدسن. "اتصل بخدمة تلقي الشرطة للاتصالات".

"أنا بحاجة إلى قرار من المحكمة للقيام بذلك، ولا أملك الوقت الكافي للحصول عليه. هل لديك أي اقتراحات؟".

فكر توركيلدسن ملياً. "هل لدى هالفورسن جهاز كمبيوتر؟".
"أنا جالس بجانبه".
"لا، لا، انس الأمر".
"لماذا؟".

"باستطاعتك الاطلاع على كل الرسائل الموجودة على هاتف محمول من خلال صفحة الويب التابعة لتلينور موبايل، ولكنك ستكون بحاجة إلى كلمة مرور بالطبع لتقوم بذلك".

"هل هي كلمة مرور يختارها صاحب الخط؟".
"أجل. ولكن إذا لم تكن تملكها، فستكون بحاجة إلى الحظ كي...".
"لنحاول"، قال هاري. "ما هو عنوان صفحة الويب؟".
"ستكون بحاجة إلى حظ كبير"، قال توركيلدسن بنبرة شخص لم يحظ بالكثير من الحظ.

"لدي شعور بأنني أعرفها"، قال هاري.
مع ظهور الصفحة على شاشته، أدخل هاري كلمة المرور: ليف ياشن . فأبلغ أن كلمة المرور غير صحيحة، فقصرها إلى ياشن ، وولج قائمة الرسائل: ثماني رسائل، ست منها من بتي، وواحدة من رقم في ترونديلاغ، وواحدة من رقم الهاتف المحمول الموجود على بطاقة عمل مادس غيلستراب التي كان هاري يحملها بيده.
ضغط هاري على زر التشغيل، فسمع صوت الشخص الذي رآه قبل أقل من ساعة ميتاً في منزله، عبر مكبرات الصوت البلاستيكية الخاصة بجهاز الكمبيوتر.

وعندما انتهت الرسالة، حصل هاري على الجزء الأخير من الأحجية.
"هل يعرف أحد ما مكان جون كارلسن؟". سأل هاري سكار عبر الهاتف في أثناء نزوله سلّم مقر قيادة الشرطة. "هل بحثتم عنه في شقة روبرت؟".

دخل هاري مستودع التخزين، وقرع الجرس على المنضدة أمامه.
"لقد قرعْتُ الجرس هناك أيضاً"، قال سكار. "لا جواب".
"اذهب وألق نظرة. وإذا لم يفتح أحد الباب ادخل. اتفقنا؟".
"المفاتيح في كريمتكنيسك، ولقد تخطت الساعة الرابعة الآن. تبقى بتي عادة حتى فترة بعد الظهر، ولكن اليوم بسبب ما حدث لهالفورسن...".
"انس أمر المفاتيح"، قال هاري. "خذ معك عتلة".
سمع هاري جرجرة قدمين، ثم دخل رجل يعرج مرتدياً ثياباً زرقاء،

وعلى وجهه مجموعة كبيرة من التجاعيد، ويضع نظارة على طرف أنفه. التقط الطلب الرسمي المكتوب الذي وضعه هاري على الطاولة من دون أن يرمقه بأي نظرة.

"نحتاج إلى طلب من المحكمة؟". قال سكار.

"ليس بالضرورة. إن الطلب الذي حصلنا عليه لا يزال صالحاً، كذب هاري.

"هل هو كذلك؟".

"إذا سألك أحد، فقل إنه طلب مباشر مني، اتفقنا؟".

"اتفقنا".

همهم الرجل الذي يرتدي ثياباً زرقاء، ومن ثم هز رأسه وأعاد الطلب الرسمي المكتوب لهاري.

"أصل بك في وقت لاحق ياسكار. يبدو أننا نواجه مشكلة هنا...".

وضع هاري الهاتف المحمول في جيبه وحدق إلى الرجل مذهولاً.

"لا يمكنك الحصول على المسدس نفسه مرتين يا هول"، قال الرجل.

لم يفهم هاري ما كان كيل آتل أورو يعنيه، ولكنه شعر بوخز حار في مؤخر عنقه. لم تكن هذه هي المرة الأولى التي يشعر فيها بذلك، وعلم أن الكابوس لم ينته بعد. في الواقع، لقد بدأ للتو.

عدلت زوجة غونار هاغن فستانها وخرجت من الحمام، فيما كان زوجها يحاول عقد ربطة عنقه السوداء المناسبة لبذلة السهرة. فوقفت وانتظرت لأنها تعلم أنه سينخر بسبب انزعاجه، وسيطلب منها المساعدة.

عندما اتصلوا به هذا الصباح من مقر قيادة الشرطة ليقولوا له إن جاك هالفورسن قد مات، لم يشعر غونار بالرغبة في الذهاب أو التفكير في أنه سيكون قادراً على الذهاب إلى الحفلة الموسيقية. كانت تعلم أن هذا الأسبوع سيكون فترة اكتئاب، وكانت تتساءل أحياناً عما إذا كان هناك شخص آخر غيرها يعرف مدى تأثير هذه الأحداث في غونار. بأي حال، كان الضابط المُشرف قد طلب من غونار في وقت لاحق من اليوم الظهور في الحفلة الموسيقية لأن اتحاد الرعاية الاجتماعية قرّر الوقوف دقيقة صمت حداداً على هالفورسن، ولا حاجة إلى القول إنه يُفترض بالشرطة أن تكون ممثلة بالضابط الأعلى لهالفورسن. ولكنها لاحظت عدم تطلّعه للذهاب؛ إن الكأبة تغطي جبينه كخوذة ضيقة.

ونخر وانتزع ربطة عنقه منادياً: "ليز!".

"أنا هنا"، قالت بهدوء، وتوجهت إليه، ووقفت وراءه، وبسطت يدها.

"أعطني إيّاها".

رَنّ الهاتف على الطاولة تحت المرأة، فانحنى لالتقاطه. "هاغن".

لقد سمعتُ صوتاً بعيداً في الجانب الآخر من الخط.

"مساء الخير يا هاري"، قال غونار. "لا، أنا في المنزل. سأذهب مع زوجتي الليلة إلى العرض الفنّي في قاعة الحفلات الموسيقية، لذلك عدتُ إلى المنزل باكراً. هل من جديد؟".

وراقبت ليز الخوذة المَجازية الوهمية وهي تضيق أكثر فأكثر فيما كان يُصغي بصمت تام.

"أجل"، قال أخيراً. "سأتصل بالمركز وأضع الجميع في حالة تأهب قصوى. سنُشرك كل شرطي متوافر في عملية البحث. سأقصد الحفلة الموسيقية قريباً، وسأبقى هناك لمدة ساعتين، ولكن هاتفي المحمول سيكون في صيغة الذبذبة طوال الوقت، لذلك ليس عليك سوى الاتصال".
وأنهى المكالمة.

"ماذا هناك؟" سألت ليز.

"إنه أحد مفتشيّ، هاري هول. لقد عاد للتوّ من مستودع التخزين حيث كان يُفترض به الحصول على مسدس بموجب الطلب الرسمي الذي وقّعته له اليوم. إنّه بحاجة إلى مسدس بديل بعد أن فقد مسدسه إثر اقتحام أحدهم شقته. يبدو أن هناك شخصاً آخر قد حصل على المسدس والذخائر في وقت مبكر اليوم بواسطة الطلب الرسمي الأول".

"حسناً، إذاً لم تكن هذه هي النهاية..." قالت ليز.

"أخشى أنها ليست النهاية"، وتنهد غونار هاغن وتابع: "لسوء الحظ، هناك ما هو أسوأ. يشتهه هاري في هويّة الشخص الذي حصل على المسدس، لذلك اتصل بالخبراء الجنائيين وتأكدت شكوكه".

ورأت ليز وجه زوجها يشحب، وقد ملأها ذلك خوفاً. لقد فهم جيداً ما قاله هاري، وسمع نفسه يقول لزوجته: "عيّنة الدماء الخاصة بالرجل الذي أطلقنا عليه النار في منطقة الحاويات تُظهر أنه ليس الرجل الذي انقضّ على هالفورسن، أو الرجل الذي ترك آثار دماء على معطفه، أو ترك شعرة على الوسادة في النُزل. باختصار، إن الرجل الذي أطلقنا عليه النار ليس كريستو ستانكيك. وإذا كان هاري مُحِقاً، فهذا يعني أن كريستو ستانكيك لا يزال حراً طليقاً، ومسلّحاً".

"ولكن، في هذه الحالة... ربما لا يزال يلاحق ذلك الرجل المسكين، ما كان اسمه مرة أخرى؟".

"جون كارلسن. أجل. ولهذا السبب عليّ الاتصال بالمركز لاستنفاً كل شرطي متوافر للبحث عن جون كارلسن وكريستو ستانكيك". وضغط يديه على عينيه كما لو أنهما مصدر الألم. "تلقي هاري اتصالاً من شرطي اقتحم شقة روبرت كارلسن للعثور على جون".

"أجل، وماذا وجد؟".

"يبدو أن صراعاً قد حدث هناك. كانت ملاءات السرير... منتقعة بالدماء ياليز، ولا دلالة على وجود جون كارلسن. وجد فقط مطوأة تحت السرير على نصلها دماء سوداء جافة".

وأبعد يديه عن وجهه، فتمكّنت من رؤية عينيه الحمراءوين في المرأة. "إنه خبر سيئ ياليز".

"أعرف ياغونار، يا حبي. ولكن... ولكن، ولكن، من الشخص الذي أردتيموه بجانب الميناء إذاً؟".

فابتلع غونار هاغن لعابه بصعوبة قبل أن يجيب. "لا نعرف ياليز. كل ما نعرفه هو أنه كان يقيم في الحاوية وفي دمه هيروين". "يا الله! غونار...".

وضغطت على كتفه، وحاولت أن تنظر إليه عبر المرأة.

كانت مارتين إكهوف تبدو جميلة جداً لدرجة أنها خفت أنفاس هاري.

"مرحباً، هل هذا أنت؟". طرحت عليه السؤال بذلك الصوت الجهير الذي سمعه هاري للمرة الأولى عندما التقاها في لايتهاوس. في ذلك الوقت، كانت ترتدي الزي الرسمي، ولكنها الآن تقف أمامه بفستان أسود عادي وأنيق، بدون كُمّين، ويتلألاً كشعرها. وبدت عيناها أكبر حجماً وأكثر قتامة من المعتاد، وبشرتها بيضاء وناعمة وشفافة تقريباً.

"أنا متبرّجة وأرتدي فستاناً أنيقاً"، وضحكت. "انظر". ورفعت يدها بطريقة اعتبرها هاري حركة مَرنة على نحو لا يمكن تخيُّله، كما لو أنها راقصة؛ امتداد لسلسلة متواصلة رشيقة. كانت تحمل بيدها لؤلؤة بيضاء على هيئة دمعة تعكس الضوء الخفيف المنبعث من رصيف الميناء بجانب شقتها، فيما تتدلى اللؤلؤة الأخرى من أُذنها.

"ادخل"، قالت متراجعةً خطوة إلى الوراء ومُفلتةً الباب.

مرّ هاري فوق العتبة وارتمى بين ذراعَيْها. "جيد أنك جئت"، قالت وهي تلامس وجهه بوجهها، وتهمس في أذنه: "كنت أفكر فيك طوال

الوقت".

أغمض هاري عينيه، وضمّها بقوة، وشعر بالدفء ينبعث من جسدها الصغير. إنها المرة الثانية في أقل من يوم التي يقف فيها على هذا النحو غامراً إيّاها بذراعيه. لم يشأ إفلاتها لأنه يعرف أنها ستكون المرة الأخيرة. كانت اللؤلؤة مُسنّدة إلى خدّه تحت إحدى عينيه وهي تبدو كدمعة متجمّدة.

وحرّر نفسه.

"ما الأمر؟" سألت.

"لنجلس"، قال هاري. "علينا أن نتحدّث".

دخلا غرفة الجلوس، وجلست على الأريكة، بينما وقف هاري بجانب النافذة ينظر إلى الشارع في الأسفل.

"هناك شخص جالس في سيارته وينظر إلى هنا"، قال.

فتنهدت مارتين وقالت: "إنه ريكارد. وهو ينتظرنى. سيقلّني إلى قاعة

الحفلات الموسيقية".

"حسناً، هل تعرفين مكان جون يامارتين؟". وركز هاري على انعكاس

وجهها على لوح الزجاج.

"لا"، قالت وهي تنظر إلى عينيه في الزجاج مباشرة. "هل تحاول

القول إنه يُفترض بي معرفة مكانه لسبب معيّن؟ أعني بما أنك تسأل بهذه الطريقة؟". وغابت العذوبة من صوتها.

"لقد اقتحمنا شقة روبرت للتوّ، ونعتقد أن جون كان يستخدمها"، قال

هاري، "وعثرنا على سرير مغطّى بالدم".

"لم أكن أعرف"، قالت مارتين بنبرة متفاجئة بدت صادقة.

"أعلم أنك لم تكوني على علم بذلك"، قال هاري. "يتحقق القسم

الجنائي من فئة الدم الآن. ويمكن القول إنه تمّ تحديدها، وأنا على ثقة تامة بأنني أعرف استنتاجهم".

"أهو دم جون؟". قالت بترقّب وهي مقطوعة الأنفاس.

"لا"، قال هاري. "ولكن، ربما كان هذا ما تأملين فيه؟".

"لماذا تقول ذلك؟".

"لأن جون هو من اغتصبك".

وساد الهدوء الغرفة، فيما حبس هاري أنفاسه كي يسمعها وهي

تحاول التنفس من فمها وتزفر الهواء قبل أن يدخل رئتيها.

"ما الذي يجعلك تظنّ ذلك؟". سألت بأقل رجفة ممكنة في صوتها.

"لأنك قلتِ إن الأمر قد حدث في أوستغارد، ولم يكن هناك عدد كبير من الرجال المختصين حينها، ولكن جون كارلسن يغتصب. الدماء التي وُجِدَت على سرير روبرت تعود لفتاة تدعى صوفيا ميهولدجك. لقد ذهبت إلى شقة روبرت في الليلة الماضية لأن جون كارلسن طلب منها القيام بذلك. وكما هو متَّفَق، دخلت الشقة باستعمال مفتاح أعطاها إيَّاه روبرت- صديقها المفضَّل- في وقت سابق. وبعد أن اغتصبها، قام جون بضربها. قالت إنه غالباً ما يقوم بذلك".

"غالباً؟"

"وفقاً لصوفيا، كانت المرة الأولى التي يغتصبها فيها في العام الماضي بعد ظهر يوم صيفي. حدث ذلك في منزل عائلة ميهولدجك عندما كانت عائلتها في الخارج. لقد ذهب جون إلى هناك بذريعة تفحص الشقة. وبالرغم من كل شيء، إنه عمله، ويندرج في إطار عمله أيضاً اتخاذ قرار في شأن من يُسَمَح له بالبقاء في الشقة".

"أتعني... أنه هددها؟"

فأوما هاري برأسه. "قال إنه سيتم إجلاء العائلة وإرسالها إلى الوطن إذا لم تنفَّذ صوفيا ما يُطلب منها وتحتفظ بما يحصل بينهما سرّاً. كان مصير عائلة ميهولدجك رهناً بتكتمها على جون، وإذعانها. ولم تجرؤ الفتاة المسكينة على القيام بأي شيء آخر. ولكن، عندما أصبحت حاملاً، وجدت نفسها مضطرة إلى طلب مساعدة شخص ما، صديق يمكنها الوثوق به، شخص أكبر سنّاً يمكنه تنظيم عملية إجهاض من دون طرح العديد من الأسئلة".

"روبرت"، قالت مارتين. "يا إلهي! لقد قصدت روبرت".

"أجل. وبالرغم من عدم قولها أي شيء له، فقد ظننت أن روبرت يعرف أن جون هو من اغتصبها. أظن ذلك أيضاً. كان روبرت يعلم أن جون هو من اغتصبها من قَبْل، ألا توافقيني الرأي؟".

لم تُجب مارتين، بل تكوّرت على الأريكة، ووضعت ساقيها تحتها، ولقّت ذراعيها حول كتفيها العاريتين كما لو أنها تشعر بالبرّد أو تريد الاختفاء داخل نفسها.

وعندما شرعت بالكلام أخيراً، كان صوتها منخفضاً جداً لدرجة تمكّن هاري من سماع تكة ساعة مولر.

"كنت في الرابعة عشرة من عمري. عندما كان يقوم بذلك، كنت أستلقي هناك مفكّرةً في أنني لو ركّزتُ وفكرتُ في النجوم فسأتمكن من

رؤيتها".

كان هاري يُصغي إليها في أثناء تكلمها عن اليوم الحارّ في أوستغارد، واللعبة التي مارستها مع روبرت، وعينيّ جون المعنفتين الداكنتين بسبب الغيرة، وعن فتحها باب الحمام الخارجي ورؤيتها جون واقفاً هناك حاملاً مِدية شقيقه، وعن الاغتصاب والألم بعد ذلك عندما تُركت هناك تبكي فيما عاد هو إلى المنزل، وكم كان الأمر غير مفهوم بالنسبة إليها عندما بدأت الطيور تفرق في الخارج.

"ولكن الاغتصاب لم يكن الأسوأ"، قالت مارتين بصوت تخنقه العبرات في حين كانت وجنتاها جافتين. "فالأسوأ هو أن جون كان يعلم أنه لم يكن مضطراً إلى توجيه تهديداته لي لضمان صمتي. فأنا ما كنت لأشي به مطلقاً. كان يعلم أنني أعرف أنني إذا قدّمتُ ملابس الممرّقة دليلاً وصدّقوني، فسيبقى هناك على الدوام ظلّ من الشك في ما يتعلق بالدافع والدّنب بسبب الولاء. هل أكون أنا- ابنة المدير- من سيُجرّ والدّي وكل اتحاد الرعاية الاجتماعية إلى فضيحة مدمّرة؟ طوال تلك السنوات، كلما رأيت جون كان يرمقني بنظرة تقول: أعرف. أعرف كيف كنت ترتعدين من شدة الدّع وتبكين بهدوء بعد ذلك كي لا يسمعك أحد. أعرف، ويمكنني رؤية جُبْنك الصامت كل يوم". وسالت أول دمعة على خدّها. "ولهذا السبب أكرهه كثيراً، ليس بسبب اغتصابه لي؛ فقد كان باستطاعتي مسامحته على ذلك ربما، بل لأنه كان يُظهر لي على الدوام أنه يعرف".

دخل هاري المطبخ، ومزّق منديلاً ورقياً من اللّفاقة، ثم عاد وجلس بجانبها.

"انتبهي إلى تبرّجك"، قال ممرّراً لها المنديل. "رئيس الوزراء وكل ذلك".

فربّبت على وجنتيها بحرص.

"لقد زار ستانكيك أوستغارد"، قال هاري. "هل أنتِ من اصطحبه إلى هناك؟".

"ما الذي تتحدث عنه؟".

"لقد زار المكان".

"لماذا تقول ذلك؟".

"بسبب الرائحة".

"الرائحة؟!".

فأوماً هاري برأسه. "رائحة عذبة كرائحة عطر. عرفتُها في المرة الأولى عندما فتحتُ الباب لستانكيك في شقة جون، وفي المرة الثانية عندما كنت

واقفاً في غرفته في النُّزل، وفي المرة الثالثة عندما استيقظتُ في أوستغارد هذا الصباح. كانت الرائحة صادرة من الملاءة". وأمعن النظر إلى بؤبؤي مارتين الشبيهين بثقب مفتاح. "أين هو يامارتين؟". فوقفت مارتين. "الآن، أعتقد أنه يُفترض بك المغادرة". "أجيبي أولاً".

"لست بحاجة إلى الإجابة عن شيء لم أقم به". كانت قد وصلت إلى باب غرفة الجلوس عندما أدركها هاري. فوقف أمامها وأمسك كتفها قائلاً: "مارتين...". "عليّ الذهاب إلى الحفلة الموسيقية". "لقد قُتل أحد أفضل أصدقائي يامارتين". كان وجهها قريباً وقاسياً عندما أجابت. "ربما لم يكن يُفترض به الوقوف في الطريق".

أبعد هاري يديه عنها كما لو أنهما تحترقان. "لا يمكنكِ السماح بتعرض جون كارلسن للقتل. ماذا عن الصَّفح؟ أليس ذلك جزءاً جوهرياً من العمل الذي تقومين به؟". "أنت من تعتقد أن الناس بإمكانهم أن يتغيروا"، قالت مارتين، "وليس أنا. وأنا لا أعرف مكان ستانكيك".

سمح لها هاري بالذهاب، فدخلت الحمام وأقفلت الباب وراءها، فيما وقف هاري ينتظر. "وأنتِ مُخطئ في شأن عملنا"، نادى مارتين من وراء الباب. "لا يتعلق الأمر بالصَّفح. فنحن نقوم بما يقوم به الجميع. المساعدة، أليس كذلك؟".

بالرغم من البرد، كان ريكارد واقفاً خارج السيارة مُستنداً إلى غطاء المحرك وقد صالب ذراعيه أمام صدره، ولم يبادل هاري إيماءة الرأس في أثناء مروره أمامه.

32 - الاثنين، 22 كانون الأول/ديسمبر. الخروج

إنها السادسة والنصف مساءً، ولكن هناك نشاطاً محموداً في فريق مكافحة الجريمة .

عثر هاري على أولاً لي بجانب جهاز الفاكس، وألقى نظرة سريعة على الورقة الخارجة منه. لقد أرسلها الأنتربول.
"ماذا يجري يا أولاً؟".

"اتصل غونار هاغن وأربك القسم. الكل موجودون هنا. سنلقي القبض على الرجل الذي قتل هالفورسن".

كان هناك تصميم في نبرة لي ، وعلم هاري أنه انعكاس للجوّ السائد في الطابق السادس في ذلك المساء.

دخل هاري مكتبه حيث كان سكار واقفاً وراء الطاولة يتكلم عبر الهاتف بسرعة وبصوت مرتفع.

"يمكننا التسبب بالملزيد من المتاعب لك ولرجالك أكثر مما تتصوّر يا آبي. إذا لم تساعدني وتنزل رجالك إلى الشارع فستصدر قائمتنا للأشخاص المطلوبين. هل أنا واضح؟ إذًا، كرواتي، متوسط الطول...".

"أشقر، شعره قصير"، قال هاري.

فرفع سكار نظره وأوماً له برأسه. "أشقر وشعره قصير. أعد الاتصال بي عندما تتوصل إلى شيء ما".

وأعاد سماعة الهاتف إلى مكانها. "هناك جوّ من التعاون التام في الخارج. كل من يقف على سائقين جاهز للعمل. لم يسبق لي أن رأيت أمراً مماثلاً من قبّل".

"حسنًا"، قال هاري. "ألا يزال جون كارلسن مفقوداً؟".

"لا شيء. كل ما نعرفه هو أن صديقه ثيا تقول إنهما اتفقا على الالتقاء مساء اليوم في قاعة الحفلات الموسيقية. يُفترض بهما الجلوس في مقصورة الشخصيات البارزة".

تحقق هاري من ساعته. "إذًا، لدى ستانكيك ساعة ونصف الساعة ليحاول إتمام مهمّته".

"كيف استنتجت ذلك؟".

"اتصلت بقاعة الحفلات الموسيقية. لقد بيعت كل التذاكر منذ أربعة أسابيع، ولن يسمحوا لأحد بالدخول بدون تذكرة ولا حتى إلى البهو. بكلمات أخرى، ما إن يصبح جون في الداخل حتى يصبح في مأمن. اتصل

وتحقق مما إذا كان توركيلدسن موجوداً في تلينور. وإذا كان كذلك، فاطلب منه تتبّع هاتف كارلسن المحمول. آه، واحرص على أن يكون لدينا عدد كافٍ من رجال الشرطة خارج قاعة الحفلات الموسيقية، مسلّحين ومع أوصاف لستانكيك. ومن ثمّ اتصل بمكتب رئيس الوزراء وأطلعهم على التدابير الأمنية الإضافية".

"أنا!". قال سكار. "مكتب... رئيس الوزراء!".

"قُمْ بذلك"، قال هاري. "أنت رجل بالغ الآن".

من هاتف المكتب، اتصل هاري بأحد الأرقام الستة التي حفظها عن ظهر قلب.

والأرقام الخمسة الأخرى هي: رقم شقيقته، رقم منزل والدَيْه في أوبسال، رقم هاتف هالفورسن المحمول، رقم بيارني مولر الخاص القديم، ورقم إيلين غيلتن المقطوع.

"راكيل تتكلم".

"هذا أنا". وسمع صوت تنفّسها.

"اعتقدتُ ذلك".

"لماذا؟".

"لأنني كنت أفكر فيك". وضحكت. "هكذا تجري الأمور. ألا تعتقد ذلك؟".

فأغمض هاري عينيه. "كنت أتساءل حول إمكانية لقاء أوليغ غداً كما ناقشنا الأمر".

"عظيم!" قالت. "سيكون مسروراً للغاية. هل ستأتي وتصطحبه؟". ولدى ملاحظتها تردّده، أضافت: "نحن بمفردنا".

كان هاري يريد ولا يريد أن يسألها عمّا تعنيه بذلك.

"سأحاول أن أكون موجوداً عند الساعة السادسة"، قال.

وفقاً لكلاوس توركيلدسن، حدّد موقع هاتف جون كارلسن المحمول شرق أوسلو في هوغيراد أو هويبراتن.

"لا يساعدنا ذلك كثيراً"، قال هاري.

وبعد أن ذرع الطوابق جيئةً وذهاباً لمدة ساعة، من مكتب إلى مكتب، للتحقق من كيفية تدبّر الآخرين أمورهم، ارتدى هاري سترته، وقال إنه مغادر إلى قاعة الحفلات الموسيقية.

لقد ركن سيارته في أحد الشوارع الصغيرة المحيطة بمدرّج فيكتوريا. مرّ بجانب وزارة الشؤون الخارجية، ونزل الأدراج العريضة في اتجاه روسلوكفيين،

وانعطف يميناَ إلى قاعة الحفلات الموسيقية.
في الميدان الواسع والمفتوح أمام الواجهة الزجاجية، كان الناس المرتدون ملابس رسمية يسرون بسرعة في درجات الحرارة المنخفضة كثيراً، والتي تقل عن الصفر. وعند المدخل، كان هناك رجلان يرتدي كل منهما معطفاً أسود ويضع سمّاعتي أذنين، بالإضافة إلى ستة رجال شرطة يرتدون زيّهم النظامي ويقلقون نظرات فضولية من مرتادي الحفلة الموسيقية المرتجفين، وغير المعتادين على رؤية شرطة أوصلو مع أسلحة رشاشة.
عرف هاري سيفرت فالكيد الذي كان يرتدي إحدى البذلات النظامية، فتوجّه إليه.

"لم أكن أعرف أنه تمّ اختيار فرقة دلنا لهذه المهمة."
"لم يتمّ اختيارنا"، قال فالكيد. "لقد اتصلتُ بمركز الشرطة وسألتُ عما إذا كان بإمكاننا تقديم المساعدة. كان شريكك، أليس كذلك؟"
فأوماً هاري برأسه، وأخرج علبة سجائر من جيّبه الداخلي، وعرض سيجارة على فالكيد الذي هز رأسه.
"ألم يظهر جون كارلسن بعد؟"

"لا"، قال فالكيد. "وعندما يكون رئيس الوزراء هنا، لن نسمح بدخول أحد مقصورة الشخصيات البارزة". في تلك اللحظة، انعطفت سيارتان سوداوان إلى داخل الميدان. "ها هو".

راقب هاري رئيس الوزراء وهو يخرج ويتم اصطحابه إلى الداخل بسرعة. وعندما فُتح الباب، ألقى هاري نظرة سريعة على لجنة الاستقبال. ورأى ديفيد إكهوف يتسم ابتسامة عريضة، وثيا نيلسن التي ارتسمت على فمها ابتسامة عادية، وكلاهما يرتديان الزي الخاص باتحاد الرعاية الاجتماعية. وأشعل هاري سيجارته.
"تبّاً، الطقس بارد جداً"، قال فالكيد. "لقد فقدتُ شعوري بساقّي وبنصف رأسي".

أنا أحسّدك ، فكّر هاري في سرّه.
بعد أن دخّن نصف السيجارة، قال المفتش بصوت مرتفع: "لن يأتي".
"يبدو الأمر كذلك. سيكون علينا أن نأمل ألا يكون قد عثر على كارلسن".

"أنا أتكلم عن كارلسن. فهو يعلم أن اللعبة قد انتهت".
ألقى فالكيد نظرة سريعة على التحريّ طويل القامة الذي كان يحترمه

كما لو أنه عضو في فريق دلتا، وذلك قبل أن تسري شائعات عن إدمانه على الشراب وصعوبة مِراسه. "عن أي نوع من الألعاب تتكلم؟" سأل. "إنها قصة طويلة. سأدخل. إذا ظهر جون كارلسن اعتقله". "كارلسن!". وبدا فالكيد مذهولاً. "ماذا عن ستانكيك؟". رمى هاري سيجارته على الثلج عند قدميه فأصدرت هسيساً. "أجل"، قال متشدقاً؛ كما لو أنه يوجّه الكلام لنفسه. "ماذا عن ستانكيك؟".

á á á

جلس في الظلام يتحسس بأصابعه المِعطف الذي بسطه على حضنه. كانت موسيقى هادئة تصدر من مكبّرات الصوت، فيما مخروطات ضوءٍ صغيرة منبعثة من المصابيح الكشّافة في السقف تمسح الحاضرين، وافترض أن الغاية من ذلك إحداث رعدة استباقٍ لما سيحدث على خشبة المسرح بعد فترة قصيرة.

بدأت الصفوف أمامه تتحرك مع ظهور مجموعة من عشرة ضيوف تقريباً. حاول عدد قليل من الناس الوقوف، ولكنهم عاودوا الجلوس وهم يهمسون ويتمتمون. في هذا البلد، يبدو أنهم لا يُبدون الاحترام للقادة المنتخبين سياسياً. وتمّ إرشاد المرافقين إلى مقاعد على بُعد ثلاثة صفوف أمامه كانت شاغرة طوال نصف الساعة التي قضاها جالساً ومنتظراً.

رأى رجلاً يرتدي بذلة رسمية، وهناك سلك يمتد من بذلته ليصل إلى إحدى أذنيه. ولكن، لا وجود لرجال شرطة يرتدون زيهم النظامي، ولم يتم استنفار الشرطة في الخارج. في الواقع، كان يتوقع عرضاً أكبر للقوة. بالرغم من كل شيء، كانت مارتين قد أخبرته أن رئيس الوزراء سيحضر الحفلة الموسيقية. ومن جهة ثانية، ما الفرق الذي سيحدثه عدد رجال الشرطة؟ كان خفياً. لا، بل إنه أكثر خفاءً من المعتاد. ألقى نظرة على القاعة مسروراً بنفسه. كم رجلاً مرتدياً بذلة رسمية في القاعة؟ كان باستطاعته تخيل الاضطراب العام الذي سيحصل، والهروب البسيط ولكن الفعال. لقد حضر في اليوم السابق وعثر على طريق مناسب للفرار. وآخر ما قام به قبل دخوله هذا المساء هو التحقق من أن أحداً لم يُقفل النوافذ في حمام الرجال. يمكن دفع النوافذ العادية المغطاة بالجليد إلى الخارج، وهي واسعة ومنخفضة بما يكفي لفرار رجل إلى الخارج من دون مواجهة أي مشاكل. من هناك، سيقفز عن ارتفاع ثلاثة أمتار على إحدى السيارات في الموقف، وستوجه إلى داخل بوابة هاكون، وسيكون بعد السير سريعاً لمدة دقيقتين

وأربعين ثانية على رصيف مقرّ المسرح الوطني حيث يتوقف القطار السريع المتّجه إلى المطار كل عشرين دقيقة. إنه يسعى إلى المغادرة عند الساعة الثامنة وتسع عشرة دقيقة. وقبل مغادرته الحمام، كان قد وضع قرصين مزيّين للرائحة في جيب سترته.

كان عليه إظهار تذكّره مجدداً لدخول القاعة. هز رأسه مبتسماً عندما أشارت السيدة إلى معطفه، وطلبت منه شيئاً ما باللغة النرويجية. وتفحصت تذكّره، ودلّته على مقعده في مقصورة الشخصيات البارزة، وقد تبين له في النهاية أنها مكوّنة من أربعة صفوف عادية وسط القاعة ومطوّقة بشريط أحمر. كانت مارتين قد شرحت له أين سيجلس جون كارلسن وصديقه ثيا.

ووجدهما أخيراً. لقد ألقى نظرة سريعة على ساعته. إنها الثامنة وست دقائق. كانت قاعة الحفلات الموسيقية مظلمة جزئياً، والضوء على المسرح قوياً جداً بالنسبة إليه ليتمكن من تمييز أيّ من الأعضاء، ولكن أحد الوجوه أضيء فجأةً بنور كشاف. فلمح وجهاً شاحباً ومستاءً، ولكن لم يكن لديه أي شك: إنها المرأة التي رآها جالسة على مقعد السيارة الخلفي مع جون كارلسن في غوتربورغاتا.

أمامه، كان يرى أرقام المقاعد بإبهام كما يبدو، ولكن المشكلة حلّت وبات يرى بوضوح جدار الأجساد. فضغط على مقبض المسدس تحت معطفه. كانت هناك ست طلقات نارية في الممشط، وهو سلاح غير مألوف بزناده الأثقل وزناً من زناد المسدس العادي، ولكنه تمرّن عليه طوال اليوم. بعد ذلك، ساد الصمتُ القاعة كما لو أنّه استجابة لإشارة غير مرئية. ظهر رجل يرتدي بذلة رسمية، ورحّب بالجميع كما افترض، وقال شيئاً ما جعل الجميع يقفون. فحذا حذوهم وراقب الناس حوله وهم يطأطئون رؤوسهم بصمت. لا بد أن أحدهم قد توفّي. ومن ثم قال الرجل في الأمام شيئاً ما فجلس الجميع. وأخيراً، فُتحت الستارة.

كان هاري جالساً في إحدى المقصورات، في الظلام، يراقب ارتفاع الستارة. لقد منعته المصابيح من رؤية الحاضرين، ولكنه شعر بوجوده كما لو أنه حيوان ضخم يتنفس.

رفع قائد الفرقة الموسيقية عصاه، وشرع الكورس بإنشاد أغنية كان قد سمعها في قاعة اجتماعات اتحاد الرعاية الاجتماعية.

"عذراً"، سمع صوتاً يُحدّثه، فاستدار ورأى شابة تضع نظارة وسماعتي

أذنين. "ماذا تفعل هنا؟" سألت.

"أنا من الشرطة"، قال هاري.

"وأنا مديرة المسرح، ويجب أن أطلب منك عدم الوقوف هنا؛ فأنت تقف في الطريق".

"أبحث عن مارتين إكهوف"، قال هاري. "قيل لي إنها هنا".

"إنها هناك"، قالت مديرة المسرح، مُشيرةً إلى الكورس. حدّد هاري مكانها. إنها في الخلف على الدَّرَجَة العُلْيَا تُنشد تقريباً بجديّة من يعاني فقدان حب ضائع.

كان ريكارد بجانبها وعلى شفّتيه ابتسامة مغتبطة - بخلافها - وبدا وجهه مختلفاً كثيراً عندما يُنشد؛ فقد اختفت القسوة من وجهه، وظهر تألّق في عينيّه الشابتين كما لو أنهما تعبّران عما يُنشده من صميم قلبه. اندهش هاري عندما لاحظ الأثر الذي تركه الموسيقى العذبة والكلمات في النفوس.

بعد انتهاء الكورس من أداء الأغنية، صُفّق لهم وتوجهوا إلى جانب المسرح، فنظر ريكارد إلى هاري بذهول، ولكنه لم يقل شيئاً. وعندما رآته مارتين، وجّهت نظرها إلى الأسفل وحاولت تجنّبه، ولكن هاري لاحظ ذلك ووقف أمامها.

"سأمنحك فرصة أخيرة يامارتين. رجاءً، لا تهدريها". فأطلقت تنهيدة. "لا أعرف أين هو. لقد أخبرتك".

فأمسك هاري كتفيها وقال لها بهمس أجشّ: "سينتهي أمرك بسبب المساعدة والتحريض. هل تريدين جعله مسروراً؟".

"مسروراً!". وأطلقت شبه ابتسامة. "لن يشعر بأي سرور حيث سيذهب".

"أعرف أن الأمر صعب"، قال هاري، "ولكن، ألا يستحق الأمر القليل من المسامحة؟".

"اصمت"، ونشجت محاولةً بضعف إبعاده.

"لا يزال باستطاعتك إنقاذ جون يامارتين. حينئذٍ، ستكون لديه فرصة أخرى. حينئذٍ، ستكون لديك فرصة أخرى".

"هل يُضايقك يامارتين؟" إنه ريكارد.

ومن دون أن يستدير، كوّر هاري قبضة يده اليمنى واستعدّ فيما كان ينظر إلى عيني مارتين المُغرورقتين بالدموع.

"لا، ياريكارد"، قالت. "لا بأس".

أصغى هاري إلى وَقَع حُطى ريكارد وهي تبتعد فيما كان يراقبها. وشرع أحدهم بالعزف على قيثارة على المسرح. وبعد ذلك، سُمع عزف على البيانو. لقد عرف هاري الأغنية. إنها تلك التي سمعها ليلاً في إغرتورغيت، وبثها الراديو في أوستغارد: أغنية الصباح. لقد بدا له كما لو أن ذلك قد حدث منذ وقت طويل جداً.

"سيموت الاثنان إذا لم تساعدني على إيقاف ما يجري"، قال هاري.
"لماذا تقول ذلك؟".

"لأن جون يعاني من اختلال في الشخصية ويتحكم به غضبه، وستانكيك لا يخاف شيئاً".

"هل تحاول أن تقول لي إنك متلهّف لإنقاذهما لأنك تقوم بعملك؟".
"أجل"، قال هاري. "ولأنني قطعت وعداً لوالدة ستانكيك".
"والدته! هل تحدثت إلى والدته؟".

"أقسمتُ على أنني سأحاول إنقاذ ابنها. وإذا لم أوقف ستانكيك الآن، فستُطلق النار عليه؛ كما حدث في منطقة الحاويات تماماً. صدّقيني".
نظر هاري إلى مارتين، ومن ثم أدار لها ظهره وابتعد. وعندما بلغ الدرج، سمع صوتها وراءه:

"إنه هنا".

فتسّمّر هاري في مكانه. "ماذا؟".

"أعطيتُ ستانكيك تذكرك".

في تلك اللحظة، أُضيئت أنوار المسرح كلّها.

كانت الصور الظليّة لأولئك الموجودين أمامه ظاهرة إزاء شلال الضوء الأبيض المتلألئ. فغاص أكثر فأكثر في كرسيه، ورفع يده ببطء، ووضع الماسورة القصيرة على المقعد أمامه كي يحصل على خط نار واضح في اتجاه ظهر الشخص الجالس إلى يسار ثيا، والمرتدي بذلة سهرة. سيتوجب عليه إطلاق النار مرتين، ومن ثم الوقوف وإطلاق رصاصة ثالثة إذا اقتضى الأمر ذلك، علماً أنه يعرف أن الأمر لن يقتضي ذلك.

كان الزناد يبدو أخف من ذي قَبْل، ولكنه يعرف أنه أثر الأدرينالين. بالرغم من ذلك، لم يَعد خائفاً. ضغط أكثر فأكثر، وبلغ مرحلة عدم وجود أي مقاومة، ولم يعد يفصل الزناد عن الإطباق على كبسولة الطلق الناري سوى نصف مليمتراً، ولن يعود بإمكانه التراجع، فعندها سيصبح خاضعاً لقوانين آلية المسدس وشطحاته التي لا ترحم.

والتفت الرأس الذي سيتلقى الرصاصة قريباً نحو ثيا وقال شيئاً ما. في تلك اللحظة، سجّل دماغه ملاحظتين. من الغريب أن يكون جون كارلسن مرتدياً بذلة سهرة وليس الزي الخاص باتحاد الرعاية الاجتماعية، والمسافة الماديّة بين ثيا وجون ليست منطقية. ففي قاعةٍ للحفلات الموسيقية حيث تعزف الموسيقى بصوت مرتفع، يكون العاشقان قريبين من بعضهما كثيراً عادةً.

وحاول عقله عكس قطار الأحداث الذي كان قد حرّكه، والتفت إصبعة على الرّناد. وسمع دويّ مرتفع.

á á á

كان الصوت مرتفعاً جداً لدرجة أن هاري شعر بأن الصوت دوي في أذنيه من المكان الذي يقف فيه. "ماذا!؟!" صاح موجّهاً كلامه إلى مارتين بصوت يطغى على صوت هجوم الطبل المفاجئ وصوت الصّنج الصاخب. "إنه جالس الآن في الصف 19، وراء جون ورئيس الوزراء بثلاثة صفوف، المقعد 25، في الوسط." وحاولت الابتسام، ولكن شفّتها كانتا ترتجفان كثيراً. "حصلتُ لك على أفضل مقعد في القاعة ياهول." نظر هاري إليها، ومن ثم شرع بالركض.

كان جون كارلسن يحاول تحريك ساقيه على رصيف ركاب محطة قطارات أوصلو المركزية كما لو أنهما عصوان. ولكنه لم يكن يوماً عداءً سريعاً. أطلقت الأبواب الأوتوماتيكية تنهيدات مطوّلة، ثم أغلقت مجدداً، فانطلق القطار السريع الفضي المتلألئ متّجهاً إلى المطار لدى وصول جون. تأوّه، ووضع حقيبة ملابسه على الأرض، ثم ارتقى على أحد المقاعد الموجودة على الرصيف. لقد احتفظ بالحقيبة السوداء في حضنه. كان عليه الانتظار عشر دقائق ريثما يصل القطار التالي. لا مشكلة، لديه الكثير من الوقت، لا بل الكثير الكثير من الوقت لدرجة تمنّيه لو كان لديه وقت أقل بقليل. وحدّق عبر النّفق حيث من المتوقع أن ينبثق القطار التالي. عندما غادرت صوفيا شقة روبرت، واستغرق أخيراً في النوم قبيل الصباح، شاهد كابوساً؛ كابوساً سيئاً تسمّر فيه خوفاً من عين رانهيلد. وتحقق من ساعته.

لا بد أن تكون الحفلة الموسيقية قد بدأت الآن، وثيا المسكينة تجلس

هناك من دونه وهي لا تعرف شيئاً، كما أن الآخرين لا يعرفون شيئاً عن تلك المسألة. نفخ جون على يديه، ولكن درجات الحرارة الباردة بردت الهواء الرطب بسرعة لدرجة أن يديه أصبحتا أكثر برودة. كان يجب أن تجري الأمور على هذا النحو، ولا طريقة أخرى للقيام بذلك. فقد خرج كل شيء عن السيطرة، ولم يعد باستطاعته المجازفة بالبقاء لمدة أطول.

إنه خطؤه. لقد فقد السيطرة على نفسه مع صوفيا في الليلة السابقة، وكان يُفترض به توقُّع الأمر قبل حدوثه. فما أثار جنونه هو كيفية خضوع صوفيا للأمر برمته من دون أن تقول أي كلمة، أو تُصدر أي صوت، بل راقبته بتلك النظرة المحدقة الانطوائية نفسها كحَمَل أبكم يُقدِّم أضحية. ومن ثم ضربها على وجهها بقبضة يده المكورة، ثم ضربها مجدداً... غبيّ. وأدار رأسها في اتجاه الجدار كي لا يراها. ولكن الأوان فات على الندم الآن، فعندما نظر إليها قبل أن تغادر، أدرك أنه لن يكون بإمكانها هذه المرة اختلاق أعذار؛ كالاصطدام بباب أو الانزلاق على الجليد. ويتمثل السبب الثاني لاضطراره إلى الفرار بالاتصال الهاتفي الساكن الذي تلقاه في اليوم السابق. كان قد تحقق من مصدره ووجد أنه من فندق في زغرب، هوتيل إنترناشونال. لم يكن يملك أي فكرة عن كيفية حصولهم على رقم هاتفه المحمول؛ فهو لم يكن مسجلاً في أي مكان. ولكن، لديه إحساس مُسبق بما يعنيه ذلك: بالرغم من موت روبرت، لا يزال لديهم عمل غير مُنجز. لم يكن هذا ما خطَّط له، ولم يتمكن من فهم الأمر. ربما سيرسلون رجلاً آخر إلى أوصلو لإنجاز المهمة. عليه النجاة بنفسه مهما حدث.

إن تذكرة السفر جواً التي كان قد اشتراها بسرعة يائسة توصله إلى بانكوك عبر أمستردام، وهي باسم روبرت كارلسن؛ كتلك التي اشتراها في تشرين الأول/أكتوبر. والآن - كما في السابق - لديه في جيبه الداخلي جواز سفر شقيقه عندما كان في العاشرة من عمره. ولا يمكن لأحد دحض الشبه بينه وبين الشخص الذي يظهر في الصورة. فكل مسؤولي جوازات السفر مدركون أن الشخص يتغيّر من نواحٍ كثيرة عندما يتخطى العاشرة من عمره. بعد شرائه التذكرة، كان قد توجه إلى غوتربورغاتا لتوضيب حقيبة ملبسه. كانت لا تزال هناك عشر ساعات قبل موعد انطلاق طائرته وتواريه عن الأنظار. لذلك، قصد إحدى شقق اتحاد الرعاية الاجتماعية المفروشة جزئياً في هوغيراد والتي يحتفظ بمفتاحها. كانت الشقة فارغة طوال عامين، ولكنها تحتوي بالرغم من مشاكل الرطوبة على أريكة، وكرسيّ

تخرج الحشوة من ظهره، وسرير ذي ملاءة مبقّعة. إنه المكان الذي كان يطلب من صوفيا الحضور إليه كل يوم خميس عند السادسة مساءً. وفي كل تلك الأوقات، كان يفكر في مارتين باستمرار. فالأمر أشبه بجوع لم يُشبعه إلا مرة واحدة؛ ذاك الاكتفاء الذي دأب بالبحث عنه مذاك الحين، وعثر عليه مع الفتاة الكرواتيّة البالغة من العمر خمسة عشر عاماً. ومن ثم، زاره روبرت الغاضب ذات يوم خريفي، وقال له إن صوفيا باتت تأتمنه على أسرارها. فغضب جون كثيراً لدرجة فقدانه السيطرة على نفسه.

كان الأمر... مُذلاًّ جداً؛ تماماً كما شعر حين ضربه والده بحزامه في سن الثالثة عشرة.

وعندما هدّده روبرت بإطلاع المدير على الأمر إذا نظر إلى صوفيا مرة أخرى، أدرك جون الخيار الوحيد المتبقي لديه؛ ولم يكن الكفّ عن لقاء صوفيا بالتأكيد. فما لم يكن روبرت ورائه ووثياً يفهمونه هو أنه يجب عليه الحصول عليها كي يحقق الاكتفاء الحقيقي. فبعد بضع سنوات، ستُصبح صوفيا كبيرة جداً، وسيتعيّن عليه العثور على شخص آخر. ولكنها ستكون أميرته الصغيرة حتى ذلك الحين، ونور روحه؛ تماماً كما كانت مارتين في تلك المرة في أوستغارد.

وصل المزيد من الناس إلى رصيف الركاب. لن يحدث شيء ربما. ربما عليه الانتظار بعيداً لمدة أسبوعين ومن ثم العودة إلى ثيا. أخرج هاتفه المحمول وكتب رسالة لها. والدي مريض، أنا مسافر إلى بانكوك الليلة، سأتصل بك غداً.

ضغط على زر الإرسال، ثم ربّت على الحقيبة السوداء. خمسة ملايين كرون بالدولار. سيكون والدي سعيداً جداً لتمكّنه من تسديد الدّين والتحرر أخيراً.

وحّدق داخل النّفق، إلى تجويف العين الأسود. إنها الثامنة وثمانية عشرة دقيقة. أين القطار؟

أين جون كارلسون؟ تفرّس بصفوف الأشخاص أمامه، مُنزلاًّ المسدس ببطء. كانت إصبعة قد أطاعته وأرخت الضغط على الزّناد. لن يعرف أبداً كم كان الأمر وشيكاً، ولكنه يعرف هذا الأمر الآن: جون كارلسن ليس موجوداً. لم يأت. هذا هو سبب حيرتهم عندما كانوا يجلسون في أماكنهم. أصبحت الموسيقى أكثر هدوءاً، وراحت المضارب تتحرك بخفة وسرعة

على الطبول، وتباطأ العزف على القيثارة.

رأى ستانكيك صديقة جون كارلسن وقد أخفضت رأسها وكتفها وتحركان كما لو أنها تبحث عن شيء ما في حقيبتها. جلست من دون حراك لثوانٍ قليلة ورأسها منحني، ومن ثم وقفت، وتبعها بعينيه فيما كانت تقوم بحركات تدلّ على نفاذ صبرها في أثناء مرورها على امتداد صف الناس الواقفين لإفساح الطريق لها. لقد عرف ما يتعيّن عليه القيام به. "عُذراً"، قال ونهض. لم يلاحظ نظرات الناس الواقفين المحمّلة إليه بجهد متكلّف وهم ينتهدون بانزعاج؛ فكل ما كان يهتم به هو فرصته الأخيرة للعثور على جون كارلسن قبل أن تختفي ثيا خارج القاعة.

لدى خروجه إلى الرّدهة، توقف وسمع انغلاق باب القاعة المنزلق مع تلاشي الموسيقى. لم تتعد المرأة كثيراً؛ إذ كانت واقفة بجانب عمود وسط الرّدهة وهي تكتب رسالة. كما كان هناك رجلان يرتديان بذلتين ويقفان بجانب المدخل الآخر للقاعة متحدّثين، وخادمان لغرفة الملابس يجلسان وراء المنضدة ويحدّقان بعيداً بشُرود. تحقق من أن المعطف المعلق على ذراعه لا يزال يُخفي المسدس. وكان على وشك الاقتراب منها عندما سمع صوت ركض إلى يمينه، فاستدار في الوقت المناسب، ورأى شخصاً طويل القامة وأحمر الخدّين يهجم عليه. إنه هاري هول. كان يعرف أن الأوان قد فات؛ فالمعطف يقف عائقاً في الطريق، ولم يكن قادراً على تسديد طلقة خالية من العقبات. تمايل نحو الوراء مع اصطدام يد الشرطي بكتفه، وراقب بذهول إمساك هول مقبض باب القاعة، وفتحه بقوة، وتواريه عن الأنظار.

أسند ظهره إلى الجدار ووراءه، وأطبق عينيه بشدة، ثمّ قوّم وقفته بعد ذلك. رأى المرأة تجوب المكان ذهاباً وإياباً واضعةً الهاتف على أذنها، وعلى وجهها أمارات اليأس، فسار نحوها، ووقف أمامها وجهاً لوجه، وسحب المعطف إلى جانب واحد كي تتمكن من رؤية المسدس، وقال بصوت بطيء وواضح: "رجاءً، رافقيني وإلا سيتوجب عليّ قتلك".

كان باستطاعته رؤية عينيها وهما تغدوان قائمتي اللون مع اتساع حجم بؤبؤي عينيها بسبب الدُّعر، وأسقطت الهاتف المحمول من يدها.

سقط الهاتف واصطدم بسكة الحديد مصدراً صوتاً مكتوماً، ونظر جون إلى الهاتف الذي واصل الرنين. لقد اعتقد للحظة من الزمن، وقبل أن يتحقق من أن ثيا هي المتصلة، أن الشخص الذي اتصل به في الليلة السابقة والذي لا صوت له يتصل به مجدداً. لم يقل أي كلمة، ولكن لا

بد من أن يكون المتصل امرأة، وقد بات واثقاً من ذلك. إنها هي؛ إنها رانهيلد. توقف! ماذا يجري؟ هل يفقد صوابه؟ ركز على تنفّسه. لا يجب عليه فقدان السيطرة على نفسه الآن.

تمسّك بالحقيبة السوداء مع انزلاق القطار إلى داخل المحطة. فتحت أبواب القطار، فصعد إليه، ووضع الحقيبة السوداء وحقيبة ملبسه في مقصورة الأمتعة، وعثر على مقعد فارغ. كانت هناك فجوة في صف المقاعد كما لو أنّها سنّ مفقودة. تفحص هاري الوجوه على جانبي المقعد الفارغ، ولكنّ الركاب كانوا مُسّنين جداً، أو شبّاناً جداً، أو نساء. لذا، ركض إلى المقعد الأول في الصف 19، وجثم بجانب الرجل المُسنّ أبيض الشعر الجالس هناك.

"الشرطة. نحن...".

"ماذا؟". صاح الرجل واضعاً يده وراء أُذنه.

"الشرطة"، قال هاري بصوت أكثر ارتفاعاً هذه المرة. وفي أحد الصفوف أمامه، لاحظ رجلاً يضع سماعة في أُذنه ويتحدث إلى طيّبة سترته. "نحن نبحث عن شخص كان يُفترض به أن يكون جالساً وسط هذا الصف. هل رأيت أحداً يغادر أو...".

"ماذا؟".

وانحنت سيّدة مُسنّة من الواضح أنّها رفيقته هذا المساء. "لقد غادر للتوّ. غادر القاعة في أثناء العرض الفني...". قالت الجملة الأخيرة بطريقة توحى بأنّها تفترض أنّ هذا هو السبب في رغبة الشرطة في التحدث إليه. ركض هاري في الممر، وفتح الباب بقوة، واندفع عبر الرّدهة، ونزل السلم في اتجاه الأبواب الأمامية. ورأى ظهر رجل يرتدي بذلة نظامية في الخارج، فصاح من حيث يقف على السلم. "فالكيد!".

والتفت سيفرت فالكيد نحو الورا فرأى هاري، وفتح الباب.

"هل خرج رجل ما من هنا؟".

فهز فالكيد رأسه.

"ستانكيك في المبنى"، قال هاري. "أطلق جهاز الإنذار".

فأوما فالكيد برأسه ورفع طيّبة سترته.

عاد هاري إلى الرّدهة بسرعة، ورأى هاتفاً محمولاً صغيراً أحمر على الأرض، فسأل النساء في غرفة الملابس عما إذا كنّ قد رأين شخصاً يغادر القاعة. فنظرت إحداهنّ إلى الأخرى، وأجبنّ معاً بالنفي. وسأل عما إذا

كانت هناك مخارج أخرى تؤدي إلى الأبواب الأمامية باستثناء المخرج عبر الدّرج.

"مخرج الطوارئ"، اقترحت إحداهنّ.

"أجل، ولكن الأبواب تُحدث صوتاً قوياً عندما تُغلق لدرجة أنه كان باستطاعتنا سماعه لو غادر من هناك"، قالت المرأة الأخرى.

وقف هاري بجانب باب القاعة معانياً الرّدهة من اليسار واليمين في أثناء محاولته اكتشاف مسالك ممكنة للفرار. هل كان ستانليك هنا حقاً؟ هل أخبرته مارتين بالحقيقة هذه المرة؟ في تلك اللحظة بالذات، علم أنها قالت الحقيقة. فقد كانت هناك تلك الرائحة العذبة في الجوّ مرة أخرى. إنه الرجل الذي كان واقفاً في طريق هاري عندما وصل. وعرف على الفور المكان الذي لا بد أن يكون ستانليك قد فرّ منه.

فتح هاري باب حمّام الرجال بقوة، فقبول بعصفة ريح باردة كالثلج تهبّ من النافذة المفتوحة في الجانب البعيد. قصد النافذة، ونظر إلى الإفريز والسيارة المركونة تحته، ثم ضرب حافة النافذة بقبضة يده. "تبّاً، تبّاً، تبّاً".

وصدر صوت من إحدى حُجيرات الحمّام.

"مرحباً!". صاح هاري. "هل يوجد أحد في الداخل هناك؟".

لقد جاءت الإجابة تدفقاً لماء المرحاض.

وسُمع ذلك الصوت مجدّداً؛ نشيج من نوع ما. ألقى هاري نظرة على أقفال أبواب الحُجيرات، ووجد أن أحدها أحمر؛ مما يعني أن هناك من يشغل إحداها. ارتقى على معدته، ورأى قدمين تنتعلان حذاء رياضياً خفيفاً. "الشرطة"، صاح هاري. "هل أنتِ مصابة؟".

وتوقف النشيج. "هل رحل؟". سأل صوت امرأة مرتعد.

"من؟".

"قال إن عليّ البقاء هنا لمدة خمس عشرة دقيقة".

"لقد رحل".

فُفتح باب الحُجيرة. كانت ثيا نيلسن جالسة على الأرض بين المرحاض والجدار، ومستحضرات التجميل تسيل على وجهها.

"قال إنه سيقتلني إذا لم أكشف له عن مكان جون"، قالت باكية كما لو أنها تعتذر.

"وبِم أخبرته؟". سألتها هاري وهو يساعدها على الجلوس على غطاء المرحاض.

فطرفت عينيها مرتين.

"ثيا، ماذا قلت له؟"

"وجه لي جون رسالة نصية"، قالت وهي تُحدّق إلى جدران الحمام من دون تركيز. "والده مريض كما قال، وسيطير إلى بانكوك الليلة. تخيل، هذا المساء من بين كل الأمسيات".

"بانكوك! هل أخبرت ستانكك؟"

"كان يُفترض بنا أن نلتقي رئيس الوزراء هذا المساء"، قالت ثيا فيما كانت دموعها تسيل على خدّها. "حتى إنه لم يردّ على اتصالي، هذا... هذا...".

"ثيا، هل قلت له إن جون سيستقلّ الطائرة هذا المساء؟"

فأومأت برأسها كمن يسير وهو نائم، وكما لو أن لا علاقة لها بكل ما يجري.

نهض هاري ودخل الردهة بخطوات واسعة، حيث كانت مارتين وريكارد واقفين ويتحدثان إلى رجل عرف هاري أنه أحد حراس رئيس الوزراء الشخصيين.

"أطفئوا جهاز الإنذار"، صاح هاري. "لم يعد ستانكك في المبنى".
والتفت ثلاثتهم إليه.

"ريكارد، شقيقتك جالسة هناك في الداخل. هل يمكنك الاعتناء بها؟
ومارتين، هل يمكنك مرافقتي؟"

ومن دون أن يسمع جوابها، أمسك هاري ذراعها، فاضطرت إلى الهولة للحاق به على الدرج في اتجاه المخرج.

"أين نحن ذاهبان؟" سألت.

"إلى مطار غاردموين".

"وماذا ستفعل بي هناك؟"

"ستكونين عينيّ يا عزيزتي مارتين. ستبحثين عن الرجل الخفيّ من أجلي".

تفرّس بتعابير وجهه المنعكسة على زجاج نافذة القطار. تأمل الجبين والأنف والخدين والفم والدّقن والعينين ملياً، وحاول أن يعرف مكمّن السرّ، ولكنه لم يتمكن من رؤية أي شيء مميّز فوق منديل العنق الأحمر؛ باستثناء وجه خالٍ من أي تعبير، وعينين سوداوين، وشعر أسود كالليل في الخارج، فيما كان القطار ينتقل من محطة قطارات أوصلو المركزية إلى

ليستروم.

33 - الاثنين، 22 كانون الأول/ديسمبر. اليوم الأقصر

تطلب الأمر دقيقتين وثمانين وثلاثين ثانية بالتحديد ريثما قام هاري ومارتين باجتياز المسافة الفاصلة بين قاعة الحفلات الموسيقية ورصيف الركاب في محطة قطارات المسرح الوطني حيث صعدا- بعد دقيقتين- على متن قطار ينتقل بين المدن، ويتوقف عند محطة قطارات أوسلو المركزية ومطار غاردموين في طريقه إلى ليلهامر. صحيح أنه قطار بطيء ولكنه يبقى أسرع من انتظار القطار السريع التالي المتوجه إلى المطار. وارتميا على مقعدين شاغرين في مقصورة مليئة بجنود متوجهين إلى منازلهم لقضاء الإجازة، وزُمر طلاب.

"ماذا يجري؟". سألت مارتين.

"جون يلوذ بالفرار"، قال هاري.

"هل يعرف أن ستانكيك على قيد الحياة؟".

"إنه لا يفرّ من ستانكيك بل منا. فهو يعرف أن أمره قد افْتُضح".

واتسعت عينا مارتين. "ماذا تعني؟".

"أكاد لا أعرف من أين أبدأ".

دخل القطار محطة قطارات أوسلو المركزية. فنظر هاري شزراً إلى

الركاب على الرصيف، ولكنه لم يرَ جون كارلسن بينهم.

"بدأ كل شيء عندما عرضت رانهيلد غيلستراب على جون مليوني

كرون ليساعد غيلستراب على شراء بعض ممتلكات اتحاد الرعاية الاجتماعية"،

قال هاري. "فخذلها لأنه لم يكن مقتنعاً بقدرتها على كتمان السرّ، بل

تخطاها وتحدّث إلى مادس وألبرت غيلستراب مباشرة. لقد طلب خمسة

ملايين، وطلب منهما عدم إطلاع رانهيلد على الصفقة فوافقا".

فغرت مارتين فمها. "كيف عرفت ذلك؟".

"بعد وفاة رانهيلد انهار مادس غيلستراب تقريباً، وقرر الكشف عن

الأمر برّمته. لذلك، اتصل بالشرطة على رقم هاتف موجود على بطاقة عمل

هالفورسن. لم يُجب هالفورسن على اتصاله، فترك مادس اعترافه على البريد

الصوتي. ولقد سمعتُ الرسالة قبل ساعات قليلة. ومن بين أمور أخرى، قال

إن جون قد طالب باتفاق خطّي".

"يحب جون أن تكون الأمور مُتقّنة ومرتبّة"، تمتمت مارتين. انطلق

القطار من المحطة، مروراً بفيلا فال التابعة لمدير محطة القطارات، ومتّجهاً

نحو المنظر الطبيعي الرمادي لشرق أوسلو المكوّن من باحات خلفية مع

دراجات محطّمة، وحبّال غسيل عارية، ونوافذ مكسوّة بسُخام أسود.
"ولكن، ما علاقة هذا الأمر بستانكيك؟" سألت. "من الذي عقد
الصفقة؟ أهو مادس غيلستراب؟"
"لا".

وسُحبا إلى داخل فراغ النَّفق الأسود، وكاد صوتها ألا يكون مسموعاً
في الظلام بسبب جلجلة القطار فوق السكة. "هل هو ريكارد؟ قل إنه
ليس ريكارد...".
"لماذا تظنين أنه ريكارد؟".

"في الليلة التي اعتدى فيها جون عليّ، وجدني ريكارد في الحمام. قلتُ
له إن قدمي قد زلّت في الظلام، ولكنه لم يصدّقني كما بدا لي. ساعدني
على الوصول إلى السرير من دون إيقاظ أيّ من الفتيات الأخريات. وبالرغم
من عدم قوله شيئاً، كان ينتابني على الدوام شعور بأنه رأى جون وعلم
بما حدث".

"حسناً، قال هاري. "لهذا السبب يحميك إلى هذه الدرجة. يبدو أنك
تروقين لريكارد، وهو صادق في ذلك".
فأومأت برأسها. "أفترض أنني لهذا السبب..." استهلت كلامها، ومن ثم
صمتت.

"أجل؟".

"لا أريده زوجاً لي".

"في تلك الحالة، يمكن التسليم بصحة رغبتك". وتحقق هاري من
ساعته؛ بقيت أمامهما خمس عشرة دقيقة حتى يصلا.
قالت مارتين ونظرة خوف مرتسمة على وجهها: "هل... تعتقد...".
"ماذا؟".

"هل تعتقد أن والدي يعرف شيئاً عن الاعتداء؟ وأنه هو من...".
"لا، لا علاقة لوالدك بأيّ من هذه الأمور. الشخص الذي عقد الصفقة
لصالح جون كارلسن...".
وخرجا من النَّفق؛ وكانت السماء سوداء ومرصّعة بالنجوم فوق حقول
بيضاء متألّقة.
"... هو جون كارلسن".

دخل جون قاعة المغادرين الواسعة. لقد سبق له أن زار المكان،
ولكنه لم يرَ هذا العدد من الناس من قبل قطّ. فضجيج الأصوات والأقدام

والإعلانات يرتفع حتى يصل إلى السقف المقبَّب الذي يُقارب ارتفاعه ارتفاع البرج. إنه صوت مثير للأعصاب؛ خليط من لغات وآراء لم يفهمها. بعضهم عائدون إلى الوطن، والآخرون راحلون. التفت صفوف غير متحركة تمتد حتى تصل إلى منضدات تسجيل الأسماء كتحابين بوا مُتخمة بين الحواجز. خذ نفساً عميقاً، قال لنفسه. هناك الكثير من الوقت. هم لا يعرفون شيئاً. ليس بعد. وربما لن يعرفوا أبداً. ووقف وراء سيدة مُسنّة، وانحنى لمساعدتها على تحريك حقيبة ملابسها مع تقدّم الصف العشرين سنمتراً. وعندما استدارت مع ابتسامة امتنان، وجد أن بشرتها لم تكن سوى نسيج رقيق وشاحب كالأموات ممدود فوق جمجمة عجفاء. فبادلها الابتسامة، وأشاحت بنظرها أخيراً.

بعد نقله إلى المستشفى ومعرفته أن الشرطة تفتش شقته، أدرك أنهم قد يعثرون على العقد الموقَّع مع غيلستراب إينفست في مكتبه؛ ذلك الموقَّع من قبل ألبرت ومادس غيلستراب، والذي ينص على أن جون سيتلقّى خمسة ملايين كرون إذا دعم مجلس إدارة اتحاد الرعاية الاجتماعية العرض. وبعد أن تمّ اصطحابه إلى شقة روبرت، توجه إلى غوتربورغاتا لإحضار العقد. ولكن، عندما وصل اكتشف وجود شخص ما؛ رانهيلد. لم تسمعه حين دخل بسبب صوت المكنسة الكهربائية المرتفع. كانت جالسة تقرأ العقد. لقد رأّت خطاياهم وستقوم بإذلاله وتدميره وإخبار الجميع. لا يجب أن ترى. اقتلعتُ عينيها، قال في سرّه، ولكنها ظلت تزعم .

"لا يرفض المتسوّلون الإحسان"، قال هاري. "ذلك من صميم طبيعة الأمور. هذا ما صدمني في زغرب بكل معنى الكلمة؛ قطعة نقود معدنية من فئة عشرين كروناً تُرمى في وجهي. وفيما كنت أراقبها وهي تغزل على الأرض، تذكرتُ أن وحدة مسرح الجريمة عثرت على قطعة نقود معدنية مطمورة في الثلج خارج المتجر عند الزاوية في غوتربورغاتا. لقد ربطوها على الفور بستانكيك الذي فرّ من تلك الناحية في أثناء استلقاء هالفورسن في الشارع وهو ينزف. أنا أميل إلى التشكك، ولكنني عندما رأيت قطعة النقود المعدنية هذه في زغرب، بدا لي الأمر كما لو أن سلطة أعلى تريدني أن أعي أمراً ما. فعندما التقيتُ جون للمرة الأولى، رمى متسوّل قطعة نقود معدنية عليه. أتذكّر ذلك لأنني تفاجأت من رفض متسوّل الإحسان. أمس، تتبعتُ المتسوّل إلى مكتبة ديشمانسك، وعرضتُ عليه قطعة النقود المعدنية التي عثرت عليها وحدة مسرح الجريمة، فأكد لي أنه رمى في

وجه جون قطعة نقود معدنية مشابهة، وربما تكون هي نفسها قطعة النقود التي رماها. وقد قال لي حينها: أجل، ربما تكون هي نفسها".
"إذًا، لا بد أن يكون جون قد زار كرواتيا في مرحلة ما. وهذا ليس أمراً غير قانوني كما أفترض، أليس كذلك؟".

"لا، البتة. ولكنه قال لي إنه لم يسافر إلى الخارج في حياته، باستثناء سفره إلى الدانمارك والسويد. لقد تحققتُ من مكتب جوازات السفر، ولم يتم إصدار أي جواز سفر باسم جون كارلسن. ومع ذلك، أُصدر جواز سفر باسم روبرت كارلسن منذ عشر سنوات تقريباً".

"ربما حصل جون على قطعة النقود المعدنية من روبرت؟".
"أنتِ مُحِقَّة"، قال هاري. "لا تُثبت قطعة النقود المعدنية شيئاً، ولكن هذا الأمر يحمل عقلاً بليداً كعقلي على التفكير قليلاً. ماذا لو لم يسافر روبرت إلى زغرب قط؟ ماذا لو كان جون هو من سافر؟ يملك جون مفاتيح كل شقق اتحاد الرعاية الاجتماعية المؤجَّرة، بما فيها شقة روبرت. ماذا لو استعار جواز سفر روبرت، وسافر إلى زغرب منتحلاً اسمه، وادَّعى أنه روبرت كارلسن عندما نظَّم الهجوم على جون كارلسن؟ في حين أنه في الواقع ينوي قتل روبرت".

عَضَّتْ مارتين على ظفرها وهي مستغرقة في التفكير. "ولكن، لو كان جون يريد قتل روبرت، فلماذا سيوجِّه الطلب باسمه؟".

"ليمنح نفسه العُذر المثالي. فإن اعتُقِل ستانكيك واعترف، فلن يتم الاشتباه به أبداً. كان هو الضحية المقصودة، أليس كذلك؟ ويُعتبر تبادل جون وروبرت نوبات العمل في ذلك اليوم من بين كل الأيام أمراً مقدَّراً. كان ستانكيك يتَّبَع التعليمات فحسب. وعندما يكتشف ستانكيك وزغرب في وقت لاحق أنّ من قُتِل هو زبونهم، فلن يكون لديهم سبب للالتزام ببندو العقد. فرغم كل شيء، لا وجود لمن يدفع الفاتورة. في الواقع، كان ذلك جزءاً من عبقرية الخطة. كان باستطاعة جون أن يعد زغرب بتسديد المبلغ المالي الذي يريدونه بعد تنفيذ المهمة لأنه لن يكون هناك عنوان لإرسال الفاتورة. فالشخص الوحيد الذي يستطيع دَحْض وجود روبرت في زغرب في ذلك اليوم، أو من يملك حجة غياب ربما عندما تمّ توقيع العقد - روبرت كارلسن - كان مَيْتاً. فالخطة أشبه بحلقة منطقية ناجحة، مع وجود ثعبان يأكل نفسه، وتدميرٍ ذاتي لكل ما يتبقى بعد ذلك لضمان عدم وجود أي خيوط".

"رجل العادات المنظمة"، قالت مارتين. "ولكن، لماذا؟ لماذا أراد أن

يقتل روبرت؟".

"لأن روبرت يشكل تهديداً له. فوفقاً للسيدة رو، هدد روبرت جون بتدميره إذا دنا من امرأة معينة مرة أخرى. أول ما تبادر إلى ذهني هو أنهما يتحدثان عن ثيا. ولكنك كنت مُحِقَّة عندما قلت إن روبرت لم يكن يَكُنُّ لها أي مشاعر خاصة. لقد ادَّعى جون أن روبرت مهووس بثيا على نحو مَرَضِيٍّ، لكي يبدو الأمر كما لو أن روبرت يملك دافعاً لقتل جون. ولكن التهديد الذي أطلقه روبرت كان يتعلَّق بصوفيا ميهولدجك؛ فتاة كرواتية في الخامسة عشرة من عمرها أطلعتني للتو على كل شيء: كيف أرغمها جون على إقامة علاقة معه في مناسبات منتظمة؛ قائلاً إنه سيُطرد عائلتها من الشقة، وسيُرميهم خارج البلد إذا أبدت أي مقاومة أو أخبرت أحداً. ولكن، عندما أصبحت حاملاً، قصدت روبرت الذي ساعدها ووعددها بإيقاف جون عند حدّه. لسوء الحظ، لم يذهب روبرت إلى الشرطة مباشرةً أو إلى المسؤولين في اتحاد الرعاية الاجتماعية. لا بد أنه اعتبر الأمر شأنًا عائلياً، وأراد حل المسألة ضمن المنظمة. أستنتج وجود تقليد مماثل في اتحاد الرعاية الاجتماعية".

كانت مارتين تحدِّق نحو الخارج، إلى الحقول المكسوة بالثلج، والتمتوجة كالبحر.

"إذًا، تلك كانت الخطة"، قالت. "ما الذي أعاقها؟".

"ما يحول دون تنفيذ الخطط على الدوام"، قال هاري. "الطقس".

"الطقس؟".

"لو لم تُلغ الرحلة إلى زغرب بسبب الثلوج تلك الليلة، لعاد ستانكيك إلى الوطن، ولاكتشف أنه قتل وسيطهم خطأً، ولانتهت القصة هناك. ولكن، تعيّن على ستانكيك قضاء ليلة في أوسلو واكتشاف أنه قتل الشخص الخطأ. ولكنه لم يكن يعرف أن روبرت كارلسن هو اسم الوسيط أيضاً، لذلك واصل مطاردته".

وأعلن صوت عبر المكبرات: "مطار غاردموين، غاردموين. رجاءً، ليترجل الركاب من الجانب الأيمن".

"والآن، ستلقي القبض على ستانكيك".

"إنها وظيفتي".

"هل ستقتله؟".

فنظر إليها هاري.

"لقد قتل زميلك"، قالت مارتين.

"هل قال لك ذلك؟" .

"قلتُ له إنني لا أريد معرفة أي شيء، لذلك لم يقل أي كلمة".
"أنا شرطي يامارتين. ونحن نعتقل الناس، أمّا المحكمة فهي التي
تُصدر أحكاماً بحقهم".

"حقاً! إذاً، لماذا لم تبدُ على عَجَلَة من أمرِك؟ ولماذا لم تتصل بشرطة
المطار؟ ولماذا وحدة القوات الخاصة لا تتوجّه إلى هنا مع صُدا ح صفارات
إنذارها؟ لماذا أنت بمفردك؟" .

فلم يُجب هاري.

"حتّى إنني أظنّ أن لا أحد يعرف ما أخبرتني به للتوّ، أليس
كذلك؟" .

رأى هاري عبر نافذة القطار رصيف الركاب الرمادي الأملس لمطار
غاردموين فقال:
"نقطة توقّفنا".

34 - الاثنين، 22 كانون الأول/ديسمبر. العقاب

كان هناك شخص واحد يحول بينه وبين منضدة تسجيل الأسماء عندما شمَّ الرائحة، إنها رائحة صابون عذبة ذكّرتَه بطريقة مُبهمة بأمر ما؛ أمر حدث منذ مدة غير طويلة. وأغمض عينيه محاولاً تحديد ذلك الأمر.

"الشخص التالي رجاءً!".

جرّ جون قدميه إلى الأمام، ووضع حقيبة ملبسه على البساط المتحرّك، وتذكرته وجواز سفره على المنضدة أمام رجل أسمر يرتدي قميص الخطوط الجوية الأبيض ذا الكمّين القصيرين.

"روبرت كارلسن"، قال الرجل، وهو ينظر إلى جون الذي أكّد ذلك بإيماءة رأس. "حقيبة سفر واحدة، وستحمل هذه الحقيبة معك، أليس كذلك؟" وأوماً في اتجاه الحقيبة السوداء.

"أجل".

قلّب الرجل الأوراق، وطبع معلومات على لوحة المفاتيح، وبصقت طابعة مُهسهسة بطاقات تعريف خاصة ببانكوك من أجل حقيبة السفر التي سيحملها معه على متن الطائرة. حينئذٍ، تذكّر جون الرائحة. لقد شمّها قرب باب شقته، عندما قال له الرجل الذي يقف في الخارج بلغة إنكليزية إنه يحمل له رسالة، ثم رفع في وجهه مسدساً أسود. وأرغم نفسه على عدم الالتفات نحو الورا.

"انعم برحلة جيدة ياسيد كارلسن"، قال الرجل بابتسامة سريعة جداً، مسلماً إيّاه تذكّرة الطائرة وجواز السفر.

توجّه جون بدون تأخير إلى الصفوف بجانب الآلات العاملة بأشعة إكس. ووضع التذكّرة في جيبه الداخلي، مُختلساً نظرة سريعة من فوق كتفه.

نظر إليه مباشرةً، وتساءل ستانكيك في لحظة يائسة عما إذا كان جون كارلسن قد عرفه، ولكن جون أشاح بنظره بعيداً عنه. غير أنّ ما أقلقه هو أن كارلسن بدا خائفاً.

لم يكن باستطاعته اللحاق بكارلسن عند منضدة تسجيل الأسماء، وها هو كارلسن يقف بسرعة في الصف الآمن؛ حيث يُعرض كل شيء وكل شخص على الشاشة، ويستحيل إخفاء مسدس. يجب أن يتم الأمر على هذا الجانب.

فتنفّس، ثم أرخى قبضته على مقبض المسدس داخل جيب معطفه.

كان يميل عادة إلى إطلاق النار على الهدف في الحال. ولكن، بالرغم من تمكّنه من التواري عن الأنظار بسرعة بين الحشد، فمن الممكن أن يتم إغلاق المطار، والتحقق من هويات الجميع، وعندها لن يخسر رحلته الجوية إلى كوبنهاغن المقررة بعد خمس وأربعين دقيقة فحسب، بل سيفقد حرّيته أيضاً في السنوات العشرين التالية.

تحرك في اتجاه ظهر جون كارلسون. يجب أن ينفذ ذلك بسرعة وحسم. سيتوجه إليه، وسيدسّ المسدس بين ضلوعه، ويوجّه له الإنذار النهائي بتعابير عادية، وسيقتاده بعد ذلك بهدوء عبر قاعة المغادرين المكتظة إلى داخل موقف السيارات متعدد الطبقات. ووراء إحدى السيارات، سيطلق النار على رأسه، وسيضع الجثة تحت السيارة، ويتخلص من المسدس قبل بلوغ مراكز الأمن، ثمّ سيتوجّه إلى البوابة 32، ويستقلّ الطائرة المتّجهة إلى كوبنهاغن.

كان يضع جزءاً من المسدس خارج معطفه، ويقف على بُعد خطوتين منه عندما خرج كارلسن من الصف وانتقل بخطى واسعة إلى الطرف الآخر من قاعة المغادرين. دو فراغا! استدار وتبعه مُرغماً نفسه على عدم الركض. لم يرك ، واصل تكرار ذلك لنفسه.

بذل جون مجهوداً كبيراً كي لا يركض؛ وإلاّ فسيُفتضح أمر معرفته بوجود من يطارده. لم يعرف الوجه، ولكنه لم يكن بحاجة إلى ذلك: كان الرجل يضع منديلاً أحمر حول عنقه. شعر جون بأنه يتعرق فيما كان ينزل على الدرج متّجهاً إلى قاعة الوافدين. في الأسفل، ابتعد عن أنظار الموجودين على الدّرج، ووضع الحقيبة تحت ذراعه وشرع بالركض. كانت الوجوه أمامه تمرّ بسرعة مع تجويّفيّ عينيّ رانهيلد الفارغين، وزعيقها الذي لا يمكن إيقافه. نزل دَرَجاً آخر راكضاً، ولم يَعدْ هناك أحد حوله؛ فقط هواء بارد ورطب وصدى وَقَع خُطاه وتنفّسه في ممرّ عريض منحدر. لقد أدرك أنه في الممر المؤدي إلى موقف السيارات، وتردد للحظات مُحدّقاً إلى العين السوداء لكاميرا مراقبة كما لو أن من شأن ذلك أن يُعطيه الجواب. في الأمام، رأى لافتة نيون فوق باب عليه صورة تشبهه: رجل يقف منتصباً وعاجزاً. إنه حمّام الرجال؛ مكان مناسب للاختباء بعيداً عن الأنظار. باستطاعته الإقفال على نفسه هناك، والانتظار ريثما يحين موعد انطلاق الطائرة.

سمع صدى وَقَع خُطى سريعة تقترب، فركض إلى الحمّام، وفتح الباب ودخل. لقد ذكّره الضوء المنعكس في اتجاهه بالسماة التي يراها شخص على

فراش الموت. نظراً إلى مكان الحمام المعزول، كان لديه انطباع بأنه فسيح: صفوف مراحيض بيضاء على امتداد جدار واحد، وحُجَيرات على الجانب المقابل ذات لون أبيض مماثل. وسمع الباب ينزلق وراءه ويُغلق مصدرًا تكة معدنية.

كان الهواء في غرفة المراقبة الضيقة في مطار غاردموين دافئًا وجافًا بشكل غير مُرضٍ.

"هناك"، قالت مارتين مُشيرةً بإصبعها.

فنظر إليها هاري بادئ ذي بدء - وكذلك الحارسان الأميان - ومن ثم نظر إلى جدار الشاشات التي تشير إليه.

"أيّ منهم؟" سأل هاري.

"هناك"، قالت متقدّمةً نحو الشاشة التي ظهر عليها ممرّ فارغ. "رأيتَه يمرّ من هنا. أنا على ثقة تامة بأنه هو".

"إنها كاميرا المراقبة في الممرّ المؤدي إلى موقف السيارات"، قال أحد الحارسين.

"شكرًا"، قال هاري. "سأتولى المهمة من الآن فصاعدًا".

"تمهّل"، قال الحارس. "إنه مطار دولي، ويمكنك الاحتفاظ ببطاقة هويتك كشرطي، ولكنك بحاجة إلى تفويض...".

وصمت على الفور؛ إذ كان هاري قد أخرج مسدسًا من نطاق خصره وأماله في يده. "هل باستطاعتنا القول إن هذا التفويض صالح حتى إشعار آخر؟".

لم ينتظر هاري الجواب.

كان جون قد سمع أحدهم يدخل الحمام، ولكن كل ما تمكّن من سماعه هو دَفَق الماء في أحد المراحيض البيضاء خارج الحُجَيرة التي أقفل على نفسه فيها.

كان جون جالسًا على غطاء المرحاض. فالحُجَيرات مفتوحة من الأعلى ولكن الأبواب تلامس الأرض، لذلك لم يكن عليه رفع ساقيه. بعد ذلك، توقف دَفَق الماء، وسمع صوت رذاذ سائل. هناك من يتبول.

إن الفكرة الأولى التي تبادرت إلى ذهن جون هي أن الشخص الموجود في الخارج لا يمكن أن يكون ستانكيك؛ إذ لا يمكن لأي شخص أن

يكون على هذه الدرجة من برودة الأعصاب كي يفكر في التبول قبل أن يرتكب جريمة. أما الفكرة الثانية فكانت إمكانية أن يكون والد صوفيا مُحِقاً في شأن المنقذ الصغير الذي يمكن استتجاره مقابل مبلغ زهيد يُدفع في فندق هوتيل إنترناشونال في زَغرب: فهو لا يخاف.

سمع جون بوضوح حفيفاً صادراً عن رفع سحاب السروال، وبدأت مجدداً الموسيقى الأوركستراية للماء على البورسلان الأبيض. وبعد قليل، توقفت الموسيقى كما لو أنها تلقت الأمر من عصا قائد الفرقة الموسيقية، وسمع جريان الماء من الصنبور. هناك رجل يغسل يديه بعناية. وأقفل الصنبور، ومن ثم سمع المزيد من وقع الخُطى، وصريف الباب، والتكة المعدنية.

ارتمى جون على غطاء المرحاض والحقيبة في حضنه. فجأة، سمع قرعاً على باب الحُجيرة.

ثلاث قرعات خفيفة، ولكن بواسطة شيء قاسٍ أشبه بالفولاذ.

فبدا الدم كما لو أنه يرفض دخول دماغه، ولم يتحرك، بل أغمض عينيه فحسب وحبس أنفاسه، ولكن قلبه كان يخفق بقوة. كان قد قرأ في مكان ما أن بعض الحيوانات المفترسة لديها آذان تلتقط صوت قلب فريستها الخائفة، وهكذا تعثر على فريستها في الواقع. كان الصمت مطبقاً باستثناء خفقان قلبه. أغمض عينيه بإحكام، وفكر في أنه ربما سيتمكن من رؤية السماء الباردة والصفية والمرصعة بالنجوم عبر السقف إذا ركز.

بعد ذلك، حدث التحطم المحتم، فشعر جون بضغط الهواء على وجهه، واعتقد للحظة من الزمن أنه صادر من طلق ناري. ثم فتح عينيه بحدَر، فوجد كسر خشب مكان القفل، والباب مفتوحاً جزئياً.

كان معطف الرجل الواقف أمامه مفتوحاً، فبدت تحته بذلة سهرة وقميص أبيض كيباض الجدران ورائه، وكان يضع حول عنقه منديلاً أحمر. إنه يرتدي ملابس حفلة، فكر جون في سره.

تنشق رائحة الحريرة فيما كان ينظر إلى الشخص المختبئ أمامه؛ شاب أخرق أصابه الخوف بالجنون فيما كان يرتجف بانتظار الموت. كان سيتساءل في ظل ظروف أخرى عما يمكن لهذا الرجل ذي العينين الزرقاوين المشوشتين فعله. ولكنه علم هذه المرة ما الذي فعله. ومنحه هذا الأمر اكتفاءً ذاتياً للمرة الأولى منذ زمن طويل، ولم يعد خائفاً. ألقى نظرة سريعة على ساعته من دون أن يُنزل مسدسه: خمس

وثلاثون دقيقة قبل إقلاع الطائرة. كان قد رأى الكاميرا في الخارج؛ مما يعني إمكانية وجود كاميرات مراقبة في موقف السيارات. يجب القيام بذلك هنا: يجب أن يسحبه إلى الخارج ومن ثم إلى الحُجيرة المجاورة، ويطلق النار عليه، ثم يُقفل الحُجيرة من الداخل، ويُغادر. لن يعثروا على جون كارلسن قبل إغلاق المطار ليلاً.

"اخرج!" قال.

لقد بدا كارلسن في حالة دُهول ولم يتحرك. عندها، رفع المسدس وصبّه نحوه، فخرج كارلسن من الحُجيرة ببطء، وتوقف فاتحاً فمه.

"الشرطة. ارم سلاحك".

á á á

مع انغلاق الباب وراهه مصدرًا تكة، حمل هاري مسدسه بكلتا يديه وصبّه على الرجل الذي يضع منديل العنق الحريري الأحمر.

وبدلاً من أن يرمي الرجل المسدس، سدده على رأس جون كارلسن، وقال بلغة إنكليزية عرفها هاري بسبب التشديد على الكلمات: "مرحباً يا هاري. هل لديك خط نار جيد؟".

"مثالي"، قال هاري. "عبر الناحية الخلفية من رأسك تماماً. ارم سلاحك".

"كيف أعرف أنك تحمل سلاحاً يا هاري؟ فأنا أحمل سلاحك، أليس كذلك؟".

"حصلتُ على سلاح زميل لي". ورأى هاري إصبعه تضغط على الزناد.

"مسدس جاك هالفورسن الذي طعنته في غوتربورغاتا".

ورأى هاري الرجل يتصلّب.

"جاك هالفورسن"، كرر ستانكيك. "ما الذي جعلك تعتقد أنني من طعنه؟".

"الذي أن أياه العائد لك، والذي حصلنا عليه ممّا تقيّأته، ودمك على المعطف، والشاهد الواقف أمامك".

فأوماً ستانكيك برأسه ببطء. "فهمتُ. إذًا، لقد قتلتُ زميلك. ولكن، إذا كنتَ تعتقد ذلك، فلماذا لم تُطلق النار عليّ بعد؟".

"بسبب وجود فارق بينك وبينني"، قال هاري. "أنا لست قاتلاً ولكنني شرطي. لذلك، إذا ألقيتَ ذلك المسدس من يدك، فسأخذ نصف حياتك المتبقية فقط. عشرون عاماً تقريباً. إنه خيارك يا ستانكيك". كانت عضلات ذراع هاري قد بدأت تؤلمه.

"أخبره!" .

عندما رأى هاري جون يجفل، أدرك أن ستانكيك يصيح في وجه جون.
"أخبره!" .

ابتلع جون لعابه بصعوبة، ومن ثم هز رأسه.

"جون!؟" قال هاري.

"لا أستطيع...".

"سيُطلق النار عليك يا جون. تكلم".

"لا أعرف ما الذي تريد مني أن...".

"اسمع يا جون"، قال هاري من دون أن يرفع عينيه عن ستانكيك. "لا شيء تقوله بوجود مسدس مصوّب على رأسك يمكن استخدامه ضدك في المحكمة. هل تفهم؟ في الوقت الحاضر، لا شيء لديك لتخسره".

وسمع جون صوت الضغط على الزناد.

"توقف!". ورفع جون ذراعيه أمامه. "سأخبرك بكل شيء".

التقت عينا جون عيني الشرطي من فوق كتف ستانكيك، وتحقق من أنه يعرف، ومنذ مدة طويلة ربما. كان الشرطي مُحِقاً؛ لا شيء لديه ليخسره، ولا يمكن استخدام أي مما سيقوله ضده. والغريب في الأمر أنه يريد التكلم. في الواقع، لا شيء آخر يمكنه القيام به.

"كنا نقف بجانب السيارة بانتظار ثيا"، قال جون، "والشرطي يُصغي إلى رسالة وصلته على هاتفه المحمول. لقد سمعتُ الرسالة، وعرفتُ أنها من مادس. وبعد ذلك، أدركتُ حقيقة الأمر عندما قال الشرطي إنه اعترف وإنه سيتصل بك. كنت أحمل مِدِيّة روبرت وجاء رد فعلي غير إرادي".

وتذكّر نفسه وهو يناضل لاحتجاز ذراعي الشرطي وراء ظهره، ولكن الشرطي تمكّن من تحرير إحدى يديه ووضعها بين نصل السكين وحلقه. عندها، وجّه جون ضربات متتالية لليد من دون أن يتمكن من الوصول إلى الشريان السُّبَاطِي. شاعراً بالغضب، شرع بإدارة الشرطي إلى اليسار واليمين كدُمِيّة من القماش مواصلاً طعنه، فغاصت السكين أخيراً في صدره، وبدأ الأمر كما لو أن تنهيدة عبرت جسد الشرطي وتدلت ذراعاها. فالتقط الهاتف المحمول عن الأرض ودسّه في جيبه، وكل ما توجّب عليه فعله بعد ذلك هو تسديد الضربة القاضية.

"ولكن ستانكيك وقف في الطريق، أليس كذلك؟" سأل هاري.

كان جون قد رفع السكين لقطع عنق الشرطي المُغمى عليه عندما سمع شخصاً ما يصرخ بلغة أجنبية، فرفع نظره ورأى رجلاً يرتدي سترة

زرقاء يركض في اتجاهه.

"كان يحمل مسدساً، لذلك لُذت بالفرار"، قال جون وهو يشعر بشيء من الندم بدا في اعترافه، وأحسّ كما لو أنه أزاح عبئاً عن كاهله. ورأى هاري يومئ برأسه. كان شديد التأثير لدرجة أنه شعر بتسارع نبضات قلبه بسبب الانفعال، وواصل. "أطلق عياراً نارياً عليّ بينما كنت أركض إلى الداخل، وكاد أن يُصيبني. كان سيقتلني يا هاري. إنه قاتل مجنون. يجب أن تطلق النار عليه يا هاري. علينا إخراجه من المعادلة، أنت وأنا...".

وشاهد جون هاري وهو يُنزل مسدسه ويضعه في نطاق خصره.

"ماذا... ماذا تفعل يا هاري؟".

وفك الشرطي طويل القامة أزرار معطفه. "أنا في إجازة يا جون. شكراً

لك على اعترافك".

"هاري، انتظر...". لقد امتصّ يقينه الأكيد من مصيره الوشيك كلّ الرطوبة من حلّقه وفمه، وتعيّن على أغشية مخاطية إرغام الكلمات على الخروج من فمه. "يمكننا تقاسم المال يا هاري. اسمع، يمكننا نحن الثلاثة أن نتقاسم المال. لا حاجة إلى أن يعرف أحد بما حدث".

ولكن هاري كان قد استدار لمخاطبة ستانكيت بالإنكليزية. "أعتقد أنك ستجد في الحقيقة مالاً يكفي العديد من الأشخاص في هوتيل إنترناشونال لبناء منزل في فوكوفار. وقد ترغب والدتك في وهب بعض المال لدار عبادة سانت ستيفنز أيضاً".

"هاري!". كان صياح جون الأجنس يبدو كحشرة الموت. "الجميع

يستحقون فرصة أخرى يا هاري!".

فتوقف الشرطي ووضع يده على مقبض الباب.

"انظر في أعماق قلبك يا هاري. لا بد من أن تعثر على بعض الصفح

هناك!".

"المشكلة هي...". وفرك هاري ذقنه، "أنني لا أصفح".

"ماذا!" هتف جون، مذهولاً.

"العدالة والعقاب؛ هذا ما أوّيده أنا أيضاً".

بعد سماعه الباب وهو يُغلق وراء هاري مصدرراً تكّته المألوفة، ورؤيته الرجل الذي يرتدي بذلة السهرة وهو يرفع المسدس، حدّق جون إلى العين السوداء لفتوة السلاح، وغدا الخوف أماً محسوساً، ولم يُعد يعرف لمن تعود الصيحات؛ أهي لرانهيلد أو له أو للآخرين؟ ولكن، قبل أن تخترق الرصاصة جبينه، حظي جون كارلسن بالوقت لإدراك أمر واحد ظهر بعد

سنوات من الشك والخجل والتوسّل اليائس: لن يسمع أحد صيحاته أو
توسّلاته.

القسم الخامس: الخاتمة

35 - الذَّب

خرج هاري من مرأب السيارات تحت الأرض في إغرتورغيت. إنه اليوم السابق للكرسمس، والناس يمرون أمامه بسرعة بحثاً عن الهدايا. كان باستطاعته رؤية السعادة على وجوه الناس، ورؤية ابتسامات الرضى بسبب انتهاء الاستعدادات. مرَّ قربه رجل مترنح يرتدي سترة بوبا وسروالاً، ويبدو كرجل فضاء، ويُطلق ابتسامات عريضة، ويزفر نفساً جليدياً حوله، وخذاه زهرياً اللون. ولكن هاري رأى وجهاً يائساً واحداً: امرأة شاحبة الوجه ترتدي سترة جلدية سوداء رقيقة مثقوبة عند المرفقين، وتقف بجانب متجر صائغ مجوهرات وهي تقفز من قدم إلى أخرى.

أشرق وجه الشاب الواقف وراء المنضدة عندما رأى هاري، وتعامل مع زبونه بحيوية، فاندفع مسرعاً نحو الغرفة المظلمة، وعاد حاملاً ساعة جد هاري التي وضعها على المنضدة وتعابير الاعتداد بالنفس بادية على وجهه. "إنها تعمل"، قال هاري متأثراً.

"يمكن إصلاح كل شيء"، أجاب الشاب. "أحرص فقط على عدم الإفراط في إدارة الزنبرك. فمن شأن ذلك أن يؤذي آليات العمل. حاول وسأريك". وفيما كان هاري يُدير الزنبرك، شعر بالاحتكاك الخشن على الأجزاء المعدنية ومقاومة الزنبرك، ولاحظ انتباه الشاب. "عذراً"، سأل الشاب، "ولكن، هل يمكنني أن أسألك عن المكان الذي ابتعت منه هذه الساعة؟".

"أعطاني جدي إيّاها"، أجاب هاري متفاجئاً من نبرة الاحترام البادية في صوت الساعاتيّ.

"لا أقصد هذه الساعة، بل تلك". وأشار الشاب إلى معصم هاري. "أعطاني إيّاها رئيسي السابق عندما استقال". "يا الله!". وانحنى الساعاتيّ الشاب فوق ذراع هاري اليسرى، وتفحص ساعة اليد باهتمام كبير. "إنها أصلية، لا شك في ذلك. إنها هدية أصلية". "آه! هل هناك شيء مميز بشأنها؟". فنظر الساعاتيّ إلى هاري غير مصدق. "ألا تعرف؟". وهز هاري رأسه نافياً.

"إنها لانغ 1 توربيون من صناعة آيه لانغ وسوهن. على الناحية الخلفية، ستجد رقماً متسلسلاً يشير إلى عدد الساعات التي صنعت وفقاً لهذا الطراز. إذا لم تخنّي الذاكرة، هناك مئة وخمسون ساعة مثلها فقط.

أنت تضع حول معصمك إحدى الساعات الأكثر جمالاً والتي لا مثيل لها. في الواقع، يكمن السؤال في ما إذا كان من الحكمة ارتداؤها. فوفقاً لسعر السوق الحالي- وأنا جِدِّي في ذلك- يُفترض بها أن تكون في خزانة مصرف".

"خزينة مصرف!". ونظر هاري إلى الساعة ذات المظهر غير المميّز التي رماها قبل أيام قليلة من نافذة غرفة النوم. "لا تبدو باهظة الثمن كثيراً". "ولكنها كذلك. إنها متوافرة فقط بالشريط الجلدي الأسود والوجه الرمادي، ولا تحتوي على أي ماسة أو ذهب. إنها تبدو كما لو أنها مصنوعة من فولاذ وبلاتين، صحيح؟ ولكن قيمتها تكمن في كون صناعتها ترقى إلى مستوى الفن".

"فهمتُ. كم تبلغ قيمة هذه الساعة برأيك؟".

"لا أعرف. لديّ في المنزل بعض كاتالوجات أسعار المزاد العلني لساعات نادرة. يمكنني إحضارها لك في وقت من الأوقات". "أعطني ثمناً تقريبياً فقط"، قال هاري.

"تريد ثمناً تقريبياً!".

"أريد تكوين فكرة".

فدفع الشاب شفته السفلية إلى الخارج، وحرك رأسه من جانب إلى آخر. وانتظر هاري.

"حسناً، ما كنت لأبيعها بأقل من أربعمئة ألف".

"أربعمئة ألف كرون!" هتف هاري.

"لا، لا"، قال الشاب. "أربعمئة ألف دولار".

عندما خرج هاري من متجر الساعات، لم يكن يشعر بالبرد أو بالنعاس الثقيل الذي تبقى في جسده بعد اثنتي عشرة ساعة من النوم العميق، كما أنه لم يلاحظ مُدمنة المخدرات بعينيها الغائرتين وسترتها الجلدية وهي تدنو منه لتسأله عما إذا كان الشرطي الذي تحدثت إليه قبل أيام قليلة، وعما إذا كان يعرف شيئاً عن ابنها الذي لم يره أحد طوال أربعة أيام.

"أين شوهد في المرة الأخيرة؟" سأل هاري تلقائياً.

"أين تعتقد أنه شوهد؟" قالت المرأة. "في بلاتا، بالطبع".

"ماذا يُدعى؟".

"كريستوفر. كريستوفر جورغنسن. مرحباً، هل يوجد أحد في المنزل؟".

"ماذا؟".

"تبدو كما لو أنك في رحلة يارجل".
"آسف. من الأفضل لك أن تحملي صورة له إلى مركز الشرطة الرئيس
في الطابق الأرضي، وأن تقدّمي تقريراً عن فقدانه".
"صورة!" وأطلقت ضحكة مرتفعة. "لديّ صورة له حين كان في
السابعة من عمره. هل تعتقد أنها ستفي بالغرض؟".
"ألا تملكين صورة أحدث؟".

عثر هاري على مارتين في لايتهاوس. كان المقهى مُقفلاً، ولكن موظفة
الاستقبال قي النُّزل أدخلت هاري من الباب الخلفي.
كانت واقفة في مستودع الملابس تُفرغ الغسّالة وظهرها إليه. فسعل
بهدوء كي لا يخيفها.
كان هاري يراقب كتفيها وعضلات عُنُقها عندما استدارت، وتساءل عن
مصدر هذه المرونة وعما إذا كانت ستحتفظ بها على الدوام. وقفت
منتصبّة القامة، وأمالت رأسها، وأبعدت خصلة شعر، وابتسمت.
"مرحباً يا من يدعونك هاري".

كانت تقف على بُعد خطوة منه وذراعاها على جانبيها، فأمعن النظر
إليها: بشرة شاحبة تحتفظ بتورّد غريب، منخران متوهّجان حساسان، عينان
غير عاديتين مع بؤبؤين منشطّين يشبهان كسوفاً قمرياً جزئياً، وشففتان
طوتهما إلى الداخل بشكل غير متعمّد، وبلّتهما بلعابها، ومن ثم ضغطت
إحداهما على الأخرى، فبدتا طريّتين ورطبّتين. ودوّت أداة تجفيف الغسيل
أسطوانية الشكل.

كانا بفردهما، فأخذت نفساً عميقاً وأحنت رأسها إلى الوراء قليلاً.
كانت على بُعد خطوة.

"مرحباً"، قال هاري من دون أن يتحرك.
فطرفت عينيها مرتين بتتالٍ سريع، ومن ثم أرسلت له ابتسامة خاطفة
ومُرَبّكة إلى حد ما، ثم استدارت إلى طاولة العمل وشرعت بطيّ الملابس.
"سأنتهي قريباً. هل ستنتظر؟".

"لديّ تقارير يجب عليّ أن أنهيها قبل بدء العُطلة".
"سنقيم سهرة هنا غداً"، قالت واستدارت جزئياً. "هل ترغب في
القدوم وتقديم المساعدة؟".
فهز رأسه.

"هل لديك خطط أخرى؟".

كانت صحيفة أفتنبوستن مفتوحة على طاولة العمل بجانبها. لقد خصّصوا صفحة كاملة للعضو في اتحاد الرعاية الاجتماعية الذي عُثِر عليه مَيِّتاً في الحَمَّام في مطار غاردموين في الليلة السابقة. ونقلت الصحيفة عن كبير المفتشين، غونار هاغن، قوله إن هويّة الرجل المسلّح والدافع لا يزالان مجهولين، ولكنهم يعتقدون أن القضية مرتبطة بعملية القتل التي حدثت في إِغرتورغَت الأسبوع الماضي.

وبما أن الضحيّتين شقيقان، تتركز شُبّهات الشرطة الآن على كرواتيّ مجهول الهويةّ. وكانت صحف اليوم قد شرعت بتخمين ما إذا كان السببُ عداً عائلياً قديماً. ولفتت فيردنز غانخ الانتباه إلى أن عائلة كارلسن قضت إجازاتها في كرواتيا منذ عدة سنوات، ويبدو هذا التفسير ممكناً مع التقليد الكرواتي بالثأر الدموي. وحذّرت الافتتاحية في داجبلاديت من الآراء الاعتباطية، ومن الجمع بين الكرواتيين والمجرمين.

"تلقيتُ دعوة من راكيل وأوليغ"، قال. "كنت في منزلهما، وقد جئت من هناك للتوّ. أخذت هدية لأوليغ، وقاما بدعوتي".

"قاما؟"

"قامت".

واصلت مارتين طيّ الملابس فيما كانت تومئ برأسها، كما لو أنه قال شيئاً يحتاج إلى تفكير.

"هل هذا يعني أنكما...؟"

"لا"، قال هاري. "إنه لا يعني ذلك".

"هل لا تزال تواعد ذاك الرجل الآخر؟ الطبيب؟"

"وفقاً لمعلوماتي، أجل".

"ألم تسأل؟". كان باستطاعته سماع الغضب الذي يزحف إلى صوتها.

"لا علاقة لي بذلك. قيل لي إنه ذاهب للاحتفال مع والديه. هذا كل شيء.

وأنت، هل ستكونين هنا؟"

فأومأت برأسها بصمت، وواصلت الطيّ.

"جئتُ لألقي عليك تحية الوداع"، قال.

أومأت برأسها، ولكنها لم تستدر.

"وداعاً"، قال.

فكفّت عن الطيّ. كان باستطاعته رؤية كتفّيها تتحركان صعوداً ونزولاً.

"سوف تفهمين لاحقاً. ربما لا تعتقدين ذلك الآن، ولكنك ستفهمين

عاجلاً أم آجلاً أنه لم يكن بالإمكان أن يكون... الأمر مختلفاً".

استدارت نحوه، وكانت عيناها مُغرورقتين بالدموع. "أعرف ياهاري. ولكنني أردت ذلك بأي حال لمدة قصيرة من الزمن. هل أطلب الكثير؟".
"لا"، وأطلق هاري ابتسامة ساخرة. "لَكان الأمر رائعاً لمدة قصيرة. ولكن، من الأفضل إلقاء تحية الوداع الآن وعدم الانتظار حتى نشعر بالأم".
"ولكنني أتألم ياهاري". وسالت الدمعة الأولى.

لو لم يكن هاري يعرف ما تعرّضت له مارتين إكهوف لاعتبر أنه من المستحيل أن تعرف هذه الشابة معنى الألم. ولكنه فكر ملياً في ما قالته والدته ذات مرة عندما كانت في المستشفى: هناك أمر واحد فقط يحمل المرء على الشعور بالفراغ في حياته أكثر من الفراغ الذي يشعر به عندما يعيش بدون حب، وهو العيش بدون أم.

وهذا ما حدث. سار نحو السيارة المتوقفة بجانب الرصيف، وضرب يده على النافذة الجانبية، فانزلقت يده.
"إنها فتاة كبيرة الآن"، قال. "لذلك، لستُ واثقاً من حاجتها إلى عناية بالغة بعد الآن. أعرف أنك ستواصل التودّد إليها، ولكنني أردت قول ذلك. أتمنى لك حظاً سعيداً".

كان ريكارد على وشك قول شيء ما، ولكنه اكتفى بإمهاء رأسه.
شرع هاري بالسير في اتجاه أكرسلفا. كان باستطاعته الشعور بأن الطقس يغدو أكثر اعتدالاً.

دُفن هالفورسن في 27 كانون الأول/ديسمبر. كانت السماء مُمطر، وتحوّل الثلج الذائب إلى سيول تدفّقت في الشوارع، وكان الثلج في المقبرة رمادياً وثقيلاً.

شارك هاري في حمل النعش، وسار أمامه الشقيق الأصغر لجاك. لقد عرفه هاري من طريقة مشيه.
بعد ذلك، اجتمعوا في فالكيرين، وهو مقهى شعبي يُعرف باسم فالكا.

"تعال إلى هنا"، قالت بتي، مُبعدةً هاري عن الآخرين في اتجاه طاولة في الزاوية. "كان الكل هناك"، قالت.

فأوماً هاري برأسه، مُحجماً عن قول ما يجول في ذهنه. لم يكن بيارني مولر هناك، حتى إن أحداً لم يعرف عنه شيئاً.
"هناك بضعة أمور عليّ معرفتها ياهاري، بما أن هذه القضية لم تُحلّ".

فنظر إليها. كان وجهها شاحباً ويكتفه الأسي. لم تكن تحتسي الشراب بل مياه فاريس المعدنية فقط. لماذا؟ تساءل.
"لم تُقفل القضية يا بتي".

"هاري، ألا تعتقد أنني أملك عينين في رأسي؟ لقد سُلمت القضية إلى غبّي وضابط غير كفؤ يدعى كريوس ينقل أكداس أوراق من مكان إلى آخر، ويخربش أموراً غير واقعية".
فهز هاري كتفّيه.

"ولكنك حللت القضية، أليس كذلك يا هاري؟ أنت تعرف ما حدث؛ ولكنك لا تريد إخبار أحد".
وارتشف هاري قهوته.

"لماذا يا هاري؟ لماذا الأمر على هذه الدرجة من الأهمية كي لا يعلم به أحد؟".

"كنت قد قررت إطلاعك على الأمر"، قال، "بعد مرور القليل من الوقت. لم يكن روبرت من عقد الصفقة في زغرب، بل جون".
"جون!" وحدّقت إليه بتي وقد فغرت فمها ذهولاً.

فأخبرها هاري عن قطعة النقود المعدنية وعن إسبن كاسبرسن.
"ولكن، كان عليّ التأكد"، قال. "لذلك، عقدتُ صفقة مع الشخص الوحيد الذي يمكنه التأكيد على أن جون هو الشخص الذي زار زغرب. لقد أعطيتُ والدة ستانكيك رقم هاتف جون المحمول، فاتصلتُ به مساءً، ليلة اعتدائه على صوفيا. قالت إن جون تكلم بالنرويجية في بادئ الأمر، ولكن عندما لم تُحب تكلم بالإنكليزية وقال هل هذا أنت؟ ظانناً كما يبدو أن المتصل هو المنقذ الصغير. واتصلت بي بعد ذلك، وأكدت أنه الصوت نفسه الذي سمعته في زغرب".
"هل كانت واثقة تماماً؟".

فأوماً هاري برأسه. "إن التعبير الذي استخدمته هو على ثقة تامة .
قالت إن لجون لكنة لا لبس فيها".

"وما الذي التزمت أن تفي به في هذه الصفقة؟".

"الحرص على عدم قتل ابنها على أيدي رجالنا".

وتناولت بتي جرعة كبيرة من الماء كما لو أنها بحاجة إلى ما يساعدها على استيعاب المعلومة.

"هل وعدت بذلك؟".

"أجل"، قال هاري. "وإليك المعلومة التي كنت سأطلعك عليها. لم يكن

ستانكيك من قتل هالفورسن، بل إنه جون كارلسن".
فحدقت إليه وقد فغرت فمها، ومن ثم اغرورقت عيناها بالدموع
وهمست بمرارة: "هل هذا صحيح يا هاري؟ أم إنك تقول ذلك كي تتحسن
مشاعري لأنك تعتقد أنه ليس باستطاعتي العيش مع معرفتي أن المجرم
قد لاذ بالفرار؟".

"حسناً، لدينا المدية التي عُثر عليها تحت السرير في شقة روبرت في
اليوم التالي لاعتداء جون على صوفيا هناك. إذا طلبت من أحدهم فحص
الدماء للتحقق مما إذا كانت تتطابق مع دي إن أيه هالفورسن، فأظنّ
أنك ستنعمين بالسلام".

حدقت بتي عبر الزجاج. "أعلم أنك كنت في الحمام ولم ترَ أحداً
هناك، كما جاء في التقرير. هل تعرف رأيي؟ أظنّ أنك رأيت ستانكيك،
ولكنك لم تُبادر إلى اعتقاله".
لم يُجب هاري.

"أعتقد أن سبب عدم قيامك بإخبار أحد أن جون مُذنب هو عدم
رغبتك في تدخل أحد قبل تنفيذ ستانكيك مهمته؛ أي قتل جون كارلسن".
وارتجف صوت بتي غضباً. "ولكنك تكون مخطئاً إذا اعتقدت أنني
سأشكرك".

وضعت الكأس على الطاولة بقوة، فحدقت شخصان إليهما. وأبقى هاري
فمه مُطبّقاً وانتظر.
"نحن من الشرطة يا هاري. نحافظ على القانون والنظام، ولا نصدر
الأحكام. وأنت لست مُنقذي اللعين، هل فهمت ذلك؟".
كانت تتنفس بصعوبة، ومررت قفا يدها على خديها حيث بدأت
دموعها تنسكب.

"هل أنهيت؟" سأل هاري.

"أجل"، قالت بنظرة غاضبة عنيدة.

"لا أعرف كل الأسباب التي حملتني على القيام بما قمتُ به"، قال
هاري. "الدماغ قطعة غير عادية من آلية العمل. ربما تكونين مُحقة. ربما
أعددتُ كل شيء ليحدث الأمر كما حدث. ولكن، إذا كان هذا واقع الحال،
فأنا أريدك أن تعلمي أنني لم أقم بذلك من أجلك، يا بتي". وأفرغ هاري
محتويات كوب القهوة بجرعة واحدة ووقف. "بل قمتُ بذلك لأجلي".

في الفترة الممتدة بين الكرسمس وعشيّة رأس السنة، غُسلت الشوارع

بالمطر، واختفى الثلج تماماً. وعندما حلّ رأس السنة مع حرارة منخفضة وثلوج خفيفة، بدا الأمر كما لو أن الشتاء في انطلاقة جديدة أفضل. كان أوليخ قد حصل على مزلجتين لسباق التعرّج، واصطحبه هاري إلى منحدر ويلر، وشرع بتدريبه على القيام بحركات دائرية. وفي طريقهما إلى المنزل بعد قضاء اليوم الثالث على المنحدر، سأل أوليخ هاري عما إذا كان باستطاعتها سلوك الممرات الضيقة.

رأى هاري سيارة لوند- هِلغسين مركونة أمام المرأب، لذلك أنزل أوليخ في أسفل الطريق، ثم توجه إلى منزله، واستلقى على الأريكة محدّقاً إلى السقف ومُستمعاً إلى الأسطوانات القديمة.

في الأسبوع الثاني من شهر كانون الثاني/يناير، أعلنت بتي أنها حامل. ستلد طفلها وطفل هالفورسن في الصيف. وعاد هاري بالذاكرة إلى الورا، وتساءل كم يمكن أن يكون المرء أعمى.

حظي هاري بالكثير من الوقت للتفكير في شهر كانون الثاني/يناير مع اتخاذ الناس المقيمين في أوصلو قراراً بالحصول على استراحةٍ وعدم قتلهم بعضهم بعضاً. وهكذا، فكر ملياً في انضمام سكار إليه إلى الغرفة 605، غرفة المَقاصّة. وفكّر أيضاً في ما يُفترض به القيام به بقيّة حياته، وفي ما إذا كان سيكتشف يوماً، وهو على قيد الحياة، أنه اتخذ القرارات الصائبة أم لا.

حلّ آخر شباط/فبراير قبل أن يشتري هاري تذكرة طائرة إلى برغن. ففي مدينة الجبال السبعة، كان الخريف لا يزال قائماً ولا وجود للثلج، وتكوّن لدى هاري انطباع على جبل فلوين بأن السحابة التي تغطي المدينة هي نفسها التي كانت في أثناء زيارته الأخيرة. ووجد نفسه يجلس إلى طاولة في فلوين فولكِرستورانت.

"قيل لي إنه المكان الذي تجلس فيه الآن"، قال هاري. "كنت أنتظر"، قال بيارني مولر، محتسباً الشراب. "لقد احتجت إلى وقت طويل".

خرجا، ووقفوا بجانب الدرابزين في نقطة المراقبة. لقد بدا مولر أكثر شحوباً ممّا بدا عليه في المرة الأخيرة. كانت عيناه صافيتين، ولكن وجهه منتفخ ويديّهِ ترتعشان. فحزر هاري أن السبب هو الحبوب وليس الشراب.

"لم أفهم ما الذي عنيتّه بعبارة من دون إبطاء"، قال هاري، "عندما قلت إنه يُفترض بي أن أتبع المال".
"ألم يكن ذلك صحيحاً؟".

"أجل"، قال هاري. "أنت مُحِق. ولكنني ظننت أنك كنت تتحدث عن قضيتي، وليس عنك".

"كنت أتحدث عن كل القضايا يا هاري". وعصفت الريح بخُصل شعر مولر الطويلة. "بالمناسبة، لم تُخبرني عمّا إذا كان غونار هاغن مسروراً بنتيجة قضيتك، أو - بتحديد أكثر - بالافتقار إلى نتيجة".

فهز هاري كتفيه. "لقد جُنّب ديفيد إكهوف واتحاد الرعاية الاجتماعية فضيحة مُحرجة كان بإمكانها إلحاق الضرر بسمعة الاتحاد وعمله، وفقد ألبرت غيلستراب ابنه الوحيد وكنّته، وألغي عقد كان بإمكانه إنقاذ ثروة العائلة. وستعود صوفيا ميهولدجك وعائلتها إلى فوكوفار؛ لقد تلقوا دعماً مالياً من مُحسن محلي لبناء منزل هناك. ومارتين إكهوف تخرج مع رجل يدعى ريكارد نيلسن. باختصار، تستمر الحياة".

"ماذا عنك؟ هل تقابل راكيل؟".

"من حين لآخر".

"ماذا عن الطبيب؟".

"لا أسأل. لديهما مشاكلهما الخاصة للتعاطي معها".

"هل تريد منك العودة؟ هل هذا هو واقع الحال؟".

"أظن أنها تتمنى لو كنت الشخص الذي يستطيع أن يعيش الحياة التي يعيشها هو". ورفع هاري ياقته، وحدّق إلى ما ادّعي أنها مدينةٌ تحتها. "وأنا أتمنى ذلك أيضاً، أحياناً".

ولزما الصمت.

"أخذتُ ساعة توم والر إلى صائغ مجوهرات، وتفحصها شابٌ مُلِمٌ في هذا النوع من الأمور. هل تذكر ما أخبرتك به ذات مرة عن أن الكوابيس تتتابني في شأن ساعة روليكس تواصل التكتكة على ذراع والر المبتورة؟". فأوماً مولر برأسه.

"لقد وجدتُ التفسير الآن"، قال هاري. "إن أعلى الساعات ثمناً في العالم تعتمد نظام توربيون الذي يوفّر تردداً بمعدل ثماني مئة ألف ذبذبة في الساعة. وبوجود جهاز ميكانيكي لضبط حركة الساعة، تبدو التكتكة أكثر قوة منها في الساعات الأخرى".

"إنها ساعات رائعة، أقصد الروليكس".

"لقد أضاف صانعُ ساعاتِ ماركة روليكس ليُخفي في الواقع حقيقة تلك الساعة. إنها لانغ 1 توربيون، وأحد النماذج المئة والخمسين، وهي كالساعة التي تلقّيتها منك. لقد بيعت ساعة لانغ 1 توربيون في المرة

الأخيرة في مزاد علني بسعر يقل قليلاً عن ثلاثة ملايين كرون".
أوماً مولر برأسه مع ابتسامة صغيرة على شفتيه.
"هل كنتم تستفيدون بهذه الطريقة؟" سأل هاري. "بساعات يبلغ ثمن
الواحدة منها ثلاثة ملايين؟".

زرر مولر معطفه ورفع ياقته. "قيمتها أكثر استقراراً وأقل لفتاً للأنظار
من السيارات، وأقل زهاءً من الأعمال الفنية مرتفعة الثمن، وأسهل نقلاً من
المال، ولا تحتاج إلى الغسيل".

"والساعات شيء ما يُقدّم كهدية".

"أصبت".

"ماذا حدث؟".

"إنها قصة طويلة يا هاري. وعلى غرار العديد من المآسي، فقد بدأت
بأفضل النوايا. كنا مجموعة صغيرة من الناس أردنا أن نلعب دورنا في
وضع الأمور في نصابها، الأمور التي يعجز مجتمع يحكمه القانون عن القيام
بها بدون مساعدة".

وارتدى مولر قفازيه الأسودين.

"يقول البعض إن سبب إطلاق سراح العديد من المجرمين يعود إلى
كون النظام القضائي شبكة ذات أخرام كبيرة. ولكن هذا الأمر يُعطي صورة
خاطئة تماماً. إنها شبكة ذات أخرام صغيرة تلتقط صغار الأسماك ولكنها
تتمزق عندما تصطدم بها السمكة الكبيرة. أردنا أن نكون الشبكة وراء
الشبكة؛ تلك التي يمكنها اصطياد أسماك القرش. لم يكن في المجموعة أفراد
من الشرطة فحسب، بل محامون أيضاً، وسياسيون، وبيروقراطيون يعتبرون أن
بنية مجتمعنا، والتشريع، والنظام القضائي كلها معاً غير مستعدة للجريمة
الدولية المنظمة التي تجتاح بلدنا عندما تُلغى الضوابط. لم تكن الشرطة
تملك سلطة اتباع القوانين التي يتبّعها خارقو القانون حتى وُضع تشريع.
لذلك، كان علينا العمل بطريقة سرّية".

هز هاري رأسه، محدّقاً إلى الضباب.

"ولكن، في تلك الأماكن المغلقة والسريّة التي لا يمكن تهويتها، ساد
التعفن. لقد نمّت في الشرطة ثقافة العضويات المجهريّة التي طالبت في
بادئ الأمر بتهريب أسلحة تضاهي تلك الموضوعية بتصرّف أعدائنا، ومن ثم
بيعها لتمويل عملنا. كانت مفارقة غريبة، ولكن أولئك الذين عارضوا ذلك
سرعان ما اكتشفوا أن العضويات المجهريّة تولّت زمام الأمور. ومن ثم
جاءت الهدايا بدءاً بالأمور الزهيدة لحتك على المضيّ قُدماً، كما قالوا،

مشيرين إلى أن رفض هدية ما يُعتبر عدم تضامن. ولكنها كانت في الواقع المرحلة التالية في عملية التعفّن والفساد الذي يسيطر عليك من دون أن تلاحظ ذلك تقريباً، إلى أن تجد نفسك جالساً في الغائط الذي يصل حتى عنقك، ولا يمكنك الخروج منه. كنت قد تورّطت معهم كثيراً ولم يُعد بإمكانني التراجع. والأكثر سوءاً في الأمر هو أنني لا أعرفهم. كنا قد نظّمنا أنفسنا في خلايا صغيرة تتصل ببعضها عبر شخص يتعهد بالتزام السريّة. لم أكن أعرف أن توم والر أحدنا، وأنه من ينظّم عمليات تهريب الأسلحة، وأن الشخص المعروف بكُنية الأمير موجود حتى اكتشفت الأمر مع إيلين غيلتن. بعد ذلك، علمت أيضاً أننا فقدنا التركيز على هدفنا الحقيقي، وأن وقتاً طويلاً قد مرّ على تحقيقنا هدفنا الوحيد؛ ألا وهو ملء جيوبنا، وأني أصبحت فاسداً، وأني ساعدت في... "وأخذ مولر نفساً عميقاً: "... قتل ضباط شرطة مثل إيلين غيلتن".

ودارت سحابة قربيهما كما لو أن جبل فلوين يطير.
"ذات يوم، لم أعد أحتمل الأمر، وحاولت الخروج. لقد أعطوني بدائل بسيطة، ولكنني لست خائفاً على نفسي. فالأمر الوحيد الذي أخشاه هو إلحاق الأذى بعائلتي".

"ألهذا السبب هربت؟".

فأوماً بيارني مولر برأسه.

وتنهد هاري. "ولهذا، أعطيتني هذه الساعة لوضع حدّ للمسألة".

"كان يجب أن تكون أنت ياهاري. إذ لا يمكن أن أئتمن شخصاً آخر".

أوماً هاري برأسه، وشعر بغصّة تنمو في حلقه. لقد ذكّره ذلك بأمر قاله له مولر في المرة السابقة عندما وقفا هنا على أعلى الجبل. يصعب على المرء تخيّل أنّه في قلب ما يعتبره عدالةً، وإذ به يفقد حسّ الاتجاه الصحيح فجأة، ويغرق في ما كان يعارضه. وفكّر في كل الحسابات الذهنية التي قام بها، وكل القرارات الكبيرة والصغيرة التي أدّت إلى الدقائق الأخيرة في مطار غاردموين.

"ماذا لو لم أكن مختلفاً عنك أيها الرئيس؟ ماذا لو قلت لك إنه كان من الممكن أن أكون في وضعك الآن؟".

فهز مولر كتفيه. "ما يفرّق البطل عن الوغد هو الحظّ والمفارقات. طالما كان الأمر كذلك. الاستقامة فضيلة الكسول وذلك الذي لا يملك بُعد نظر. بدون خارقي القانون والمتمردين، كان من الممكن أن نستمر في

العيش في مجتمع إقطاعي. لقد خسرتُ ياهاري؛ الأمر بهذه البساطة. كنت أثق بشيء ما، ولكنني كنت أعمى، وعندما استعدتُ بصري وجدت أنني قد غدوت فاسداً. هذا الأمر يحدث في كل الأوقات".

ارتجف هاري في مهبّ الريح وبحث عن كلمات مناسبة. وعندما عثر أخيراً على بعضها، بدا صوته غريباً ومتضيقاً. "آسف أيها الرئيس. لا يمكنني إلقاء القبض عليك".

"لا بأس ياهاري. سأعالج ما تبقى بنفسني من هنا". لقد بدا صوت مولر هادئاً، ومواسياً تقريباً. "أردتك أن ترى كل شيء وتفهم، وربما تتعلم. لقد انتهى كل شيء".

حدّق هاري إلى الضباب الذي لا يمكن اختراقه، وحاول عبثاً القيام بما طلب منه رئيسه وصديقه القيام به: "أي رؤية كل شيء". أبقى هاري عينيه مفتوحتين حتى سالت الدموع. وعندما استدار، كان بيارني مولر قد ذهب، فناداه باسمه في الضباب بالرغم من علمه أن مولر مُحق: لقد انتهى كل شيء. ولكنه فكّر في أنه ينبغي لأحدهم المناداة باسمه بأي حال.

جو نيسبو

جو نيسبو موسيقي، وكاتب أغانٍ، وعالم اقتصاد، وكاتب. نُشرت روايته البوليسية الأولى التي تتناول سلسلة جرائم وقعت في عهد المفتش والتحري هاري هول، في النزويج عام 1997، فحققت نجاحاً فورياً وحصلت على جائزة المفتاح الزجاجي لأفضل رواية بوليسية اسكندنافية (وسام يشاطره إياه بيتر هوغ، هينينغ مانكل، وكارين فوسام). لمزيد من المعلومات، راجعوا www.jonesbo.co.uk.

انتهى

* الجسأة: المسمار فوق الجرح (المحرّر).